

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع ، أخبر سبحانه
 بما أفهم أن قومه لم يجدوا عنه جوابا أصلا لأنهم انتقلوا إلى الدفاع'
 بالفعل ، وهو أمانة / الانقطاع ، فقال مستأنفا : (قال الملا) أى / ٣٢٢
 الأشراف (الذين استكبروا) أى أوجدوا الكبر إيجادا من هو طالب له
 بغاية الرغبة ، وخصهم ليحصل تمام التسلية بقوله : (من قومه لنخرجنك) هـ
 وبين غلظتهم و جفاءهم بقولهم : (ينشعب) من غير استعطاف
 ولا إجلال (والذين امنوا) ويجوز أن يتعلق قوله : (معك)
 بـ " امنوا " وبـ 'نخرج' (من قريبنا) أى من المكان الجامع لنا
 لمفارقتكم إيانا (او لتعودن) أى إلا ' أن تعودوا ، أى ليكون آخر
 الأمرين : إما الإخراج وإما العود (فى ملتنا) أى بالسكوت عنا كما كنتم ، ١٠
 ولم يريدوا منه العود إلى الكفر لأنه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا قبل
 النبوة كإخوانه من الأنبياء عليهم السلام ، بل كانوا يعدون سكوته
 عليه السلام - قبل إرساله إليهم من^٢ دعائهم و سب آهتهم و عيب دينهم -
 كونا فى ملتهم ، ومرادهم الآن رجوعه عليه السلام إلى تلك الحالة

(١) من ظ ، وفى الأصل : الرفاع (٢) من ظ ، وفى الأصل : الى (٣) فى
 ظ : عن .

و'القناعة بمن اتبعه' بذلك ، فيكون مرادهم بالعود حقيقة^٢ في الجميع^٣ .
ولما كان كل من الإخراج و الرد مستعظما ، أخبر تعالى أنه أنكره
بقوله : ﴿ قال اولو ﴾ أى أخرجونا أو تعيدونا لو كنا راضين للإخراج
و العود و لو ﴿ كنا كرهين ﴾ .

٥ ولما كان العرب أبعد الناس من مطلق الكذب و أشدهم له تحاميا
و منه نفرة فكيف بالكذب على الأكبر فكيف به^٤ على الملوك فكيف به
على ملك الملوك ! علق الكذب على الله تعالى بالعود إلى ملتهم بقوله مستأنفا
الإخبار لمن تشوف إلى علم ما كان منه بعد هذا الكلام اللين و توقع غيره :
﴿ قد افترينا ﴾ أى تعمدا الآن بما نقوله^٥ لكم ، أى^٦ من [أن - ^٧]
١٠ الله حرم الكفر و الإقرار عليه ﴿ على الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة
﴿ كذبا ﴾ و يجوز أن يكون تنوينه للتعظيم ، و يجوز أن يكون للتحقير ،
و لكل وجه يدعو إليه المقام لا يخفى ﴿ ان عدنا ﴾ أى ساعة من الدهر
﴿ فى ملتكم ﴾ أى بسكوتنا أو بسكوتى و كفر من كان ممن تبغى كافرا
﴿ بعد اذ نجتنا الله ﴾ أى الملك الأعلى خارقا للعادة بما كنا جديرين
١٥ بالانقياس فيه متابعة الآباء و الأجداد و العشيرة بما له من القدرة و العظمة
﴿ منها^٨ ﴾ أى إن^٩ فعلنا ذلك فقد ارتكبنا أقبح القبائح على بصيرة منا
بذلك ، فهو تعليق^{١٠} على محال عادة ، وهو من وادى^{١١} قول الاشترا النحوى :

(١) فى ظ : تبعه (٢) من ظ ، وفى الأصل : حقيقته (٣) فى ظ : الجمع (٤) فى ظ :
بالكذب (٥) فى ظ : نقول (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : أى .
(٩) من ظ ، وفى الأصل : تعليقا (١٠) فى ظ : واد .

'بقيت وفري وانحرفت عن العلي ولقيت أضيافى بوجه عبوس'
 إن لم أشن على ابن هند غارة لم تخل^١ يوما من نهاب نفوس
 غير أن المعلق في البيت تقديرى، وفي الآية تحقيق، لأنهم أخبروهم
 أن الله تعالى نهى عن الكفر وأمرهم بانذار كل كافر، فمضى تركوا ذلك
 لزمهم الكذب حتما ﴿وما يكون لنا﴾ أى ما يصح وما يتفق ه
 ﴿ان نعود فيها﴾ أى ملتكم .

ولما كان الله سبحانه أن يفعل ما يشاء لا واجب عليه ولا قيسح
 منه، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿آلا ان يشاء الله﴾ فذكر اسم الذات
 إشارة إلى أن له جميع الحمد لذاته ؛ ثم ذكر صفة الإحسان عياذا من أن
 يراد بهم الهوان فقال : ﴿ربنا﴾ أى خرق العادة فله ذلك، فهو من ١٠
 باب التذكر للخوف والإشراف على إمكان سوء العواقب للصدق في التضرع
 إلى الله تعالى والاتجاه إليه والاستعاذة من مكره، ولذلك أتى باسم
 الجلالة الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى و صفة الربوبية المتمس بذكرها
 فعل ما يفعل الربى الشفيق، فكأنه قال : إن عودنا^٢ فى^٣ ملتكم غير يمكن
 عادة، والمحال^٤ عادة لا يقدر عليه إلا بقدر من الله، بل ولا توجه الهمم ١٥
 إليه، والله تعالى أكرم من أن يعود فيها وهبه^٥ لنا من هذا الأمر الجليل،

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ومعجم الشعراء ٣٦٢، وفي الأصل:
 لم يخل (٣) فى ظ : الله (٤) فى ظ : عدا (٥) من ظ، وفي الأصل : الى .
 (٦) زيد بعده فى الأصل : فى، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٧) من ظ،
 وفى الأصل : وجهه .

و ينزع عنا هذا اللباس الجميل ، و هو صريح في أن الكفر يكون بمشيئة
الله ، بل ولا يكون إلا بمشيئته ، وقوله : ﴿ وسع ربنا ﴾ أى / المحسن
إلينا ﴿ كل شيء علما ﴾ زيادة في حث أمته على الالتجاء^١ و التبرئ من
الحول و القوه ، أى لا علم لنا بجواتم الأعمال و العلم لله فهو التام العلم الكامل
هـ القدرة ، فهذه الجملة كالتعليل للتعليل بالمشيئة [قطعا - ٢] لما عساه أن
يحدث من طمع المخاطبين في عودهم ، كأنه قيل : وإنما علقنا العود بالمشيئة
لنقص علومنا ، فربما كان في سعة علمه قسم ثالث ، و هو أن نكون في
القرية على ديننا و تكونون أتم أولا ، أو توافقونا^٢ على ما نحن عليه ،
و هكذا ينبغي للربوب ، و لا ينبغي الجزم بأمر^٣ يستقبل^٤ إلا الله ربنا لإحاطة
١٠ علمه ، و الآية تدل على أنه كان في الأزل علما بكل شيء من الكليات
و الجزئيات لأن "وسع" ماض ، وقد تقدم في الانعام أن قول الخليل
عليه السلام و هذا آية الكهف من مخبر واحد - و الله أعلم .

و لما كان المراد من هذا ما ذكر ، كان مزجنا للقلوب مقلقا للنفوس
مزجعا للخواطر مزلزلا للأفكار بتأمل هذه الأخطار المشفية على غاية
١٥ الخسار ، فكان المؤمنين قالوا^٥ : ما العمل و أين المفر ؟ فقال : ﴿ على الله ﴾
أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ، وحده لا على غيره ﴿ توكلنا ﴾^٦
أى^٧ فوضنا جميع أمورنا إليه ، و هو أكرم من أن يختار لنا غير الإرشد

(١) في ظ : التجاء (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : توافقوا لنا - كذا .
(٤) من ظ ، وفي الأصل : بأمره (هـ) في ظ : يستقبل (٦) في الأصل : فقالوا ،
وقد سقط من ظ (٧) في ظ : او .

وقد تبرأنا من حولنا وقوتنا واعتصمنا بحوله وقوته، وجعلنا جميع أمورنا كلها محمولة على قدرته كما يحمل الوكيل أمر موكله عنه ويربحه من همه وقلقه منه .

- ولما جرت العادة بأن الموكل يخبر الوكيل بما يريد ليفعله ، أتبع^١ ذلك الدعاء بالحكم بما يقتضيه ظاهر الحال من نصر الحق وخذل المبطل .
- فقال : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ افتح ﴾ أى احكم ﴿ بيننا ﴾ ولما كان يريد استعطافهم لإسعادهم قال : ﴿ وبين قومنا ﴾ وفيه إشارة إلى ميله^٢ إلى الدعاء^٣ بهدياتهم ، وأدب^٤ بعدم التصريح بما لم يؤذن له فيه ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الفصيل من معاملة كل من الحق والمبطل بما يستحقه شرعا وعرفا بحيث يكون لكل فريق باب يصل به إلى غاية^{١٠} أمره وهذا مقام الإنصاف ، فقد علم من إشارة قوله "العناية بقومه ، ومن عبارته الإنصاف" من نفسه ، ولو أراد ترجيح نفسه ومتبعيه لدعا لهم أن يعاملوا بالفضل وأن يعامل ضدهم بالعدل ، والآية معلية بأن له تعالى أن يفعل ما يريد من خذلان الظالم ونصر المظلوم وتعذيب العاصي وإثابة الطائع وعكس ذلك ، "لا يستل عما يفعل" لأنه التام الملك العظيم الملك^{١٥} الشامل القدرة الحكيم الخبير ، ويجوز أن يكون المراد : لا نعود إلى ما كنا عليه من السكوت عن دعائكم إلى الله ونهيكم عن أفعال الضلال لأننا أمرنا بانذاركم إلا أن يشاء الله سكوتنا بأمر^٦ يحدثه إلينا في ذلك

(١) في ظ : اتبعه (٢-٢) في ظ : بالدعاء (٣) في ظ : بادب (٤) من ظ ، وفي الأصل (: مه - ه) تأخر ما بين الرقين في الأصل عن « ولم يجد مخلصا » والترتيب من ظ (٦) في ظ : باحد .

لمصلحة اقتضاها عليه وقصرت عنها علومنا ، فاذا أراد ذلك ، أمرنا به فعلنا ، فله الخلق والأمر .

ولما أشار إلى الدعاء لقومه ، أشار - بالعطف على ' غير معطوف ' عليه ظاهر - إلى أن التقدير : فأنت خير الراحمين : (وانت خير الفتحين *)
 هـ أى على من ^٢ سدت عليه الأبواب ولم يجد مخلصا .

ولما انقضى جواب الفصل المبني على إبطال الفضل وإظهار العدل ، ذكر سبحانه قولهم بعده عاطفا له ^٣ على ما مضى من قولهم أو على قوله . وكان الأصل أن يقال : وقالوا ، ولكنه أظهر الوصف بالشرف ^٤ إشارة إلى أنه الذي حملهم على نتيجة الاستكبار وهى الكفر ، ثم لم يرضوا ١٠ / ٣٢٤ به ^٥ حتى أضافوا إليه تكفير غيرهم فقال : / (وقال الملا) أى الأكابر (الذين) يملأون العيون مرأى والقلوب مهابة ، فحملهم التكبر على أنهم (كفروا) .

ولما كان من المستبعد أن يكون أقاربه يتكبرون عما أتاهم به من الخير لحسد أو اتهام أو غيرهما ، فكان ربما ظن أن هؤلاء الذين يعاملونه بهذه الغلظة أجانب عنه ، قال : (من قومه) يانا لأن الفضل بيد الله فقد يؤتیه البغيض البعيد ويمنعه الحبيب القريب " انك لا تهدي من احببت " ، وطأوا للقسم بقولهم ^٦ : (لن انبعث) أى أيها الاتباع ممن لم يؤمن بعد (شعبيا) أو ^٧ تركتم ما أتم عليه بما أورثه لكم

(١) فى ظ : الى (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فخذفناها .

(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : الحسد (٥) - سورة ٢٨ آية ٥٦ (٦) فى ظ : بقوله .

(٧) فى ظ : اى و .

آباؤكم؛ و أجاب^١ القسم بما^٢ سد عن جواب الشرط بقوله: ﴿انكم اذا﴾
أى وقت اتباعه ﴿لخسرون ه﴾ أى لأنكم استبدلتم بدين الآباء غيره^٣
و حرمت فوائد البخس و التطفيف و قطع السبل .

و لما كمل إثمهم بالضلال و الإضلال ، استحقوا الأخذ فقال :

﴿ فاخذتهم ﴾ أى قسب عن أقوالهم هذه و أفعالهم أنه أخذتهم ه
﴿ الرجفة ﴾ أى الزلزلة العظيمة فى القلوب أو الديار التى كانت سببا
للصيحة أو مسية عنها ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ أى مساكنهم ، و تقدم
سرتوحدها ﴿ جشمن على ﴾ أى باركين على الركب أو لازمين أمكنتهم
لا حراك بهم ، و هذا دون ما كان للنبي صلى الله عليه و سلم لما نزلت
الملائكة بحنين ، فكان الكفار يسمعون فى أجوافهم مثل وقع الحصاة ١٠
فى الطست ، و دون ما كان يحد مخالفه من الرعب منه مسيرة شهر من
ورائه و شهر من أمامه ، و لكونه كان نبي الرحمة ما اقضى ذلك
الهلاك بل النجاة .

و لما أخبر سبحانه بهلاكهم و ما سبه من أقوالهم و أفعالهم ، و كان

للتخليص من العظمة فى القلوب بتصوير المخلص للأذهان [ما - ٧] لا يخفى ، ١٥
لخص ذلك^٤ ذاكر^٥ لأنه حل بهم [بالخصوص - ٧] ما نسبوا إلى المؤمنين
من الخسارة فقال : ﴿ الذين كذبوا شيعيا ﴾ أى نسبوه إلى الكذب
فيما قاله عنا و أيدناه فيه بالبينات ﴿ كان ﴾ أى هم المخصوصون بالهلاك

(١) فى ظ : جواب (٢) فى ظ : هنا (٣) فى ظ : عليه (٤) من ظ ، وفى الأصل :

التضعيف - كذا (٥) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها .

(٦) من ظ ، وفى الأصل : قضى (٧) زيد من ظ (٨-٨) فى ظ : ذكرناه .

حتى كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ أى ينزلوا و يقيموا ، و بطل مقامهم لاهين
بالأفراح و الغناء 'و الاستغناء من' المغنى و هى المنازل و الاستغناء
﴿فيهاج﴾ أى الدار بسبب تكذيبهم .

ولما كان تكذيب الصادقين لاسيما الرسل فى غاية الشناعة، كرره
٥ إشارة إلى ذلك و إعلاما بأنه سبب لهم أعظم من هلاك الأشباح ضد ما
سبب التصديق للؤمنين فقال: ﴿الذين كذبوا شعييا﴾ أى فكان تكذيبه
سيئا لهلاكهم ﴿كانوا﴾ أى بسبب التكذيب أيضا ﴿هم﴾ أى خاصة
﴿الحسرين﴾ أى خسروا أرواحهم كما خسروا أشباحهم فهم لما سوى ذلك
أخسر ، و أما الذين اتبعوه فما نالهم شيء من الخسار، و فى هذا الاستئناف
١٠ و الابتداء و التكرير مبالغة فى رد مقالة الملا لأشباحهم و تسفيه لآرائهم
و استهزاء بنصحهم لقومهم و استعظام لما جرى عليهم .

و لما صارت تلك الدار محل الغضب ، سبب ذلك أن هاجر عنها كما
كانت عادة من قبله من الأنبياء عليهم السلام ، فقال: ﴿فتولى عنهم﴾
بعد نزول العذاب و قبله عند رؤية مخايله ذاهبا إلى مكان غيره ، بعد ربه
١٥ فيه ﴿و قال﴾ متأسفا على ما فاته من هدايتهم ﴿يقوم﴾ أى يا عشيرتى
و أقرب الناس إلى ﴿لقد ابغضتكم﴾ و لعله جمع 'لأجل كثرة' ما أتاها
به من المعجزات فقال: ﴿رسلت ربي﴾ أى المحسن إلى بانجائى و من تبغى
من عذابكم لتوفيقه لنا إلى ما يرضيه ﴿و نصحت﴾ أى و أوقعت / النصح

/ ٣٢٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: هذه (٣) فى ظ :

غير - كذا (٤-٤) فى ظ : لكثرة (٥) سقط من ظ .

(لكم ع) أى خاصة .

ولما كان هذا مفهما لما طبع البشر من الأسف على أهله وعشيرته ، سبب عنه^١ منكرا على نفسه قوله : (فكيف أمي^٢) أى أحزن حزنا شديدا (على قوم كفرين ع) أى عريقين في الكفر ، فعرف أنه أسف عليهم من أجل قربهم وفوات الإيمان لهم غير آسف عليهم من أجل كفرهم ، وتخصيص تكرير هذه القصص الخمس على هذا الترتيب في كثير من سور القرآن - دون قصة إبراهيم عليه السلام وهو أعظمهم - لانتظامهم في أنهم أقرت أعينهم بأن رأوا مصارع من خالفهم ، وأما إبراهيم عليه السلام فإنه وقع النص في قوله ” انى ذاهب الى ربي سيهدين “ بأنه خرج من بين قومه قبل عذابهم ولم يسلك به سبيلهم في إقرار عينه باهلاك^{١٠} من كذبه بحضرتة . وهو أفضلهم لأن الكائن في قصته أعظم في الأفضلية ، وهو طبق ما اتفق لولده أفضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وانظر الى قوله تعالى ” وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم “ تعرف ما في هذا المقام من الإكرام ، وأن الأمر كما قيل : لعين تجازى ألف عين وتكرم . ولما قدم سبحانه إجمال الإنذار بما اشتركت فيه الأمم من الإهلاك^{١٥}

بقوله تعالى ” وكم من قرية اهلكناها “ - الآية ، ثم أتبعه - بعد تقديم ما يحتاج إليه على النظم الذى سبق التنبيه عليه - تفصيل ما انفردت به كل أمة من العذاب الحاث على سبيل الصواب ، أتبع ذلك إجمالا آخر أبسط من الأول على عطف غريب^٥ دال على عادته المستمرة وسنته المستقرة في شرح

(١) من ظ ، وفي الأصل : هو - كذا (٢) في ظ : عنهم ، وزيد بعده في الأصل : قوله ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها (٣) في ظ : احسن (٤) سورة ٣٧ آية ٩٩ . (٥) سورة ٨ آية ٣٣ (٦) في ظ : انفرت - كذا (٧) من ظ ، وفي الأصل : عرف .

حال هؤلاء الأمم الذين ذكرهم وغيرهم ، لتلايظ أن غيرهم كان حاله غير حالهم ،
 فبين أن الكل على نهج واحد و أن ' السبب في استصالحهم واحد ، و هو
 التكذيب والاستكبار على الحق ، ليكون الإجمال كالضوابط و القواعد
 الكلية لتطبيق على الجزئيات . و ذلك الاستبصار^٢ بما يكون من نافع
 ه أو ضار و عدم الاغترار بأحوال المستدرجين الأشرار متكفل^٣ بالتسليـ
 لنيه [صلى الله عليه وسلم - '] و التأسية ، متقدم على قصة موسى و هارون
 عليهما السلام اطولها و تعجيلا بما في ذلك من مصارع^٤ الإنذار بقوله
 تعالى : ﴿ وَمَا ﴾ أى أرسلنا فلانا فكان كذا و^٥ فلانا فكان كذا . و ما
 ﴿ أرسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فى قرية ﴾ أى من قرى أولئك
 ١٠ و غيرهم ﴿ من نبي ﴾ أى من الأنبياء الذين تقدموك ﴿ إلا ﴾ كان
 ما نخبر^٦ به من ترهيبهم من سطواتنا و هو أنا ﴿ اخذنا ﴾ أى بعظمتنا
 ﴿ اهلها ﴾ أى أخذ قهر^٧ و سطوة ، أى لاجل استكبارهم عن الحق
 ﴿ بالبأساء ﴾ أى قهر الرجال ﴿ و الضراء ﴾ أى المرض و الفقر
 ﴿ لعلهم بضرعون ه ﴾ أى ليكون^٨ حالهم عند المساء حال من يرجى
 ١٥ تضرعه و تذله و تخضعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره و لو كان التضرع
 فى أدنى المراتب - على ما أشار إليه الإدغام ، لأن^٩ ذلك كاف فى

(١) فى ظ : انما (٢) من ظ ، و فى الأصل : لتطبق (٣) من ظ ، و فى الأصل :
 للاستبصار (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : صارع (٦) سقط من
 ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : يخبر (٨) فى ظ : فظهر (٩) فى ظ : لتكون .
 (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بان .

الإيقاظ^١ من عذاب الإنذار الذى هذه سورته بخلاف ما مضى فى الأنعام .
 ولما لم يتضرعوا صادقين من قلوبهم معترفين بالحق لأهله كما يحق
 له ، استدرجهم^٢ بادرار النعم ، فقال مشيرا إلى طول مدة الابتلاء
 واستبعادهم لكشف ذلك البلاء : ﴿ ثم بدلنا ﴾ و مظهر العظمة يؤيد
 الاحتمال الثانى ﴿ مكان ﴾ أى جعلنا بدل ﴿ السيئة ﴾ أى النعمة ﴿ الحسنة ﴾ .
 أى النعمة ، وبين أنه مد النعمة بقوله : ﴿ حق عفوا ﴾ أى كثروا
 وكثرت نعمهم فلم يشكروا ﴿ وقالوا ﴾ مسئين الأمر إلى غير أهله
 ﴿ قد مس أباءنا الضراء ﴾ أى الشدة ﴿ والسرائ ﴾ أى الرخاء و النعمة ،
 معتقدين أن هذه عادة الدهر لافعل الفاعل المختار .

ولما لم يعتبروا ويعلموا أن ذلك بمن / يجب^٣ أن لا يعدل عن ١٠ / ٣٢٦
 بابه ولا يغفل عن جنبه ، وظنوا أن ذلك دأب الدهر وفعل الزمان ،
 واستمروا على فسادهم فى حال الشدة و الرخاء ، سبب عنه قوله : ﴿ فاخذنهم ﴾
 أى بعظمتنا أشد الأخذ وأفظمه فى الظاهر و الباطن ﴿ بغته ﴾ أى فجأة
 حتى لا ينفعهم^٤ التوبة ، وأكد معنى البغت تحقيقا لأمره بقوله :
 ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ فحق من سمع هذا أن يبادر إلى الرجوع عن كل ١٥
 مخالفة هو فيها خوفا من الأخذ بغته .

ولما بين تعالى ما كان قولهم مسيئا له من الأخذ بغته ، بين ما كان يكون
 ضد قولهم مسيئا له من البركات لو وقع بقوله : ﴿ ولو ان اهل القرآى ﴾
 أى هذه التى قصصنا أخبارها ﴿ امنوا ﴾ أى بما أتاهم به رسالهم
 (١) فى ظ : الاتقياء (٢) فى ظ : استدرجهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : تحب .
 (٤) فى ظ : لا تنفعهم (٥) فى ظ : سيئا .

(و اتقوا) أى خافوا أمر الله وجعلوا بينهم وبين سخطه وقاية من طاعاته
 فاستمروا على إيمانهم (لفتحنا عليهم بركت) أى خيرات ثابتة لا يقدر
 أحد على إزالتها (من السماء) أى بالمطر الذى يكون كأفواه القرب
 وما شابهه (والارض) بالنبت الغليظ وما قاربه، وقراءة ابن عامر بالتشديد
 ٥ يدل على كثرة تلك البركات، وأصل البركة المواظبة على الخير .

ولما كان الكلام بما أفهمته "لو" فى قوة أنهم لم يؤمنوا، عبر
 بقوله: (ولكن كذبوا) أى كان التكذيب ديدنهم وشأنهم، فذلك
 لم يصدقوا رسلنا فى شيء، ولما كان التكذيب موضع الجلالة والجود
 الذى هو سبب لعدم النظر فى الدليل، سبب عنه العذاب فقال:
 ١٠ (فاخذنهم) أى بما لنا من العظمة (بما) أى بسبب ما
 (كانوا يكسبون) أى بجبلاتهم الخبيثة من الأعمال المناسبة لها .

ولما كانوا قد ضلوا ضلالا بعيدا فى غلظهم فى جعلهم السراء والضراء
 سببا للأمن من مكر الله، قال منكرنا عليهم أمنهم عاطفا له على "كذبوا"
 لأنه سبب الغلط وهو سبب الأمن فقال: (افامن اهل القرى) أى كذبوا
 ١٥ ناسين أفعالنا المرهبة بالمضار والمرغبة بالمسار فأمنوا (ان ياتيهم بأسنا)
 أى الناشئ عما لنا من العظمة التى لا ينساها إلا خاسر (يانا) أى
 ليلا وهم قد أخذوا الراحة فى بيوتهم؛ ولما كان النوم شيئا واحدا يغمر
 الحواس فيقتضى الاستقرار، عبر بالاسم الدال على الثبات فقال:
 (وهم نائمون) أى على غاية الغفلة عنه .

(١) فى ظ: لانهم (٢) فى ظ: اليوم .

و لما كان ربما قال جاهل : لو جاءهم وهم أيقاظ لأمكن أن يدافعوا ! قال : ﴿ او امن اهل القرى ﴾ أى مجتمعين أو منفردين فانه لا فرق عندنا فى ذلك ﴿ ان ياتيهم باسنا ضحى ﴾ أى وقت راحتهم و اجتماع قواهم و نشاطهم ؛ و لما كانت اليقظة موجبة للحركة ، عبر بالمضارع فى قوله : ﴿ وهم يلعبون ه ﴾ أى يتجدد لهم شيئا فشيئا فى ذلك الوقت ، ه و فيه تقرير لهم بنسبتهم إلى أنهم صبيان العقول ، لا التفات لهم إلى غير اللعب .

و لما كان ضلالهم - الذى نسبوا فيه الأمر إلى غير أهله - أشتع ضلال لتضمنه التعطيل و ما يجر إليه من الأباطيل . كرر الإنكار عليهم على وجه أشد من الأول فقال مسبيا الإنكار عما أثبت هذا الكلام من ١٠ العظمة التى لا يتارى فيها ذواب : ﴿ افانوا مكر الله ع ﴾ أى فعله الذى يشبه المكر بأخذ الإنسان من حيث لا يشعر بالاستدراج بما يريد من النعم و النقم ؛ و سبب عن ذلك قوله : ﴿ فلا يامن مكر الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا يرد له أمر ﴿ الا القوم النخسرون ع ﴾ أى الذين ٢ كانت قواهم سببا لمرقتهم فى الأفعال الضارة و الخصال المهلكة . ١٥

و لما بان بما مضى حال الكفار مجملا و مفصلا ، و كان المقصود من ذلك عبرة السامعين . و كان أخذهم بالبأساء و الضراء مع إبقاء مهجهم و حفظ أرواحهم و أفهامهم بعد إهلاك من قبلهم فى بعض ما لحقهم من ذلك و إرائهم الأرض من بعدهم / حالا يكونون ٣ بها فى حيز من يرجى

منه الخوف المقتضى للتضرع و العلم قطعاً بأن الفاعل لذلك هو الله ،
وأنه لو شاء لأهلكهم بالذنوب أو غطى أفهامهم بحيث يصيرون
كالبهائم لا يسمعون إلا دعاء و نداء ، فسماعهم حيث لا فهم كلا سماع ،
فجعلوا ذلك سبباً للآمن ؛ أنكر عليهم ذلك بقوله ” اقامن “ إلى آخره ؛
ثم أنكر عليهم عدم الاستدلال على القدرة يقال عاطفا [على -]
” اقامن “ : ﴿ او لم يهد ﴾ أى يبين أخذنا للآمن الماضية بالبأساء و المضراء
ثم إهلاكهم إذ لم يتعظوا ﴿ للذين يرثون الارض ﴾ و أظهر موضع الإضمار
تعبيراً و تعليقاً للحكم بالوصف و إشارة إلى بلادهم^٢ لعدم البحث عن
الأخبار ليعلموا منها ما يضر و ما^٣ ينفع فلا يكونوا كالبهائم ، فانهم
لو تأملوا أحوالهم^٤ و أحوال من ورثوا أرضهم و أحوال^٥ الأرض
لكفاهم ذلك فى الهداية إلى سواء السبيل .

و لما كان إرثهم^٥ غير مستغرق للزمان ، أنى بالجاء فقال :
﴿ من بعد اهلها ﴾ ثم ذكر مفعول ” يهد “ بقوله : ﴿ ان ﴾ أى أنا
﴿ لو نشاء ﴾ أى فى أى وقت أردنا ﴿ اصبنتهم بذنوبهم ج ﴾ أى إصابة تمحقهم^٦
١٥ بها كما فعلنا بمن ورثوا أرضهم ؛ و لما كان هذا تحويلاً للوجودين بعد
المهلكين ، و منهم قريش و سائر العرب الذين يخاطبون بهذا القرآن ، فكان
المخوف به لم يقع بعد ، عطف على^٦ ” اصبنا “ قوله : ﴿ و نطبع على قلوبهم ﴾
أى بازالة عقولهم حتى يكونوا كالبهائم ، و لذلك^٧ سبب عنه قوله :

- (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بلادهم (٣) فى ظ : لا .
(٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ربهم - كذا .
(٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : كذلك .

(فهم لا يسمعون ه) أى سماع فهم ، و عبر عن الإصابة بالماضى إشارة إلى سرعة الإهلاك مع كونه شيئا واحدا غير متجزى ، و عن الطبع بالمضارع^١ إيماء إلى التجدد بحيث لا يمر زمن إلا كانوا فيه فى طبع جديد .

و لما انقضى ذلك على هذا الوجه الأعظم و انظم الأبلغ الأحكم ،

و كانت هذه القرى بحيث تعرفها العرب و يرونها ، أشار إليهم حثا على ٥ الاعتبار بهم ، و لما كان أهلها جديرين بالبعد عنهم^٢ و الهرب منهم ، عبر عنهم بأداة البعد فقال : (تلك القرى) أى محال^٣ القبائل الخمس ، و يجوز أن يكون البعد لعظمة ما حصل لأهلها من العذاب ، و يؤيده قوله مينا لحالها : (نقص عليك) .

و لما كان العاقل من يكفيه أدنى شيء ، هو الأمر بأن أخبرها ١٠ تقوت الحصر ، و أن ما قص منها يكفى المعتبر ، فقال : (من أنبأها ج) أى أخبرها العظيمة الهائلة المطابقة للواقع شيئا بعد شيء كما يفعل من يتبع^٤ الأثر ، و أنت الضمير لأن لرؤية القرى أنفسها مدخلا فى معرفة أخبار أهلها . و لما كان المقام مقام العجب من التكذيب بعد ذلك البيان ، كان

ربما نخيل متخيل أنهم لم يؤتوا^٥ بالبيان الشافى ، فشهد الله تعالى للرسل ١٥ عليهم السلام تصديقا لمن قال منهم : قد جاءكم بيته ، بقوله : (و لقد) أى و الحال أنه قد (جاءهم) أى أهل القرى لأنهم المقصودون بالذات (زسلهم) أى الذين أرسلناهم إليهم (بالبيئت ج فـ) أى فلم يتسبب عن

(١) من ظ ، و فى الأصل : المضارع (٢) فى ظ : عنه (٣) فى ظ : محل (٤) من ظ ، و فى الأصل : يتبع (٥) من ظ ، و فى الأصل : لم يؤمنوا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لم .

ذلك بسبب طبعنا على قلوبهم إلا أنهم ما ﴿ كانوا ﴾ موقنين ﴿ ليؤمنوا ﴾
أى عند مجيئها ، و قد أكد منافاة حالهم الإيمان باللام ، و الكون أتم تأكيد
﴿ بما ﴾ أى بالذى ﴿ كذبوا ﴾ أى به ، [و حذفها أدل على الزجر من
مطلق التكذيب و أرفق لمقصود السورة - ٢] .

٥ ولما كان تكذيبهم غير مستغرق للزمان الماضى ، أدخل الجار فقال :

﴿ من قبل ١ ﴾ أى قبل مجئ الرسل إليهم أو بتكذيبهم الواقع [منهم - ٢]
لرسل فيما أتوا به عن الله من قبل الأخذ بغته ، أو من قبل مجئ الرسل
بالآيات ، فانهم أول ما جاؤهم فاجأوهم بالتكذيب ، فجوزوا على تكذيب الحق
من غير نظر فى دليل بالطبع [على قلوبهم فأتوهم بالمعجزات فأصروا على ذلك
١٠ التكذيب و وقفوا لذلك الطبع - ٢] مع حظوظهم ، و منعتهم شماختهم

و شدة شكائهم عن الإيمان ٢ لئلا يقال : إنهم خافوا ١ أولا فيما وقع منهم
من التكذيب فكانوا فيه على / غير بصيرة ، أو إنهم خافوا ثانيا ما قرعتهم
به الرسل من الوعيد ، فدخلوا جبنا فيما يعلون بطلانه ، فكان تزيين ٢ هذا
لهم طبعاً على قلوبهم . فكأنه قيل : إن هذا العجب هل يقع فى مثل ذلك

١٥ أحد ؟ ف قيل : نعم ، مثل ما طبعنا على قلوبهم حتى صارت مع الفهم
لا تنتفع ٢ ، فكأنها لا تفهم ٢ فكأنها لا تسمع ٢ ﴿ كذلك يطبع الله ﴾
أى الجامع لصفات الكبر و نعوت الجلال بما يجعل ٢ من الرين بما له

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحازرين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
الايمن - كذا (٤) فى الأصل : خلفوا ، وفى ظ : خفوا (٥) فى ظ : قرين (٦) من
ظ ، وفى الأصل : لا ينتفع (٧) من ظ ، وفى الأصل : لا يفهم (٨) من ظ ،
وفى الأصل : لا يسمع (٩ - ٩) فى ظ : انما يجعل .

من العظمة ﴿ على قلوب الكافرين ٥ ﴾ أى كل من يغطى ما أعطاه الله من نور العقل بما تدعوه إليه نفسه من الهوى عريقا فى الاتصاف [بذلك - ١] فترك آيات الله .

ولما كان نقض العهد أظفح شئ ولا سيما عند العرب ، قال عاطفا على " فما كانوا " : ﴿ وما وجدنا ﴾ أى فى عالم الشهادة ﴿ لا كثرهم ﴾ ٥ أى الناس ، وأكد الاستغراق فقال : ﴿ من عهد ﴾ ﴿ طبق ما كان عندنا فى عالم الغيب ، وهذا إما إشارة إلى الميثاق يوم " الست بربكم " إن كان ذلك على حقيقته ، أو إلى ما يفعلون حال الشدائد من الإقلاع عن " المعاصى والمعاودة " على الشكر " لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين " " أو إلى إقامة الحجج " بأفاضة القول و نصب الأدلة ، فصار بنصبها وإيضاحها ١٠ للقول كأنه أخذ العهد على من عقل أنه يبذل الجهد فى التأمل ولا يتجاوز ما أبداه له صحيح النظر ﴿ وان ﴾ أى وإنا ﴿ وجدنا ﴾ أى علمنا فى عالم الشهادة ﴿ اكثرهم لفاسقين ٥ ﴾ أى خارجين عن دائرة العهد مارقين بما أوقعهم عند الحد عريقين فى ذلك طبق ما كنا نعلمه منهم فى عالم الغيب ، وما أبرزناه فى عالم الشهادة إلا لتقيم عليهم به الحجة على ١٥ ما يتعارفونه بينهم فى مجارى عاداتهم ومدارك عقولهم .

ولما انتضى بيان هذا الإجمال الخالع لقلوب الرجال ، أتبعه الكشف

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢) فى ظ : على (٣) من ظ ، وفى الأصل : المعاهد .
(٤) سورة ١٠ آية ٢٢ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحجج - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : ايضاها (٧) فى ظ : دائر .

عما كان بعد قصة شعيب عليه السلام من قصة صهره موسى عليه السلام
 [مع - ١] فرعون وقومه ، وهى كالدليل على آيات الإجمال كما كانت
 القصص الماضية كالدليل على ما فى أول السورة من الإجمال ، فان قصة
 فرعون مشتملة على الأخذ بالبأساء والضراء ، ثم الإنعام بالرخاء والسراء ،
 ثم الأخذ بغتة بسبب شدة الوقوف مع الضلال بعد الكشف الشافى
 والبيان لما على قلوبهم من الطبع وما قادت إليه^٢ الحظوظ من الفسق ،
 وكأنه^٣ فصلها عن القصص الماضية تنويها بذكرها وتنبها على [على - ١]
 قدرها ، لأن معجزات صاحبها أعظم من معجزات من كان قبله ، وجهل
 من عالجهم^٤ كان أعظم وأفحش من جهل تلك الأمم ، ولذلك عطفها
 ١٠ بأداة البعد مع قرب زمنها من التى قبلها إشارة إلى بعد رتبها بما فيها
 من العجائب وما اشتملت عليه من^٥ الرغائب والغرائب ، ولذلك مد لها
 الميدان وأطلق فى سياقها للجواد^٦ العنان فقال : (ثم بعثنا) أى على
 عظمتنا (من بعدهم) أى الرسل المذكورين والأمم المهلكين
 (موسى بآيتنا) أى التى يحق لها العظمة باضافتها إلينا فثبت بها النبوة
 ١٥ (إلى فرعون) هو علم جنس الملوك مصر ككسرى الملوك فارس وقصر
 الملوك الروم ، وكان اسم فرعون^٧ موسى عليه السلام قابوس ، وقيل :
 الوليد بن مصيب [بن - ٩] الريان (وملائته) أى عظماء قومه ، وخصهم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الى (٣) فى ظ : كان (٤) يسقط من ظ (٥) فى ظ :
 عاجلهم (٦) من ظ ، وفى الأصل : بين (٧) زيدت الواو بضم فى ظ (٨-٨) سقط
 ما بين الرقين من ظ (٩) زيد من ظ وتاج العروس : راجع " تفرعن " .

لأنهم إذا أذعنوا أذعن من دونهم ، فكأنهم المقصودون و الإرسال إليهم
إرسال إلى الكل .

ولما سببت لهم الظلم قال : ﴿ فظلموا ﴾ أى وقعوا فى مثل الظلام
حتى وضعوا الأشياء فى غير مواضعها فوضعوا الإنكار موضع الإقرار
﴿ بهاج ﴾ أى بسبب رؤيتها خوفا على رئاستهم و مملكتهم الفانية أن تخرج^د
من أيديهم ؛ ولما كان ذلك من أعجب العجائب . و هو أن سبب العدل
يكون / سبب الظلم ، و كان هذا الظلم أعظم الفساد ، سبب عنه قوله معجبا :
٣٢٩ / ﴿ فانظر ﴾ أى بعين البصيرة ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر
﴿ المفسدين ﴾ فلخص فى هذه الآية على وجازتها جميع قصتهم على طولها ،
وقدم ذكر الآيات اهتماما بها ولأنها الدليل على صحة دعوى البعث . ١٠
ولما كان التقدير عطفا على ” فظلموا بها “ : ووضعها موسى مواضعها ،
عبر عنه بقوله : ﴿ وقال موسى يفرعون ﴾ خاطبه بما يعجبه امتثالا لأمر الله
تعالى له أن يلين فى خطابه ، وذلك ؛ لأن فرعون لقب مدح لمن
ملك مصر .

ولما أتاهم عليه السلام وهم عارفون بأمانته و صدقه و عظم مكانته ١٥
و بكارم أخلاقه و شريف عنصره و عظيم مخبره ، و فرعون أعظمهم معرفة
به لأنه ربي فى حجره ، كان هذا حالا مقتضيا لأن يلقي إليهم الكلام
غير مؤكد ، لكن لما كان الإرسال من الله أمرا عظيما جدا ، و كان المقصود

(١) من ظ ، وفى الأصل : سبب (٢) من ظ ، وفى الأصل : يخرج (٣) فى ظ ؛
بعد (٤) فى ظ : لذلك (هـ) من ظ ، وفى الأصل : إن و

[به - ١] تخلية سبيل بنى إسرائيل . وكان فرعون ضنينا بذلك ، أكده بعض التأكيد فقال : ﴿ انى رسول ﴾ ثم بين مرسله بقوله : ﴿ من رب العلين ﴾ أى المحسن إليهم أجمعين - و أنتم منهم - بايحادهم و تربيتهم . فهو تنبيه لمن سمعه على أن فرعون مربوب مقهور .

٥ و لما خلفه بهذا مما بدعيه من الربوبية دالا على تسويته ببقية العالمين : ناطقهم و صامتهم ، و كان^٢ لذلك بعيدا من الإدعان لهذا الكلام ، أتبعه قوله على وجه التأكيد . مستأنفا بيان ما يلزم للرسول : ﴿ حقيق^٣ ﴾ أى بالغ فى الحقيقة ، و هى الثبات الذى لا يمكن زواله ﴿ على أن لا أقول على الله ﴾ أى الذى له جميع السكال . و لا عظمة لسواه و لا جلال ﴿ الا الحق ﴾ أى الثابت الذى لا يمكن المهاراة فيه أصلا لما يصدق^٤ من المعجزات ، و حاصل العبارة و مآلها : حق على قولى^٥ الذى أطلقه^٦ على الله أن لا يكون إلا الحق أى غير الحق ، و لذلك عبر بالاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات ، و قراءة نافع بتشديد ياء الإضافة فى ” على “ بمعنى هذا سواء ، لأن من حق عليه شيء حق على كلامه .

١٥ و لما كان الحال إذ ذاك يقتضى توقع إقامة موسى عليه السلام البينة

على صحة رسالته ، كان كأنه قيل : ما دليل صدقك ؟ فقال مفتحا بحرف التوقع و التحقيق^٩ : ﴿ قد جئكم ﴾ أى كلمكم ، لا أخص أحدا منكم ﴿ ببينة^{١٠} ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بنه (٣) فى ظ : فكان (٤) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : حقيقا (٦) فى ظ : يصدر (٧) من ظ ، و فى الأصل : قول . (٨) فى ظ : أطلقته (٩) من ظ ، و فى الأصل : التخفيف (١٠) تأخر فى الأصل عن ” قولى الحق “ و الترتيب من ظ .

دليلا على رسالتى وقول الحق (من ربكم) أى المحسن إليكم بكل نعمة
ترونها لديكم من خلقكم ورزقكم وكف الأمم عن انتزاع هذا الملك
منكم وإهلاككم، وتلك البينة هى المعجزة، فكرر البيان فى هذا الكلام
على أن فرعون ليس كما يدعى لأنه مريب، لا فرق بينه وبين بقية
العالمين فى ذلك .

٥

ولما كان من المعلوم أن مثله فى تمام عقله وشرف خلأقه لا يدعى
فى تلك المجامع إلا حقا مع ما نبه عليه من البيان على تفرد الله بالإلهية، كما
تفرد بالإحسان. كان كأنه أظهر البينة التى أقلها كفهم عن إهلاكهم .
فأتبع ذلك طلب النتيجة إعلاما بغاية ما يريد منهم بقوله مسيحا عن مجرد
هذا الإخبار الذى كان قد أوقع مضمونه: (فارسل) أى يا فرعون ١٠
(معى بنى إسرائيل) أى فسيب^٢ عن إقامتى الدليل على صحة ما قلته أن
أمر بما جئت له - وهو إبراهيم معى - أمر من صار له سلطان بإقامة
البينة لنذهب كلنا إلى [بيت - ٢] المقدس موطن^٣ آبائنا التى أقسم الله لهم
أن يورثها أبناءهم، وفى جعل ذلك نتيجة الإرسال إليه تنبيه على أن
رسالته مقصورة على قومه، فكأنه قيل: فاذا قال فرعون فى جواب ١٥

هذا الأمر الواضح؟ فقيل: (قال) معرضا عنه معنيا له خوفا من غائلته

عند من يعرف موسى عليه السلام حق المعرفة معبرا بأداة / الشك إيقافا لهم:
(ان كنت جئت بآية) أى علامة على صحة رسالتك (فأت بها) فأبرهم

٣٣٠ /

(١) من ظ، وفى الأصل ز كأنه (٢) فى ظ: قديب (٣) زيد من ظ (٤) فى
ظ: مواطن (٥) من ظ، وفى الأصل: أبناءها .

أنه لم يفهم إلا أن المراد أنه سيقمها من غير أن يكون في كلامه السابق دلالة على صدقه. وأكد الإيهام والشك بقوله: ﴿ان كنت﴾ أى جلة وطبعاً ﴿من الصدقين﴾ أى فى عداد أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواك عندى وثبت^٢.

و لما ساق هذا الطلب مساقاً دالاً على أنه شك فى أمره، أخبر تعالى أنه فاجأه باظهار الآية دالاً على ذلك بالقاء المسية المعقبة من غير مهلة فقال عن فعل موسى عليه السلام: ﴿فألقى عصاه﴾ وعن فعله هو سبحانه ﴿فاذا هى﴾ أى العصا ﴿ثعبان مبین﴾ أى ظاهر فى كبره وسرعة حركته بحيث أنه لشدة ظهوره كأنه ينادى الناس فيظهر لهم ١٠ أمره، وهو موضع اصدق من تسبب عن فعله فى جميع مقالاته؛ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان ثعباناً أشعر فاغرا فاه، بين لحييه تمانون ذراعاً، وضع لحيه الأسفل فى الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب من سريره هارباً وأحدث، وحمل على الناس فانهزموا وصاحوا فأت منهم خمسة وعشرون ألفاً، قتل بعضهم ١٥ بعضاً، وصاح فرعون: يا موسى خذه^٣ وأنا أومن [بك - ^٤] فأخذه^٥ فعاد عصا. ثم قال: هل معك^٦ آية أخرى؟ قال: نعم ﴿ونزع يده﴾

(١) فى ظ: به (٢) من ظ، وفى الأصل: عدد (٣) من ظ، وفى الأصل: يثبت.
(٤) من ظ، وفى الأصل: الطيب (٥) من ظ، وفى الأصل: من (٦) فى ظ: كان (٧) من ظ، وفى الأصل: سبب (٨) من ظ، وفى الأصل: خذوه.
(٩) زيد من ظ (١٠) من ظ، وفى الأصل: فاخذوه (١١) سقط من ظ.

أى أخرجها من جيبه بعد أن أراه إياها محترقة أدما كما كانت وهو عنده
 ﴿فاذا هي بيضاء﴾ ونبه على ثبات ياضها وزيادة إعجابه بقوله: ﴿لأنظرين^٤﴾
 قال أبو حيان: أى للنظارة^٥، وفى [ذكر - ٢] ذلك تنبيه على عظم ياضها
 لأنه لا يعرض العجب لهم إلا إذا كان ياضها خارجا عن العادة، وقال
 ابن عباس: صارت نورا ساطعا يضىء ما بين السماء والأرض، له لمعان مثل هـ
 لمعان البرق فغروا على وجوههم، وما^٦ أعجب أمر هذين الخارقين العظيمين:
 أحدهما فى نفسه وذلك اليد البيضاء، والآخر فى غير نفسه وهى العصا التى
 يمسكها يده^٧، وجمع^٨ بذنك^٩ تبديل^{١٠} الذوات من الخشبية^{١١} إلى الحيوانية .
 و تبديل^{١٢} الأعراض من السمرة إلى الياض الساطع، فكانا دالين على
 جواز الأمرين - انتهى -

١٠

ولما أتى بالبيان وأقام واضح البرهان، اقتضى الحال السؤال عما أبرزوه
 من المقال فى جوابه فقال: ﴿قال الملا﴾ أى الأكبر ﴿من قوم فرعون﴾
 ما تلقفوه من فرعون واحدا بعد واحد، يلقيه أكبرهم إلى أصغرهم
 ﴿ان هذا لسحر﴾ أى فهذا الذى رأيتموه أيها الناس من تخيله ما لا
 حقيقة له، فلا تبادروا إلى متابعته .

١٥

ولما كان ذلك^١ خارجا عما أفوه من السحرة قالوا: ﴿علم^٢﴾

(١) فى النهر: للنظار - راجع البحر المحيط ٣٥٨/٤ (٢) زيد من النهر (٣) من
 ظ والنهر، وفى الأصل: اما (٤-٤) ليس ما بين الرقين فى النهر (٥) من ظ والنهر،
 وفى الأصل: جميع (٦) فى النهر: تبدل (٧) فى النهر: الخشبية (٨) فى ظ: هذا .

أى 'بما هم' فيه، بالغ^٢ فى عليه إلى حد عظيم، فلذلك جاء ما رأيتم منه فوق العادة، فكان فرعون قال ذلك ابتداء - كما فى سورة الشورى - قتلّفوه منه وبادروا إلى قوله، يقوله بعضهم لبعض إعلاما بأنهم على غاية الطوعية له خوفا على رئاستهم تحقيقا لقوله تعالى " فاستخف قومه فاطاعوه "، واختير هنا إسنادهم إليهم، لأن السياق للاستدلال على فسق الأكثر، وأما هناك فالسياق لأنه إن أراد سبحانه أنزل آية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤية ما رأى من موسى عليه السلام حتى رضى لنفسه بأن يخاطب عبيده - على ما يزعم - بما يقتضى أن يكون لهم عليه أمر، فلذا كان إسناد القول إليه أحسن، لأن النصرة فى مقارعة الرأس أظهر، ١٠. و خضوع عنقه أضخم وأكبر.

ولما خيلهم^١ حتى أوقفهم عما فهموا عنهم^٢ من المبادرة إلى المتبعة بادعاء أنه ساحر^٣؛ نفروهم من ذلك و خوفهم / بأنه يريد أن يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم و يزيحهم من ديارهم التى هى لأشباحهم مثل أشباحهم لأرواحهم بقولهم^٤ : (يريد أن يخرجكم) أى أبها القبط ١٥ (من ارضكم ج) أى هذه التى أثلتها لكم آباؤكم و بها قوامكم ؛ ولما كان السياق ليان فسقهم، أسقط قولهم فى الموضع الآخر " بسحره "، إقهما لمجلتهم فى إبرام الأمر فى ضره [إشارة إلى تغاليهم فى الفسق بعلمهم

(١ - ١) فى ظ : بإمرهم (٢) فى ظ : علم (٣) سورة ٣، آية ٤ (٤) فى ظ : انزال (٥) فى ظ : بأن (٦) فى ظ : خيلهم (٧) فى ظ : عنه (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) من ظ ، وفى الأصل : بقوله .

أنه محق وليس بساحر - '] .

ولما كان المقصود بهذا الكلام استعظاف المخاطبين ، استعطفوهم
بعد أن أوقفوهم ، ثم خوفوهم بما سيؤا عن الخطاب السابق من قولهم :
(فما ذا تأمرؤن هـ) أى تقولون فى هذه المشورة أيها السادة ليمثّل .
ولما كان كأنه قيل : فعلى أى شىء استقر رأيهم ؟ فقول : على هـ
تأخير الأمر إلى حشر السحرة للغارضة ، أخبر تعالى - دلالة على أن
أصل قول الملائكة منه - أنهم أقبلوا عليه مخاطبين له ملفتين من أبلغهم
عنه تعظيماً له مسندين الأمر إليه بقوله : (قالوا) أى [الملائكة - ']
لفرعون [بعد ما استقر فى أذهانهم ما نصبوه إليه من الإرادة - ']
(أأرجه) أى موسى عليه السلام (وإخاه) أى أخيهما تقيساً لما من ١٠
هذا الخناق إلى وقت ما حتى ننظره فى أمرهما (وأرسل فى المدين)
أى [من ' -] ملك مصر (خشرين لا) يحشرون لك السحرة ويجمعونهم
من كل فج عميق ، والحشر : الجمع بكثرة (باتوك بكل) [ولما
كانت دلالة السياق على رغب فرعون أقل بما فى الشعراء لما اقتضاه الحال
فى كل منهما ، قرأ الجمهور - '] : (سحر عليهم هـ) أى بالغ العلم فى السحر ، ١٥
وفى قراءة [حمزة والكسائى - '] " سحر " زيادة مبالغة أيضاً [ولما

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : شجر (٣) فى الأصل و ظ : فاجبر (٤) فى ظ :
لاقبلوا (٥) فى ظ : ملقين - كذا (٦) فى ظ : أخرجهما (٧) من ظ ، وفى الأصل :
عين (٨) فى ظ : تنظروا - كذا (٩) فى ظ : كل (١٠) - قط فن ظ (١١) من
ظ . وفى الأصل : بكثرة .

رأوا من قلق فرعون في الجملة - [١] ، وهذا يدل على أن السحرة كانوا في ذلك الزمان عندهم في غاية الكثرة ، ويدل على^٢ أن في طبع الناس المعارضة^٣ ، فهما أمكنت بطلت دعوى النبوة ، وإذا تعذرت صحت الدعوى .
ولما كان التقدير : فأخر أمرهما وأرسل كما قالوا ، فجمعوا من وجدوه منهم ، عطف عليه قوله : ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ ولما تشوف السامع إلى خبرهم ، قال مجيبا له استئنافا : ﴿ قالوا ﴾ أى لفرعون عندما حضروا بين يديه متوثقين لنفع أنفسهم مفهمين^٤ له أنهم غالبون ، لا مانع لهم من ذلك إلا عدم إنصافهم ، سائقين للكلام في قراءة الجماعة مساق الاستفهام أدبامعه في طلب الإكرام : ﴿ ائنا لآجرا ﴾ وأكدوا طلبا لإخراج الوعد على حال التكذيب^٥ ﴿ ان كنا نحن ﴾ أى خاصة ﴿ الغلبين ﴾ ومن أخبر أراد الاستفهام وهم نافع^٦ وابن كثير^٧ وحفص عن عاصم ﴿ قال ﴾ أى فرعون ﴿ نعم ﴾ أى لكم أجر مؤكد الخبر^٨ به ، وزاد بيان التأكيد بما زادهم به رغبة في قوله : ﴿ وانكم ﴾ أى زيادة على ذلك ﴿ لمن المقربين ﴾ أى عندى في الحضرة .

ولما فرغوا من محاورته ، تشوف السامع إلى قولهم لموسى عليه السلام ، فاستأنف قوله جوابا : ﴿ قالوا ﴾ بادئين باسمه ﴿ بموسى ﴾ مخبرين له أدبامعه كما هي عادة عقلاء الاخصام قبل وقوع الخصام في سياق مفهم أن قصدهم الإلقاء أولا ، وذلك قولهم : ﴿ اما ان تلقى ﴾ أى أنت أولا
(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : النير منه - كذا (٤) في ظ : مفهومون (٥) في ظ : التأكيد (٦) من ظ ، وفي الأصل : هو (٧-٨) سقط ما بين الرقعين من ظ .

ما تريد أن تلقيه للغالبية في إظهار صحة دعواك ﴿ واما ان نكون نحن ﴾
أى خاصة ﴿ الملقين ه ﴾ أى لما معنا أولا .

و لما فهم موسى عليه السلام مرادهم بما عبر هذا النظم عن حقيقة
معناه من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل و تعريف الخبر و إقحام الفصل ،
و^٢ كان واثقا من الله تعالى بما وعده به جاريا مع مراده ، لا فرق بين ه
أن يتقدم أو يتأخر ؛ أجابهم إلى سؤالهم^٣ . و هو أوقع^٤ في ازدراء شأنهم ،
فاستأنف سبحانه الخبر عنه بقوله : ﴿ قال القواج ﴾ أى أتم أيها السحرة
ما تريدون إلقاءه ، و هو أمر تعجيز .

و لما أذن لهم بادروا إلى ذلك كما أفهمه العطف بالفاء في قوله :

﴿ فلما القوا ﴾ أى ما أعدوه للسحر^٥ ﴿ سحرورا عين الناس ﴾ أى / عن ١٠ / ٣٣٢
صحة إدراكها حتى خيلوا إليها ما لا حقيقة له ، و هى أن حبالهم و عصيهم -
و كانت كثيرة جدا - صارت تتحرك و يلتوى^٦ بعضها على بعض ، و بعثوا
جماعة ينادون : أيها الناس احذروا ﴿ و استرهبوهم ﴾ أى و أوجدوا رهبتهم
إيجاد راغب فيها طالب لها غاية الطلب .

و لما قيل ذلك ، كان ربما ظن أنهم خافوا بما لا يخاف من مثله ، ١٥

فقال تعالى مبينا أنهم معذرون^٧ في خوفهم : ﴿ و جاءو بسحر عظيم ه ﴾
قال صاحب كتاب الزينة : و السحر على وجوه كثيرة ، منه الإخذ بالعين ،

(١) زيد بعده في ظ : حقيقيا (٢) في ظ : او (٣) من ظ ، وفي الأصل : سؤلهم .

(٤) من ظ ، وفي الأصل : دافع (٥) من ظ ، وفي الأصل : للسحرة (٦) من ظ ه

وفي الأصل : تلتوى (٧) من ظ ، وفي الأصل : معذرون .

ومنّه ما يفرق به بين المرء وزوجه ، ومنه غير ذلك . وأصله مأخوذ من
التعلل بالباطل وقلب الأمر عن وجهه كما ذكرنا من لغة العرب .

ولما تنهى الأمر واشتد التشوف إلى ما صنع موسى عليه السلام ،
قال معلما عنه عطفًا على ” وجاءو “ : ﴿ و اوجيآ ﴾ أى مظهرين لعظمتنا على
ه رؤس الأشهاد بما لا يقدر أحد أن يضاهيه ﴿ الى موسى ان الق عصاك ج ﴾
أى فالحاها ﴿ فاذا هي ﴾ من حين إلقائه لها ﴿ تلقف ﴾ أى تلتقم التكاما
حقيقيا شديدا سريعا جدا بما دل عليه حذف التاء ، ودل على كثرة
ما صنعوا بقوله : ﴿ ما يافكون ج ﴾ أى يجددون حين إلقائهم في تزويره
و قلبه عن وجهه ، فابتلعت ما كان ملء الوادى من النصى والحبال ،
١٠ ثم أخذها موسى عليه السلام فاذا هي كما كانت لم يزد شيء من مقدارها على
ما كانت عليه ، وفى هذا انسياق المعلم بتثبت موسى عليه السلام بعد
عظيم ما رأى من سحرهم إلى الإيحاء إليه بيان لأدبه عليه السلام فى ذلك
المقام الضئيل وسكونه تحت المقاربة مع مرسله سبحانه إلى برزخ
أوامره الشريفة .

١٥ ولما علم أن ما صنعوه إنما هو خيال ، وما صنعه موسى عليه السلام
أثبت من الجبال ، سبب معقبا قوله : ﴿ فوقع الحق ﴾ أى الذى لا شيء
أثبت منه ، فالواقع يطابقه لأن باطن الأمر مطابق لما ظهر منه من ابتلاعها

(١-٢) من ظ ، وفى الأصل : إليها (٢) من ظ ، وفى الأصل : به (٣) من ظ ،
وفى الأصل : كان (٤) فى ظ : بتقييت (٥) من ظ ، وفى الأصل : سحرهم .
(٦) فى ظ : سكون (٧) فى ظ : المقادير (٨) من ظ ، وفى الأصل : اتباعها - كذا .

لأمتعتهم فالإخبار عنه صدق، وفيه تنبيه على أن فعلهم إنما هو خيال بالنسبة إلى ظاهر الأمر، وأما في الباطن والواقع فلا حقيقة له، فالإخبار عن تحرك ما ألقوه كذب .

ولما أخبر عن ثبات الحق، أتبعه زوال الباطل فقال: ﴿ و بطل ﴾ بحيث عدم أصلا و رأسا ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ فدل بكان والمضارع على أنهم - مع بطلان ما عملوا - نسوا عليهم بحيث أنه أسند عليهم باب العمل بعد أن كان لهم به ملكة كملك ما هو كالجلبة - والله أعلم ؛ ثم سبب عن هذا قوله: ﴿ فقلبوا هنالك ﴾ أى عند هذا الأمر العظيم العالى الرتبة ﴿ وانقلبوا ﴾ أى جزاء على قلمهم لتلك الحقائق عن وجوهها حال كونهم ﴿ صغرين ﴾ أى بعد أن كانوا - عند أنفسهم ومن يقول بقولهم وهم ١٠ الأغلب - عاين، ولا ذل ولا صغار أعظم في حق المبطل من ظهور بطلان قوله على وجه لا يكون فيه حيلة .

ولما كان الأدب وذل النفس لا يأتى إلا بخير، لأنه اللائق بالعبيد، قاد كثيرا منهم إلى السعادة الأبدية، فلذلك قال: ﴿ والقي السحرة ﴾ أى ألقاهم ملقى الخوف من الله والشوق إلى الخضوع بين يديه والذل لديه ١٥ حين عرفوا أن ما فعله موسى عليه السلام أمر سماوى، صدق الله تعالى به موسى عليه السلام في أنه رسوله، ولم يتأخروا بعد ذلك أصلا حتى كأنهم خروا من غير اختيار ﴿ سجدين ﴾ شكرا لله تعالى وانسلاخا عن الكفر ودليلا على أقصى غايات الخضوع، فعل الله ذلك بهم حتى

(١) من ظ، وفي الأصل: عملهم (٢) من ظ، وفي الأصل: وجهها (٣) من ظ، وفي الأصل: حتى (٤) -قط من ظ-

تبهر^١ به فرعون وملاؤه وتخير^٢ عقولهم .

ولما كانوا بمعرض التشوف العظيم إلى معرفة قولهم بعد فعلهم .

أخبر عن ذلك سبحانه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أي / حال إلقاءهم للسجود

/ ٣٣٣

﴿ امنا ﴾ أي كلنا ﴿ رب الغلدين ﴾ أي الذي خلق فرعون ومن قبله

وما يعيشون به ؛ ثم خصوا من هدام الله على أيديهما تصريحاً بالمراد

أو تشريفاً لهما فقالوا : ﴿ رب موسى ﴾ ثم أزالوا الشبهة بخدافيرها - لأن

فرعون ربما ادعى بترية موسى عليه السلام أنه المراد - بقولهم : ﴿ وهرون ﴾

وفي الآية دليل على أن ظهور الآية موجب للإيمان عند من ظهرت له ،

ولو أن الرسول غير مرسل إليه .

١٠ ولما صرحوا بالذي آمنوا به تصريحاً منع فرعون أن يدلس معه

بما يخيل به على قومه ، شرع في تهديدهم على وجه يكثر فيه بقومه ويلبس

عليهم إيقافاً لهم عن المبادرة إلى الإيمان - كما بادر السحرة - إلى وقت

ما . فاستأنف الخبر عنه سبحانه بقوله [مصرحاً باسمه غير مضمحل له كما في غير

هذه السورة لأن مقصود السورة الإنذار ، وهو أحسن الناس بالمناداة عليه

١٥ في ذلك المقام . وقصته مسوقة لبيان فسق الأكبر ، وهو أفسق أهل

ذلك العصر - °] : ﴿ قال فرعون ﴾ منكراً عليهم [موجباً لهم - °]

بقوله : ﴿ انتم ﴾ أي صدقتم ﴿ به ﴾ أي بموسى تصديقاً آمنه من رجوعكم

(١) في ظ : يهر (٢) في ظ : يحير (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) من

ظ . وفي الأصل : عن (٥) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٦) زيد بعده في الأصل :

إلى . ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها .

عنه ، و من أخبر أراد الاستفهام ، و أوم فرعون من فهم عنهم من القبط إرادة الإيمان لأجل ما رأوا من دلائل صدق موسى عليه السلام و اقتداء بالسحرة [بقوله : ﴿ قبل ان اذن لكم ﴾] ليوقفهم من خطر المخالفة له بما رجاهم فيه من إذنه ، فلما ظن أنهم وقفوا خيلهم بما يذهب عنهم ذلك الخاطر أصلا و رأسا بقوله مؤكدا نفي لما على قوله من هـ لوائح الكذب - ' : ﴿ ان هذا لمكر ﴾ أى عظيم جدا ، و طول الكلام تبينا لما ' أرادوا و تنسية^٢ لخطر الإيمان فقال : ﴿ مكرتموه فى المدينة ﴾ أى على عياد بينكم و بين موسى ، و حيلة احتلتوها قبل اجتماعكم ، و ليس إيمانكم^٣ لأن صدقه ظهر لكم ؛ ثم علل بما يتعلق^٤ به فكرهم و تشوش^٥ قلوبهم فقال : ﴿ لتخرجوا ﴾ أى أتم و موسى عليه السلام ﴿ منها أهله ﴾ ١٠ و تسكنوها^٦ أتم و بنو إسرائيل .

و لما استتب له ما أراد من دقيق المكر ، شرع فى تهديدهم بما يمنع غيرهم و ربما ردحهم ، فقال مسيا عن ذلك : ﴿ فسوف تعلمون هـ ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ما أفعل بكم^٧ من عذاب لا يحتمل ، ثم فسر ما أجل من هذا الوعيد^٨ بقوله : ﴿ لا قطع ايدىكم ﴾ أى اليمنى مثلا ﴿ و ارجلكم ﴾ ١٥ أى اليسرى ، و لذلك فسر^٩ بقوله : ﴿ من خلاف ﴾ أى بخلاف^{١٠} الطرف

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ : اراد و تغشية - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعلق (٥) فى ظ : يشوش (٦) فى ظ : تسكنونها (٧) فى ظ : به (٨-٨) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن « اليسرى » ولذلك « و الترتيب من ظ (٩) تقدم فى الأصل على « فسر ما » و الترتيب من ظ (١٠) فى ظ : بخلاف .

- الذى تقطع^١ منه اليد - الطرف الذى تقطع^٢ منه^٣ الرجل .
 و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار ، فذكر فيها ما وقع لموسى
 عليه السلام و السحرة على وجه يهول ذكر ما كان من أمر فرعون
 على وجه^٤ يقرب من ذلك ، فعبّر بحرف التراخى لأن فيه - مع الإطناب
 ٥ الذى يكون شاغلا لأصحابه عما أدهشهم بما رأوه - تعظيما لأمر الصليب ،
 فيكون أدهب للسحرة و لمن تزلزل بهم من قومه فقال : ﴿ ثم لاصلبنكم ﴾
 أى أعلقنكم بمدودة أيديكم لتصيروا على هيئة الصليب ، أو حتى يتقاطر^٥
 صليكم وهو الدهن الذى فيكم ﴿ اجمعين ٥ ﴾ أى لا أترك منكم أحدا
 لأجعلكم نكالا لغيركم .

١٠ و لما كان حالا يشوق^٦ النفوس إلى جوابهم ، استأنفه بقوله : ﴿ قالوا ﴾
 أى أجمعون ، لم يرتع منهم إنسان ولا تزلزل عما منحه الله^٢ به من رتبة^٣
 الإيمان ﴿ أنا الى ربنا ﴾ أى الذى مازال يحسن إلينا بنعمه الظاهرة
 و الباطنة حتى جعل آخر ذلك أعظم النعم ، لا إلى غيره ﴿ منقلبون ٥ ﴾
 أى بالموت انقلابا ثابتا لا انفكاك لنا عنه إن صلبتنا أو تركتنا ، لا طمع لنا
 ١٥ فى البقاء فى الدنيا ، فتحن لانبألى - بعد علمنا بأننا على حالة السعداء -
 بالموت على أى حالة كان ، أو المراد أنا تنقلب إذا قتلنا^٧ إلى من يحسن
 إلينا بما منه الانتقام منك ، ولذلك اتبعوه بقولهم : ﴿ و ما تنقم ﴾ أى
 تنكر ﴿ منأ ﴾ أى فى فعلك ذلك بنا و تعيب علينا^٨ ﴿ ألا ان آمنأ ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : يقطع (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) من ظ ، وفى الأصل : من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل « و » (٥) من ظ ، وفى الأصل : يتقاطر (٦) من ظ ، وفى الأصل : تشوف (٧) فى ظ : قتلنا (٨) فى ظ : عنا .

أى إلا ما هو أصل المفاخر كلها وهو الإيمان ﴿بأيت ربنا﴾ أى التى عظمت بكونها صادرة^١ عنه ولم يزل محسنا إلينا فوجب علينا شكره ﴿لما﴾ [أى حين - ٢] ﴿جاءتنا﴾ لم تأخر عن معرفة الصدق [المصدق - ٢]، وهذا يوجب الإكرام لا الانتقام؛ ثم آذنه بأنهم مقدمون على كل ما عساه أن يفعل بهم فقالوا: ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن ٥ إلينا القادر على خلاصنا ﴿افرغ﴾ أى صب صبا غامرا ﴿علينا﴾ أى فيما تهددنا به هذا الذى قوته علينا ﴿صبرا^٢﴾ أى كثيرا تغمرنا به كما يغمر الماء من يفرغ عليه حتى لا يروعا ما يخوفنا به؛ ﴿وتوفنا﴾ أى اقبض أرواحنا وافيه حال كوننا ﴿مسليين﴾ أى عريقين فى الانقياد بالظاهر و الباطن بدلائل الحق، والظاهر أن الله تعالى أجابهم فيما سأله ١٠ تلويحا بذكر الرب فلم يقدره^٣ عليهم لقوله تعالى "اتما ومن اتبعكما الغلبون"، ولم يأت فى خبر يعتمد أنه قتلهم، وسيأتى فى آخر الحديد^٤ عن تاريخ ابن عبد الحكم ما هو صريح فى خلاصهم .

ولما قنع فرعون فى ذلك الوقت الذى بهرت^٥ قومه تلك المعجزة الظاهرة بالانفصال على هذا الوجه الذى لم بدع فيه حيلة إلا^٦ خيل بها، ١٥ وخلص موسى عليه السلام بقومه متمكنا منهم بعض التمكن، وكان السياق

(١) فى الأصل : صادرها، وفى ظ : صارت (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : صبرنا .
 (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : فلم يقدر (٦) سورة ٢٨ آية ٣٥ .
 (٧) فى ظ : الحديث (٨) من ظ ، وفى الأصل : يهرب (٩) فى ظ : الى .

ليان أن أكثر الخلق فاسق، أخبر تعالى بما قال قوم فرعون بعد [ما - ']
 رأوا من المعجز القاهر^١ دليلا على ذلك، فقال عاطفا على " والقي السحرة
 سجينين^٢ "، وما بعده، أو على قول فرعون: ﴿ وقال الملا ﴾ أى الإشراف
 ﴿ من قوم فرعون ﴾ أى ظنين أن فرعون متمكن بما يريد بموسى
 ه عليه السلام [من - '] الأذى، منكرين لما وصل إليه الحال من أمر موسى
 عليه السلام حين فعل ما فعل وآمن به السحرة، وما عمل فرعون شيئا،
 لا قتله ولا حبسه . لأنه كان لا يقدر على ذلك ولا يعترف به لقومه
 ﴿ اتذر موسى وقومه ﴾ .

ولما كان ما كان فى أول مجلس من إيمان السحرة جديرا بأن يجر
 ١٠ إليه أمثاله، سموه فسادا وجعلوه مقصودا لفرعون إحماء له واستغضايا
 فقالوا: ﴿ لفسدوا ﴾ أى يوقعوا الفساد وهو تغيير الدين ﴿ فى الأرض ﴾
 أى التى هى الأرض كلها، وهى أرضنا هذه، أو الأرض كلها، لكون مثل
 هذا الفعل جديرا برد أهل الأرض كلهم عن عقائدهم ﴿ وبذرك والهلك ﴾
 قيل: كان أمر قومه أن يعبدوا الأصنام تقربا إليه، وقال الإمام:
 ١٥ الأقرب^٣ أنه كان دهريا منكرا لوجود الصانع، وكان يقول: مدير
 هذا العالم السفلى هو الكواكب، وأنه المخدوم فى العالم للخلق أو لتلك
 الطائفة والمرى لهم؛ ثم قال: وإذا كان مذهبه ذلك لم يبعد أن يقال:
 إنه كان قد اتخذ أصناما على صور الكواكب ويعبدها على ما هو دين عبدة
 الكواكب [انتهى - '] . ولذلك قال: " أنا ربكم الأعلى "، - هكذا قيل،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظهرا والهاهر (٣) فى ظ: الساجدين (٤) سقط من ظه

(٥) فى ظ: الاقر (٦) فى ظ: صبرنا ،

وهو ظاهر عبارة التوراة الآتية في آية القمل ، ولكن إرادته غير ملائمة لهذه المعادلة ، بل الظاهر أنه كان سمي أمراء آلهة^١ ، وسمى لكل أمير قوما يتألهونه أى يطيعونه ، فانه نقل عنهم أنهم كانوا يسمون الحاكم بل والكبير إلها كما سيأتى عن عبارة التوراة ، فحيث وقعت الموازنة بين^٢ موسى عليه السلام وقومه^٣ وبين فرعون وقومه^٤ ، عبر بالآلهة تعظيما لجانبه ٥ بالإشارة إلى أنه إله أى حاكم معبود ، ليس وراءه متهمى وملاؤه كلهم آلهة أى حكام دونه^٦ ، وموسى عليه السلام ليس بآله ولا فى قومه إله بل هم محكوم عليهم فهم ضعفاء فكيف يتركون ! وحيث نفى الإلهية عن غيره فبالنظر إلى خطابه للملائكة^٧ " ما علمت لكم من آله غيري^٨ " وحيث حشر الرعية ناداهم بقوله " أنا ربكم الاعلى^٩ " وكان ذلك كان^{١٠} يطلق على الحاكم ١٠

/ مجازا ، فجعلوه حقيقة و صاروا يفعلون ما يختص به الآلهة [- من التحليل ٣٣٥ /
والتحريم كما قال تعالى " اتخذوا أجباهم و رهبانهم اربابا من دون الله^{١١} "]
فكفروا بآدعاء^{١٢} الربوبية بمعنى العبودية^{١٣} ، ونفى المعبود الحق بدليل آية " ما علمت " ، والحاصل أنهم عبروه بالرضى بأن يكون رئيسا على القبط
وموسى عليه السلام [رئيسا - ^{١٤}] على بنى إسرائيل فيكونوا^{١٥} بهذه المشاركة ١٥

(١) من ظ ، وفى الأصل : الهى (٢) زيد بعده فى ظ : يدى (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : و ملاؤه كلهم آلهة ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) سورة ٢٨ آية ٢٨ (٦) سورة ٧٩ آية ٢٤ (٧) سقط من ظ . (٨) زيد من ظ (٩) سورة ٩ آية ٣١ (١٠) من ظ ، وفى الأصل : بالعباء . (١١) فى ظ : العبودية (١٢) فى ظ : فيكون .

أكفاه للقط .

ولما أعجزه الله سبحانه أن يفعل بهم أكثر مما كان يعمل قبل مجيء موسى عليه السلام لما يراد به من الاستدراج إلى الهلاك ، أخبر عنه سبحانه بما يفهم ذلك فقال مستأنفا^١ : ﴿ قال ﴾ أى فرعون ﴿ سنقتل ﴾
 ٥ أى تقتيلا كثيرا ﴿ ابتأهم ﴾ أى كما كنا نفعل ﴿ ونستحي نساءهم ﴾
 أى نبقيهم أحياء إذ لا لهم وأما من غائلتهم فى المستقبل ﴿ وانا فوقهم ﴾
 أى الآن ﴿ قهرون ٥ ﴾ ولا أرلغبة موسى لنا فى هذه المناظرة لثلاث توهم^٢
 العامة أنه المولود الذى تحدث^٣ المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده فيبطلهم ذلك عن الطاعة ، موهما^٤ بهذا أن تركه لأذى موسى
 ١٠ عليه السلام ادم التفاته إليه ، لا يعجزه شيء عنه .

ولما كان هذا أمرا يزيد من قلق بنى إسرائيل لما شموا من رائحة الفرج ، استأنف سبحانه الخبر عما ثبتهم به موسى عليه السلام قائلا :
 ﴿ قال موسى لقومه ﴾ أى بنى إسرائيل الذين فيهم قوة وقيام [فيما - ^٦]
 يريدون من الأمور لو اجتمعت قلوبهم ﴿ استعينوا ﴾ أى ألقوا طلب
 ١٥ العون ﴿ بالله ﴾ الذى لا أعظم منه بما يرضيه من العبادة ﴿ واصبروا ٥ ﴾
 ثم علل ذلك بأنه فعال لما يريد ، لا اعتراض عليه ولا مفر من حكمه فقال :
 (١) زبدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ ولا فى القرآن الكريم
 فحذفناها (٢) من ظ ، وفى الأصل : يتوهم (٣) فى ظ : لا تحدث (٤) من ظ ،
 وفى الأصل : توهما (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ .

﴿ ان الارض ﴾ أى كلها مصر وغيرها ﴿ لله ١ ﴾ أى الذى لا أمر
 لأحد معه ، كرهه تذكيرا بالعظمة وتصريحا وبركا ؛ ثم استأنف قوله :
 ﴿ يورثها من يشاء من عباده ٢ ﴾ .

ولما أخبر أن نسبة الكل إليه واحدة ، أخبر بما يرفع بعضهم على
 بعض فقال : ﴿ والعاقبة ﴾ أى والحال أن آخر الأمر وإن حصل بلاء ه
 ﴿ للفقين ه ﴾ أى الذين يقون أنفسهم سخط الله بعمل ما يرضيه فلا عبرة
 بما ترون فى العاجل فانه قد يكون استدراجا .

ولما تشوف السامع إلى ما كان من جوابهم ، أشار تعالى إلى
 أن ١ فلقهم كان وصل إلى حد لا صبر معه بقوله مستأنفا : ﴿ قالوا ﴾ ولما
 كان الموضع هو الآذى ، لا كونه من معين ، بنوا للفعول قولهم : ﴿ اودينا ﴾ ١٠
 أى بالقتل والاستعباد .

ولما كانت أذاهم ٢ غير مستغرق للزمان ، أثبتوا ٣ الجار فقالوا :
 ﴿ من قبل ان تأتينا ﴾ أى كما تعلم ﴿ ومن بعد ما جئتنا ٤ ﴾ أى فما الذى
 أفادنا مجيئك ﴿ قال ﴾ مسليا لهم وداعيا ومرجيا ؛ بما رمز إليه من قبل
 ﴿ عسى ربكم ﴾ أى الذى أحسن إلى آبائكم بما تعرفون وإليك بارسالى ١٥
 إليكم ﴿ ان يهلك عدوك ﴾ فلا يهولنكم ما ترون ﴿ ويستخلفكم ﴾ أى
 ويوجد خلافتكم لهم متمكنين ، لا يحكم عليكم غيركم ﴿ فى الارض ﴾ أى
 جنسها إن كنتم متقين ؛ ثم سبب عن الاستخلاف قوله مذكرا لهم بحذرا من
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الاذى (٣-٢) فى ظ : ادخل .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : مصرحا .

سطواته سبحانه: ﴿فينظر﴾ أى وأتم خلفاء متمكنون^١ ﴿كيف تعملون﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر وهو فى الأزل أعلم بما تعملون منكم بعد إيقاعكم للأعمال، ولكنه يفعل ذلك لتقوم^٢ الحجة [عليكم -^٣] على مجارى عاداتكم.

٥ ولما رجاهم موسى^٤ عليه السلام بذلك، أخبر سبحانه أنه فعل ما أخبرهم به، فذكر مقدماته فقال: ﴿ولقد﴾ أى قال لهم ما قال والحال أنا وعزتنا قد ﴿اخذنا﴾ أى قهرنا ﴿الفرعون﴾ ولينا عريكتهم وسهلنا شكيمتهم ﴿بالسنين﴾ أى بالقحط والجوع، فان السنة يطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام؛ ولما كانت السنة تطلق على نقص الحبوب، صرح بالثمار فقال: ﴿ونقص من الثمرت﴾ أى بالعاهات إن كان الماء كثيرا، أو السنة للبادية والنقص للحاضرة ﴿لعلهم / يذكرون ه﴾ أى ليكون^٥ حالهم حال من يرجو ناظره أن^٦ يتذكر فى نفسه ولو بأدنى وجوه التذكر - بما^٧ أشار إليه الإدغام، فان الضريزىل الشاخة التى هى مظنة الوقوف مع الحظوظ ووجب^٨ للانسان الرقة فيقول: هذا إنما حصل لى بسبب تكذيبى
١٥ لهذا الرسول وعبادى من لا يكشف سوء عن نفسه ولا غيره .

ولما لم يتذكروا ولا لانوا، سبب عن أخذهم قوله معرفا بغياوتهم

(١) فى ظ: متمكنين (٢) من ظ، وفى الأصل: ليقوم (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ: من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل:
قد (٧) فى ظ: لتكون (٨) فى ظ: او (٩) فى ظ: كما (١٠) من ظ، وفى
الأصل: توجب .

معبرا في الخير بأداة التحقيق إشارة إلى أنه أغلب من الشر^٢، حثا على الشكر :
 ﴿ فاذا ﴾ أى فما تسبب عن ذلك إلا أنهم كانوا إذا ﴿ جاءتهم الحسنة ﴾
 أى الحالة الكاملة التى يجوبونها من الخصب و غيره ، و عرفها بعد تحقيقها
 إشارة إلى إكمالها ﴿ قالوا لنا هذه ج ﴾ أى نحن حقيقون بها ، ودل على أن
 الخير أكثر من غيره بقوله بأداة الشك مع التوكيد : ﴿ وان تصبهم سيئة ﴾ ٥
 أى حالة يكرهونها .

[ولما كانت الإصابة بالسيئات تخصهم ولا يلحق بنى إسرائيل منها
 شيء ، فكان إظهارهم للتطير بهم ظاهرا فى ردعهم عليهم و تكذيبهم فيه ،
 أشار سبحانه بادغام التاء إلى أنهم كانوا إنما يدسونه إلى من يمكنهم
 اختداعه من الجهلة والأغبياء على وجه الحيلة والخفاء ، بخلاف ما فى ١٠
 يُسّ فقال - ٢] : ﴿ يطيروا ﴾ أى يتشاءموا ﴿ بموسى ومن معه ^١ ﴾
 أى بأن يقولوا : ما حصل لنا هذا السوء إلا بشؤمهم ، وهو تفعل من الطير ،
 وهو تعمد قصد الطير لأن يطير للتفاؤل به من خير أو شر ، وأصله
 أن العرب كانوا إذا مر الطائر من ميامنهم إلى جهة مياسرهم قالوا :
 بارح ، أى مشؤم ، من البرح وهو الشدة ، فاذا طار من جهة اليسار ١٥
 إلى جهة اليمين عدوه مباركا ، قالوا : من لى بالسائح^٤ بعد البارح ، أى
 بالمبارك بعد المشؤم ، و عرف أن المراد هنا التشاؤم لا قترانه بالسيئة .
 ولما كذبوا فى الموضعين ، قال مستأنفا على وجه التأكيد :

(١) من ظ ، وفى الأصل : بارادة (٢) فى ظ : السوء (٣) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٤) من روح المعاني ٣ / ١٠٢ ، وفى الأصل : بالسائح ، وفى ظ :
 بالسائح - كذا .

﴿الآنما ظنهم﴾ أى قدرهم الذى سبق فى الأزل من الخير و الشر فلا يزداد^١
ولا ينقص ﴿عند الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لغيره وقد قدر كل شيء ،
فلا يقدر على المحي به غيره أصلا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون ه﴾ أى
لا علم لهم أصلا فهم لا يهتدون إلى ما ينفعهم و يظنون أن للعباد مدخلا
ه فى ذلك ، فلذلك تراهم يضيفون الأشياء إلى أسباب يتوهمونها .

ولما كان هذا الذى قالوه يدل على سوء المزاج و جلافة الطباع
بما لا يقبل العلاج ، أتبعه ما هو شر منه ، وهو أنهم جزموا بأنه كلما
أتاهم شيء فى المستقبل قابله بالكفر فقال : ﴿وقالوا مهما﴾ هى مركبة
من 'ما' مرتين : الأولى الشرطية و الثانية تأكيد ، قلبت ألف الأولى
١٠ هاء^٢ استقلالا ، و قيل : [مه --^٣] هى الصوت الذى يكون للكف
و ما الشرطية ، أى كف عنك ما أنت فيه ، ثم استأنفوا 'ما' : ﴿تأتنا به﴾
أى فى أى وقت و على أى حالة كان ؛ ثم بينوا^٤ الماتى به بقولهم : ﴿من آية﴾
أى علامة على صدقك ، و هذا على زعمه ، و لذلك عللوه بقولهم :
﴿لنسحرنا﴾ أى لنخيل^٥ على^٦ عقولنا ﴿بها و﴾ و تلفتتا عما نحن عليه
١٥ إلى ما تريد فتحن نسميها سحرا و أنت تسميها آية ؛ ثم أجابوا الشرط
بقولهم : ﴿فما نحن﴾ أى كلنا ﴿لك﴾ أى خاصة ﴿بمؤمنين ه﴾ أى
من أن نكذبك .

ولما بارزوا بهذه العظيمة ، استحقوا النكال فسبب عن ذلك قوله :

(١) من ظ ، و فى الأصل : فلا يزداد (٢) فى ظ : كما (٣) فى ظ : ما (٤) زيد
: ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : يفسر - كذا (٦) من ظ ،
و فى الأصل : يخيل - كذا (٧) سقط من ظ .

(فارسلنا عليهم) أى عذابا لهم - لما يفهمه حرف الاستعلاء (الطوفان)
 أى الرعد و البرق و النار مع المطر و البرد الكُبار الذى يقتل البقر فما
 دونها، و الظلمة و الريح الشديدة التى عمت أرضهم و طافت بها، و لما
 كان ذلك ربما أخصبت به الأرض، أخبر أنه أرسل^٢ ما يفسد ذلك
 فقال: (و الجراد) .

و لما كان الجراد ربما طار و قد أبقي شيئا، أخبر بما يستمر لازقا فى
 الأرض حتى لا يدع بها شيئا فقال: (و القمل) قال فى القاموس:
 القمل كالسكر^٢: صغار الذر و الدبى الذى لا أجنحة له - و هو أصغر الجراد
 أو شيء صغير، بجناح أحمر، و شيء يشبه الحلم خبيث الرائحة أو دواب
 صغار كالقردان^٣ - / يعنى القراد . و قال البخارى فى بنى إسرائيل من ١٠ / ٣٣٧
 صحيحه: القمل: الحنان^٤ يشبه صغار الحلم .

و لما كان ربما كان عندهم^٥ شيء مخزونا لم يصل إليه ذلك، أخبر
 بما يسقط نفسه فى الأكل فيفسده أو ينقصه فقال: (و الضفادع) فانها
 عمت جميع أماكنهم، و كانت تتساقط فى أطعمتهم، و ربما وثبت إلى
 أفواههم حين يفتحونها للأكل .

و لما تم ما يضر بالأكلى، أتبعه ما أفسد المشرب فقال: (و الدم)
 فان مياههم انقلبت كلها دما منتنا، و عم الدم الشجر و الحجارة و جميع

(١) فى ظ: طارت (٢) سقط من ظ (٣) فى القاموس: كسكر (٤) من
 القاموس، و فى الأصل و ظ: صغار (٥) أتحمت صفحة الأصل فى « كالقردان »
 به « كالقرد » (٦) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل: الحنان - كذا .
 (٧) فى ظ: عنده .

الأرض في حق القبط ، و أما بنو إسرائيل فسالون من^١ جميع ذلك .
ولما ذكر تعالى هذه الآيات العظيمة ، نبه على عظمتها بذكر حالها
فقال : ﴿ ائْتِ ﴾ أى علامات على صدقه عظيمة ﴿ مفصلت ﴾ أى^٢
يتبع بعضها بعضا ، و بين كل واحدة و أختها^٣ حين يختبرون فيه مع^٤ ان
مغايرة كل واحدة لأختها^٥ في غاية الظهور ، وكذا العلم بأنها من آيات الله^٥
التي لا يقدر عليها غيره .

ولما كانت حقيقة بأن يتسبب عنها الإيمان عند سلامة القلب ،
سبب عنها قوله : ﴿ فاستكبروا ﴾ مبينا أن الذى منعهم من الإيمان مرض
القلب بالكبر و الطغيان ﴿ و كانوا قوما مجرمين ﴾ أى في جبلتهم قطع
١٠ ما ينبغي وصله مع قوتهم على ما يحاولونه .

ولما كان هذا في الحقيقة نقضا لما أخذه الله على العباد بعهد العقل ،
أتبعه نقضا حقيقيا^٦ ، فقال مبينا لحالهم عند كل آية ، ولعله عبر بما يشملها
و لم ينص على التكرار لأن ذلك كاف فيما ذكر من النقص و الفسق :
﴿ و لما وقع عليهم الرجز ﴾ يعنى العذاب المفصل الموجب للاضطراب
١٥ ﴿ قالوا ياموسى ادع لنا ربك ﴾ أى المحسن إليك ، و لم يسمحوا كبرا
و شماخة أن يعرفوا به ليقولوا : ربنا ﴿ بما عهد عندك ﴾ أى من النبوة
التي منها هذا البر الذى تراه^٧ يصنعه بك ؛ ثم أكدوا العهد بقولهم استئنفا

(١) من ظ ، و فى الأصل : فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
أخيها (٤) من ظ ، و فى الأصل : لأخيها (٥) زيد بعده فى ظ : يختبرون فيه على
ان مغايرة الله (٦) من ظ ، و فى الأصل : حقيقا (٧) فى ظ : تراه .

أو تعليلا: ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ أى العذاب الذى اضطربت قلوبنا
 وجميع أحوالنا له ﴿لنؤمنن لك﴾ أى لنجعلنك آمنا من التكذيب بإيقاع
 التصديق، ويكون ذلك خالصا لأجلك و خاصا بك ﴿ولنرسلن معك﴾
 أى فى صحبتك، لا نجبر أحدا منكم عن الآخر ﴿بنى اسراءيل ٥﴾ أى
 كما سألت؛ ودل على قرب الإجابة بالقاء فى قوله: ﴿فلما كشفنا﴾ أى هـ
 بعظمتنا ﴿عنهم الرجز﴾ كرره تصریحا وتهويلا، ومددنا الكشف
 ﴿إلى أجل﴾ أى حد من الزمان ﴿هم بلغوه﴾ أى فى علمنا ﴿إذا هم﴾
 [أى - ١] بضائرهم التى تجرى ظواهرهم على حسبها ﴿ينكثون هـ﴾ .
 ولما أخبر أنهم فاجأوا النكت وكرروه، سبب عنه قوله: ﴿فانتقمنا منهم﴾

أى انتقاما ليس كذلك الذى كنا نؤذيهم^٢ به، بل انتقام إهلاك عبرة^{١٠}
 لوصولهم بعد كشف جميع الشبه إلى محض العناد؛ ثم فسره بقوله:
 ﴿فاغرقهم﴾ بما لنا من العظمة ﴿فى اليم﴾ أى فى^٣ البحر الذى يقصد
 لمنافعه ﴿بانهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿كذبوا بآيتنا﴾ أى على ما لها من
 العظمة بما عرف من صحة نسبتها إلينا، ودل سبحانه على أنهم كذبوا
 بغير شبهة عرضت لهم بل عنادا بقوله: ﴿وكانوا﴾ أى جيلة وطبعا^{١٥}
 ﴿عنها غفلين هـ﴾ أى يكون حالهم بعدها كحالهم قبلها، فكأنها لم تأتهم
 أصلا فاستحقوا^٤ الأخذ لوقوع العلم بأن الآيات لا تنفد
 ولما أخبر عن إهلاكهم، عطف عليه ما صنع بنى إسرائيل فقال:

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: نودبهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل:

لهم (هـ) من ظ، وفى الأصل: فاستحق .

﴿ واورثنا ﴾ أى بعد إهلاكهم بما لنا من العظمة ﴿ القوم ﴾ و لما أشار بهذه العبارة - التى معناها أنه كانت فيهم قوة وكثرة و شدة عزم على ما يحاولونه و يقومون^١ به - إلى أنه هو الذى أذلهم لافرعون ، أتبعه^٢ ما يدل عليه / فقال : ﴿ الذين كانوا يستضعفون ﴾ أى يطلب ضعفهم ٣٣٨ /

و يوجد بالشوكة و اجتماع الكلمة بحاكم قد تمكنت عظمته فى القلوب ه

الى الوهم غالب عليها ، و هم بنو إسرائيل ﴿ مشارق الارض ﴾ أى الكاملة لبركاتها ﴿ و مغاربها ﴾ أى أرض الشام من الفرات إلى بحر سوف : الموضع الذى خرجوا منه من البحر و غرق فيه فرعون و آله - كما مضى نقله فى المائدة عن التوراة ، يعنى حكمتنا بإيراثهم ذلك و أنجزناه لأبناء

١٠ الذين خرجوا من مصر بعد إهلاكهم فى التيه ؛ ثم وصفها تفبطاً^٣ بها بقوله : ﴿ التى 'بركنا فيها' ﴾ أى ' فى أرضها ' بالمياه و الأشجار و الثمار و الخصب ، و فى أرزاقها بالكثرة و الطيب ، و فى رجالها بالعلم و النبوة و فى طباعهم بالاستقامة ، و فى عزائمهم بالنجدة و الشجاعة و المكارم ، و فى جميع أحوالهم بأنه لا يغيهم^٤ ظالم إلا عوجل بالنقمة ﴿ و تمت ﴾ أى

١٥ وجدت صحتها لوجود مضمونها فى عالم الشهادة و ظهوره من ستور الغيب ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذه الأنباء على هذه الوجوه المفيدة مع إنجازها لغاية العلم و الحكمة ﴿ الحسنى ﴾ مستغنية ﴿ على بنى إسرائيل ﴾

(١) فى ظ : يوموت - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : على (٣) فى ظ : تغليظا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يغيهم (٦) فى ظ : العيوب .

أى^١ التى هى أحسن الكلام وهى وعده سبحانه لهم بالخلاص من العبودية وإيراثهم مساكن آبائهم كما كانوا يسمعون من أسلافهم، وإذا استعلت عليهم منعت أعداءهم من الوصول إليهم ﴿بما صبروا^٢﴾ أى بسبب صبرهم على الاستبعاد وذبح الأولاد وما حصل بعد ذلك من طويل الانكاد ﴿ودمرنا^٣﴾ أى أهلكنا إهلاكا عظيما جعل يدمره كالرماد، هـ لا خير فيه أصلا ﴿ما كان يصنع^٤﴾ أى صنعا بغاية الإقبال عليه حتى كأنهم خلقوا لهم ﴿فرعون وقومه^٥﴾ أى من الصنائع الهائلة المعجبة لكل من^٦ يراها أو يسمع بها مع^٧ أنهم قد مروا عليها فصارت أسهل شىء^٨ عندهم ﴿وما كانوا^٩﴾ أى بما هو كالجبلة والطبع ﴿يعرشون^{١٠}﴾ أى من الجنان والقصور العالية الأركان، وكفى بهذه الآية حانة على الصبر ١٠ وضامنة على كل^{١١} حائز للأجر^{١٢} بالتفريج عن المظلوم ونصره وإهلاك الظلم وقهره .

شرح ما يحتاج إلى شرحه هنا من التوراة الموجودة الآن بين أظهر اليهود، قال مترجمها فى الإصحاح الثالث من السفر الثانى ما نصه: وقال الرب لموسى فى مدين: انطلق^١ راجعا إلى مصر لأن الرجال الذين كانوا ١٥ يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا، فانطلق موسى بامراته وبنيه^٢ وحملهم (١) - قط من ظ (٢-٢) فى ظ: راها وسمع بها من - كذا (٣) تأخر فى الأصل عن^٤ كالجبلية والطبع^٥ والترتيب من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: هذه. (ه-ه) فى ظ: حال الاجل (٦) من ظ، وفى الأصل: انطلقوا (٧) من التوراة، وفى الأصل: ابنته، وفى ظ: ابنه .

على حماره وأخذ بيده عصا الرب ، وقال الرب لموسى : انظر كل آية
أجريتها على يدك فاصنعها أمام فرعون وأنا أقسى قلبه فلا يرسل الشعب
وقل لفرعون: هكذا يقول الرب : 'ابنى بكرى' إسرائيل ، أرسل^٢ ليعبدنى ،
فإن أبيت أن ترسل ابنى فإنى أقتل ابنك بكرك^٣ ، فلما صار موسى فى الطريق
ه فى المبيت لقيه ملاك الرب فأخذت صفورا^٤ حجرا^٥ من حجارة المرة
فخشت غرلة ابنها وأخذت^٦ برجليه - وفى نسخة السبعين : ووقعت عند
رجليه - وقالت : إن اليوم عرس الدم - تعنى الختان ، فقال الرب لهارون^٧ :
اخرج قتل أخاك فى القفر ، فخرج فلقه فى جبل الله فى حوريب^٨ فعانقه
وقبله ، فأخبر موسى هارون بجميع قول الرب الذى أرسله فيه وما أمره به
١٠ من الآيات ، و انطلق موسى و هارون ، فجمع أشياخ بنى إسرائيل ، فقص
عليهم جميع ما قال^٩ الرب لموسى^١ ، و جرح جرائح و آيات قدام الشعب -
وفى نسخة السبعين : فجمعوا مشايخ بنى إسرائيل و تكلم هارون بجميع الكلام
الذى كلم الله به موسى و عمل الآيات قدام الشعب - فأمن الشعب و سمعوا
(أن الرب قد ذكر بنى إسرائيل و أبصر إلى خضوعهم ، و جشأ^{١١} الشعب
١٥ و سجدوا للرب ، و من بعد هذه الآيات و الخطوب دخل موسى و هارون

/ ٣٣٩

(١-١) فى ظ : الله بنى - كذا (٢) - سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : بكرى
(٤) فى ظ : صافورا (٥) من ظ ، وفى الأصل : صفورا (٦) من ظ ، وفى الأصل :
أخذ (٧) فى ظ : لمروة (٨) من ظ ، وفى الأصل : حورت - كذا (٩-٩) - سقط
ما بين الرقين من ظ (١٠) من ظ ، وفى الأصل : خما - كذا .

وقالا لفرعون: هكذا يقول الله رب إسرائيل: أرسل شعبي يحجون إلى القفر - وفي نسخة السبعين: ليعبدوني^١ في البرية - عوض: يحجون إلى القفر، فقال^٢ فرعون: ومن هو الرب حتى أطيعه؟ لا أعرف الرب ولا أرسل بنى إسرائيل، وقالوا له: الرب إله العبرانيين اعلن^٣ لنا، فنطلق مسيرة^٤ ثلاثة أيام في القفر ونذبح^٥ الذبايح لله ربنا لكيلا ينزل بنا الحزن والوباء - هـ وفي نسخة السبعين: لئلا يفاجئنا موت أو قتل - قال فرعون: ما بالكما تبطلان^٦ الشعب من أعماهم؟ فأمر فرعون ولاة الشعب وكتبهم وقال لهم: لا تعودوا أن تعطوا الشعب تبنا^٧ لضرب اللبن كما كنتم تعطونهم، بل هم ينطلقون فيجمعون لأنفسهم التبن^٨، وخذوهم بحساب اللبن على ما كنتم تأخذونهم به^٩ أمس وأول من أمس - وفي نسخة السبعين: ١٠ في كل يوم ولا تنقصوهم^{١١} شيئا من عملهم لأنهم بطروا لذلك يصيحون^{١٢} فيقولون: نطلق فنذبح^{١٣} للرب إلهنا - فليشتد^{١٤} العمل على الرجال - وفي نسخة السبعين - فليضاعف عمل هؤلاء القوم - حتى يهتموا به ولا يهتموا بكلام الباطل، فخرج ولاة الشعب وكتبهم^{١٥} بما قال فرعون،

-
- (١) من ظ ، وفي الأصل: ليعبدني (٢) من ظ ، وفي الأصل: وقال (٣) من ظ ، وفي الأصل: اعلق - كذا (٤) في ظ : مسافة (هـ) من ظ ، وفي الأصل: يذبح (٦) في ظ : يبطلان (٧) من ظ . وفي الأصل: لبنا (٨) من ظ ، وفي الأصل: اللبن (٩) زيد بعده في ظ : قبل (١٠) من ظ ، وفي الأصل: لا ينقصوهم . (١١ - ١٢) من ظ ، وفي الأصل: يقولون ينطلق ويذبح - كذا (١٣) في ظ : فليشتد (١٤) من ظ ، وفي الأصل: كهنتهم .

ففرق الشعب في جميع أرض مصر في جمع^١ التبن، وجعل ولاتهم يلحون عليهم ويقولون: ارفضوا إلينا العمل كما كنتم ترفضون من قبل حيث كنتم تعطون التبن^٢، فزادت كفة بنى إسرائيل وعوقبوا من الذين ولوهم عليهم وقالوا: لم^٣ لم ترفضوا إلينا حساب التبن كما كنتم ترفضون، فأنى كتبة^٤ بنى إسرائيل فشكوا إلى فرعون وقالوا: ما بال عبيدك يصنع بهم هذا الصنيع؟ قال فرعون: أتم قوم بطرون، تقولون: ننطلق لنذبح لربنا، فار - أى الكتبة - فى بنى إسرائيل وقالوا لهم: لا تنقصوا من لبنكم شيئاً، بل ارفضوا إلينا كما كنتم ترفضون كل يوم، فلقوا موسى وهارون وهما واقفان أمامهم - وفى نسخة السبعين: وهما يجيئان^٥ نحوهم إذ خرجوا من بين يدي فرعون - فقالوا لهما^٦: الله يحكم بيننا وبينكما لأنكما حرصتما علينا فرعون وعبيده حتى ضيق علينا بأن يضع السلاح فينا فيقتلنا^٧، فرجع موسى إلى الرب وقال: يا رب ألم أسأت بشعبك وأضررت به؟ لاف ساعة أن آتيت^٨ فرعون قد ذكرت اسمك أساء بهذا الشعب وشق عليهم وأنت ظم تخلص^٩ شعبك، فقال الرب لموسى: الآن ترى ما أصنع ١٥ بفرعون لأنه سيرسلهم - وفى نسخة السبعين: وسوف ترى ما أصنع

(١) من ظ، وفى الأصل: جميع (٢) من ظ، وفى الأصل: التبن (٣) من ظ، وفى الأصل: لو (٤) من ظ، وفى الأصل: تجيان - كذا (٥) من التوراة، وفى الأصل و ظ: لهم (٦) من ظ، وفى الأصل: فيقتلنا (٧) من ظ، وفى الأصل: ثبت (٨) من ظ، وفى الأصل: ظم - يحصل - كذا (٩) من التوراة، وفى الأصل و ظ: الا (١٠) سقط من ظ.

بفرعون وكيف يرسلهم يد منيعة و بذراع عظيمة يخرجهم من أرض مصر^١
 أنا الرب الذي اعلنت^٢ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب و سميت باله المواعيد
 ولم أعلمهم اسم الرب - وفي نسخة السبعين : واسمى الرب فلم أظهره لهم -
 وأثبت عهدي أيضا و وعدتهم أن أعطيهم^٣ أرض كنعان أرض غربتهم
 التي سكنوها ؛ و قد سمعت ضجيج بني إسرائيل من تعبد^٤ أهل مصر ، ه
 وأنجيكم من أعمالهم^٥ وأخلصكم يد منيعة و ذراع عالية و بأحكام عظيمة ،
 واختصكم لي شعبا و أكون لكم إلها ، و تعرفون أني أنا الرب إلهكم الذي
 أخرجكم^٦ من تعبد المصريين و أقبل بكم إلى الأرض التي رفعت يدي
 لأعطيها آباءكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب و أجعلها لكم ميراثا إلى الدهر ،
 أنا الرب^٧ فقال موسى لبني إسرائيل هذه الآقاويل فلم يسمعوا من موسى ١٠
 ولم يطيعوه من شدة حزنهم واستيقاد^٨ نفوسهم من الكد الشديد ،
 وكلم الرب [موسى وقال له : انطلق إلى فرعون ملك مصر و قل له
 فيرسل بني إسرائيل - ^٩] من أرض مصر ، فقال موسى للرب : إن
 بني إسرائيل لا يسمعون ولا يطيعوني ، و أنا أرت^{١٠} المنطق ثقيل اللسان
 فكيف يطيعني فرعون و يسمع مني^{١١} فقال الرب / لموسى : انظر ، إني ١٥ / ٣٤٠
 قد جعلتك^{١٢} إلها لفرعون ، و هارون أخوك يكون نيا عليك ، أنت تقضي
 (١) من ظ ، وفي الأصل : اغتيت - كذا (٢) من التوراة ، وفي الأصل و ظ :
 أعطيتهم (٣) من ظ ، وفي الأصل : بعيد (٤) في ظ : أعمالكم (٥) في ظ :
 أخرجتكم (٦) في ظ : استشفاف - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل :
 جعلت لك .

جميع ما أمرك به ، و هارون أخوك يقول لفرعون - وفي نسخة السبعين :
 و هارون أخوك يكون لك نيا و أنت تتكلم بجميع ما أمرك^١ به و هارون
 أخوك يكلم فرعون - ليرسل بني إسرائيل من أرضه و أنا أقسى قلب
 فرعون فأكثر آياتي و عجائبي بأرض مصر ، فلا يطيعكما فرعون ولا يسمع
 ٥ منكما فأمديدي على مصر و أخرج جميع جنودي و شعبي بني إسرائيل
 من أرض مصر بالأحكام العظام ، فيعرف أهل مصر أني أنا الرب ،
 فضنع موسى و هارون كما أمرهما الرب و انتهيا إلى أمره ، وكان قد أتى
 على موسى ثمانون سنة ، وكان هارون ابن ثلاث و ثمانين سنة إذ كلمها فرعون ،
 فقال الرب لموسى و هارون : إن قال لكما فرعون : أظهرا^٢ لي آية
 ١٠ و جريحة^٣ ، قل لهارون : [خذ عصاك و ألقها بين يدي فرعون فتكون تنينا
 عظيما ، فأتى موسى و هارون - ^٤] إلى فرعون فضنعا كما أمرهما الرب ،
 فألقى عصاه - و في نسخة السبعين^٥ : فألقى هارون عصاه - بين يدي فرعون
 و أمام أمرائه - و في نسخة السبعين^٥ : و عييده - فصارت تنينا عظيما ،
 فدعا فرعون بالحكماء و السحرة^٦ ، فضنع سحرة مصر أيضا بسحرهم^٧ كذلك ،
 ١٥ فألقى كل امرئ منهم عصاه فصارت تنينا ، فابتلعت عصا هارون عصيهم ،
 فقسا قلب فرعون و أبي أن يرسلهم كما قال الرب ، و قال الرب لموسى : إن
 قلب فرعون قد قسا و أبي أن يرسل الشعب ، انطلق إلى فرعون بالغداة ، هو ذا
 يخرج ليغتسل على شاطئ البحر ، و خذ العصا التي تحولت في يدك ثعبانا

(١) في ظ : امرتك (٢) من ظ ، و في الأصل « ا » (٣) من ظ ، و في الأصل :
 صريحة (٤) زيد من ظ. (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في ظ : السحرا .
 (٧) من ظ ، و في الأصل : سحرهم .

و قل : إن الرب إله العبرانيين أرسلنى إليك ، يقول لك : أرسل شعبي حتى
يعبدنى فى البرية لأنك^١ حتى الآن لا تسمع و لا تطيع ، هكذا يقول الرب^٢ :
بهذا تعلم^٣ أنى أنا الرب ، هأنذا أضرب ماء النهر بعصى فيصير دما ،
و تموت الحيتان التى فى النهر و ينتن - و فى نسخة السبعين : و لا يقدر
أهل مصر أن يشربوا الماء من هذا النهر - و قال الرب لموسى : مر هارون ه
أن يأخذ عصاه ، و ارفع يدك على ماء المصريين على أنهارهم و على غدرانهم^٤
و على آجامهم و على دواليب مياههم - و فى نسخة السبعين : و قال الرب
لموسى : قل لهارون : خذ عصاك و مد يدك على ماء مصر و على أنهارها
و آجامها و نقارها و على كل مائها المستنقع - فيتحول دما ، فيصير
الدم فى جميع أهل مصر فى الأرض و الخشب و الحجارة ، فصنع موسى ١٠
و هارون كما أمرهما الرب ، فرفع هارون العصا التى فى يده فضرب بها
ماء النهر و فرعون و عبيده ينظرون^٥ ، فتحول ماء النهر فصار دما ،
و ماتت الحيتان التى بالنهر^٦ ، ففسد ماء النهر و أنتن ، و لم يقدر أهل مصر
على شرب الماء من الدم ، فصار الدم فى جميع أرض مصر و قسا قلب
فرعون فلم يطعهما كالذى قال الرب ، فانصرف فرعون فدخل منزله و لم يفكر ١٥
فى شىء من ذلك و تهاون به ، و كملت^٧ سبعة أيام من بعد ما ضرب
الرب النهر ، و قال الرب لموسى : انطلق إلى فرعون و قل له : هكذا يقول

(١) من ظ ، و فى الأصل : لانه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
يعلم (٤) من ظ ، و فى الأصل : عذارتهم (٥) فى ظ : ينظران (٦) فى ظ : فى
النهر (٧) من ظ ، و فى الأصل : كانت .

الرب: أرسل شعبي حتى يعبدوني^١، فان آيت أن ترسله فاني أضرب جميع
 حدودك بالضفادع فتدب / الضفادع فتصعد فتدخل إلى بيتك و قيطونك^٢
 وفي مبيتك و على مضجعك وأسرتك وفي بيوت عبيدك و شعبك و مخادعك
 و بيوت طعامك ، و تدب الضفادع عليك و على جميع شعبك ، و قال
 ٥ الرب لموسى: قل لهارون أخيك أن مد يدك بعصاك على الأنهار و على
 الدوايب و على الآجام فأصعد الضفادع على أرض مصر، فرفع هارون
 يده على مياه المصريين فأصعد الضفادع^٣ فعشيت أرض مصر، فدعا
 فرعون موسى^٤ و هارون [و - ٤] قال لها: صليا بين يدي الرب فتصرف^٥
 الضفادع غنى و عن شعبي حتى أرسل الشعب فيذبحوا بين يدي الرب،
 ١٠ فقال موسى لفرعون: سل وقتا أصلى عليك فيه و على عبيدك و شعبك
 فتصرف^٥ الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة السبعين: عنك و عن
 قومك و عن بيوتك - فقال له: غدا، فقال له موسى: سيكون كما سألت
 فتعلم أنه لا إله غير إلهنا، فيصرف^٦ الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة
 السبعين: بيوتك و عن عبيدك و عن شعبك ما خلا الضفادع التي في
 ١٥ النهر - فخرج موسى و هارون من بين يدي فرعون، فصلى موسى بين يدي
 الرب فاستجاب الرب لموسى، فماتت الضفادع في الدور و البيوت و الرياض
 (١) من ظ ، و في الأصل: يعبدني (٢) من ظ ، و في الأصل: قيطونك - كذا،
 و في اللسان: القيطون: المخدع (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من
 ظ ، و في الأصل: فينصرف (٦) من ظ ، و في الأصل: لا (٧) في ظ :
 فينصرف .

لجمعوها أنابير أنابير فأصلّت الأرض وأجنت - وفي نسخة السبعين :
 لجمعوها صيا صيا فأننت الأرض - فرأى فرعون الفرج والراحة وجفا
 قلبه فلم يطعها كالذى قال الرب ، فقال الرب لموسى^١ : مر هارون فيرفع^٢
 عصاه ليضرب ثرى الأرض فيكون القمل فى جميع^٣ أرض مصر ، ففعل
 ذلك فدب القمل فى الناس والبهائم وصار جميع ثرى الأرض قلا فى ٥
 جميع أرض مصر ، فصنع مثل ذلك السحرة بسحرم فلم يقدرُوا أن يصرفوا
 القمل فى الناس والبهائم ، فقالت السحرة لفرعون : إن هذا فعل رب العالمين ،
 فقسا قلب فرعون ولم يطعها كما قال الرب ، فقال الرب لموسى : أدلج
 باكرا وقف بين يدى فرعون ، وهو ذا يخرج يغتسل - وفي نسخة السبعين :
 فانه يخرج إلى الماء - فقل^٤ [له - °] : هكذا يقول الرب : أرسل شعبى ١٠
 فيعبدونى^٥ ، فان أنت أبيت فلهاذا مرسل - وفي نسخة السبعين : فانى مرسل -
 عليك وعلى شعبك وعلى أهل بيتك هوام وحشرة من كل جنس^٦
 فتمتلئ - وفي نسخة : ذباب الكلب^٧ فتمتلئ - بيوت المضربين من الهوام
 والحشرة مثل ثرى الأرض التى هم عليها ، وأميز فى ذلك اليوم أرض
 جاسان^٨ التى يسكنها شعبى^٩ ، فلا يكون فيها من الهوام والحشرة شئ ١٥
 لتعلم أنى أنا الرب ، وأميز بين شعبى^{١٠} وشعبك ، وتكون^{١١} هذه الآية غدا ،

(١) زيد بعده فى الأصل : عليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذناها (٢) فى ظ :
 ليرفع (٣) زيد بعده فى ظ : عمل (٤) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٥) زيد من
 ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : فيعبدنى (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٨) من التوراة ، وفى الأصل : جعشان ، وفى ظ : جشان (٩) من ظ ، وفى
 الأصل : يكون .

و فعل الرب كذلك و أنزل الهوام على بيت - و في نسخة : يوت - فرعون
و عبيده و على جميع أرض مصر ، ففسدت الأرض بالهوام ، فدعا فرعون
موسى و هارون و قال لهما : انطلقوا فاذبحوا الذبائح لله ربكم في هذه
الأرض ، فقال موسى : لا يحسن بنا أن نفعل ذلك لأننا إنما نذبح للرب
إلهنا من نجاسة المصريين و بدعهم ، فان نحن ذبحنا أمام آلهة المصريين
رجونا ، بل نطلق مسيرة ثلاثة أيام في القفر فنذبح هنالك للرب إلهنا
على ما يأمرنا و يقول لنا ، فقال فرعون : أنا أرسلكم فتذبحوا الذبائح
للرب إلهكم في البرية ، و لكن لا تطلقوا فتوانوا ، بل صلوا على أيضا -
و في نسخة السبعين : و لكن لا تبعدوا و صلوا / على أيضا إلى ربكم - فقال

١٣٤٢

١٠ موسى لفرعون : هاأنذا أخرج من بين يديك فأصلي بين يدي الرب ،
فيسرف الهوام و الحشرة عن فرعون و عن عبيده و [عن - ٢] شعبه
غدا ، و لكن لا يعود فرعون أن يكذب^٢ في قوله و يأبى أن يرسل الشعب
ليذبحوا الذبائح ، فخرج موسى من بين يدي^٣ فرعون و صلى بين يدي الرب ،
فقبل الرب صلاة موسى و صرف الهوام فلم يوجد منها و لا واحد ، فقسا
١٥ قلب فرعون^٤ بعد هذا أيضا و لم يرسل الشعب ، فقال الرب لموسى : انطلق
إلى فرعون و قل له : هكذا يقول الرب إله العبرانيين : أرسل شعبي حتى
يعبدوني^٥ ، فان أبيت أن ترسله - و في نسخة السبعين^٦ : و تمسكت به ، فان

(١) في ظ : هناك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : يكون (٤) سقط
من ظ (٥) في ظ : موسى (٦) من ظ ، و في الأصل : يعبدني (٧) زيد في ظ :
و تمسك به حتى الآن فهذه يد الرب و في نسخة السبعين .

يد الرب تضرب ماشيتك التي في القفر من الخيول والحمر والبقر
والغنم، فيقع فيها الوباء العظيم الصعب الشديد، ويميز^١ الارب بين دواب^٢
بنى إسرائيل وبين بهائم أهل مصر، فلا يموت^٣ من بهائم آل إسرائيل
ولا واحد، ووقت الرب وقتا ليكمل فيه هذا القول على الأرض، فأكمل
الرب هذا الأمر من غد ذلك اليوم، فأتت جميع بهائم المصريين ولم يم^٤
من دواب بنى إسرائيل^٥ ولا واحد، وأرسل فرعون فاذا أنه لم يم^٦ من
دواب بنى إسرائيل^٧ ولا دابة، فقسا قلب فرعون^٨ بعد هذا أيضا فأبى
أن يرسل الشعب، فقال^٩ الرب لموسى وهارون: خذا في حقيبتكما من رماد
الأتون فيذره موسى إزاء السماء نحو فرعون، فيكون العجاج في أرض
مصر، فيضرب الناس و البهائم جميعا قروح ناتية رخوة في أرض مصر^{١٠}
كلها، فأخذ^{١١} رماد الأخدود وقف بين يدي فرعون فذره موسى
نحو السماء أمام فرعون^{١٢} فظهرت قروح ناتية^{١٣} رخوة، فاستعلت في الناس
و البهائم، فلم يقدر السحرة على الوقوف بين يدي موسى من كثرة القروح
التي ظهرت في السحرة وفي جميع أهل مصر، فقسى الرب قلب فرعون
فلم يسمع لها ولم يطعها كالذى قال الرب لموسى، فقال الرب لموسى: ١٥
أدبج باكرا وقف بين يدي فرعون وقل له: هكذا يقول الرب إله العبرانيين:
(١) من ظ، وفي الأصل: تميز (٢) من ظ. وفي الأصل: ادواب (٣) من ظ،
وفي الأصل: فلا تموت (٤-٥) سقط ما بين الرقتين من ظ (٥) في ظ: وقال .
(٦) من التوراة، وفي الأصل: فاخذ، وفي ظ: فاخذوا (٧) سقط من ظ .
(٨) زيد بعده في ظ: في .

أرسل شعبي فيعبدون^١ وإلا فأنا مرسل في هذا الوقت ضربتي على قلبك^٢
 و على عبيدك و على شعبك لتعلم أنه لا إله غيرى على الأرض كلها، لأنى
 جمع من الآن أن أمد يدي فأضربك و شعبك بالوباء و تبيد^٣ عن جديد
 الأرض، و إنما بغيتك بهذا الأمر لأظهر لك^٤ عزى و قدرى و لينادى
 ٥ باسمى فى الأرض كلها، و أنت حتى الآن تتمسك بالشعب و تأبى أن
 ترسله، و غدا فى هذا الوقت أهبط البرد العظيم الشديد ما لم يكن - و فى
 نسخة السبعين : الذى لم يكن مثله - بمصر منذ اليوم الذى أسست فيه
 قواعدها^٥ إلى يوم الناس هذا، و الآن أرسل فأدخل جميع دوابك و كل
 مالك فى الحقل لأن كل بهيمة أو إنسان يلقى فى الحقل و لا يدخل البيت
 ١٠ يهبط عليهم البرد فيموتون، و كل من خاف كلمة الله من عبيد فرعون نقل
 عبيده و بهائمهم إلى البيوت، و الذى لم يفكر فى كلمة الله و تهاون بها
 ترك دوابه و عبيده فى الحقل، و قال الرب لموسى : ارفع يدك إلى السماء
 يهبط البرد على جميع أرض مصر على الناس و البهائم و جميع الحقول -
 و فى نسخة السبعين : على الناس و الدواب و جميع نبات الصحراء - فرفع
 ١٥ موسى عصاه نحو السماء فأرجفهم الرب بالرعد و البرد^٦، و جعلت النار
 تضطرم على الأرض، فأهبط الرب البرد و كان البرد يهبط و النار تضطرم
 / فى البرد، و كان شديدا عظيما، و لم يكن مثله فى جميع أرض مصر
 منذ اليوم الذى سكنها بنو البشر، فضرب البرد جميع أرض مصر لكل من

/ ٣٤٣

(١) من ظ: و فى الأصل : فيعبدون (٢) فى ظ : بيتك (م) فى ظ : تبيت (٤) فى
 ظ : بك (٥) فى ظ : قواعده (٦) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل : البرق .

كان في الحقل من الناس و البهائم ، و أهلك الرب جميع عشب الحقل
و حطم جميع أشجار الغياض ، فأما أرض جاسان^٢ التي كانت آل إسرائيل
يسكنونها فلم يهبط عليها البرد ، فأرسل فرعون فدعا موسى و هارون
فقال لهما : قد خطئت في هذه المرة أيضا ، و الرب بار و أنا و شعبي منافقون -
و في نسخة السبعين : إني قد أخطأت و الرب بار و أنا و شعبي فجار - فصليا ه
بين يدي الرب فانه ذو إيمان و أناة فيصرف عنا الرجفة و^٣ الرعد و البرد^٤
فأرسلكم فلا تعودوا أن تتأخروا - و في نسخة السبعين : و أنا أرسلكم
و لا أعود أن أؤخركم - فقال موسى لفرعون : إذا ما خرجت من القرية
أبسط يدي للرب فيصرف عنكم صوت الرعد و الرجفة ، و لا يعود البرد
يهبط^٥ أيضا لكي تعلم^٦ أن الأرض و ما عليها لله . و أنا أعلم أنك و عبيدك
إلى الآن لم ترهبوا الله و لم تخافوا^٧ عقابه ، و قد هلك الكتان و الشعير -
و في نسخة السبعين : و ضرب البرد الشعير و الكتان - لأن الشعير كان
قد بدأ أن يسيل ، و الكتان قد بدأ أن يبزر . فأما زرع الحنطة و الكثيب
فلم يهلك لأنه كان متأخرا ، فلما جاء موسى من القرية من بين يدي فرعون
بسط - و في نسخة السبعين : فأما زرع الحنطة و الذرة فانه لم يضرهما لأنها
كانا لقسا ، و خرج موسى من عند فرعون خارج المدينة فبسط - يديه
بين يدي الله نحو السماء فصرف عنهم الرعد و البرد^٨ ، و انقطع المطر عن
(١) في ظ : شعب (٢) من التوراة ، وفي الأصل وظ : خشان (٣) في ظ : كان .
(٤) في ظ : المرأة (هـ - هـ) في ظ : البرد و الرعد (٦) - قط من ظ (٧) من ظ ،
و في الأصل : يعلم (٨) من ظ ، و في الأصل : لم يخافوا (٩) من ظ ، و في
الأصل : البرق .

الأرض ، فرأى فرعون أن القطر والبرد والرعْد قد انقطع وسكن فماد
 وخطأ وقسا قلب فرعون وعبيده - وفي نسخة السبعين : وقسا قلبه
 وقلب عبيده وجفا - ولم يرسل بنى إسرائيل كرسالة الرب - وفي نسخة
 السبعين : على ما تكلم به الرب على يد موسى - فقال الرب لموسى : انطلق
 ٥ إلى فرعون لأني أنا الذى أقسى قلبه وقلوب عبيده ، فأظهر هذه الآيات
 لتجر بنيك وبنى بنك بما صنعت بأهل^١ مصر من الآيات الكثيرة التى
 أظهرت ، فيعلموا أنى أنا الرب ، فأتى موسى وهارون إلى فرعون وقالاه :
 هكذا يقول الرب إله العبرانيين : [حتى - ٢] متى تأتى أن تخافنى
 وترهبنى ! أرسل شعبي ليعبدونى^٢ ، فإن آيت أن ترسل شعبي فهأنذا محذرا^٣
 ١٠ على جميع تخومك الجراد - [و - ٢] فى نسخة السبعين : فأنى أجلب عليك غدا
 هذا الوقت جرادا عظيما على جميع حدودك - فيغطى عين الأرض
 فلا يقدر إنسان على النظر إلى الأرض ، فهما أتى لكم البرد^٤ أكله ،
 ويأكل جميع الشجر التى تنبت لكم فى الحقل ، ويمتلع^٥ منه بيوتك
 وبيوت عبيدك وبيوت جميع المصريين ما لم^٦ ير مثله أبائوك وأجدادك من
 ١٥ اليوم الذى أسست الأرض إلى يوم الناس هذا ، ورجعا من بين يدي
 فرعون فقال لعبيده : حتى متى يكون^٧ لنا هذه العثرة ! يرسل القوم
 فيعبدون - وفي نسخة السبعين : فقال عبيد^٨ فرعون لفرعون : حتى متى يكون

(١) فى ظ : بارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ايعبدنى (٤) فى
 الأصل : تمعدوا ، وفى ظ : محذرا (٥) فى ظ : ما (٦) فى ظ : تمتلئ (٧) فى ظ : فلم -
 (٨) فى ظ : تكون (٩) من ظ ، وفى الأصل : عبيدك .

لنا^١ هذا البلاء^٢ أرسل^٣ القوم فيعبدوا^٤ - الرب إلههم أما تعلم - وفي نسخة
السبعين: أو ما علمت - أن مصر قد خربت ، فردوا موسى وهارون إلى فرعون
فقال لهم: انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب إلهكم ، ولكن من منكم ينطلق؟
فقال له موسى: إنا نطلق بشباننا وشيوخنا وبنينا^٥ ، بناتنا وبعثنا وبقرنا ،
لأنه عيد لنا للرب ، فقال لهما: ليسكن كما قلتما ، والله يصحبكما إذا ما
أرسلتكم وحشمكم ، لعله أن يعرض لكم في الطريق آفة ، ولكن ليس هكذا ،
انطلقوا الآن معاشر الرجال ! اعبدوا بين يدي الرب لأنكم إنما تطلبون
بذلك الراحة ، فأخرجوهما من بين يدي فرعون ، فقال الرب لموسى:
ارفع يدك على أرض مصر فيأتي الجراد فيصعد على أرض مصر فيأكل
عشب الحقل وجميع ما نجا من البرد ، فرفع موسى عصاه على أرض مصر ،
فأهب الرب على الأرض ريح السموم جميع ذلك اليوم -^٦ وفي نسخة
السبعين: والرب جلب ريحا قبلية على الأرض نهار ذلك اليوم^٧ - و تلك
الليلة . فلما كان بالغداة احتملت ريح السموم الجراد ، فصعد الجراد -
وفي نسخة السبعين: أخذت الريح القبيلة الجراد وأصعدته - على جميع
أرض مصر ، فسقط على جميع تخوم أرض المصريين ، وكان منيعا عظيما^٨
جدا ، ولم يكن مثل ذلك الجراد فيما خلا ولا يكون مثله فيما بعده ، فغطى
جميع عين الأرض فأظلمت الأرض ، وأكل جميع عشب الحقل وجميع
الشجر التي نجت من البرد ، ولم يبق في الشجر غصن ولا ورق ولا في
(١) سقط من ظ (٢) في ظ : أرسل (٣) في ظ : فيعبدون (٤-٥) سقط ما بين
الرقين من ظ .

الحقل تشب في جميع أرض مصر ، فاستعجل فرعون ودعا موسى وهارون
وقال لهما : قد خطئت بين يدي الله إلهكما ، و الآن اعفوا عن ذنبي وجهلي
هذه المرة ، و صليا بين يدي الرب إلهكم فيصرف عني هذه الآفة و الموت ،
فخرج موسى من بين يدي فرعون و صلى بين يدي الرب ، فعاد الرب بريح
ن السموم عاصفا فاحتلمت الجراد فقذفت به في بحـرسوف - و في نسخة
السبعين : فغير الرب تلك الريح من البحر أشديدة فأخذت الجراد
و ألقته في البحر الأحمر - و لم يبق في جميع تخوم المصريين شيء من الجراد ،
فقتسى الرب قلب فرعون فلم يرسل بني إسرائيل ، فقال الرب لموسى : ارفع
يدك إلى السماء فليكن الدجى و الحنابس على جميع أرض مصر فتذهب الظلمة ،
١٠ فرفع موسى يده إلى السماء فكانت الظلمة و الدجى - و في نسخة السبعين :
فصارت ظلمة و زوبعة - على جميع أرض مصر - و لم ير المرء منهم صاحبه
ثلاثة أيام ، فأما جميع بني إسرائيل فكان لهم الضياء و النور في مساكنهم ،
فدعا فرعون [موسى -] فقال له : انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب
إلهكم ، فأما بقركم و غنمكم فدعوها ههنا ، و أما حاشيتكم فانطلقوا بها معكم ،
١٥ فقال موسى لفرعون : و أنت أيضا تعطينا من الذبائح فنذبح لله ربنا ،
و بهائمنا أيضا نتطلق بها معنا ، و لا يبقى منها ههنا ظلف على الأرض
لأننا إما نأخذ من مالنا لنذبح بين يدي الرب إلهنا ، و لسنأ نعلم بما ذا
نعبد الله إذا بلغنا هناك ، فقتسى الرب قلب فرعون و أتى أن يرسلهم ،

(١) قد ظ : فقذف (٢-٣) تكرر ما بين الرقنين في ظ (٣) في ظ : فتذللهم -

(٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : ينطلق ،

فقال فرعون لموسى: اخرج من بين يدي واحذر أن تتراعى لى أيضا
لأن اليوم الذى تتراعى لى بين يدي تموت فيه ، قال له موسى: ما أحسن
قولك^١ ! لست بعائد أن أرى وجهك ، قال الرب لموسى: إني أعود أيضا
فأنزل بفرعون و المصريين ضربة واحدة ، وعند ذلك أرسلكم من
ههنا ، فاذا أرسلتكم فاخرجوا كلكم ، وأمر الشعب وقال لهم: ليستعروا
المرء منكم من صاحبه والمرأة من جارتها حلى ذهب وفضة - وفى نسخة
السبعين: / أنية الفضة وأنية الذهب - والكسوة ، وجعل الرب للشعب
٣٤٥ / فى قلوب المصريين محبة ورحمة ، وموسى كانت له هبة وكرامة عظيمة
فى جميع أرض مصر - وفى نسخة السبعين: عند المصريين وعند فرعون
وعند جميع عبيده - فقال موسى: هكذا يقول الرب: إني خارج نصف
الليل فأجوز فى أرض مصر فأتوى جميع أبكار مصر من بكر^٢ فرعون
الجالس على منبره إلى بكر الأمة^٣ التى فى بيت الرجل ، وتموت جميع
أبكار البهائم فسمع الولولة العظيمة والصراخ والآنين الفظيع ما لم يسمع
مثله أيضا - وفى نسخة السبعين: ولا يعود أيضا أن يكون مثلها - فأما
آل إسرائيل فلا يصاب منهم ولا الناس ولا البهائم ولا الكلب بلسانه -
١٥ وفى نسخة السبعين: ولا يعوى من جميع بنى إسرائيل كلب بلسانه - لعلوا
أن الرب^٤ ميز بين المصريين* وآل إسرائيل ، فيهبط جميع عبيدك^٥ هؤلاء
فيسجدون لى ويقولون^٦: اخرج أنت وجميع الشعب معك ، وعند

(١) من ظ ، وفى الأصل: قوتك (٢) من ظ ، وفى الأصل: تكبر (٣) من ظ ،
وفى الأصل: الآية (٤-٤) من ظ ، وفى الأصل: قرب (٥) فى ظ: مصريين .
(٦) من ظ ، وفى الأصل: عبيدى (٧) من ظ ، وفى الأصل: تقولون .

ذلك أخرج ، فخرج موسى من بين يدي فرعون^١ بغضب شديد ، فقال
 الرب لموسى : إن فرعون لا يطيعكما ، ذلك أنى مكثرت آياتى و عجائبي
 بأرض مصر ، و إن موسى و هارون جرحا هذه الجرائح و أظهرها هذه
 الآيات كلها بين يدي فرعون^١ ، فقسى الرب - و فى نسخة السبعين :
 ٥ و أقسى الرب - قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل عن أرضه ، و قال
 الرب لموسى و هارون بأرض مصر : هذا الشهر - أى نيسان - يكون
 لكم رأس الشهور ، و يكون هذا أول شهور السنة ، قل لجميع جماعة بنى
 إسرائيل فى عشر من هذا الشهر فليأخذ^٢ الرجل منهم حملا - و فى
 نسخة السبعين : خروفا - لييته و حملا لآل أبيه ، و إن كان آل البيت
 ١٠ قليلا لا يحتاجون إلى حمل فليشترك هو و جاره القريب إلى بيته على
 عدة الناس ، و عدوا كل امرئ منهم على قدر أكله من الحمل ، حملا
 بلا عيب فيه ذكرا بيضا ، يكون الحمل حويلا من الخراف و الجدى
 و تأخذونه^٣ ، و يكون محفوظا لكم حتى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ،
 و يذبحه كل جماعة من كنيسة بنى إسرائيل أصيلا ، و يأخذون^٤ من دمه
 ١٥ [و يضعونه على القائمين و العتبة من البيت الذى تأكلون فيه ، أى
 علامة - °] لللائكة الذين يؤمرون^٥ بقتل أبقار المصريين ، و تأكلون اللحم
 فى هذه الليلة مشويا بفطير ، و لا تأكلوا منه نيئا^٦ و لا مطبوخا بالماء ،

(١-١) سقط ما بين الوثنيين من ظ (٢) فظ : فياخذ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
 يأخذونه (٤) فظ : ياحون - كذا (٥) زيد ما بين الحاذقين من ظ (٦) من ظ ،
 و فى الأصل : يرمون (٧) النبى و النبى : الاحم الذى لم تمسه النار أو لم ينضج .

و لا تبقوا^١ منه شيئا لغد ، و لا تكسروا^٢ منه عظما ، و ما فضل منه إلى غد
فأحرقوه بالنار ، و كلوه و أنتم قيام و قد شددتم أرساطكم و نعالكم في
أرجلكم و عصيكم في أيديكم و كلوه بججلة^٣ ، فانه فصيح للرب ، و أنا فاني
أعبر في أرض مصر في هذه الليلة و أضرب كل بكر بأرض مصر من
الناس و البهائم ، و أعمل نقمة من جميع آلهة^٤ المصريين ، أنا الرب^٥ ! ه
و يكون لكم^٦ هذا اليوم ذكرا و تعيدونه عيدا للرب لدهوركم [إلى
الابد - °] و تعيدونه سبعة أيام ، و تأكلون فطيرا و تعزلون^٧ الخمر من بيوتكم
من أول يوم^٨ ، و كل من يأكل خميرا^٩ فان تلك النفس^٩ تبيد من إسرائيل
من اليوم الأول إلى اليوم السابع ، و كل عمل يعمل فلا تعملوه فيها ،
و احفظوا هذه الوصية ، ففي هذا اليوم خرج عسكريكم من مصر ، فاجعلوا^{١٠}
هذا اليوم لدهوركم سنة ، فاذا بدأ اليوم الرابع عشر^{١١} من الشهر الأول
من العشي كلوا فطيرا إلى يوم إحد و عشرين من الشهر إلى العشاء ،
و لا يوجد خمير في بيوتكم سبعة أيام ، و كل من يأكل مخمرا فان تلك النفس
تبيد من جماعة [بنى - °] إسرائيل من الملة و الذمة و من سكان الأرض ،
ما كان خميرا فلا تأكلوه و كلوا فطيرا^{١٢} في جميع مساكنكم ، فدعا موسى^{١٥}
جميع أشياخ / بنى إسرائيل و قال لهم : عجّلوا فخذوا غنما لقبائلكم و اذبحوا الفصح

٣٤٦ /

- (١) من ظ ، و في الأصل : لا يبقوا (٢) من ظ ، و في الأصل : لا يكسروا .
(٣) في ظ : الهية (٤) سقط من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ،
و في الأصل : تعرمون - كذا (٧-٧) في ظ : سبعة أيام (٨) في ظ : نخمرا .
(٩) العبارة من هنا إلى « فان تلك النفس » - ساقطة من ظ (١٠) في الأصل
و ظ : يوم الأربعة عشرة (١١) في ظ : فطيرة .

و خذوا^١ حزمة من ریحان الأدبان^٢ و اغمسوها بدم الحبل و رشوا علی معاقم
أبوابکم و معاضدها - و فی نسخة السبعین : علی العتبة و کلا القائمین - من
الدم الذی فی الإناء ، و لا ینخرج أحد منکم من باب ینته إلی غدوة - و فی
نسخة السبعین : إلی الصباح - فتحفظون هذه السنة و الوصية أنتم و بنوکم
٥ إلی الأبد ، و إذا^٣ دخلتم الأرض التی یعطیکم الرب کما وعدکم فاحفظوا
هذا العمل ، و إذا سأل بنوکم فقالوا لکم : ما هذا الفعل ؟ فقولوا لهم : هذه
ذیحة فصح الرب إذ أفصح علی بیوت بنی إسرائيل بمصر^٤ إذ قتل^٥ المصريين
و خلص یوتنا ، فركع الشعب کله ساجدا لله و انطلق بنو إسرائيل فصنعوا
کما أمر الله موسى و هارون ، و فی بیوت بنی إسرائيل فلما کان عند نصف
١٠ اللیل قتل الرب أبکار أرض مصر - و فی نسخة السبعین : کل بکر بأرض
مصر - من بکر فرعون الجالس علی منبره - و فی نسخة السبعین : علی
کرسيه - و حتی بکر السی المحبوس فی السجن و جمیع أبکار البهائم فوثب
فرعون فی تلك اللیلة هو و جمیع عبيده و کل أرض مصر - و فی نسخة
السبعین^٦ : و جمیع المصريين - و كانت ولولة عظيمة فی جمیع أرض مصر
١٥ لأنه لم یوجد بیت^٧ لم یکن فیہ میت ، فدعا فرعون بموسی و هارون فی
تلك اللیلة و قال لهما : انهضا فاخرجا من بین شعی أتما و بنو إسرائيل
أیضا و انطلقوا فاعبدوا بین یدی الرب کقولکم ، و سوقوا غنمکم

(١) من ظ ، و فی الأصل : جدا - کذا (٢) کذا ، و لعله : الأریبان ، و فی
التوراة : زوفا (٣) فی ظ : ان (٤ - ٤) من ظ ، و فی الأصل : اوقیل - کذا .
(٥ - ٥) سقط ما بین الرقین من ظ (٦) من ظ ، و فی الأصل : یثبت .

و بقرکم أيضا كما قلتما ، و انطلقوا و صلوا علی أيضا و ادعوا لی ، فألح
المصريون علی الشعب لیخرجوهم عن الأرض مسرعین لأنهم قالوا : إنا جميعا
سنموت ، فحمل الشعب عجینهم قبل أن یختمر ، و البارد من فطیرهم مشدودا
فی عمامتهم ملقی علی أعناقهم ، و صنع بنو إسرائيل كما أمرهم موسى ،
و استعاروا من المصريين حلی ذهب و فضة و كسوة - و فی نسخة السبعین : ٥
آنية الفضة و الذهب و الكسوة - و جعل الرب للشعب فی أعین المصريين
حجة و رحمة فأعاروهم ، فخرّبوا المصريين ، و ظعن بنو إسرائيل من رعمسيس
- و علی حاشية نسخة السبعین أنها عین شمس - یطلبون ساخوت ستائة ألف
رجل سوى الحشم و العیال ، و صعدا معهم من الغرباء أيضا من کل خلط
و من البقر و الغنم و الماشية کثیر جدا ، فاختبزو العجین الذی أخرجه ١٠
معه من مصر رغفا - و فی نسخة السبعین : فرائی - فطیرا لم یختبزه - و فی
نسخة السبعین : لم یختمر - و ذلك لأن المصريين أخرجه فلم یقدروا
أن یلبثوا ، و لم یتزودوا زاداً للطریق أيضا ، و كان مسکن بنی إسرائيل فی
أرض مصر أربعائة و ثلاثین سنة ، فی هذا اليوم خرج جمیع جنود الرب من
أرض مصر - و فی نسخة السبعین : لیلا - كان الرب وقت فی سابق علنه ١٥
حفظ تلك اللیلة الّتی خرجوا فیها من مصر ، و كانت هذه اللیلة محفوظة
معروفة لدى الرب لهلاك أبکار مصر و لإخراج جمیع بنی إسرائيل لیكون
ذكر ذلك فی جمیع أحقابهم و خلوفهم ، و قال الرب لموسی و هارون : هذه
(١) من ظ ، و فی الأصل : اصعد (٢) من ظ ، و فی الأصل : الذین (٣) ف
ظ : تلك .

سنة الفصح،^١ لا يأكل منه غريب، وكل عبد لرجل إشتراه إذا ختته عند ذلك فأطعمه الفصح،^٢ واللاجير والساكن فلا يأكل منه، في بيت واحد فليؤكل - وفي نسخة السبعين: وكل عبد لرجل إشتراه^٣ فليختن ثم يأكل منه، الملجئ واللاجير [لا يأكلان منه -]^٤، وليؤكل في بيت واحد - ولا تخرجوا^٥ من اللحم خارجا / من البيت شيئا ولا تكسروا^٦ فيه عظاما، وإذا سكن معكم غريب فختن كل ذكر في بيته عند ذلك فليقترب - وفي نسخة السبعين: وليختن منهم كل ذكر ثم يدنون - من بعد ذلك إلى أكل^٧ الفصح، وليكن عند ذلك بمنزلة أهل الأرض، ولا يأكل منه أغرل، وليتكن^٨ سنة واحدة لأهل الأرض والغرباء الذين يسكنون معكم،^٩ ١٠ وصنع جميع بني إسرائيل كما أمر موسى وهارون، وفي هذا اليوم أخرج الرب بني إسرائيل من أرض مصر وجميع جنودهم^{١٠}، وقال الرب لموسى: طهر لي كل ذكر ويفتح كل رحم من بني إسرائيل من الناس والبهائم يكونون لي، فقال موسى للشعب: اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من العبودية والرق^{١١}، لأن الرب أخرجكم من ههنا بيد منيعة - إلى آخر ١٥ ما مضى في سورة البقرة؛ ثم ذكر في الخامس علة الفصح فقال: احفظوا شهر البهار اعملوا فصحا لله ربكم لأنه إنما أخرجكم من أرض مصر في

(١-١) -قط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بيت واحد » ساقطة من ظ (٣) زيد من التوراة (٤) من ظ، وفي الأصل: لا تخرجوا (٥) من ظ، وفي الأصل: لا تكسروا (٦) من ظ، وفي الأصل: كل (٧) من ظ، وفي الأصل: ليكن (٨) من ظ، وفي الأصل: لبني (٩) من ظ، وفي الأصل: جنوده (١٠) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ فحذفناها.

شهر^١ البهار ليلا^٢، فاذبحوا فصحا لله ربكم من البقر والغنم في الموضع الذي يختار الله ربكم، فلا تأكلوا فيه خميرا بل كلوا فطيرا سبعة أيام خبزا يدل على التواضع لأنه إنما خرجتم من أرض مصر بعجلة لتذكروا اليوم الذي أخرجتم فيه من مصر كل أيام حياتكم. ولا يرى^٣ الخير في حدودكم سبعة أيام، ولا يحل لكم أن تأكلوا الفصح^٤ في قرية من القرى التي يعطيكم الله ربكم، ولكن في الموضع الذي يختار الله ربكم أن يصبر فيه اسمه ففيه اذبحوا الفصح، ويذبح عند غروب الشمس في الوقت الذي خرجتم من أرض مصر، ثم قال: وأحصوا سبعة سوايع من بعد عيد الفصح، ثم اعملوا^٥ عيد السوايع واثتوا بخواص غلاتكم للرب، كما بارك لكم الله ربكم في الموضع الذي يختار الرب أن تصيروا اسمه فيه واذكروا^٦ أنكم كنتم عبيدا بأرض مصر، فاحفظوا هذه السنن كلها^٧ واعملوا بها، واعملوا^٨ عيد المظال سبعة أيام إذا ما دخلتم^٩ بيادركم وخزنتم معاصرهم ليبارك الله ربكم في جميع غلاتكم وفي كل عمل أيديكم، وتكونوا^{١٠} فرحين، ويروى^{١١} ذكركم أمام الله ربكم في الموضع الذي يختار ثلاث مرات في السنة: عيد الفطير و عيد السوايع و عيد المظال - انتهى . ١٥ وفيه مما لا يجوز إطلاقه [في شرعنا إضافة - "] الابن في قوله:

(١) في ظ: الأرض (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: لا ترى.

(٤) من ظ، وفي الأصل: الفصححة (٥) في ظ: الذي (٦) في ظ: اعملوا.

(٧-٧) في ظ: اعملوا بها و اعملوا - كذا (٨) من ظ، وفي الأصل: ادخلتم.

(٩) من ظ، وفي الأصل: يكونوا (١٠) من ظ، وفي الأصل: ترى (١١) زيد

من ظ.

ابنى بكرى، وهو مأول بأنه يكرمه إكرام الولد، وإطلاق الإله على غير الله سبحانه مراد^١ به الحاكم، ولا يجوز هذا الإطلاق^٢ عندنا.

ولما انقضى ما أراهم سبحانه من الأفعال الهائلة التى استخلصهم بها من ذلك الجبار، شرع يذكر ما قبلوه^٣ [به - ^٤] من الجهل به سبحانه ٥ وما قابلهم به من الحلم، ثم ما أحل بهم بعد طول المهلة من ضرب الذلة والمسوخ بصورة القردة، فقال عاطفا على قوله "فاغرقنهم فى اليم" أو قوله "ثم بعثنا من بعدهم موسى": ﴿وجوزنا﴾ أى قطعنا بما لنا من [العظمة - ^٤]، وساقه على طريق المفاعلة تعظيما له، روى أن جوازهم كان يوم^٥ عاشوراء، وأن موسى عليه السلام صامه شكرا لله تعالى على إنجائهم وإهلاك عدوهم ﴿بنى إسرائيل﴾ بعد الآيات التى شاهدوها^٦ ﴿البحر﴾ وإنما جعلته معطوفا على أول القصة^٧ لأن هذه القصص كلها بيان لأن فى الناس السيئ الجوهر الذى لا يغنيه الآيات كما مضى عند قوله "و البلد الطيب" و بيان لقوله "اخذنا أهلها بالبأساء والضراء" - إلى آخرها، ويدل على ذلك - مع ما ابتدئت به القصص^٨ - ١٥ ختمها بقوله "ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا" وقوله "ولقد ذرانا لجهنم" و حسن موقعها بعد قوله "و تمت كلمت ربك الحسى"

(١) فى ظ : مرادا (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ لحذفها .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : قبلوه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بعد (٦) من

ظ ، وفى الأصل : شاءتأها (٧) زيد بعده فى ظ : لأن هذه القصة (٨-٨) سقط

ما بين الرقيين من ظ .

لأنه لما قيل " بما صبروا " تشوفت النفس إلى فعلهم حال الرخاء
 هل شكروا؟ فبين أن كثيرا منهم كفروا / تصديقا لقوله " وما وجدنا
 ٣٤٨ / لا أكثرهم من عهد " و ما شاكله ، و ما أحسن تعقيب ذلك - بقوله :
 ﴿ فاتوا ﴾ أى مروا - بقاء التعقيب ﴿ على قوم ﴾ أى ذرى قوة ، قيل :
 كانوا من لحم ﴿ يعكفون ﴾ أى يدورون و يتحلقون ملازمين مواظبين ه
 ﴿ على اصنام لهم ﴾ أى لا قوة فيها و لا نفع ، فهم فى عكوفهم عليها
 مثل فى الغباوة ، و قيل : إنها كانت تماثيل بقر ، و كان ذلك أول
 أمر العجل .

و لما أخبر سبحانه بذلك ، علم السامع أنهم بين أمرين^٢ : إما شكر
 و إما كفر ، فتشوف إلى ما كان منهم ، فأجاب سبحانه سؤاله^٣ بقوله : ١٠
 ﴿ قالوا ﴾ أى لم يلبث ذكرهم لما أراهم سبحانه من عظمتهم و شكرهم
 لما أفاض عليهم من نعمته إلا ربنا أمنوا من عدوهم بمجاوزتهم البحر
 و إغراقهم^٤ فيه حتى طلبوا إلها غيره بقولهم : ﴿ 'يموسى' ﴾ سموه كما ترى
 باسمه جفاء و غلظة اعتمادا على ما عيهم من بره و حله غير متأدين
 بما يهرهم^٥ من جلالة حظه من الله و قسمه ﴿ اجعل لنا إلها ﴾ أى شيئا ١٥
 نراه و نطوف به تقيدا بالوهم ﴿ كما لهم 'الهة' ﴾ و هذا منهم قول من
 لا يعد الإله - الذى فعل معهم هذه الأفاعيل - شيئا ، و لا يستحضره بوجه .

(١) من ظ ، و فى الأصل : مرابطين (٢) فى ظ : امرهم (٣) من ظ ، و فى
 الأصل : سوله (٤) من ظ ، و فى الأصل : اغراقه (٥) من ظ ، و فى الأصل :
 بقوله (٦) من ظ ، و فى الأصل : يهديهم .

ولما كان هذا منهم عظيما ، استأنف جواب من تشوف إلى قول
 موسى عليه السلام لهم ما هو بقوله : ﴿ قال انكم قوم ﴾ أى ذوو قيام
 فى شهوات النفوس ، و قال : ﴿ تجهلون ﴾ مضارعا إشعارا بأن ذلك
 منهم كالطبع و الغريزة ، لا ينتقلون عنه^٢ فى ماض و لا مستقبل ، و اعلم
 ه أنه لا تكرير فى هذه القصص فان كل سياق منها لأمر لم يسبق [مثله^٣] ،
 فالقصد من قصة موسى عليه السلام و فرعون - عليه اللعنة و الملام -
 هذا الاستدلال الوجودى على قوله ” و ان وجدنا اكثرهم لفسقين “
 و من هنا تعلم أن سياق قصة بنى إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان
 إسرائهم فى الكفر و نقضهم للعهود ، و استمر سبحانه فى هذا الاستدلال
 ١٠ إلى آخر السورة ، و ما أنسب ” و اذ أخذ ربك من بنى آدم - الآية ، لقوله
 ” و ما وجدنا لاكثرهم من عهد “^١ و ذكر فى أول التى تليها تنازعهم
 فى الأنفال تحذيرا لهم من أن يكونوا من الأكثر المذومين فى هذه ،
 هذا بخلاف المقصود من سياق قصص بنى إسرائيل فى البقرة فانه هناك
 للاستحلاب^٤ للإيمان بالذكر بالنعم ، لأن ذلك فى سياق خطابه سبحانه
 ١٥ لجميع الناس بقوله : ” اعبدوا ربكم الذى خلقكم “ ، ” كيف تكفرون بالله
 و كنتم امواتا فاحياكم “^٥ و ما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم و دفع
 النقم - و الله أعلم .

(١) من ظ ، وفى الأصل : ذو (٢-٢) تكرر ما بين الرقین فى ظ (٣) زيد من
 ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : هذه (٥) فى ظ : اذا (٦) من ظ ، وفى الأصل :
 يليها (٧) فى ظ : الاستحلاب (٨) آية ٢١ (٩) آية ٢٨ .

ولما استفيد من كلامه لهم غاية الإنكار عليهم، علل هذا الإنكار بقوله: ﴿ان هَؤُلَاءِ﴾ أى القوم ﴿متبر ما هم فيه﴾ أى مكسر مفتت مهلك على وجه المبالغة، وإذا فسد الظرف فسد المظروف، وإليه الإشارة بجعل "هؤلاء" اسما لإن، وإيلائه خبر الجملة الواقعة خبرا مقدما على مبتدأه.

ولما كان الشيء قد يهلك فى الدنيا [أوفى الآخرة -^١] وهو حق، ه أعلمهم بأن هذا الهلاك^٢ إنما هو [الهلاك -^٣] عند الله أعم من كونه فى الدنيا أو فى الآخرة لبطلان ما هم فيه، فقال معبرا بالاسمية إشارة إلى أنه الآن كذلك وإن رنى بخلافه: ﴿وبُطِل﴾ أى مضمحل زائل ﴿ما كانوا﴾ أى جملة وطبعا ﴿يعملون^٤﴾ أى مواظبين عليه من الأصنام والكوف وجميع أعمالهم لأجله^٥، لا وزن لشيء منها أصلا ولا اعتبار، ١٠ [و -^٦] فيه إشارة إلى أن العبادة لا تنبغى^٧ إلا للباقي الذى لا يجوز عليه التغير، فإذا كان كذلك^٨ كان / العمل له أيضا ثابتا باقيا لا يجوز عليه البطلان، وفى تعقيها لتدمير آل فرعون إشارة إلى موجب ذلك، وأن كل من كان على مثل حالهم من عبادة غير الله كانت عاقبته الدمار.

ولما كان [هذا -^١] استدلالا على أن مثل هذه الأصنام التى مروا عليها ١٥ لا تصلح لأن تعبد، كان ذلك غير كاف لهم [لما -^٢] تقرر من جهلهم، فربما ظنوا أن غيرها مما سوى الله تجوز^٣ عبادته، فكأنه قيل: هذا لا يكفى جوابا لمثل هؤلاء فهل قال لهم غير ذلك؟ ف قيل: نعم! ﴿قال﴾ منكرا معجبا

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: الاهلاك (٣) فى ظ: يعلمون (٤) فى ظ الاجاة - كذا (ه) من ظ، وفى الأصل: لا ينبغى (٦) من ظ، وفى الأصل: ذلك. (٧) من ظ، وفى الأصل: يجوز.

(اغير الله) أى الذى له جميع العظمة ، فهو المستحق للعبادة (ابغىكم) أى
أطلب لكم (إليها) فأنكر أن يتأله غيره ، و حصر الأمر فيه ثم بينه بقوله :
(و هو) أى و الحال أنه هو وحده (فضلكم) دون غيركم عن هو
فى زمانكم أو قبله (على العلين ه) أى^٢ لو لم يكن لوجوب اختصاصهم
له بالعبادة سبب سوى اختصاصه لهم بالتفصيل على سائر عباده الذين بلغهم
علمهم عن هو أقوى منهم حالا و أكثر عددا و أموالا لكان كافيا^٣ .

ولما أثبت أن الإلهية لا تصلح لغيره ، و أن غيره لم يكن يقدر
على تفضيلهم ، و كان المقام للعظمة ، و كان كأنه قيل إيدانا بعلظ أكبادهم
وقله فطتهم^٤ و سوء مقابلتهم^٥ للنعم : اذكروا ذلك ، أى تفضيله لكم باصطفاء
١٠ آبائكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب و ما تقدم له عندهم و عند أولادهم من
النعم لا سيما يوسف عليه السلام الذى حكمه فى جميع الأرض التى
استذلكم^٦ أهلها ؛ عطف عليه إشارة إليه قوله التفاتا إلى مظهر العظمة تذكيرا
بعظمة مدخوله : (و اذ) أى و اذكروا^٧ إذ (انجيتكم) أى على
ما نحن عليه من العظمة التى أتم لها عارفون^٨ ، و لها [فى -^٩] كل وقت
١٥ فى تلك الآيات مشاهدون^٩ (من آل فرعون) و ما أفضنا عليكم بعد
الإجماع من النعم الجسام و أريناكم من الآيات العظام تعرفوا أننا فضلناكم

(١) من ظ : وفى الأصل : بين (٢) من ظ ، وفى الأصل : انه (٣) فى ظ : وانيا .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ : استذلهم (٦) فى ظ : اذكرا .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : عاكفون (٨) زيد من ظ (٩) فى الأصل : يشاهدون ،
وفى ظ : تشاهدون .

على جميع الأنام ؛ ثم استأنف بيان ما أنجاهم^١ منه بقوله : ﴿ يسومونكم ﴾
أى ينزلون بكم دائماً ﴿ سوء العذاب ج ٥ ﴾ .

ولما كان السياق - كما مضى - لبيان إسماعهم في الكفر و شدة
عساوتهم في قسوتهم و جلافتهم ، و كان مقصود السورة إنذار المعرضين
و تحذيرهم من القوارع التى أحلها بالمأضين ؛ بين سوء العذاب عادلا في هـ
بيانه عن التذبح - لأنه لا يكون عند الاندباح ، وهو فى الأصل لمطلق
الشق - إلى التعبير بالقتل لأنه أدل على الإمامة و أهرز ، لأنه قد يكون على
هيئة شديدة بشعة كالقطع و النخس و الخط و غير ذلك مع أنه لا بد
فيه من تفويت ذلك فقال^٢ : ﴿ يقتلون ﴾ [أى تقتيلا كثيرا - ٣]
﴿ أبناءكم ﴾ و دل على حقيقة القتل بقوله : ﴿ ويستحيون ﴾ . ١٠

ولما كان المعنى أنهم لا يعرضون للإناث صغارا و لا كبارا ، و كان
إنكار ما يكون إبقاء النساء بلا رجال لما يخشى من الضياع و العار ، و كان
مظنة العار أكبر - ٢] ، عبر عنهم بقوله : ﴿ نساءكم^٤ ﴾ و تنبيهها على أن
قتل الأبناء إنما هو للخوف من صيرورتهم رجالا لئلا يسلبهم واحد منهم
أعلمهم به - كهانهم ملكهم ؛ و أشار إلى شدة ذلك بقوله : ﴿ وفى ذلكم ﴾ ١٥
أى الأمر الصعب الم هول ﴿ بلاء ﴾ أى اختبار لكم و لهم ﴿ من ربكم ﴾
أى المحسن إليكم فى حالى الشدة و الرخا ، فانه أخفى عنهم^٥ الذى قصدوا
القتل لأجله ، و أنقذكم به بعد أن رباه عند الذى^٦ هو مجتهد فى ذبحه
﴿ عظيمه^٧ ﴾ .

(١) فى ظ : أنجاهم (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : ثم فسر بقوله (٣) زيد من ظ .

(٤) فى ظ : عنكم (٥) فى ظ : الله .

ولما ذكرهم بنعمة إنجاء الأبدان، أتبعها التذكير بأكبر منها إذ كانت لحفظ الأديان و صيانة جوهرة الإيمان بما نصب لهم من الشرع في التوراة، فقال معجبا من حالهم إذ كان في الإنعام عليهم بنصب الشرع الهادي لهم من الضلال و اختصاص نبيهم بمزيد القرب بالمناجاة، وهم في اتخاذ إله سواه، لانتفع فيه أصلا، ولا يرضى قلب أو عقل أن يعبد، عاطفا له على ما سبق تعجيبه به منهم في قوله "وَجُوزْنَا بِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ": ﴿وَوَعَدْنَا﴾ أى على ما لنا من باهر^٢ العظمة ﴿مُوسَى ثَلَاثِينَ﴾ أى مناجاة ثلاثين ﴿لَيْلَةٍ﴾ أى عقبها ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا﴾ أى المواعدة ﴿بَعُشْرٍ﴾ / أى ليال، وذلك لأنه^٣ لما مضت ثلاثون ليلة، وهو شهر^٤ ٣٥٠ / ذى القعدة فيما قيل، و كان موسى عليه السلام قد صامها ليلها^٥ ونهارها، أدرك من فمه خلوقا فاستاك^٦، فأعلمه الله أنه قد أفسد ريم فمه، وأمره بصيام عشرة أيام أخرى [و-٦] هى عشر ذى الحجة ليرجع بما أزاله من ذلك، وذلك لأن^٧ موسى عليه السلام كان^٨ وعد نبي إسرائيل - وهو بمصر - أنه إذا أهلك سبحانه عدوهم، أتاهم بكتاب من عنده فيه ١٥ يان ما يأتون و ما يذرون، فلما أهلك الله عدوهم سأل موسى عليه السلام الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوما ثم أمره بالعشر .

ولما كان من الممكن أن يكون الثلاثون هى النهاية، وتكون مفصلة إلى عشرين ثم عشر، أزال هذا الاحتمال - بقوله^٩ : ﴿فَمِيقَاتُ رَبِّهِ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : اذا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : انه (٤) فى ظ : عشر (٥) فى ظ : ليلتها (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : ان (٨) من ظ ، وفى الأصل : بقولكم .

أى الذى قدره فى الأزل لأن يناجيه بعده - بالفاء (أربعين) و لما كانت^١
العشر غير صريحة فى اللبالي ، قال : (ليلة^٢) فاتفق أن تكون^٣ ساعات مثلا ،
و عبر بالميقات لأنه ما قدر فيه عمل من الأعمال ، و أما الوقت فزمان
الشيء سواء كان مقدرا أم لا ، و عبر بالرب إشارة إلى اللطف به و العطف
عليه و الرحمة له ، و الميقات هو الأربعون - قاله الفارسي فى الحجة ،
و قدر انتصاب أربعين بـ « معدودا هذا العدد » كما تقول^٤ : تم القوم
عشرين ، أى معدودين هذا العدد ، و أجمل سبحانه الأربعين فى البقرة
لأن المراد بذلك السياق تذكيرهم^٥ بالنعم الجسام و المنة إليهم بالإحسان
و الإكرام ، ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم^٦ إلى الإيمان و أمكن
فى نزوعهم عن الكفران بدليل^٧ ما سبق قصتهم من قوله " يا أيها
الناس اعبدوا ربكم^٨ " ، " كيف تكفرون بالله^٩ " و ما اكتنفها
أولا و آخرها من قوله " يبنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم^{١٠} " -
الآيتين المبدوء بها و المختوم بها ، و فصل هنا الأربعين إلى ثلاثين و عشر ،
لأن المراد بهذا السياق - كما تقدم - بيان كفرهم و مرودهم على خزيرهم
و مكرهم و أنه لم ينفعهم سؤال المعجزات ، و لا أغنى عنهم شيئا تواتر^{١١}
النعم و الآيات ، كما كان ذلك فى قصص الأمم الخالية و القرون الماضية
من ذكر فى هذه السورة استدلالا - كما تقدم - على أن المفسد أكثر

(١) فى ظ : كان (٢) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٣) من ظ ، وفى الأصل :
يقول (٤) من ظ ، وفى الأصل : و تذكروهم (٥) من ظ ، وفى الأصل : و جوههم .
(٦) فى ظ : بذلك (٧) آية ٢١ (٨) آية ٢٨ (٩) آية ٤٠ .

من المصلح - إلى غير ذلك مما^١ أجمل في قوله تعالى " وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها " - إلى آخره ، و تسلية لهذا النبي الكريم و ترهيبا لقومه لما وقع لهم من العقاب الآليم ، و الفصل بين السياقين يدق إلا عن أولى البصائر - و الله أعلم ، فيكون^٢ المراد بتفصيل الأربعين هنا بيان أن إبطاء موسى عليه السلام عما^٣ عليه من الميعاد إنما كان لعشرة أيام .
 ٥ فارتكبوا فيها هذه الجريمة التي هي أعظم الجرائم ، و أشار تعالى إلى عظيم جرأتهم^٤ و عراقتهم في السفه بقوله عاطفا على " واعدنا - " : ﴿ وقال موسى ﴾ أي لما واعدناه ﴿ لاخيه ﴾ ثم بينه تصریحا باسمه فقال : ﴿ هرون اخلفني ﴾ أي كن خليفتي فيهم تفعل ما كنت أفعل ، و أكد الارتسام بما يجده له ١٠ بقوله : ﴿ في قومي ﴾ و أشار إلى حثه على الاجتهاد بقوله : ﴿ واصلح ﴾ أي كن على ما أنت عليه من إيقاع الإصلاح .

ولما كان عالما بأنه^٥ صلى الله عليه وسلم مبرا من السوء غير أن عنده لنا ، قال : ﴿ ولا تتبع ﴾ أي تكلف نفسك غير ما طبعت عليه بأن تتبع ﴿ سبيل المفسدين ﴾ أي استصلاحا لهم و خوفا من تنفيرهم ، فاختلفوا ١٥ / ٣٥١ عن الطريق كما تفرس فيهم موسى عليه السلام و لم يذكروا عاقبة / فلا هم خافوا بطش من بطش بمن كان يسومهم^٦ سوء العذاب ، و لا هم سمعوا لاخيه في الصلاح ، و لا هم انتظروه عشرة أيام ، فلا أخف منهم أحلاما و لا أشد على المعاصي إقداما .

(١) ف : ظ : بما (٢) زيد بعده ف : ظ : ان (٣) ف : ظ : بما (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) ف : ظ : واعدنا (٦) من ظ . وفي الأصل : بان (٧) ف : ظ : يسومونهم .

ولما ذكر سبحانه مواعده و احتياطه في إصلاح قومه ، شرح أمره
 حال المواعدة و حالهم بعد غيبته عنهم فقال : (ولما جاء موسى لميقاتنا)
 أى ' عند أول الوقت الذى قدرناه للنجاة ' ؛ ولما كان مقام الجلال
 مهولا لا يستطيع وعى الكلام معه ، التفت إلى مقام الإكرام فقال :
 (وكلمه) أى ' من غير واسطة (ربه) ' أى المحسن إليه بأنواع الإحسان ه
 المتفضل على قومه بأنواع الامتنان . و الذى سمعه موسى عليه السلام عند
 أهل السنة من الأشاعرة^٢ هو الصفة الأزلية من غير صوت ولا حرف ،
 ولا بعد في ذلك كما لا بعد في رؤية ذاته سبحانه وهى ليست بجسم
 و ' لا عرض لا جوهر ' ، وليس كمثل شئ ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما
 أنه سبحانه كلمه في جميع الميقات و كتب له الألواح ، و قيل : إنما كلمه ١٠
 في أول الأربعين ، و الأول أولى .

ولما كلمه بصفة الربوبية الناضرة إلى العطف و اللطف ، وكانت
 الرؤية جائزة ، اشتاق إلى الرؤية شوقا لم يتمالك معه لما استحلاه من
 لذذة * الخطاب فسالها لعلمه أنها جائزة (قال) [مسقطا الأداة
 كعادة أهل القرب - ٦] (رب ارنى) أى ذاك الأقدس^٧ بأن ترفع ١٥
 عنى الحجاب فتجعلنى متمكنا من النظر ، و هو معنى قول الخبر ابن عباس :
 أعطى ، [وحقق أنها رؤية العين بقوله في جواب الأمر - ٦] (انظر)
 [أى أصوب تحديق العين - *] و أشار إلى عظمته سبحانه و علو شأنه

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) في ظ : الآيات .

(٤-٤) في ظ : لا جوهر ولا عرض (ه) في ظ : لذات (٦) زيد ما بين الحازنين

من ظ (٧) في ظ : المقدس .

[علو العظمة لا المسافة -^١] بالتعدية بحرف النهاية [بعد أن أشار بحذف أداة النداء إلى غايصة القرب بالإحسان -^٢] فقال : (اليك ط)
أى فأراك .

ولما كان سبحانه قد قضى أنه عليه السلام لا يراه في الدنيا (قال)
ه نافيا المقصود ، وهو الرؤية لامقدمتها ، وهو النظر الذى هو التحديق
بالعين (لن ترنى) ودل سبحانه بهذه العبارة على جواز رؤيته حيث
لم يقل : لن أرى ، أو لن يراى أحد ؛ ثم زاد ذلك بيانا بتعليقه بممكن
فقال : (ولكن انظر الى الجبل) إشارة إلى جبل بعهد ، وهو أعظم
جبل هناك ، [وزاد فى الإشارة إلى إمكان الرؤية بالتعبير بأداة الشك
١٠ و اتباعها بأمر ممكن فقال -^١] : (فان استقر مكانه) أى وجد قراره
وجودا تاما ، وأشار إلى بعد الرؤية أيضا و جلالة المطلوب منها بقوله :
(فسوف ترانى ج) أى بوعد لا خلف فيه (فلما تجلى ربه) أى المحسن
إليه^٢ بكل عطاء و منع ، [وبين بتعبيره باللام أنه تجلى قربه و خصوصيته ،
و لو عبر بعلى مثلا لكان أمر آخر فقال -^١] : (للجبل) أى بأن
١٥ كشف للجبل عما شاء من حجب عظمتة (جعله دكا) أى مدكوكا ،
و الدك و الدق أخوان (وخر) أى وقع (موسى صعقا ج) أى مغشيا
عليه مع صوت هائل ، فلم أن معنى الاستدراك أنك لن تثبت لرؤيتى
فى هذه الدار و لا تعرف ذلك الآن ، و لكنك تعرفه بمثال أريكه
وهو الجبل ، [فان القانى - كما نقل عن الإمام مالك - لا ينبغي له أن يرى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يعرف .

الباقى - ١ [(فلما افاق) أى من غشيته (قال سبحانه) أى تنزيها لك
 عن أن أطلب منك ما لم تأذن فيه (تبت اليك) أى من ذلك
 (وانا اول المؤمنين) أى مبادر غاية المبادرة إلى الإيمان بكل ما^٢ أخبرت
 به كل ما تضمنته هذه الآيات، زفتعيه بالإيمان فى غاية المناسبة لعدم الرؤية
 لأن شرط الإيمان أن يكون بالغيب، فقد ورد فى نبينا صلى الله عليه
 وسلم آيتان: إحداهما يمكن أن تشير إلى الرؤية بالتعبير بالمسلمين دون
 المؤمنين فى قوله "وانا اول المسلمين"^٢ والثانية تؤمى إلى عدمها وهى
 "امن الرسول - إلى قوله - كل امن بالله"^٢ - والله أعلم - ١]، وكل هذا
 تبيكت على قومه و تبيكت لهم فى عبادتهم العجل و ردع لهم عن^٥ ذلك،
 و تنبيه لهم على أن الإلهية مقرونة بالعظمة و الكبر بعيدة جدا عن ذوى ١٠
 الأجسام لما يعلم سبحانه من أنهم سيكررون عبادة الأصنام، فأثبت للآله
 الحق الكلام^٦ و التردى عن الرؤية بحجاب الكبر و العظمة و اندكاك الجبل
 عند تجليه و نصب الشرع الهادى إلى أقوم سبيل تعريضا بالعجل، و إلى
 ذلك يرشد / قوله تعالى "الم يروا انه لا يكلمهم" - الآية .

٣٥٢ /

و لما منعه الرؤية بعد طلبه إياها، و قابل ذلك بمحاسن الأفعال ١٥
 و الأقوال، تشوف السامع إلى ما قبل به من الإكرام، فاستأنف سبحانه
 الإخبار بما منحه به تسلياً له عما منعه و أمراً^٧ بشكره بقوله: (قال يوسىٰ)

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٦ آية ١٦٣ .
 سورة ٢ آية ٢٨ (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : الانعام (٧) من ظ ، وفى
 الأصل : امر .

مذكرا له نعمه في سياق دال على تعظيم قدرها وإيجاب شكرها مسقطا عنه مظهر العظمة تأنيسا له ورققا [به - '] ﴿ انى اصطفتيك ﴾ أى اخترتك اختيارا بالغا كما يختار ما يصفى من الشئ عن كل دنس ﴿ على الناس ﴾ أى الذين في زمانك ﴿ برسلى ﴾ أى الآيات المستكثرة التى أظهرتها وأظهرها على يدك^٢ [من أسفار التوراة وغيرها - '] ﴿ وبكلامى ﴾^٣ أى من غير واسطة ، وكأنه أعاد حرف الجر للتنبيه على ذلك ، كما اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على الناس عامة في كل زمان برسالة^٤ العامة وبكلامه المعجز وبتكليمه من غير واسطة فى السماء التى قدست دائما ونزهت عن التدنيس بمصية .

١٠ ولما كان ذلك مقتضيا لغاية الإقبال والنشاط ، سبب عنه قوله : ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ أى مخصصا لك ؛ به ﴿ وكن من الشكرين ﴾^٥ أى العريقين فى صفة الشكر المجولين عليها .

ولما انقضى ما أنسه سبحانه به^٦ ، لفت الكلام - فى الإخبار لنا عن عظيم ما آتاه - لى مظهر العظمة ، فقال مفصلا لتلك الرسالة ومينا بعض ما كان من الكلام : ﴿ وكتبنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ له فى الألواح ﴾ عرفها أعظمها تنبيها على أنها لجلالة ما اختصت به كأنها المختصة بهذا الاسم ، وأعظم من هذا جعل قلب النبي الأمى لوحا قابلا لما يلقى إليه جامعا لعلوم الأولين والآخرين ﴿ من كل شئ ﴾ أى يحتاجه بنو إسرائيل ، وذلك هو العشر الآيات التى نسبتها إلى التوراة نسبة الفاتحة إلى القرآن ، فقيها

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يدك (٣) زيد بعده فى ظ : اى (٤) فى ظ : له ،

(٥) سقط من ظ .

أصول الدين و أصول الأحكام و التذكير بالنعم و الأمر بالزهد و الورع
و لزوم محاسن الأعمال و البعد عن مساوئها ، و لذا قال مبدلاً :
(موعظة و تفصيلاً) أى على و جازتها بما كانت سبباً (لكل شيء ج)
أى لأنها - مع كونها أمهات و جوامع - مفصلة ترجع إليها بحور العلم
و تنشق منها بنايعها .

و لما كان هذا هكذا ، تسبب عنه حتماً قوله تعالى التفاتا إلى خطاب
موسى عليه السلام بخطاب التأنيس إشارة إلى أن التزام التكاليف صعب :
(نلخذها) أى الألواح (بقوة) أى بجهد و عزيمة فى العلم^٢ و العمل
(و امر قومك) أى الأقوياء على محاولة ما يراد (ياخذوا باحسنها)
كأنه سبحانه أطلق لموسى عليه السلام الأخذ بكل ما فيها لما عنده من ١٠
الملل الحاضرة له أعز شيء من المجاوزة^٣ ، و لذلك قال له ” بقوة “
و قيدهم بالأحسن ؛ ليكون الحسن جداً مانعاً لهم من الوصول إلى القبيح ،
و ذلك كالاقتصاد^٤ و العفو و الانتصار و الصبر .
و لما كان كأنه قيل : و هل يترك الأحسن أحد ؟ فقيل : نعم ،

الفاسق يتركه ، بل و يتجاوز الحسن إلى القبيح ، بل و إلى أقبح القبيح ، ١٥
و من تركه أهلكته و إن جل آله و عظمت جنوده و أمواله ، قال كالتعليل
لذلك : (ساور بكم دار الفسقين ه) أى الذين يخرجون عن أوامرى إلى
ما أنهاهم عنه فأنصركم عليهم و أمكنكم بفسقهم من رقابهم و أموالهم من

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينشق (٢) فى ظ : العمل - كذا (٣-٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) سقط من ظ (ه) فى ظ : كالاقتصاد .

الكنعانيين و الحثانيين وغيرهم من سكان الأراضى المقدسة لتعلموا
 أن من أغضبى وترك أمرى أمكنت منه ، وإنما ذكر الدار لئلا تغرم
 منعها إذا استقروا بها فيظنوا أن / لا غالب [لهم -^١] فيها بوعورة أرضها
 وشهوق جبالها وإحكام أسوارها ، وإذا تأملت ما سياتى فى^٢ شرح هذه
 ٥ الآيات من التوراة لاح لك هذا المعنى ، وكذا ما ذكر من التوراة عند
 قوله فى المائدة " قل هل أنبشكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله^٣ " ،
 وفى هذه الجملة المختصرة بشارة باتمام الوعد بنصرتهم عليهم بطاعتهم ونذارة
 على تقدير معصيتهم ، فكأنه قيل : إن أخذوا بالاحسن أريتهم دار
 الفاسقين ، وأتممت عليهم النعمة ما داموا على الشكر ، وإن لم يأخذوا
 ١٠ أهلكتهم كما أهلك الفاسقين من بين أيديهم^٤ ، فحذرهم لئلا يفعلوا أفعالهم
 إذا استقرت بهم الدار ، وزالت عنهم الأكدار ، ويؤيد كون المراد
 القدس لا مصر قراء من قرأ : سأورثكم - من الإرث . لأنها هى المقصودة
 باخراجهم من مصر وبعث موسى عليه السلام ، ولا ينفى ذلك احتمال
 مصر أيضا - والله أعلم .

١٥ ولما انقضى ذلك ، كان كأنه قيل : وكيف يختار عاقل ذلك ؟
 فكيف بمن رأى الآيات وشاهد المعجزات ؟ فقال : (صايرف عن البنى)
 أى المسموعة والمرئية على عظمتها بما أشارت إليه الإضافة بالصرف عن
 فهمها^٥ واتباعها والقدرة على الطعن فيها بما يؤثر فى إبطالها

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : من (٣) آية ٦٠ (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ .
 (٥) فى ظ : أنها (٦) من ظ : وفى الأصل : نصه .

(الذين يتكبرون) أى يطلبون الكبر عما ليس لهم و يعملون قوام فيه
 (فى الارض) أى جنبها الذى أمرت بالتواضع فيه .
 و لما كان من رفعة الله بصفة فاضلة فوضع نفسه موضعها و لم يهتها
 نظرا لما أنعم الله به عليه و منحه إياه ربما سمي ذلك 'كبرا' ، و ربما سمي
 طلبه لتلك الأخلاق التى توجب رفعة تكبرا ، [وليس كذلك و إن وافقه ه
 فى الصورة ، لمفارقتها له فى المعنى فإنه صيانة النفس عن الذل ، و هو إنزال
 النفس دون منزلتها صنعة لا تواضعا ، و الكبر رد الحق و احتقار الناس ،
 فى التقيد هنا إشارة خفية لإثبات العزة بالحق و الوقوف على حد التواضع
 من غير انحراف إلى الصنعة و قوفا على شرط العزم المنصوب على من
 نار الكبر ؛ قال الإمام السهروردى : و لا يؤيد فى ذلك و يثبت عليه ١٠
 إلا أقدام العلماء الراضين - ٢] . قال تعالى احترازا عنه و مدخلا كل كبر
 [خلا - ٢] عن الحق الكامل : (بغير الحق) أى إنما يختار غير الأحسن
 من يختاره بقضائى الذى لا يرد و أمرى العالى على أمر كل ذى جد فأزين
 لمن علت خبائة ٢ عنصره و رداة جوهره ما أريد حق' يرتكبوا' كل
 قبيحة و يتركوا ٦ كل مليحة ، فينصرفون عن الآيات و يعمون عن الدلالات ١٥
 الواضحات .

و لما أخبر بتكبرهم فى الحال ، عطف عليه فعلهم فى المآل فقال :
 (وإن يروا كل آية) أى مرئية أو مسموعة (لا يؤمنوا بها ج) أى لتكبرهم

- (١) زيد فى ظ : منه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 جناية (٤) فى ظ : على (٥) من ظ ، وفى الأصل : يرتكبوا (٦) من ظ ، وفى
 الأصل : تركوا (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم .

عن الحق ﴿ وان يروا سبيل ﴾ أى طريق ﴿ الرشد ﴾ أى الصلاح والصواب الذى هو ' أهل للسلوك ﴾ لا يتخذوه سبيلًا ﴾ أى فلا يسلكونه بقصد منهم ونظر وتعمد ، بل إن سلكوه فغن غير قصد ﴿ وان يروا سبيل النى ﴾ أى الضلال ﴿ يتخذوه سبيلًا ﴾ أى بغاية الشهوة والتعمد والاعتمال لسلوكه .

ولما كان هذا محل عجب ، أجاب من يسأل عنه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الصرف العظيم [الذى زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الإيمان واتخاذ الرشاد - ٢] ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كذبوا بآيتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ وكانوا عنها ﴾ [أى - ٢] خاصة جلة وطبعا ﴿ غفلين ه ﴾ أى كان دأبهم وديدهم معاملتهم لها بالإعراض عنها حتى كأنها مغفول عنها فهم لذلك يصرون على ما يقع منهم .

ولما ذكر أحوال المتكبرين الذين أدام كبرهم إلى التكذيب فى الدنيا ، ذكر أحوالهم فى الآخرة فقال : ﴿ والذين ٢ ﴾ أى كذبوا بها والحال أن الذين ﴿ كذبوا بآيتنا ﴾ أى فلم يعتبروا عظمتها ﴿ ولقاء الآخرة ﴾ أى ولقائهم إياها أو ولقائهم ما وعدوا به فيها ، اللازم من التكذيب بالآيات الحامل التصديق بها * على معالى الأخلاق ﴿ حبطت ﴾ أى فسدت فسقطت ﴿ اعمالهم ١ ﴾ [والآية من الاحتباك : إثبات النقلة أولا يدل على إرادتها ثانيا ، واللقاء ثانيا يدل على إرادته أولا - ٢] .

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : كذبوا ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤) فى ظ : عظمتا (هـ) من ظ ، وقد الأصل : به .

٢٥٤ / ولما كان كأنه / قيل : لم بطلت ؟ قيل : ﴿ هل يحزون الا ما ﴾ أى
 جزاء ما ﴿ كانوا يعملون ٤ ﴾ أى^١ بابطال أعمالهم و إن عملوا كل حسن
 سوى الإيمان بسبب أنهم أبطلوا الآيات و الآخرة بتكذيبهم بها ، أى
 عدوها باطلة ، و الجزاء من جنس العمل ، و الحاصل^٢ أنهم لما عموا عن
 الآيات لأنهم لم^٣ ينظروا فيها و لا انتقادوا مع ما دلت عقولهم عليه من ٥
 أمرها ، بل سدوا باب الفكر فيها ؛ زادهم الله عمى فحتم على مداركهم ،
 فصارت لا يتفحص بها فصاروا لا يعون ، و هذه الآيات أعظم زاجر^٤ عن
 التكبر ، فانها ينت أنه يوجب الكفر و الإصرار عليه و الوهن فى جميع
 الأمور ؛ ولما كان ذلك^٥ كله مما يتعجب الموفق^٦ من ارتكابه ، أعقبه
 تعالى مبينا^٧ و مصورا و محققا لوقوعه و مقرا قوله عطفا على ” فاتوا ١٠
 على قوم يحكفون “ مبينا^٨ لإسراعهم فى الكفر : ﴿ واتخذ ﴾ أى بغاية
 الرغبة ﴿ قوم موسى ﴾ أى باتخاذ السامرى و رضاهم ، و لم يعتبروا شيئا
 مما أتاها به من تلك الآيات التى لم يرمثلها ﴿ من بعده ﴾ أى من بعد
 إبطائه عنهم بالعشرة^٩ الأيام التى آتمنا بها الأربعين ﴿ من حلبيهم ﴾ أى
 التى كانت معهم من مالههم و بما استعاروه من القبط ﴿ عجلا ﴾ ولما ١٥
 كان العجل اسما لولد البقر ، بين أنه إنما يشبه صورته فقط ، فقال مبدلا
 منه : ﴿ جسدا ١٠ .

ولما كان الإخبار بأنه جسد مفهوما لأنه خال مما يشبه الناشئ^{١١}

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الظاهر (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) فى
 ظ : زاجرا (٥) فى ظ : هذا (٦) فى ظ : الموقف (٧-٧) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٨) فى ظ : بالعشر (٩) فى ظ : الناسى .

عن الروح ، قال : ﴿ له خوار^١ ﴾ أى صوت كصوت البقر ،
والمعنى أنه لا أضل ولا أعشى من قوم كان معهم حلى أخذوه من كانوا
يستعبدونهم و يؤذونهم وهم مع ذلك أكفر الكفرة^٢ فكان جدرا
بالغض^٣ لكونه من آثار^٤ الظالمين الأعداء فاعتقدوا أنه بالصوغ صار
إلها و بالغوا في حبه و العبودية له وهو جسد يرونه ويلبسونه ، و نبيهم
الذى هدام الله به و اصطفاه لكلامه يسأل رؤية الله فلا يصل إليها .
و لما لم يكن في الكلام نص باتخاذها إلها ، دل على ذلك بالإنكار
عليهم^٥ في قوله : ﴿ الم يروا ﴾ أى الذين اتخذوه إلها ﴿ انه لا يكلمهم ﴾
أى كما^٦ كلم الله موسى عليه السلام ﴿ ولا يهديهم سبيلا^٧ ﴾ كما هدام الله
١٠ تعالى إلى سبيل النجاة ، منها سلوكهم في البحر الذى كان^٨ سببا لإهلاك
عدوهم كما كان سببا لنجاتهم ؛ قال أبو حيان : سلب عنه هذين الوصفين
دون باقى أوصاف الإلهية لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم ، و انتفاء
الهداية إلى سبيل [يستلزم -^٩] انتفاء القدرة ، و انتفاء هذين الوصفين
يستلزم انتفاء باقى الأوصاف .

١٥ و لما كان هذا أمرا عظيما جدا مستبعد الوقوع و لاسيما من قوم نبيهم
[بينهم -^{١٠}] و لاسيما و قد أراهم من النعم و الآيات ما ملأت أنواره الآفاق ،
كان جدرا بالتأكيد فقال تعالى : ﴿ اتخذوه ﴾ أى بغاية الجد و النشاط
و الشهوة ﴿ و كانوا ﴾ أى جبلة و^{١١} طبعا مع ما أثبت لهم من الأنوار^{١٢}

(١) في ظ : الكفر (٢) في ظ : بالغضب (٣) من ظ ، وفي الأصل : اياه - كذا .
(٤) في ظ عليه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من البحر المحيط ٤/ ٣٩٣ (٧) زيد من
ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : او (٩) في ظ : الانواع .

(ظلمين هـ) أى حالهم حال من يمشى فى الظلام ، أو أن المقصود أن الظلم وصف لهم لازم ، فلا بدع إذا فعلوا أمثال ذلك .

ولما كان هذا فى سياق "ذلك بانهم كذبوا بآيتنا وكانوا عنها غفلين"

فأتيج ' أن من كذب على هذه الصفة أهلك ، فانتظر السامع الإخبار بتعجيل

هلاكهم ، أخبر بأنه منعه من ذلك وحرصهم المبادرة بالتوبة ؛ ولما اشتد هـ

من تشوف / السامع إليه ، قدمه على سببه و هو رجوع موسى عليه السلام

إليهم وإنكاره عليهم ، ولأن السياق فى ذكر إمرأهم فى الفسق لم يذكر

قبول توبتهم كما فى البقرة ؛ ولما كان من المعلوم أنهم تبين لهم عن

قرب سوء مرتكبهم لكون نبيهم فيهم ، عبر بما أفهم أن التقدير : فسقط

فى أيديهم ، وعطف عليه [قوله - ٢] سائقه مساق ما هو معروف : ١٠

(ولما سقط) أى سقطت أسنانهم (فى أيديهم) بعضها ندما سقطوا ؛

كأنه بغير اختيار لما غلب فيه من الوجد والأسف الذى أزال تأملهم

ولذلك بناه للفعل (وراوا أنهم قد ضلوا) أى عن الطريق الواضح

(قالوا) توبة ورجوعا إلى الله كما قال "أبوم آدم" عليه السلام

(لئن لم يرحمنا ربنا) أى الذى لم يقطع قط إحسانه عنا فيكف غضبه ١٥

ويديم إحسانه (ويغفر لنا) أى يمحو ذنوبنا عنا وأثرا لئلا ينتقم منا فى

المستقبل (لتكون من الخسرين هـ) أى فينتقم منا بذنوبنا .

ولما أخبر بالسبب فى تأخير الانتقام عنهم مع مساواتهم لمن أوقعت

(١) من ظ ، و فى الأصل : انتج (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيقول (٣) زيد

من ظ (٤) فى ظ : سقطا (هـ-هـ) فى ظ : إبراهيم (٦) زيد بعده فى الأصل : أى ،

ولم تكن الزيادة فى ظ لخذناها .

بهم النعمة في موجب الانتقام. أخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه إليهم من الغضب لله والتبكييت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة والتواضع فقال: ﴿ولما رجع موسى﴾ أي من المناجاة ﴿إلى قومه غضبان﴾ أي في حال رجوعه لما أخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل ﴿أسفا﴾ أي شديد الغضب والحزن ﴿قال بئسما﴾ أي خلافة خلافتكم التي ﴿خلفتموني﴾ أي قتم مقامى وفعلتم خلقي.

ولما كان هذا ربما أوهم أنهم فعلوه من ورائه وهو حاضر في طرف العسكر، قال: ﴿من بعدى﴾ أي حيث عبدتم غير الله أيها العبداء، ١٠. وحيث لم تكفهم أيها الموحدون بعد ذهابي إلى الجبل للواعدة الإلهية وبعد ما سمعتم مني من التوحيد لله تعالى وإفراذه عن خلقه بالعبادة ونفى الشركاء عنه، وقد رأيتم حين كففتكم وزجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم "اجعل لنا إلها كما لهم آلهة" ومن حق الخلفاء أن يسيروا سيرة^٢ المستخلف ولا يخالفوه في شيء.

١٥. ولما كان قد أمرهم أن لا يحدثوا حدثا حتى يعود إليهم، أنكر عليهم عدم انتظاره فقال: ﴿اعجلتم﴾ قال الصغاني^٣ في المجمع: سبقتم، وقال غيره: عجل عن الأمر - إذا تركه غير تام، ويضمن معنى سبق، فالمعنى:

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ: سير (٣) هو الحسن بن محمد ابن الحسن القرشي اللاهوري له جمع البحرين في اللغة - راجع معجم المؤلفين ٢٧٩/٣ (٤) في ظ: تركته.

سابقين^١ ﴿امر ربكم ج﴾ أى ميعاد الذى ما زال محسنا إليكم، أى فعلتم هذا قبل بلوغ أمر الموعد الذى زاد فيه ربي وهو العشرة الايام برجوعى إليكم إلى حده، فظننتم أنى مت فغيرتم كما غيرت الامم بعد موت أنبيائها؛ وقال الإمام أبو عبد الله القزاز أيضا: عجلم: سبقتم، ومنه تقول: عجلمت فلانا: سبقته، وأسند ابن التبانى إلى الأصمعى ﴿والتى الالواح﴾ أى ٥ التى فيها التوراة غضبا لله وإرهابا لقومه، ودل هذا على أن الغضب بلغ منه حدا لم يتمالك معه، وذلك فى الله تعالى ﴿واخذ براس اخيه﴾ أى بشعره ﴿يجرة- إليه^٢﴾ أى بناء على أنه قصر وإعلاما لهم بأن الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يحل عن الوصف، لأنه اجتثاث^٣ للدين من أصله.

١٠

ولما كان هارون عليه السلام^٢ غير مقصر فى نهيمهم، أخذ فى إعلام موسى عليه السلام^٢ بذلك [مخصصا الام وإن كان شقيقه -^٤] تذكيرا له بالرحم الموجبة للعطف والرقعة ولا سيما وهى مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك بقوله: ﴿قال ابن^٥ ام﴾ وحذف أداة النداء وياه الإضافة لما يقتضيه الحال من الإيجاز، وفتح الجمهور ١٥ الميم تشبيها [له -^٤] بخمسة عشر وعلى حذف الالف المبدلة من ياء الإضافة، وكسر الميم ابن عامر و حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم بتقدير حذف ياء الإضافة تخفيفا / ﴿ان القوم﴾ أى عبدة العجل الذين

٣٥٦/

(١) فى ظ: سابق (٢) من ظ، وفد الأصل: اجتيال (٣ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: يابن.

يعرف قيامهم في الأمور التي يريدونها ﴿ استضعفوني ﴾ أى عدوني ضعيفا
وأوجدوا ضعفى بارهايم لي ﴿ وكادوا يقتلونى ﴾ أى قاربوا ذلك
لإنكارى^١ ما فعلوه [فسقط عنى الوجوب - ٢] .

ولما تسبب عن ذلك إطلاقه، خاف أن يمنعه الغضب من ثبات
ه ذلك في ذهنه وقرره في قلبه فقال : ﴿ فلا تشمت بي الأعداء ﴾ أى
لا تسرم بما تفعل بي فأكون ملوما منهم ومنك ؛ ولما استعطفه بالتذكير
بالشامة التي هي شامة به أيضا، أتبعه ضررا يخصه فقال : ﴿ ولا تجعلني ﴾
أى بمؤاخذتك لي ﴿ مع القوم الظالمين ه ﴾ أى فقطعن بعدك لي معهم
وجعلني في زمرتهم عن أحب من الصالحين ، وتصلني^٢ بمن أبغضه من
١٠ الفاسدين الذين^٣ فعلوا فعل من هو في الظلام ، فوضعوا العبادة في غير
موضعها من غير شبهة ولا لبس أصلا .

ولما تبين له ما هو اللائق بمنصب أخيه الشريف من أنه لم يقصر^٤
في دعائهم إلى الله ولا وني في نهيهم عن الضلال ، ورأى أن ما ظهر
له^٥ من الغضب مرهب^٦ لقومه وازع لهم عما ارتكبوا ، دعاه له ولنفسه
١٥ مع الاعتراف بالعجز وأنه لا يسع أحدا إلا العفو ، وساق سبحانه ذلك
مساق الجواب لسؤال بقوله : ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلى ﴿ اغفر لي ﴾
أى ما حملني عليه الغضب لك من إيقاعى بأخى ﴿ ولاخى ﴾ أى في
كونه لما يبلغ ما كنت أريده منه من جهادهم .

ولما دعا بمحو التقصير ، أتبعه الإكرام فقال : ﴿ وادخلنا ﴾ أى

(١) في ظ : لانكار (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : تسرلى (٤) في ظ : الذى (ه) في
ظ : لم يقتصر (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : موجب .

أنا وأخى وكل من انتظم معنا ﴿ في رحمتك ﴾ لتكون غامرة لنا بحبطة بنا ؛
ولما كان التقدير : فانت خير الغافرين ، عطف عليه : ﴿ وانت ارحم الراحمين ﴾
أى لأنك تنعم بما لا يحصره الجدد ولا يحصيه العد من غير نفع يصل إليك
ولا أذى يلحقك بفعل ذلك ولا تركه .

ولما كان السؤال له ولأخيه وهما معصومان من الذنوب ، طوى ه
ما يتعلق بالمغفرة وذكر متعلق الرحمة بخلاف ما يأتى فى السؤال له
وللسبعين من قومه فانه عكس فيه ذلك ؛ ولما صحت براءة الخليفة ،
وأشير إلى أنه مع ذلك فقير إلى المغفرة ، التفتت^١ النفس إلى حال
المفسدين فقال مخبراً عن ذلك : ﴿ ان الذين اتخذوا العجل ﴾ أى رغبوا
رغبة تامة فى أخذهم إليها مع المخالفة لما ركز^٢ فى الفطرة الأولى ودعاهم ١٠
إليه الكلم عليه السلام ﴿ سينالهم ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ غضب ﴾
أى عقوبة فيها طرد أو إبعاد ، ولعله ما أمروا به من قتل أنفسهم ، وأشار
إلى أنه فيه رفق بهم وحسن تربية لتوبة من يبق منهم بقوله : ﴿ من ربهم ﴾
أى الذى لا محسن إليهم غيره ، يلحقهم فى الدنيا ويتبعهم فى الآخرة
﴿ وذلة فى الحياة الدنيا ﴾ أى جزأ لهم على اقترائهم وكذلك^٣ من رضى ١٥
فعلهم ولا سيما إن كان من أولادهم كقريظة والنضير وأهل خيبر
﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل جزائهم ﴿ نجزى المقتربين ﴾ أى المتعمدين
للكذب ، وهذا نص فى أن كل مفتر ذليل - كما هو المشاهد - وإن
أظهر الجراءة بعضهم .

(١) من ظ ، وفى الأصل : التفت (٢) فى ظ : ذكر (٣) فى ظ : ذلك .

ولما ذكر المصرين على المعصية، عطف عليه التائبين ترغيباً في مثل
 حالهم فقال: ﴿والذين عملوا السيئات﴾ عبر بالعمل إشارة إلى بالغفو وإن
 أقدموا عليها على علم، وجمع إعلاما بأنه لا يتعاضله ذنب وإن عظم
 وكثر وإن طال زمانه، ولذلك عطف بأداة البعد فقال: ﴿ثم تابوا﴾
 ٥ وحقق الأمر ونفى المجاز بقوله: ﴿من بعدها﴾ ثم ذكر الأساس الذي
 لا يقبل عمل لم يبن عليه على وجه يفهم أنه لا فرق بين أن يكون في
 السيئات ردة أو لا فقال: ﴿واؤمنوا﴾ ثم أجاب المبتدأ بقوله: ﴿إن ربك﴾
 أى المحسن إليك بقبول توبة التائبين لما / سيرك^١ من ذلك لأنك بهم رؤف
 رحيم ﴿من بعدها﴾ أى التوبة ﴿لغفور﴾ أى غناه لذنوب التائبين
 ١٠ عينا وأثرا وإن عظمت وكثرت ﴿رحيمه﴾ أى فاعل بهم فعل الرحيم
 من البر والإكرام واللاطف والإنعام، وكأن المصرين هم الذين قتلوا لما
 أمرهم موسى عليه السلام بقتل أنفسهم، فلما أهلك المصر وتاب الباقي،
 وصحت براءة أخيه وبقاؤه على رتبته من الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر والاجتهاد في أمر الله، زال موجب الغضب فأخبر سبحانه
 ١٥ عما يعقبه^٢ فقال: ﴿ولما سكت﴾ أى كف، شبه الغضب بمتكلم كان
 يحث موسى عليه السلام ويغريه على ما يوجهه ويقضيه، فلما^٣ شفى غظه
 سكن وقطع كلامه خلفه ضده وهو الرضى ﴿عن موسى الغضب﴾
 وهو غليان القلب بما يتأذى به النفس ﴿أخذ الالواح﴾ أى التى جاء

(١) من ظ، وفى الأصل: شرك (٢) فى ظ: تعقبه (٣) من ظ، وفى الأصل:

على - كذا (٤) فى ظ: تناذى .

بها من عند الله بعد ما ألقاها ﴿ وفي ﴾ أى والحال أنه فى ﴿ نسختها ﴾
 أى الأمر المكتوب فيها ، فعلة بمعنى مفعولة ، وعن ابن عباس أنه لما
 ألقاها صام - 'مثل ما كان صام' للناجاة - أربعين يوما أخرى ، فردت
 عليه فى لوحين مكان ما تكسر^١ . ﴿ هدى ﴾ أى شىء^٢ موضع للقاصد
 ﴿ ورحمة ﴾ أى سبب الاكرام ﴿ للذين هم لربهم ﴾ أى لا لغيره^٣
 ﴿ يرهبون ﴾ أى هم أهل لأن يخافوا خوفا عظيما مقطعا^٤ للقلوب موجبا
 للهرب و يستمرون على ذلك .

شرح ما فى هذه الآيات من عند قوله "ساوريكم دار الفسقين"
 من البدائع من التوراة - قال المترجم فى السفر الخامس منها بعد أن بكتهم
 ببعض ما فعلوه مما أوجب لهم الغضب والعقوبة بالتيه وحثم على لزوم ١٠
 أمر الله لينصرهم : وأما الوصايا التى أمركم بها اليوم فاحفظوها واعملوا
 بها لتحيا وتكثروا وترثوا الأرض التى أقسم الله لآبائكم فتذكروا كل
 الطريق الذى سيركم الله ربكم فيه ، ودبركم منذ أربعين سنة فى البرية ليواضعكم
 ويحربكم وليعلم^٥ ما فى قلوبكم هل تحفظون^٦ وصاياهم أم لا ، فواضعكم
 وأجاعكم^٧ وأطعمكم منّا لم تعرفوه أتم ولا آباؤكم ليبين لكم أنه ليس إنما ١٥
 يعيش الإنسان بالخبز فقط ، بل إنما يعيش بما يخرج من فم الله ، ولم تبل ثيابكم
 ولم تحف أقدامكم منذ أربعين سنة ، احفظوا وصايا الله ربكم وسيروا فى

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ : تسكر - كذا (٣) سقط من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : معطما (٥) من ظ ، وفى الأصل : يعلم (٦) من ظ ،

وفى الأصل : يحفظون (٧) فى ظ : اجاعلكم - كذا .

طرقه و اتقوه ، لأن الله ربكم هو الذى يدخلكم إلى الأرض المخصبة ،
 أرض كثيرة^١ الأودية و الينابيع و العيون التى تجرى فى الصحارى و الجبال ،
 أرض الحنطة و الشعير ، فيها الكروم و التين و الرمان و الزيتون و الدهن
 و العسل ، أرض لا تحتاجون^٢ فيها و لا تأكلون خبزكم بالفقر ، و لا يعوزكم
 ٥ فيها شئ ، أرض حجارتها حديد تستخرجون^٣ النحاس من جبالها ، فاحفظوا^٤ ،
 لا تنسوا الله ربكم ، و احفظوا وصاياه و شرائعه التى أمركم بها اليوم ،
 لا تبطروا ، فإذا أكلتم و شبعتم و بنيتم بيوتا و سكتموها و كثر غنمكم
 و بقركم و كثرت أموالكم فتعظم قلوبكم و تنسوا الله ربكم الذى أخرجكم
 من أرض مصر و أنقذكم من "عبودية و دبركم فى البرية المرهوبة العظيمة
 ١٠ حيث الحيات الحردات و العقارب و فى مواضع العطش و حيث لم يكن
 لكم ماء ، أخرج لكم من ماء الظران^٥ ، و أطعمكم منا لم يعرفه^٦ آباؤكم
 ليواضعكم و يجربكم و يحسن إليكم آخر ذلك ، و انظروا ، لا تقولوا فى قلوبكم
 إنما استفدنا هذه الأموال بقوتنا و عزة قلوبنا ، و لكن اذكروا الله ربكم
 الذى قواكم أن تستفيدوا هذه الأموال ليثبت العهد الذى أقسم لآبائكم ،
 ١٥ و إن أنتم نسيتم الله ربكم و تبعتم آلهة أخرى و عبدتموها و سجدتم لها
 أشهدت عليكم / اليوم فأعلمتكم^٧ أنكم تهلكون^٨ هلاك سوء ، كما أهلكت
 الشعوب التى أباد الرب بين أيديكم كذلك تهلكون^٩ ، اسمعوا يا بنى إسرائيل !

/٣٥٨

- (١) من ظ ، و فى الأصل : كثير (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يحتاجون .
 (٣) من ظ ، و فى الأصل : يستخرجون (٤) فى ظ : فاحفظوا (٥) جمع الظر
 و الظرر و الظورة : الحجر (٦) فى ظ : لم تعرفه (٧) من ظ ، و فى الأصل :
 أعلمتم - كذا (٨ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ .

بل أتم تجوزون اليوم نهر الأردن و تنطلقون^١ لتمتلكوا^٢ الشعوب التي
هي أقوى و أعظم منكم و تظفروا^٣ بالقرى الكبار المشيدة إلى السماء^٤ و بشعب
كبير عظيم بنى^٥ الجبارة ، و قد علمتم و سمعتم أنه ما يقدر إنسان أن يقوم
بين يدي الجبارة ، و تعلمون يومكم هذا أن الله ربكم يحوز أمامكم و هو نار
محرقة ، و هو يهلكهم و يهزمهم أمامكم . و لا تقولوا في قلوبكم إنه إنما أدخلنا ه
الرب ليرث هذه الأرض من أجل برنا ، لأنه إنما يهلك الرب هذه الشعوب
من أجل خطاياهم ، و ليثبت الأقوال التي وعد بها آباءكم إبراهيم و إسحاق
و يعقوب ، فاعلموا أنه ليس من أجل بركم يورثكم الله هذه الأرض المخصبة ،
لأنكم صلاب الرقاب ، اذكروا و لا تنسوا أنكم أسخطتم الله ربكم في البرية منذ
يوم خرجتم من أرض مصر حتى انتهيتم إلى هذه البلاد ، و لم تزالوا مسخطين لله ١٠
ربكم و بجوريب^٦ أيضا أغضبتم الرب ، و غضب الرب عليكم و أراد هلاككم
حيث صعدت إلى الجبل و أخذت لوحى العهد الذى عاهدكم الرب ، و مكثت
في الجبل أربعين يوما بليلاتها لم أذق خبزا و لم أشرب^٧ ماء ، و أعطاني الرب
لوحين من حجارة مكتوب عليهما باصبع^٨ الله ، و كانت كل الآيات
التي كلمكم الرب بها من الجبل يوم الجماعة و من بعد الأربعين ، و أعطاني ١٥
(١) في ظ : تنطقون (٢) من ظ ، وفي الأصل : بذلك (٣) من ظ ، وفي الأصل :
نطقوا - كذا (٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : شعب كثير (٥) من ظ ،
وفي الأصل : من (٦) من ظ ، وفي الأصل : نحورب - كذا (٧) في ظ :
لم اشرف - كذا (٨) في ظ : اصبع .

لوحى العهد، قال لى الرب: قم فانزل من^١ هاهنا سريعا، لان شعبك
الذى أخرجته من أرض مصر قد فسدوا ومالوا عن الطريق الذى
أمرتهم^٢ عاجلا، وعملوا لهم إلها مسبوكا. وقال لى الرب: رأيت هذا
الشعب^٣ فاذا هو شعب قاسى القلب، فدعنى الآن حتى أهلكهم وأبدي
أسماءهم من تحت السماء وأصيرك مدبر الشعب^٤ أعظم وأعز منهم،
وأقبلت فزلت من الجبل والجبل يشتعل نارا ولوحا العهد يبدى^٥،
ورأيت أنكم أذنبتُم أمام الله ربكم سريعا، وعمدت إلى لوحى الحجارة
فرميت^٦ بهما من يدي وكسرتهما قدامكم، وصليت أمام الرب كما صليت
أولا أربعين يوما بلياليها، لم أذق طعاما ولم أشرب شرابا من أجل جميع
الخطايا التى^٧ ارتكبتم وما علمتم من الشر بين يدي الرب وأغضبتموه:
لأنى^٨ فرقت وخفت غضب الله وزجره أنه أراد إهلاككم،
واستجاب الله [لى -^٩] فى ذلك الزمان، وأما عجل خطاياكم الذى
علمتموه^{١٠} فأخذته وأحرقته بالنار وسحقته وطحنته جدا حتى صار مثل
التراب وطرحت ترابه فى الوادى الذى ينزل فى الجبل، وبالحرىق
١٥ والبلايا وبقبور أصحاب الشهوة، أغضبتم الرب، وإذ أرسلكم ربكم من
رقام الحى وقال لكم: اصعدوا ورثوا الأرض^{١١} التى أعطيتكم^{١٢}، اجتنبتُم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: امرهم (٣-٢) سقط ما بين الرقين

من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: يدك (٥) فى ظ: فرمى (٦) فى ظ: الذى.

(٧) فى ظ: كافى (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، وفى الأصل: علمتموه.

(١٠-١١) فى ظ: الذى اعطيتكم.

قول الرب وأغضبتموه ولم تؤمنوا به ولم تسمعوا قوله ، ولم تزالوا لله
 مسخطين منذ يوم عرقتكم . وصليت أمام الرب أربعين يوما بلبا إليها ، لأن
 الرب أمر بهلاككم ، وقلت في صلاتي : يا رب لا تهلك شعبك وميراثك
 الذي خلصته بعظمتك وأخرجتهم^١ من أرض مصر يد عزيزة ، ولكن
 اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ولا تنظر إلى معصية هذا الشعب ه
 وإثمه وخطاياهم ، لئلا يقول سكان تلك الأرض التي أخرجتهم منها :
 إن الرب لم يقو أن يدخلهم الأرض التي قال لهم ، وإنما أخرجهم من
 عندنا لبغضه لهم ليضلهم في البرية ، وهو شعبك / وميراثك الذي أخرجتهم
 بقوتك العظيمة وذراعتك^٢ العزيزة ، فقال لي الرب في ذلك الزمان أن
 انقر لوحين من حجارة مثل اللوحين الأولين واصعد^٣ إلى الجبل إلى^٤ ١٠
 و اعمل تابوتا من خشب الشمشاد - وفي نسخة : السنط - وفقرت اللوحين
 من الحجارة مثل اللوحين [الأولين و صعدت إلى الجبل و اللوحان في
 يدي ، وكتب على اللوحين -^٥] الكتاب الأول^٦ ، وهي العشر الآيات التي
 كلمكم الرب بها من الجبل من النار يوم الجماعة ، ودفعها الرب إليّ فأقبلت
 نازلا من الجبل و وضعت اللوحين في التابوت الذي عملت و تركتهما فيه ١٥
 كما أمر الرب ، و ارتحل بنو إسرائيل من ثروات^٧ بني يعقان و موسار ،
 وتوفي هارون هناك ، و صار اليعازر ابنه حبرا مكانه ، و ارتحلوا من هناك
 إلى جدجد ، و من جدجد إلى يطبت^٨ أرض مسابيل الماء ، في ذلك الزمان
 أفرز الرب سبط لاوى ليحملوا تابوت عهد الرب ، وأن

(١) في ظ : اخرجهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : ذراعتك (٣) في ظ : اصعدوا .
 (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) في ظ : الاولين (٦) في ظ : بروات .
 (٧) من ظ ، وفي الأصل : يطب .

يقوموا أمام الرب ويخدموه وأن يتركوا^١ باسم الرب إلى اليوم ،
ولذلك ليس لبنى لاوى حصة مع بنى إسرائيل في ميراثهم ، لأن ميراثهم
لله ربهم [كما - ٢] قال لهم ، وأنا قمت بين يدي الرب في الجبل مثل
الأيام الأولى أربعين يوما بلياليها ، واستجاب لى الرب فى ذلك الزمان
ه أيضا ، ولم يخذلكم الله ربكم ولم يفسدكم ، وقال [لى - ٢] الرب : قم فارتحل
وسر أمام الشعب^٢ ليدخلوا ويرثوا^٣ الأرض التى أقسمت لأبائهم أن
أعطيههم ، والآن يا بنى إسرائيل ما الذى يطلب الله ربكم منكم^٤ ما يطلب
الآن إلا أن تتقوا الله ربكم من كل قلوبكم وتسبخوا^٥ فى طريقه وتعبوه ،
وأن تعبدوا الله ربكم من كل قلوبكم وأنفسكم ، وأن تحفظوا وصايا الله ربكم
١٠ التى أمركم بها اليوم ليحسن إليكم لأن السماء وسماء السماء هما لله ربكم والأرض
وجميع ما فيها ، وبآبائكم وخدمهم سر الرب وأحبهم وانتخب نسلهم^٦
من بعدهم وفضلهم على جميع الشعوب كالיום ، اختننوا غلفة^٧ قلوبكم ،
ولا تقسوا رقابكم أيضا^٨ ، لأن الله ربكم هو إله الآلهة ورب الأرباب ،
إله عظيم جبار مرهوب لا يحابى ولا يرتشى ، ينصف^٩ للأيتام والأرامل ،
١٥ ويحب الذى يقبل إليه برزقه^{١٠} طعاما وكسوة ، فأحبوا الذين يقبلون إليه
واذكروا أنكم كنتم سكانا^{١١} بأرض مصر ، فاتقوا الله ربكم واتبعوه واعبدوه^{١٢}

(١) من ظ ، وفى الأصل : يتركوا (٢) زيد من ظ (٣-٣) من التوراة ، وفى
الأصل وظ : لتدخلوا وترثوا (٤) من ظ ، وفى الأصل : سيروا (٥) من ظ ،
وفى الأصل : سيلاهم (٦) فى ظ : غلفة (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : ينصف .
(٩) فى ظ : يرزقه (١٠) فى ظ : سكننا (١١) فى ظ : اعبدوا .

و أقسموا باسمه ، لأنه إلهكم ومريحكم ، وهو الذى أكمل لديكم العجايب
 'التي رأت' أعينكم ، واعلموا أنه إنما أنزل آباءكم إلى مصر سبعين رجلا ،
 والآن فقد كثركم الله ربكم مثل نجوم السماء ، أحبوا الله ربكم واحفظوا سننه
 وأحكامه كل الأيام ، واعلموا يومكم^٢ هذا أنه ليس لبيكم الذين لم يعاينوا
 ولم يعلموا ما رب الرب وعظمته^٣ ويده^٤ المنية وذراعه العظيمة^٥
 وآياته وأعماله التي عمل بمصر وفرعون ملك مصر وكل أرضه وما صنع
 بأجناده ملك مصر وما فعل بالخيول والمراكب وفرسانها الذين^٦ قلب
 عليهم ماء بحر سوف حيث خرجوا في طلبكم وأهلكهم الرب إلى اليوم
 وجميع ما صنع بكم في البرية حيث اتهمتم إلى هذه البلاد وما صنع بدائن^٧
 وأيرم ابني أليب بن رويل الذين^٨ فتحت الأرض فاهها وابتلعتهما وبيتها ،
 وخيامهم وكل شيء هو لهم إذ^٩ كانوا قياما على أرجلهم بين يدي جميع
 بني إسرائيل ، ولكن قد رأت أعينكم جميع أعمال الله العظيمة التي عمل ،
 فاحفظوا جميع الوصايا التي أمركم الله بها اليوم لتدخلوا الأرض التي تجوزون
 إليها لثروتها وتطول أعماركم في الأرض التي أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم^{١٠}
 ويرثها نسلهم - وستأتي تتمته إن شاء الله تعالى عند " ولقد بوأنا بني إسرائيل^{١٥}

(١-١) في ظ : الذي رايت (٢) من ظ ، وفي الأصل : ابويكم (٣-٣) سقط

ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : باخبار (٥) في ظ : التي .

(٦) من التوراة ، وفي الأصل : بدابان ، وفي ظ : بدابان - كذا (٧) من

التوراة ، وفي الأصل و ظ : الذين (٨) في ظ : اذا (٩) من ظ ، وفي الأصل :

تعطيهم .

مبوء صدق"، وفيه من التشابه قوله : فم الله ، وإصبع الله ، و الأول
- لكونه^١ لا يجوز إطلاقه في شرعنا - مأول بالكلام ، والثاني بالقدرة .

ولما فرغ سبحانه من ذكر الوعد بالمقات المقصود به سعى الكلم

/ عليه السلام فيما يهديهم إلى صراط الله ، وذكر سعيهم ثم فيما أضلهم عن / ٣٦٠

٥ الطريق باتخاذهم العجل ، و كان ختام ذلك ما بدا من موسى عليه السلام من

الشفقة على أخيه ثم على الكافة بأخذ الألواح عند الفراغ مما يجب من

الغضب لله ، رد الكلام على ذكر شيء فعله في المقات مراد به عصمتهم في

صراط الله بنقلهم - بمشاركته^٢ في سماعهم لكلام الله - من علم اليقين إلى

عين اليقين بل حق اليقين شفقة عليهم ورحمة لهم ، ليكون إخبارهم عما رأوا

١٠ مؤيدا لما يخبر به ، فيكون ذلك سببا^٣ لحفظهم من مثل ما وقعوا فيه من عبادة

العجل ، ومع ذلك وقع منهم العصيان بطلب ما لا ينبغي لهم من الرؤية

على وجه التعنت ، فقال : (واختار) أى اجتهد في أخذ الخيار

(موسى قومه) ثم أبدل منهم قوله : (سبعين رجلا) إشارة إلى أن

من عداهم عدم ، لا يطلق عليهم اسم القوم في المعنى الذى أرادوه ، وهو

١٥ نحو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن ابن عمر

رضى الله عنهما : الناس كالإبل المائة ، لا تكاد تجد فيها راحلة ، ثم ذكر

علة الاختيار فقال : (لمقاتنا) أى^٤ فما اختار إلا من رأى أنه يصلح

لما نريد من عظمتنا في الوقت الذى حددناه^٥ له ، ودنا بهم من الحضرة

(١) في الأصل وظ ، كونه^(٢) من ظ ، وفي الأصل : بمشاركتهم (٣) من

ظ ، وفي الأصل : مسيبا (٤) من ظ ، وفي الأصل : مما (٥) سقط من ظ .

(٦) في ظ : جددناه .

الخطاية في الجبل^١ هو و هارون عليهما السلام ، واستخلف على بني إسرائيل
يوشع بن نون عليه السلام ، كل ذلك عن أمر الله له ، و [في -^٢] هذا
الكلام عطف على قوله ” و وعدنا^٣ موسى ثلاثين ليلة ” فيكون الميقات
هو الأول و هو ظاهر التوراة كما مريانه في البقرة ، و يجوز أن يكون
عطفًا على قوله ” و اتخذ قوم موسى ” أو على قوله ” اخذ الألواح ” ه
و حينئذ يكون هذا الميقات غير الميقات الأول ، و يؤيده ما نقل من أن
هارون عليه السلام كان معهم ، و تأتهم لما سمعوا كلام الله طلب بعضهم
الرؤية جاعليها شرطًا لإيمانهم فقالوا ” لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ”
كما فعل النقباء الاثنا عشر حين أرسلهم لجس أحوال الجبارين فنقض^٤
أكثرهم . فأخذتهم الرجفة فماتوا ، فخشى موسى عليه السلام أن يثمه ١٠
بنو إسرائيل في موتهم كنفس^٥ واحدة ﴿ فلما أخذتهم ﴾ أى أخذ قهر
و غلبة ﴿ الرجفة ﴾ أى التى سببتها الصاعقة التى تقدمت في البقرة ،
فزلزلت قلوبهم فماتتهم . و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هؤلاء
غير السبعين الذين قالوا ” ارنا الله جهرة فاخذتهم الصعقة ” و أن أولئك
كانوا قبل هؤلاء ، فالظاهر أن سبب الرجفة ما رأوا عند سماع الكلام ١٥
من جلال الله و عظيم هيئته من الغمام^٦ الذى تغشى الجبل و القفار و البروق
و أصوات القرون و غير ذلك بحيث كادت الرجفة - و هى رعدة^٧ -
تفرق أوصالهم بعضها من بعض ﴿ قال ﴾ أى موسى تملقا لربه سبحانه
(١) فى ظ : الجبلية (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اوعدنا - كذا (٤) سورة ٢
آية ٥٥ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لنقض (٦) فى ظ : كوت (٧) سورة ٤
آية ١٥٢ (٨) فى ظ : العظام (٩) زيد فى ظ : كانت .

((رب)) أى أيها 'المحسن إلى' ((لو شئت اهلكتهم)) أى أمّتهم .
 ولما لم يكن إهلاكهم مستغرقا للاضى ، أدخل الجار فقال :
 ((من قبل و اياى)) أى قدرتك على و عليهم قبل أن نقرب من هذه
 الحضرة المقدسة ونحن بحضرة قومنا كقدرتك علينا حين تشرّفنا بها ، وقد
 أسبلت علينا ذيل عفوك وأسبغت علينا نعمتك ونحن فى غير هذه الحضرة
 ه فلم تهلكنا ، فانعامك علينا ونحن فى حضرة القدس و بساط القرب
 والانس أولى .

ثم لما كان الحال مقتضيا لأن يقال : ألم تر إلى ما اجترؤا عليه ،
 وكان كأنه قال : إنما قال ذلك قوم منهم سفهاء ، دل [على - ٢] ذلك
 ١٠ بقوله استعظافا : ((اتهلكنا)) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن
 رجفتهم كانت بسبب أنهم لم ينهوا عن عبادة العجل مع أنهم لم يرضوا
 بذلك . وكان موسى عليه السلام عبر بهذه العبارة المقتضية لإهلاك
 الجميع لأنه جوز أنه كما أهلك هؤلاء يهلك غيرهم / لتقصير آخر بسبب
 ذلك كعدم الجهاد مثلا حتى يعمهم الهلاك ((بما فعل السفهاء منا))
 ١٥ فكأنه صلى الله عليه وسلم رضى أنه . إن لم يشملهم العفو أن يخص العفو
 بمن لم يذنب بالفعل و يعفو عن قصر بالسكوت ، وعلى تقدير كون الميقات
 غير الأول يجوز أن يكون بعد اتخاذهم العجل كما تقدم عن ابن عباس
 رضى الله عنهما ، فيكون موسى عليه السلام خاف أن يكون إهلاكهم
 فتنة لبنى إسرائيل و سببا لكفرهم كما كان إبطاؤه عنهم بزيادة عشرة أيام

/ ٣٦١

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تقرب (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى
 الأصل : جواز (ه) من ظ ، وفى الأصل : يغفر .

على الثلاثين في الميقات الأول سيداً لاتخاذهم العجل ، ويجوز حيثئذ أن يراد بفعل السفهاء اتخاذ العجل ، ويؤيده التعبير بالفعل دون القول وقد تقدم [نقله - ١] عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ولما كان قوله هذا ربما أفهم رضاه بهلاك المذنبين^٢ ، قال معرضاً بالسؤال في العفو عن الجميع : ﴿ ان هى ﴾ أى الفتنة التى أوتعتها^٣ السفهاء هـ ﴿ الا فتنتك^٤ ﴾ أى ابتلاؤك واختبارك ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ أى تظهره فى عالم الشهادة من ضلاله^٥ ما كان معلوما لك فى عالم الغيب ﴿ وتهدى من تشاء^٦ ﴾ أى تظهره ما فى علمك من ذلك .

ولما أثبت أن الكل بيده ، استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الأصلح فقال : ﴿ انت ﴾ [أى وحدك - ١] ﴿ ولينا ﴾ أى نعتقد أنه لا يقدر^{١٠} على عمل مصالحنا غيرك ، وأنت لا تقمع لك فى شىء من الأمور ولا ضرر ، بل الكل بالنسبة إليك على حد سواء ، ونحن على بصيرة^٧ من أن أفعالك لاتعلل بالأغراض ، وعفوك عنا ينفعنا و انتقامك منا يضرنا ، ونحن فى حضرتك قد انقطعنا إليك وحططنا رحال افتقارنا لديك .

ولما أثبت أنه الفعال لما يشاء وأنه لا ولى لهم غيره ، وكان من ١٥ شأن الولى جلب النفع ودفع الضرر ، سبب عن كونه الولى وحده قوله بادئاً بدفع الضرر : ﴿ فاغفر لنا ﴾ أى امح ذنوبنا ﴿ وارحما ﴾ أى ارفقنا ؛ ولما كان التقدير : فأنت خير الراحمين ، عطف عليه قوله : ﴿ وانت خير الغفرين هـ ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : المائنين - كذا (٣) فى ظ : واقعتها .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : يظهر (هـ) فى ظ : ضلاله (٦) فى ظ : لا تقدر .

(٧) فى ظ : بصير .

أى لأن غيرك يتجاوز عن الذنب للثناء أو الثواب أو دفعا للصفة الحسنة
وهى صفة الحقد ونحوه ، وأنت منزّه عن ذلك ، وكأنه أحسن العفو عنهم
فقال عاطفا على سؤاله فيه : ﴿ واكتب لنا ﴾ أى فى مدة إحيائك لنا
﴿ فى هذه الدنيا ﴾ أى الحاضرة والدنية ﴿ حسنة ﴾ أى عيشة راضية
هـ و حياة طيبة ﴿ وفى ﴾ الحياة ﴿ الآخرة ﴾ أى كذلك ؛ ثم علل ذلك
بقوله : ﴿ انا هدنا ﴾ أى تبنا ﴿ اليك ﴾ أى عما لا يليق بجنانك كما
أمرتنا أن نجبر ما عساه يقع منا بالمبادرة إلى التوبة ، فبدأ بذكر عزة الربوبية
وثنى بذلة^١ العبودية وهما أقوى أسباب السعادة ، وهذا تلقين لهم
وتعليم وتحذير^٢ من مثل ما^٣ وقعوا فيه وحث على التسليم ، وكأنه لما
١٠ كان ذنبهم الجهر بما لا يليق به سبحانه من طلب الرؤية ، عبر بهذا اللفظ
أو ما يدل على مغناه تنبيهها لهم على أن اسمهم يدل على التوبة والرجوع
إلى الحق والصيرورة إلى الصلاح واللين والضعف فى الصوت والاستكانة
فى الكلام والسكوت عما لا يليق ، وأن يهودا^٤ الذى أخذ اسمه من ذلك
إنما سموا به ونسبوا إليه تفاؤلا لهم ليتبادروا إلى التوبة .

١٥ ولما كان فى كلامه عليه السلام [إنكار - ^١] إهلاك الطائع بذنب
العاصي وإن كان ذلك^٥ إنما كان على سبيل الاستعطاف منه والتملق مع
العلم بأنه عدل منه تعالى وله أن يفعل ما يشاء بدليل قوله ” ولو شئت
اهلكتهم من قبل وإياى “ استأنف سبحانه الإخبار عن الجواب عن
كلامه على وجه منبه للجاهير على أن له التصرف المطلق بقوله :

(١) فى ظ : يذكر (٢-٢) فى ظ : لا (٣) من ظ ، وفى الأصل : يهود (٤) زيه
من ظ (٥) فى ظ : تلك .

(قال عذاب) أى اتقامى الذى يزيل كل عذوبة عن وقع به (اصيب به)
 أى فى الدنيا والآخرة (من اشاء ج) أى / ' اذنب أو لم يذنب ' ٣٦٢ /
 (ورحمى) أى إنعامى وإكرامى .

ولما كان الإيجاد من الرحمة فانه خير من العدم فهو إكرام فى
 الجملة ، قال : (وسعت كل شيء ١) أى هذا شأنها و صفتها فى نفس ه
 الامر وإن بلغ فى القبايح ما عساه أن يبلغ ٢ ، وهذا هو معنى حديث
 أبى هريرة فى الصحيح ه إن رحمى سبقت - وفى رواية : غلبت - غضبى ،
 سواء قلنا : إن السبق بمعنى الغلبة ، أو قلنا : إنه على بابه ، أما الاول فلأن
 تعلق الرحمة أكثر ، لأن كل من تعلق به الغضب تعلق به الرحمة بإيجاده
 وإفاضة الرزق عليه ، ولا عكس كالحيوانات العجم والجمادات ٣ وأهل ١٠
 السعادة من المؤمنين والملائكة والحوور وغيرهم من جنود الله التى لا تحصى .
 ولما ٢ أعلم أن رحمته واسعة وقدرته شاملة ، وكان ذلك موسعا للطمع ،
 سبب عن ذلك قوله ذاكرنا شرط إتمام تلك الرحمة ترهيبا لمن يتوانى عن
 تحصيل ذلك الشرط : (فساكتها) أى أخص بدوامها بوعده لاخلف فيه
 لأجل تمسكى بتمام القدرة بما أريد مبتوتا أمرها بالكتابة (للذين يتقون) ١٥
 أى يوجد لهم هذا الوصف الحامل على كل خير ولا يخل ٤ بوسمها
 أن أمنع دوامها بعد الإيجاد من غيرهم ، فان الكل لو دخلوا فيها دائما
 [ما - ٦] ضاقت بهم ، فهى فى نفسها واسعة و ٥ لكنى أفعل ما أشاء .

(١-١) فى ظ : اذنبت اولم تذنب (٢) من ظ ، وفى الأصل : تبلغ (٣-٣) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٤) فى الأصل : يمكن ، وفى ظ : تمكين (٥) من ظ ،
 وفى الأصل : لا ينجل (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

ولما ذكر نظرهم إلى الخالق بالانتهاه عما نهى عنه والالتزام بما أمر به ، أتبعه النظر إلى الخلائق فقال : ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ولعله خصها لأن فرضها كان في هذا الميقات كما تقدم في البقرة ولأنها أمانة فيما بين الخلق والخالق كما أن صفات النبي صلى الله عليه وسلم التي كتبها لهم و شرط قبول أعمالهم باتباعه كذلك ؛ ثم عمم بذكر ثمرة التقوى فقال مخرجا لمن يوجد منه ذاك الوصفان في الجملة على غير جهة العموم : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ أى كلها ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ أى يصدقون بالقلب و يقرون باللسان و يعملون تصديقا لذلك بالأركان ، فلا يكفرون ببعض و يؤمنون ببعض .

١٠ [ولما كان اليهود ربما ادعوا ذلك مكابرة ، أوضح غاية الإيضاح بقوله - ٢] : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ الرَّسُولُ ﴾ ولما كان هذا الوصف وحده غير مبين للمراد ولا صريح في الرسالة عن الله ولا في كونه من البشر ، قال : ﴿ النَّبِيُّ ﴾ أى الذى يأتيه الوحي من الله . فبدأ بالاشرف وثنى بما خصه برسالة الله و كونه من الآدميين لا من الملائكة .

١٥ ولما لم يتم المراد ، قال مبينا لأعظم المعجزات ، وهى أن علمه بغير معلم من البشر : ﴿ الْإِنَّمَى ﴾ أى الذى هو مع ذلك العلم المحيط على [صفة - ٣] الأم ، وأمة العرب لا يكتب ولا يقرأ ولا يخالط العلماء للتعليم منهم بل لتعليمهم . فانطبق الوصف على الموصوف مع التنويه

(١) فى ظ : اعلمها (٢) من ظ ، وفى الأصل : عنهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : الرسل (٥) من ظ ، وفى الأصل : جر - كذا .

بجلالة الاوصاف والتشويق إلى الموصوف ، [ولم يعطف لثلا يوم تعداد الموصوف - ١] ؛ والمعنى أنى لا أغفر لأحد من بنى إسرائيل ولا من غيرهم إلا إن اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه ، وتارة يخرج من القوة إلى الفعل من لحق زمان دعوته ، ^٢ فمن علم الله منه أنه لا يتبعه إذا أدركه لا يغفر له ٥ ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك ، وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق إليه عند مجيئه رب ولا يتعلل فى أمره بعلّة ، ولذلك أتبعه بقوله : ﴿ الذى ^٢ يحدونه ﴾ أى علماء بنى إسرائيل ؛ ولما اشتد تشوف السامع بذكر الوجدان ، قال : ﴿ مكتوبا ﴾ ثم قرب الامر بقوله : ﴿ عندهم ﴾ ثم بين أنه مما لا يدخله شك بقوله : ﴿ فى التوراة والابجيل ﴾ أى ١٠ الذين يعلمون أنها من عند الله ، بصفته البينة كما تقدم بيانه عما عللوا^١ عن تبديله منهما فى البقرة عند ” واذ ابتلى ابراهيم ربه “ وفى ال عمران عند ” ان الله اصطفى ادم ونوحا “ - الآيات ، وفى النساء عند ” وما قتلوه يقينا “ وفى التوراة أيضا من ذلك فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس : وإذا دخلتم الأرض التى يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا مثل ١٥ أعمال تلك الشعوب / ولا يوجد فيكم من يطلب تعليم العرافين ، ثم قال : ٣٦٣ / لأن هذه الشعوب التى ترثونها كانت تطيع العرافين والمنجمين ، فأما أنتم فليس هكذا يعطيكم^٤ الله ربكم ، بل يقيم لكم نيا من إخوانكم مثلى ،

(١) زيد من ظ (٢-٢) فظ : فعلم (٣) من ظ و القرآن الكريم وفى الأصل : الذين (٤) فظ : غفلوا (٥) آية ١٢٤ (٦) آية ٣٣ (٧) آية ١٥٧ (٨) فظ : يطيعكم .

فأطيعوا ذلك النبي كما طلبتم إلى الله ربكم في حوريب^١ يوم الجماعة^٢ وقلتم :
 لا نسمع صوت الله ربنا ولا تعان هذه النار العظيمة لثلاث^٣ نموت ،
 فقال الرب : ما أحسن ما تكلموا ، إني سأقيم لهم^٤ نيا من إخوتهم مثلك ،
 أجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما أمره به ، والذي لا يقبل قول ذلك
 ه النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن^٥ سبطه - انتهى . هكذا رأيته
 مترجما في بعض نسخ التوراة ، ثم رأيت السؤال بن يحيى المغربي ترجمه
 في كتابه الذي ذكر فيه سبب إسلامه وكان من أكابر علمائهم
 بل العلماء فقال : نيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك ، به فليؤمنوا -
 انتهى . وهو يعنى أن يكون هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه من
 ١٠ بنى سماعيل أخى إسحاق وقد أتى بشريعة مستقلة لا تعلق لها بشريعة قبلها
 ولا توقف^٦ لها عليها ، وذلك أن في^٧ العبارة كلمتين : مثل وإخوة ،
 وحقيقة^٨ الأخ ابن^٩ أحد الآبوين ، وهو لا يتأتى في أحد من أنبيائهم ،
 فأقرب المجاز^{١٠} إلى حقيقته الحمل على أخى الأب ، وهو إسماعيل عليه السلام ،
 والشائع في الاستعمال في نحو ذلك على تقدير إرادة أحد منهم أن يقال :
 ١٥ من أنفسهم ، لا من إخوتهم ، وحقيقة المثل المشارك في أخص الصفات ،

(١) من التوراة ، وفي الأصل : تحوريب ، وفي ظ : خوريب (٢) من ظ ، وفي
 الأصل : الجمعة (٣) من ظ ، وفي الأصل : كيلا (٤) في ظ : لكم (٥) من ظ ،
 وفي الأصل : منه - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : بها (٧) من ظ ، وفي
 الأصل : توصف (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : شقيقة (١٠) في ظ : بنى .
 (١١) من ظ ، وفي الأصل : المجازة .

وأخص صفات موسى عليه السلام الرسالة و الكتاب بشريعة مستقلة ،
و لم يأت منهم بعده من هو بهذه الصفة ، لأن عيسى عليه السلام لم ينسخ
من شريعة موسى عليه السلام إلا بعض الأحكام ، و على تقدير دعوى ذلك
فيه لكونه نسخ في الجملة و تسليم ذلك لا يتأتى قصده بهذا النص لوجهين :
أحدهما أنه ليس من رجالهم إلا بواسطة أمه ، فحق العبارة فيه : من نبي ه
أخواتهم - جمع أخت ، وإذا أريد آباء أمه كان المجاز فيهم أبعد من
المجاز في نبي إسماعيل لما تقدم ، و لا ينتقل إلى الأبعد إلا بقريئة تصرف
عن الأقرب - والله أعلم . و قال السموأل بن يحيى أحد أجبارهم في
سبب إسلامه : إن اليهود يقولون : إن هذه البشارة نزلت في [حق - ٢]
سموأل ٢ أحد أنبيائهم الذين بعد موسى لأنه كان ١ مثل موسى عليه السلام ١٠
في أنه من سبط لاوي ، و قال : إنه رأى سموأل ٢ عليه السلام في المنام
و أنه دفع إليه كتابا فوجد فيه هذه البشارة فقال له : هنيئا لك يا نبي الله
ما خصك الله به ! فظفر مغضبا و قال : أو إياي أراد الله بهذا يا ذكي !
ما أفادتك إذن البراهين الهندسية ، فقلت : يا نبي الله ! فمن أراد الله بهذا ؟
قال ٥ : الذي أراد في قوله : هوفيع ميهار فاران ، و تفسيره إشارة إلى نبوة ١٥
وعد بنزولها على جبال فاران ، فعرفت أنه يعنى المصطفى صلى الله عليه و سلم ،
لأنه المبعوث من جبال فاران و هي جبال مكة ، ثم قال : أو ما علمت أن الله
لم يبعث بشيء من التوراة ، وإنما بعثني أذكرهم بها و أحبي شرائعها
(١) في ظ : يقدم (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : شموا ل ، و في التوراة : سموئيل .
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : فقال (٦) من ظ ، و في الأصل : نسخ .

و أخلصهم من أهل فلسطين ، قلت : بلى يا نبي الله ! قال : فأى حاجة بهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ دينهم ولم يغير شريعتهم ، رأيتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة دانيال^١ أو يرميا أو حزقيل ؟ قلت : لا لعمرى ! فأخذ الكتاب من يدي^٢ وانصرف مغضبا فارتعت له غضبه وازدجرت لميعظته واستيقظت مذعورا . وقال في كتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود : إن الله يطلق الإخوة على غير بني إسرائيل / كما قال في بنى العيص بن إسحاق عليه السلام في الجزء الأول من السفر الخامس ما تفسيره^٣ : أنتم عابرون في تخم^٤ إخوتكم بنى العيص . فاذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص و إسرائيل ولدا^٥ ١٠. إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم عليهم السلام . قال : وفي الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة في ذكر البشارة لإبراهيم عليه السلام ما تفسيره : و أما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك ، ها قد باركت فيه وأثمره وأكثره جدا جدا ، وقال : إن جدا^٦ جدا بلسان العبراني مفسر " بماد ماد " وهاتان الكلمتان إذا عددنا حروفهما بحساب الجمل كان اثنتين^٧ ١٥. وتسعين ، وذلك عدد حساب حروف اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، يعنى فتعين أن يكون مرادا بها لأنها في البشارة بتكثير إسماعيل عليه السلام ، وليس في (١) في ظ : رسول (٢) من ظ ، وفي الأصل : دنيال (٣) في ظ : يدي (٤) من ظ ، وفي الأصل : يفسره (٥) من التوراة ، وفي الأصل : غم ، وفي ظ : نجم - كذا (٦) في ظ : واد (٧) في ظ : جد (٨) في ظ : اثنين .

أولاده

أولاده من كثره الله به وعدد اسمه هذا العدد غير محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وإنما جعل ذلك في هذا الموضع ملغزا ، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود أو أسقطته من التوراة كما عملوا^٢ في غيره - انتهى . وفي آخر فصول انثورة : دعا موسى عبد الله لبنى إسرائيل قبل وفاته وقال : أتى^٣ ربنا من سيناء وشرق لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبل - وفي نسخة : جبال - ه فاران ، معه^٤ ربوات الاطهار على يمينه ، أعطاهم وحببهم إلى الشعوب وبارك على جميع أطهاره^٥ ، و [هم -^٦] يتبعون آثارك^٧ ويتناقلون كلماتك^٨ . وفي نسخة بدل : معه ربوات الاطهار - إلى آخره : و أتى [من -^٩] ربوات القدس بشريعة نوره من يمينه لهم ، واصطفى أيضا شعبا ، فجميع خواصه في طاعتك وهم يقفون آثارك ويتناقلون كلماتك - ١٠ انتهى . فالذى ظهر من جبال فاران هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنهم معترفون أنها مكة ، ومع ربوات ، أى جماعات الاطهار ، وأمه حبيب إلى الشعوب ، لأن كلا من فريق أهل الكتاب يقدمهم على الفريق الآخر ، ولم يقبل أحد جميع كلام موسى عليه السلام ويتبع جميع آثاره في بشارته بمن يأتي بعده غيرهم - هذا وأما الإنجيل فالبشائر فيه أكثر وقد تقدم كثير منها ، ١٥ وهى تكاد^{١٠} أن تكون صريحة في سورة النساء في قصة رفعه عليه السلام ،

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) في ظ : عملوه (٣) في ظ : اتانا (٤) من ظ ، وفي الأصل : بعد - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل : اطهارهم (٦) زيد من ظ . (٧ - ٧) من ظ ، وفي الأصل : يقبلون كلامك (٨) زيد من التوراة (٩) في ظ : لا تكاد .

وما فيه أيضا ما في إنجيل متى وغيره وأغلب انسياق له : كثيرا أولون يصيرون آخريين و آخرون يصيرون أولين ، يشبه ملكوت السماوات إنسانا رب بيت خرج بالغداة يستأجر فعلة لكرمه فشارط الأكرة على دينار واحد في اليوم وأرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج في ثالث ساعة فأبصر آخريين قياما في السوق بطالين ، فقال لهم : امضوا أتم إلى كرمي وأنا أعطيك ما تستحقون ، فضوا ، وخرج أيضا في الساعة السادسة و التاسعة فصنع^١ كذلك ، وخرج في الحادية عشرة فوجد آخريين قياما ، فقال لهم : ما قيامكم^٢ كل النهار بطالين ؟ فقالوا له : لم يستأجرنا أحد ، فقال لهم : امضوا أتم بسرعة إلى الكرم وأنا أعطيك ما تستحقون ، فلما كان المساء قال رب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطيهم الأجرة وابدأ بهم من الآخريين إلى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة فأخذوا دينارا كل واحد ، فجاء الأولون فظنوا^٣ أنهم يأخذون أكثر فأخذوا دينارا كل واحد ، و [لما أخذوا -^٤] تعمقوا على رب البيت وقالوا : إن هؤلاء الآخريين عملوا ساعة واحدة ، جعلتهم أسوتنا ونحن حملنا ثقل^٥ النهار و حره ! فقال لواحد منهم : يا صاحب ! ما ظلمتك ، ألسنت بدينار شارطتك ، خذ شيئك و امض ، أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ، أو ما لي أن أفعل ما أردت بمالي ؟ وأنت عينك شريرة^٦ ، كذلك يكون الآخرون أولين^٧ ، و الأولون آخريين^٨ ، ما أكثر المدعويين^٩ و أقل المتخين ؛

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : قيامهم (٣-٢) في ظ : جاوا الأولين و ظنوا .

(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : نعمل - كذا (٦) في ظ : شرير .

(٧) في ظ : أولون (٨) في ظ : آخرون (٩) في ظ : الموعودين .

وقال : ودخل إلى الهيكل فجاء إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وقالوا له وهو يعلم : بأيّ سلطان تفعل^١ هذا ؟ ومن أعطاك هذا السلطان ؟ أجاب يسوع وقال لهم : أنا أسألكم عن كلمة واحدة ، فإن أنتم قلتم لي قلت لكم بأيّ سلطان أفعل هذا ، معمودية يوحنا من أين هي ؟ من السماء أو من الناس ؟ ففكروا في نفوسهم قائلين : إن قلنا : من السماء ، ه قال لنا : لما ذا لم تؤمنوا به ؟ وإن قلنا : من الناس ، خفنا من الجمع ؛ وقال لوقا : وإن قلنا من الناس فإن جميع الشعب يرجئنا لأنهم قد تيقنوا أن يوحنا نبي ؛ وقال متى : لأن^٢ يوحنا كان عندهم مثل نبي ؛ وقال مرقس : لأن جميعهم كان يقول : إن يوحنا نبي ؛ قال متى^٣ : فقالوا : لا نعلم ، فقال : ولا أنا أيضا أعلمكم بأيّ سلطان أفعل هذا . قال مرقس : وبدأ يكلمهم ١٠ بأمثال قائلا : قال متى : ما ذا تظنون بانسان كان له ابنان فجاء إلى الأول فقال له : يا بني اذهب اليوم واعمل في الكرم ، فأجاب وقال : ما أريد . وبعد ذلك ندم ومضى ، وجاء إلى الثاني وقال له^٤ مثل هذا فأجاب وقال : نعم يا رب ! أنا أمضي - ولم يمض ، من بينهما فعل إرادة الأب ؟ فقالوا له : الأول ، فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم ! إن العشارين ١٥ والزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله ، جاءكم يوحنا بطريق^٥ العدل فلم تؤمنوا به ، والعشارون والزناة آمنوا به ، فأما أنتم فرأيتم ذلك ولم تندموا^٦ أخيرا لتؤمنوا به . اسمعوا مثلاً آخر : إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاط^٧

(١) من ظ ، وفي الأصل : يفعل (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) في ظ :

لهم (٤) في ظ : بالطريق (٥) من ظ ، وفي الأصل : لم يتندموا (٦) في ظ : إحاق .

به سياجا وحفر فيه معصرة وبنى فيه برجاً ودفعه إلى فعلة وسافر - قال
لوقا : زمانا كثيرا - فلما قرب زمان الثمار أرسل عبيده إلى الفعلة ليأخذوا
ثمرته ، فأخذ الفعلة عبيده ، ضربوا بعضا وقتلوا بعضا ورجوا بعضا ،
فأرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين فصنعوا بهم كذلك ، وفي
٥ الآخر أرسل إليهم ابنه وقال : اعلهم يستحيون من ابني ، فلما رأى الفعلة
الابن قالوا : هذا هو الوارث تعالوا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذه
وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فاذا جاء رب البيت ما ذا يفعل بهؤلاء
الفعلة ؟ قالوا له : يهلكهم ويدفع الكرم إلى فعلة آخرين ليعطوه ثمرته
في حينه ، قال لهم يسوع : أما قرأتم [قط - ٢] في الكتب أن الحجر
١٠ الذي رذله البنائون صار رأس الزاوية ، هذا كان من قبل الرب وهو
عجب في أعيننا ، من هذا أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى
لأمم يصنعون ثمرتها ، ومن سقط على هذا الحجر ترضض ، ومن
سقط عليه طحنته . فلما سمع رؤساء الكهنة والفريسيين أمثاله علموا
أنه يقول من أجلهم ، فهموا أن يمسكوه وخافوا من الجموع لأنه كان
١٥ عندهم مثل نبي . وقال أيضا : يشبه ملكوت السماء رجلا صنع عرسا
لابنه ، فأرسل عبيده ليدعوا المدعويين إلى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا ،
ثم أرسل عبيدا آخرين وقال : قولوا للمدعويين : إن طعمامي معد ،
وعجولي المعلوقة قد ذبحت وكل شيء معد ، فتعالوا إلى العرس ، فتكاسلوا
(١) في ظ : ارسلوا (٢) من ظ ، وفي الأصل : ناخذه (٣) زيد من ظ (٤) في
ظ : امثالهم (٥) في ظ : فلما .

/ و ذهبوا فنهم إلى حقله و منهم إلى تجارتهم و البقية أسكوا عيده
 و شتموه^١ و قتلوه^٢ ، فلما بلغ الملك غضب و أرسل جنده و أهلك
 هؤلاء القتل و أحرق مدينتهم ؛ حيثئذ قال لعبيده : أما العرس فستعد ،
 و المدعوون فغير مستحقين ، اذهبوا إلى مسالك الطريق و كل من وجدتموه
 ادعوه إلى العرس ، فخرج أولئك العيد إلى الطرق^٣ فجمعوا كل من
 وجدوا أشرارا و صالحين ، فامتلا^٤ العرس من المتكئين ، فلما دخل الملك
 لينظر إلى المتكئين رأى هناك رجلا ليس عليه ثياب العرس [فقال :
 يا هذا ! كيف دخلت ههنا و ليس عليك ثياب العرس ؟] فسكت ،
 حيثئذ قال الملك للخدام : شدوا يديه و رجله و أخرجه^٥ إلى الظلة
 البرانية ، هناك يكون البكاء و صرير الأسنان ، ما أكثر المدعوين و أقل
 المتكئين . و عبارة لوقا عن ذلك : إنسان صنع وليمة عظيمة و دعا
 كثيرا ، فأرسل عبده^٦ يقول للمدعوين يأتون فهو ذا كل شيء معد ، فبدأوا
 بأجمعهم يستغفون ، فالأول قال : قد اشتريت كرمًا ، و الضرورة تدعوني
 إلى الخروج و نظره^٧ ، فأسألك أن تعفيني^٨ ، فاجيء ، و قال آخر :
 قد اشتريت خمسة أزواج بقر و أنا ماض أجز بها ، أسألك أن تعفيني^٩
 فاجيء ، و قال آخر^{١٠} : قد تزوجت امرأة ، لأجل ذلك ما أقدر أجيء ،
 فأتى العبد و أخبر سيده ، فحيئت غضب رب البيت و قال لعبده : اخرج

(١) من ظ ، و في الأصل : شتموه (٢) من ظ ، و في الأصل : الطريق (٣) زيد
 من ظ (٤) في ظ : اخرجوا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : نظيره (٧) في ظ :
 يعفيني (٨) في ظ : الآخر .

مسرعا إلى الطريق وشوارع المدينة وادع المساكين والعور والعميان والمقعدين^١، اخرج إلى الطريق والسيارات وألح عليهم حتى يدخلوا ويمتلئ^٢ يتي ولا أجد من هؤلاءك يذوق لي عشاء . وقال يوحنا : الحق أقول لكم! إن من^٣ لا يدخل من الباب إلى حظيرة^٤ الخراف ، بل يتسور ه من موضع آخر فان ذلك لص ، الذي يدخل من الباب هو راعي الخراف ، والباب يفتح له ، والخراف تسمع^٥ له ، و كباشه تتبعه^٦ لأنها تعرف صوته^٧ ، والراعي الصالح يذل^٨ نفسه عن الخراف ، فأما الآخر الذي ليس براع وليست^٩ الخراف له ، فاذا رأى الذئب قد أقبل يدع الخراف ويهرب ، فيأتى الذئب ويخطف ويبدد الخراف ، وإنما يهرب ١٠. الأجير لأنه مستأجر وليس يشفق على الخراف ، أنا الراعي الصالح ، ولئى كباش آخر ليست من هذا القطيع ، فيبنى^{١١} لى أن آتى بهم أيضا ، فكون^{١٢} الرعية واحدة ، فوقع أيضا بين اليهود خلف من أجل هذا القول وقال كثير منهم : إن به شيطانا قد جن ، فما استماعكم منه ! وقال آخرون : إن هذا ليس كلام مجنون . و^{١٣} فى أوائل السيرة الهاشمية^{١٤} : قال ابن إسحاق :

(١) زيد بعده فى إنجيل لوقا : فقال العبد : يا سيد ! قد صار كما أمرت ، و يوجد أيضا مكان (٢) فى ظ : تمتلئ (٣) فى ظ : ما (٤) من الإنجيل ، وفى الأصل وظ : حظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : يسمع (٦) من ظ ، وفى الأصل : يتبعه . (٧) فى ظ : صورته (٨) فى ظ : يبدأ (٩) فى ظ : ليس (١٠) سقط من ظ . (١١) من ظ ، وفى الأصل : ويكون (١٢) زيد فى ظ : قال (١٣) فى ظ : الهاشمية .

و قد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه^١ من الله فى الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أثبت يحسن الحوارى لهم حين^٢ نسخ لهم الإنجيل أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولو لا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، و لكن من الآن بطروا و ظنوا أنهم يعزوني و أيضا للرب ، و لكن ه لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس^٣ أنهم أبغضوني^٤ مجانا - أى باطلا ، فلو قد جاء المنحمن هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس^٥ ، هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على و أنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معى ، هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا^٦ . فالمنحمن بالسريانية محمد ، وهو بالرومية / البارقليطس - انتهى .

١٠ / ٣٦٧

ولما دل سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم بأوصافه فى نفسه و فى الكتب الإلهية ، دل عليه بشريعته فقال : (يا مرهم بالمعروف) أى بكل ما يعرفونه من التوراة و الإنجيل و ما يعرفونه فيهما أنه ينسخ شرعهم و يأتى من عند الله بهذا المذكور (و ينههم عن المنكر) أى عن كل ما ينكرونه فيهما ، فثبت^٧ بذلك رسالته ، فانه لكونه أميا لا يعرف^٨ المعروف و المنكر فيهما إلا و هو^٩ صادق عن علام الغيوب ؛ ثم شرع

(١) من ظ و السيرة ٨٠/١ ، و فى الأصل : جاء (٢) من السيرة ، و فى الأصل وظ : حتى (٣-٢) فى ظ : أنتم ابغضتموني (٤) من السيرة ، و فى الأصل وظ : القسط (٥) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : لاتسلكوا - كذا (٦) فى ظ : فثبت . (٧) فى ظ : هى .

بعد ثبوت رسالته يبين لهم ما في رسالته من المنة عليهم بالتخفيف عنهم باباحة ما كانوا قد حملوا ثقل تحريمه ، فكانوا لا يزالون يعصون الله باتهاك حرمة الله والإعراض عن تبعاته فقال : ﴿ ويحل لهم الطيبات ﴾ أى التى كانت حرمته عليهم عقوبة لهم كالشحوم^١ ﴿ ويحرم عليهم ﴾ [و عبر بصيغة الجمع إشارة إلى أن الحديث أكثر من الطيب فى كل مائى الأصل فقال -^٢] : ﴿ الحديث ﴾ أى كل ما يستنبهه الطبع السليم أو يؤدى [إلى -^٣] الحديث كالحذر المؤدية إلى الإسكار والرشى المؤدية إلى النار بعد قبيح العار ﴿ ويضع عنهم أصرهم ﴾ أى ثقلهم الذى كان حمل عليهم فجعلهم لثقله كالمحبوس المنوع من الحركة ﴿ والاعلأ التى كانت عليهم^٤ ﴾ أى جميع ما حملوه من الأثقال التى هى لثقلها^٥ وكرهه النفوس لها كالغلل الذى يجمع اليد إلى العنق فيذهب القوة ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ أى أوجدوا بسببه الأمان من التكذيب بشئ من آيات الله ﴿ وعزروه ﴾ أى منعه من كل من^٦ يريد^٧ بسوء وقوا يده تقوية عظيمة على^٨ كل من يكيد^٩؛ قال فى القاموس : و انتعزير : ضرب دون الحد أو هو^{١٠} أشد الضرب ، ١٥ و التفخيم و التعظيم ضد ، والإعانة كالعزر و التقوية و النصر - انتهى . و قال عبد الحق : العزر : المنع ، تقول : عزرت فلانا عن كذا ، أى منعت - انتهى . فالمادة كلها تدور على هذا المعنى و الضرب واضح فيه ، و التعظيم و ما فى معناه منع من يكيد^{١١} و نصره ﴾ أى أيدوه

(١) من ظ ، وفى الأصل : بالشحوم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ليعلمها - كذا (٤) فى ظ : ما (٥) زيدت الواو بعده فى ظ . (٦) فى ظ : عن (٧) من القاموس ، وفى الأصل و ظ : عن .

وقعوا مخالفه ﴿ واتبعوا النور ﴾ أى الوحي من 'القرآن والسنة'
 ﴿ الذى أنزل معه^٤ ﴾ أى مصاحبا لإنزاله إرساله ، سمي نورا لأنه يجعل
 المقتدى به ببيان طريق الحق كالماشى فى ضوء النهار ﴿ أولئك هم ﴾ أى
 خاصة ﴿ المفلحون^٥ ﴾ أى الفائزون بكل مأمول .

ولما تراسلت الآى و طال المدى^٢ فى أقاصيص موسى عليه السلام ه
 و^٢ بيان مناقبه العظام ومآثره الجسام ، كان ذلك ربما أوقع فى بعض
 النفوس أنه أعنى المرسلين منصبا وأعظمهم رتبة ، فساق سبحانه هذه الآيات
 هذا السياق على هذا الوجه الذى بين أن^٣ أعلام مراتب وأزكاهم
 مناقب الذى خص برحمته من يؤمن به من خلقه قوة أوفعلا ، وجعل
 سبحانه ذلك فى أثناء قصة بنى إسرائيل اهتماما به وتعجيلا له مع ما سيذكر بما
 يظهر أفضليته ويوضح أكليته بقصته مع قومه فى مبدأ أمره وأوسطه
 ومنتهاه فى سورتي^١ الأنفال وبراءة بكاملها .

ذكر شيء من الأضرار التى كانت عليهم وخفت عنهم
 لو دخلوا فى الإسلام ببركته صلى الله عليه وسلم غير ما أسلفته فى آخر
 البقرة عند قوله تعالى " ولا تحمل علينا أصرا " وفى المائدة عند ١٥
 قوله تعالى " وليحكم اهل الانجيل^٦ " قال فى السفر الثانى من التوراة :
 [و - ^٧] قال الرب لموسى : اعمد نخذ طيبا - إلى أن قال : وليكن معجوننا
 طيبا للقدس ودقه واسحقه وبخر منه قدام تابوت الشهادة فى قبة الزمان

(١-١) فى ظ : القرا - كذا (٢) فى ظ : الذعى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ :
 سورة (٥) آية ٢٨٦ (٦) آية ٤٧ (٧) زيد من ظ .

لأواعدك إلى هناك ، و يكون عندكم طهرا مخصوصا ، وأبما رجل
 اتخذ مثله ليتبخر به فلهلك ذلك الرجل من شعبه ؛ وقال في الثالث :
 ثم كلم الرب موسى قال له : كلم هارون وبنه وجماعة بني إسرائيل وقل
 لهم : هذا ما أمرني به الرب أن أخبركم ، أي رجل من بني إسرائيل يذبح
 ٥ في محلة بني إسرائيل أو يذبح خارجا من العسكر ولا يجيء بقربانه إلى باب
 قبة الزمان ليقربه / يعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلًا ؛ وكلم الرب
 / ٣٦٨ موسى وقال له : كلم هارون وقل له : من كان فيه عيب من نسلك
 - أي من الأحرار - في جميع الأحقاب^١ لا يدنو من مقدس ، لا يقرب قربانا
 مثل الرجل الأعرج والاعمى والافطس والاصم الأذن أو رجل
 ١٠ مكسور اليد أو رجل قصير أو منحن أو رجل قد أشتت حاجباه أو أجهر
 العين أو من في عينه يابض أو أبرص أو أحدب أو رجل له خصية
 واحدة ، أي رجل كان فيه عيب [من - ٢] نسل هارون الكاهن لا يدنو
 من المذبح ليقرب قربان الرب لأن فيه عيب ؛ وقال في السفر الرابع
 وهو [من - ٢] الحجيح على أن^٢ التوراة لم تنزل جملة : وكلم الرب
 ١٥ موسى في برية سيناء في السنة الثانية لخروج بني إسرائيل من مصر في
 الشهر الأول وقال : تعمل بنو إسرائيل الفصح في وقته في أربعة عشر
 يوما من هذا الشهر - إلى أن قال : وعملوا الفصح ، والقوم الذين تنجسوا
 بأنفس الناس لم يقدرُوا أن يعملوا الفصح فقالوا : قد تنجسنا بأنفس
 الناس ، أي مسسنا ميتا ، فهل يحرم علينا عمل الفصح ؟ فقال لهم موسى :

(١) زيد في ظ : أي (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : بني .

قوموا في مواضعكم حتى تسمعوا ما يأمر الرب فيكم ، وكلم الرب موسى وقال له : قل لهم : الرجل إذا تنجس منكم لميت أو كان في مكان بعيد يعمل فصحا للرب في أربعة عشر يوما من الشهر الثاني ، ومن كان زكيا ولم يكن مسافرا ولم يعمل الفصح في وقته تهلك تلك النفس من بين بني إسرائيل ، وقال قبل ذلك : وكلم الرب موسى وقال له : هـ
مر بني إسرائيل أن يخرجوا^١ من عسكرهم كل من به برص أو سلس وكل من كان نجسا بنفسه ذكرا كان أو أنثى ، يخرجونهم خارج العسكر ، ولا تنجسوا عساكركم^٢ لأنى نازل بينكم ؛ ثم ذكر : الرجل إذا غار على امرأته واتهما ، إنه يأتي السكاهن فيقيمها ويلقنها لعنا ، فإذا قالته كتبه وأخذ ماء مقدسا في وعاء فخار ووضع فيه من التراب الذى أسفل^٣ المذبح وسقاه لها ، فإن كانت خانت اتفخ بطنها وفسد غذاءها وتصير لعنة^٤ في شعبها ، وإن كانت لم تخن تطهرت وولدت ذكرا ، ثم أمرهم بذبح بقرة وإحراقها حتى تصير رمادا ، ويغسل الحبر الذى ذبحها ثيابه ويديه ، فكل من يقترب إلى ميت أو ميتة^٥ يكون نجسا سبعة أيام ، وينضح عليه من ذلك الماء في اليوم الثالث واليوم السابع ويتطهر^٦ ، وإن لم يرش^٧ عليه كذلك فلا يتطهر ، وكل من دنا من إنسان ميت ولا ينضح عليه من ذلك الماء فقد نجس جناب^٨ الرب ، فلهلك تلك النفس لأنه لم ينضح عليه من ماء الرش شيء ، فلذلك يكون نجسا ولا يفارقه^٩ نجاسته ، وهذه

(١) من ظ ، وفي الأصل : يقولوا - كذا (٢) من ظ ، وفي الأصل : عساكرهم .
(٣) من ظ ، وفي الأصل : لعنها (٤) في ظ : يمسكه (هـ) من ظ ، وفي الأصل : يتطهرون (٦) في الأصلين : جنا - كذا (٧) في ظ : لا تفارقه .

سنة الإنسان إذا مات في قبة الزمان ، فكل^١ من [كان - ^٢] هناك في القبة وكل من يدخلها يكون نجسا [سبعة أيام ، وكل وعاء يكون مكشوبا غير مغطى يكون نجسا - ^٣] ، وكل من دنا من قنيل أو يمس عظم إنسان أو يدخل القبر يكون نجسا سبعة أيام و يؤخذ للتنجس من رماد البقرة و يصب في وعاء ماء عذب و ينضح منه - على كيفية ذكرها - ليكون زكيا ، ومن تنجس^٤ ولم يرش عليه من ذلك الماء تهلك نفسه من جماعتها ، ومن دنا من ماء الرش يكون نجسا^٥ إلى الليل ، [ومن اقترب إلى ذلك الذي تنجس يكون نجسا إلى الليل - ^٦] ؛ ثم قال : ثم كلم الرب موسى وقال له : مر بنى إسرائيل وقل لهم : قراتي^٧ تكون ١٠ محفظة^٨ في أوقاتها - ثم ذكر له كثيرا من أمر القرايين ، ثم ذكر من أوقاتها يوم السبت ورؤس الشهور ، ثم قال : وفي أربع عشرة ليلة من الشهر الأول^٩ هو فصح الرب ، ويوم خمسة عشر اتخذوه عيدا ، وكلوا الفطير سبعة أيام ، [وصيروا - ^{١٠}] / أول يوم من السبعة ميذا^{١١} مطهرا ، لا تعملوا فيه عملا ، و اليوم السابع يكون ميذا^{١٢} مطهرا لا تعملوا فيه عملا ، ١٥ وأول يوم من الشهر السابع يكون محتصا مطهرا ، لا تعملوا فيه عملا^{١٣}

(١) في ظ : كل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : ينتجس (٤) زيد في ظ : إلى الرش (٥-٥) من ظ ، وفي الأصل : يكون يحفظه - كذا . (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ فخذناها (٧) من ظ ، وفي الأصل بياض (٨) في ظ : متميذا (٩) من ظ ، وفي الأصل : شيئا .

بما يعمل ، بل صبروه يوما يهتف فيه بالقرون ، و قربوا ذبائح كاملة -
ثم وصفها وكذا غيره من الايام ثم قال : وكذلك فافعلوا في أول الشهر
أبدا ، وفي عشر من الشهر السابع اجعلوه يوما مختصا ، مطهرا لا تعملوا فيه
عملا ،^١ ولكن قربوا ، ويوم خمسة عشر من هذا الشهر السابع ، ويكون
مدعوا ، لا تعملوا فيه عملا^٢ ، بل اتخذوه عيدا للرب سبعة أيام ؛ ثم قال : هـ
حتى إذا كان اليوم الثامن فاحتفلوا^٣ بأجمعكم ، ولا تعملوا شيئا مما يعمل ،
وقربوا قرابين كاملة - وأطال في ذلك جدا على كيفيات حفظها فضلا
عن العمل بها في غاية المشقة ؛ ثم قال : وقربوا للرب في أيام أعيادكم غير
نذوركم وغير خواصكم التي^٤ تحتصون للرب ؛ ثم قال مخاطبا للجاهدين في مدين :
و أما أنتم فأنزلوا خارجا من^٥ العسكر سبعة أيام ، كل من قتل نفسا أو مس^{١٠}
قبلا ينضح عليه من ماء التطهير في الثالث والسابع - وأمرهم^٦ بأشياء
من الآصار ثم قال : و تطهروا^٧ بالماء في اليوم السابع ، ثم بعد ذلك تدخلون^٨
العسكر ؛ ثم قال في الخامس : هذه السنن و الأحكام^٩ التي يجب^{١٠} عليكم أن
تعملوها وتحفظوها في الأرض التي^{١١} يعطيكم الله ربكم ميراثا كل أيام حياتكم ،
خربوا كل البلدان التي ترثونها ، و الآلهة^{١٢} التي عبدها أهلها فيها على الجبال^{١٥}
(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : فاختلفوا (٣) في
ظ : الذي (٤) في الأصل : عن (٥) في الأصل : امر (٦) من ظ ، وفي الأصل :
يطهروا (٧) في ظ : يدخلون (٨-٨) في الأصل : الذي تجب (٩) في الأصل :
الآلة - كذا .

الرفيعة والآكام [و - ١] تحت كل شجرة كبيرة تظل ، واستأصلوا
 مذابحهم وكسروا [أنصابهم ، وأحرقوا أصنامهم المصنوعة و - ٢] أوثانهم
 المنحوتة ٢ ، ولا تصنعوا أنتم مثل ما ٢ صنع أولئك في عبادتكم الله ربكم ٢ ،
 ولكن المواضع التي يختار الله ربكم أن تصيروا ١ اسمه فيها من جميع قبائلكم ،
 ٥ والحفصوا عن محله ، وانطلقوا بجمعكم بقرائينكم الكاملة ، كلوا هناك
 أمام الله ربكم أنتم وأهاليكم ، ولا تعملوا كما يعمل هاهنا اليوم . - أى قبل
 الوصول إلى أرض الميراث ؛ ثم قال ٥ : انظروا لا تقربوا قرابينكم في
 المواضع التي تريدون ٦ ، لكن في المواضع الذي يختار الرب ، في حد سبط
 من أسباطكم ؛ ثم قال : وإذا بنيت بيتا جديدا فحجر على البيت اثلا يقع
 ١٠ إنسان من فوقه فليزملك دمه ، ولا تزرعن ٧ في حرثك خلطا ٨ لثلا
 تفسد غلة زرعك وكرمك ، لا تحرث ٩ بالثور والحمار جميعا ، ولا تنسج ٩
 ثوبا من قطن وصوف جميعا ، اعمل خيوطا في أربعة أطراف ردائك
 الذي تلبس ؛ ثم قال : وإن وجد رجل فتاة عذراء لم تملك ، فيظفر بها
 ويضاجعها ويوجد ١١ ، يدفع إلى أبيها خمسين مثقالا ١٢ من فضة ، وتصير
 ١٥ امرأته لأنه فضحها ، ولا يقدر أن يطلقها حتى يموت . ولا يدخل

(١) زيدت الواو من التوراة - الأصحاح الثاني عشر (٢) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في الأصل : يصيروا (٥) في الأصل : قيل (٦) من
 ظ ، وفي الأصل : يريدون (٧) من ظ ، وفي الأصل : يزرعن (٨) في ظ : خطأ .
 (٩) من ظ ، وفي الأصل : لا يحرث (١٠) من ظ ، وفي الأصل : لا ينسج .
 (١١) من ظ ، وفي الأصل : يوجد (١٢) في ظ : مثقال .

ولد الزنا إلى بيت الرب ، ولا يدخل نسله من بعده إلى عشرة
أحقاب ،^١ ولا يدخل عماني ولا موآبي إلى بيت الرب ، ولا يدخل نسلهما
من بعدهما إلى عشرة أحقاب ، لأنهم لم يضيفوكم ولم يشوكم بالخبز
والماء حيث خرجتم من أرض مصر ، ولأنهم اكتروا^٢ بلعام بن بعور
من قنوزام^٣ من بين النهرين^٤ - وهي حران - ليلعنكم ، ولم يحب الرب أن ه
يسمع قول بلعام بن بعور ، وقلب الله لعنه إلى الدعاء ، لأن الله ربكم
أحبكم ، فلا تريدوا لهم الخير أيام حياتكم ، لا تدفعوا الأذى عنكم لأنه
أخوكم ، ولا تبعدوا المصري أيضا لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر . وإن
كان في معسكركم^٥ رجل^٦ أصابته جنابة ، يخرج خارج العسكر ، ولا يجلس
بين أصحابه في العسكر ، وإذا كان العشي فليستحم بالماء ، وإذا غابت الشمس ١٠
وأمسى يدخل العسكر ، وليكن لكم موضع معروف خارج العسكر
تخرجون^٧ إليه إلى الخلاء ، / ويكون على سلاحكم وتد من حديد ، فإذا
٣٧٠ / جلستم للخلاء^٨ احفروا موضعا^٩ للخلاء وغطوا رجليكم ، لأن الله ربكم
معكم في العسكر لينقذكم ويدفع عنكم أعداءكم ، فليكن عسكركم مطهرا

(١) العبارة من هنا إلى « عشرة أحقاب » ساقطة من ظ (٢) من التوراة -
الأصحاح الثالث والعشرين ، وفي الأصل : موآبي - كذا (٣) من ظ ، وفي
الأصل : كروا - كذا (٤) في ظ : قنتورا - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل :
النهر (٦) في ظ : عسكركم (٧) من ظ ، وفي الأصل : رجلا (٨) من ظ ،
وفي الأصل : يخرجون (٩) من ظ ، وفي الأصل : الخلاء (١٠) تكرر في ظ .
(١١) من ظ ، وفي الأصل : اليكم .

مركبا^١ لثلا يرى فيكم أمرا قبيحا، فيرتفع عنكم ولا يصحبكم؛ ثم قال:
وإن سكن أخوان جميعا ومات أحدهما ولم يخلف ولدا، لا يتزوج^٢
امراته من رجل غريب، ولكن يتزوج بها وارثه ويقيم زرعاً، وأول
ولد تلد ينسب إلى أخيه الذي مات، ويقال: إنه ابن ذلك الذي مات
هـ ولم يخلف ولداً. لثلا يبيد اسمه من بني إسرائيل، وإن لم يعجب^٣
الرجل أن يتزوج امرأة أخيه، ترتفع؛ امرأة أخيه إلى المشيخة فيدعونه،
فإن ثبت على قوله تتقدم إليه المرأة بين يدي المشيخة وتخلع^٤ خفيه من
قدميه وتبصق في وجهه وتقول: كذلك يصنع بالرجل الذي لا يجب
أن يبنى بيتاً لأخيه، ويدعى اسمه بين بني إسرائيل: صاحب خلع الحفنين،
١٠ وإن شاجر الرجل صاحبه فدنّت امرأة أحدهما لتخلص^٥ زوجها من
الذي يقاتله^٦، فتمد يدها إلى مذاكير الرجل، يقطع يدها ولا يشفق عليها
ولا يترحم^٧ - انتهى. وكل هذه الآصار على التصارى أيضاً ما لم يرد في
الإنجيل نسخها.

ولما تم ما نظمه تعالى في أثناء هذه القصص من جواهر أوصاف
١٥ هذا النبي الكريم حثا على الإيمان [به - ٩] وإيجاباً له على وجه علم منه
أنه رسول الله إلى كل مكلف تقدم زمانه أو تأخر؛ أمره سبحانه أن
(١) في ظ: زكيا (٢) من ظ، وفي الأصل: لا يتزوج (٣) من ظ، وفي
الأصل: لم تعجب (٤) من ظ، وفي الأصل: يرتفع (٥) من ظ، وفي الأصل:
يخلع (٦) من ظ، وفي الأصل: ليحصل (٧) من ظ، وفي الأصل: يقابله (٨) في
ظ: لا ترحم (٩) زيد من ظ.

يصرح بما تقدم التلويح إليه، ويصرح بما أخذ ميثاق الرسل^١ عليه تحقيقا
لعموم رسالته وشمول دعوته فقال: ﴿ قل ﴾ وأنى بأداة البعد لأنه
محلها ﴿ يَأَيُّهَا النَّاس ﴾ وقد مضى في الإنعام أن اشتقاقهم^٢ من النوس،
وأن الإمام السبكي قال: إن ذلك يقتضى دخول الجن والملائكة فيهم.
وتقدم عند "ولا تبخسوا الناس أشياءهم" في هذه السورة ما ينفع هنا ه
﴿ انى رسول الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ﴿ اليكم جميعا ﴾ أى لا فرق
بين من أدركنى ومن تأخر عنى أو^٣ تقدم على فى أن الكل يشترط عليهم
الإيمان بى والاتباع لى؛ وهذا المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه
الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه حين رفع إليه الذراع
فنهش منها فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة. وللدارمى فى أوائل مسنده ١٠
عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم [قال - ^٤] أنا قائد
المسلمين ولا تغر، وأنا خاتم النبيين ولا تغر، وأنا أول شافع و [أول - ^٥]
مشفع ولا تغر، وللترمذى فى المناقب عن أنس رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال: أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا قائدهم
إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا ١٥
مبشرهم إذا أيسوا^٦، لواء الحمد يومئذ ييدى، وأنا أكرم ولد آدم على ربى
ولا تغر^٧، وقال: حديث حسن غريب؛ وله فى المناقب أيضا عن أبى

(١) من ظ، وفى الأصل: الرجل (٢) من ظ، وفى الأصل: اشتقاقهم (٣) فى
ظ «و» (٤) زيد من أوائل مسند الدارمى - الباب ٨ (٥) العبارة من «قال أنا»
إلى هنا ساقطة من ظ (٦) فى الأصل: ييسوا - كذا (٧) وهذا الحديث فيما =

ان كعب رضى الله عنه أن النبی صلی الله علیه وسلم قال : إذا كان
يوم القيامة كنت إمام النیین و خطیبهم و صاحب شفاعتهم غیر نخر ،
و قال : حسن صحیح غریب ؛ و للترمذی و الدارمی عن ابن عباس رضى الله
عنهما أن النبی صلی الله علیه وسلم قال : ألا ! و أنا حبیب الله و لا نخر ، و أنا
٥ حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه و لا نخر ، و أنا أول شافع
و أول مشفع يوم القيامة و لا نخر ، و أنا أكرم الأولین و الآخرین و لا نخر ،
و للترمذی - و قال : حسن - عن ' أبی سعید الخدری رضى الله عنه أن
النبی صلی الله علیه وسلم / قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و لا نخر ،
و یدى لواء الحمد و لا نخر ، و ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت
١٠ لوائى . . الفخر : ادعاء العظمة و الکبر و الشرف ، أى لا أقوله تبججا ،
ولكن شکرا و تحديثا بالنعمة ؛ و ما اجتمع بهم فى مجمع إلا كان إمامهم
قبل موته و بعده ، اجتمع بهم ليلة الإسراء فى بیت المقدس فصلی بهم إماما ،
ثم اجتمع بهم فى السماء فصلی بجميع أهل السماء إماما ، [و أما - °]
يوم الجمع الأكبر و الكرب^٦ الأعظم فيحيل الكل علیه و يؤمنون بالرسالة^٧ ،
١٥ و ما^٨ أحال بعض الأكبر على بعض إلا علما منهم بأن الختام يكون به ،
ليكون أظهر للاعتراف بأمانته و الانقياد لطاعته ، لأن المحيل على المحيل

= عندنا من نسخة الترمذی أخصر مما هنا . و راجع أيضا أوائل مسند

الدارمی - الباب ٨ .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اى (٣) فى ظ : لا (٤) من ظ ، وفى الأصل :

دعاء (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : لكرب (٧) من ظ ، وفى الأصل : بالرياسة .

(٨) من ظ ، وفى الأصل : اما .

على الشيء يحيل على ذلك الشيء ، ولو أحال أحد من قبل^١ عيسى عليه السلام عليه لطرقة احتمال ، والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم يظهر^٢ في ذلك الموقف^٣ رسالته بالفعل إلى الخلق كافة ، فيظهر سر هذه الآية " الذين يتبعون الرسول " - والله الموفق .

ولما دل بالإضافة إلى اسم الذات الدال على جميع الصفات على عموم^٥ دعوته وشمول رسالته حتى للجن والملائكة ، أيد ذلك بقوله : ﴿ الذي له ﴾ أى وحده ﴿ ملك السموات والارض ﴾ أى فلا بدع أن يرسله إلى جميع من فيهما ، بل وما^٦ فيهما .

ولما^٧ كان عما بالغه في الدنيا أنه ربما كان في ملكه^٨ الملك من يناظره أو يقرب منه من ولى عهد أو نحوه ، فربما رد بعض أمره في صورة^{١٠} نصح أو غيره ؛ نفى ذلك بقوله مبينا تمام ملكه : ﴿ لا اله الا هو ﴾ أى فالكل منقادون لأمره خاضعون له ، لأنه لا^٩ موجود بالفعل ولا بالإمكان من يصلح للالهية سواه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ يحيى ويميت ﴾ أى له هاتان الصفتان مختصا بهما ، ومن كان كذلك كان منفردا بما ذكر ، وإذا راجعت^٤ ما يأتى إن شاء الله تعالى في أول الفرقان مع ما مضى^{١٥} في أوائل الأنعام ، لم يبق عندك شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة .

ولما تقرر أنه لا منازع له ، تسبب عن ذلك توجيه الأمر بالانقياد

(١) من ظ ، وفي الأصل : قتل (٢) في ظ : تظهر (٣) في الأصل : لموقف ، وفي ظ : الوقت (٤) في ظ : لا (٥) في الأصل : لو (٦) في ظ : ملكه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : رجعت .

لرسوله فقال: ﴿فأمنوا بالله﴾ أى لما ثبت له من العظمة والإحاطة بأوصاف الكمال وبكل شيء فان الإيمان به أساس لا ينبنى^١ شيء من الدين إلا عليه .

ولما كان أقرب الفروع الأصلية إليه^٢ الرسالة قال: ﴿ورسوله﴾
 ه أى لأنه رسوله؛ ثم وصفه بما دل على قرب فقال: ﴿النبي﴾ أى الذى يخبره بما يريد من الأمور العظيمة غيبا وشهادة، ويعليه عن كل مخلوق باخباره بأمره؛ ولما كان علوه على كل عالم - مع أنه لم يتعلم من آدمي - أدل شيء على صدقه قال: ﴿الامى﴾ أى الذى هو - مع كونه لا يحسن كتابة ولا قراءة، بل هو على الفطرة الأولى السليمة التى لم يخالطها هوى،
 ١٠ ولا دنسها حظ ولا شهوة - بحيث يؤم ويقصد للاقتداء^٣ به، لما حوى من علوم الدنيا والآخرة والتخلق بأوصاف الكمال .

ولما أشار بهذه الصفة إلى أن سبب الإيمان الخلاص^٤ من الهوى بالكون على الفطرة الأولى، قال منها على وجوب الإيمان به، لكونه أول فاعل لما يدعو إليه: ﴿الذى يؤمن بالله﴾ أى لأجل ما يقتضيه^٥
 ١٥ ذاته سبحانه من التعبد له لما له من العظمة، فكلمة^٦ تجدد له علم من علوم الذات بحسب ترقيه^٧ فى رتب الكمال من^٨ رتبة كاملة إلى أكمل منها إلى ما لا نهاية له، جدد له إيمانا بحسبه، لا تنتره / غفلة ولا يخالطه سهو

/ ٣٧٢

(١) زيد بعده فى الأصل: عليه، ولم تكن فى ظ لخذفناها (٢) سقط من ظ .
 (٣) فى الأصل: الاقتراء (٤) من ظ، وفى الأصل: الخلوص (٥) فى الأصل: تقتضيه (٦) من ظ، وفى الأصل: فكما (٧) فى ظ: العلوم (٨) من ظ ء وفى الأصل: بوفيته - كذا .

ولا شائبة فتور ﴿ و كلمته ﴾ كذلك أيضا ، كلما^١ تجدد له علم بصفة منها
جدد لها إيمانا ، ومنها المعجزات التي جرت على يديه^٢ ، كل واحدة منها
كلمة لأن ظهوره بالكلمة ، كما سمي عيسى عليه الصلاة والسلام
كلمة لذلك .

ولما تقرر أنه امثل ما أمر به ، فثبت بذلك رسالته ، استحق أن ه
يكون قدوة فقال : ﴿ و اتبعوه ﴾ أى فى كل ما يقول و يفعل مما ينهى
عنه أو يأمر به أو يأذن فيه ﴿ املكم تهتدون ه ﴾ أى ليكون^٣ حالكم
[حال - '] من يرجى له حصول ما سأل فى الفاتحة من الاهتداء ، أى^٤
خلق الهداية فى القلب مع دوامه .

ولما كثر عدوئنا بنى إسرائيل ، و ختم بتخصيص المتبع لهذا النبي ١٠
الكريم بالهداية والرحمة المسبية عنها ، و كان فيهم المستقيم على ما شرعه
له ربه ، المتمسك بما لزمه أهل طاعته و حزيه ، سواء كان من صفات
النبي صلى الله عليه وسلم أو غيرها ، مع الإذعان لذلك كله ؛ نبه عليه عائدا إلى
تتميم أخبارهم ، ثم ما وقع فى أيام موسى عليه السلام و بعدها من شرارهم ،
تعزية لهذا النبي الكريم و تسلية ، و تطيبيا لنفسه الزكية و تأسية ، وهو مع ١٥
ما بعده من أدلة " ساصرف عن اليتى " - الآية ، فقال تعالى عاطفا على
" و اتخذ قوم موسى من بعده " - : ﴿ و من قوم موسى^٥ أمة ﴾ أى قوم
يستحقون أن يؤموا لأنهم لا يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، بل

(١) من ظ ، و فى الأصل : كما (٢) فى ظ : يده (٣) فى الأصل : لتكون (٤) زيد
من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : شرارها .

(يهدون) أى يوقعون الهداية وهى البيان (بالحق وبه) أى خاصة
(يعدلون) أى يجعلون القضايا المختلفة المتنازع فيها معادلة^١ ليقع
الرضى بها، لا يقع^٢ منهم جور فى شئ منها، ومنهم الذين اتبعوا النبى
صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وغيره رضى الله عنهما .

٥ ولما مدحهم، شرع يذكرهم شيئا مما أسبغ عليهم من النعم لأجل
هؤلاء المهتدين من التكثير بعد^٣ القلة والإعزاز بعد الذلة بجعلهم من
يوم استعطافا غيرهم، ويذكر بعض عقوباتهم ترهيبا فقال: ((وقطع^٤ عنهم))
أى فرقنا بينهم بالأشخاص؛ بعد أن كانوا ماء واحدا من شخص واحد،
وهو إسرائيل عليه السلام؛ وصرح^٥ بالكثرة بعد أن لوح بها بالتقطيع
١٠ بقوله: ((اثنى عشرة)) وميزه - موضع المفرد الذى هو بمنزلة العشرة -
بالجمع للإشارة إلى أن كل سبط يشتمل لكثيرته على عدة قبائل بقوله:
(أسباطا) والسبط - بالكسر: ولد الولد، والقبيلة من اليهود، وهذه
المادة تدور على الكثرة والبسط؛ وبين عظمتهم وكثرة انتشارهم
وتشعبهم بقوله: ((امما^٦)) أى هم أهل لأن يقصدهم الناس لما لهم من
١٥ الكثرة والقوة والدين، أو أن كل أمة منهم تؤم^٧ خلاف ما تؤمه^٨
الآخرى^٩ من غيرهم دينا^{١٠}.

(١) من ظ، وفى الأصل: متعادلة (٢) من ظ، وفى الأصل: لا ينفع (٣) ف
ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: خرج (٦) من ظ، وفى
الأصل: يوم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ولما وصفهم بهذه الكثرة، وكان ذلك محرّى^١ لذكر الإنعام عليهم بالكفاية^٢ في الأكل والشرب، ذكر نعمة خارقة للعادة في الماء، وبدأ به لأنه الأصل في الحياة، وهى من نوع تقسيمهم من نفس واحدة مشيرة إلى ظلمهم وإسراعهم في المروق فقال: ﴿وارحنآ الى موسى^٣ اذ﴾ أى حين ﴿استسقى قومه﴾ أى طلبوا منه في بركة لا ماء بها^٤ أن يسقيهم، و ذلك في التيه، والتعير بالقوم إشارة إلى تسكيتهم بكونهم أهل قوة ولم يتأسوا بموسى عليه السلام في الصبر إلى أن يأتى الله الذى أمرهم بهذا المسير بالفرج، بل طلبوا منه ذلك على الوجه المذكور في البقرة من إظهار القلق والدمدمة ﴿ان اضرب بعصاك﴾ أى التى جعلناها لك آية وضربت بها البحر فانفلق ﴿الحجرج﴾ أى أى حجر أردته من هذا الجنس؛ وبين سبحانه سرعة امثال موسى عليه السلام وسرعة التأثير عن ضربه بحذف: / فضربه^٥، وقوله مشيرا إليه: ﴿فانبجست﴾ أى فانشقت وظهرت ونبعت، [وذلك كاف في تعنيفهم وذمهم على كفرهم بعد المن به، وهذا السياق الذى هو لبيان إسراعهم في المروق هو لا ينافى أن يكون على وجه الانفجار، ويكون التعنيف حينئذ أشد - °] ﴿منه اثنتا عشرة عينا^٦﴾ ١٥ على عدد الأسباط، وأشار إلى شدة تمايزها بقوله: ﴿قد علم كل اناس﴾ أى من الأسباط ﴿مشريهم^٧﴾ ولما لم يتقدم للأكل ذكر ولا كان هذا سياق الامتان، لم يذكر ما أتم هذه الآية به في البقرة^٨.

(١) أى حرّيا، وفى الأصل: محرا، وفى ظ: مجرا - كذا (٢) فى ظ: بالكناية.

(٣) من ظ، وفى الأصل: هنا (٤) فى ظ: وضربه (٥) زيد ما بين الحاجرين

من ظ (٦) فى ظ: اثنتى (٧) راجع آية ٦ منها.

و لما ذكر تبريد الأكباد بالماء ، أتبعه تبريدها بالظل فقال :
 ﴿ و ظللنا ﴾ أى فى التيه ﴿ عليهم الغمام ﴾ أى لثلا يتأذوا بالشمس ؛
 و لما أتم تبريد الأكباد ، أتبعه غذاء الأجساد فقال : ﴿ وانزلنا عليهم المن ﴾
 أى خبزا ﴿ والسلوى ^١ ﴾ [أى - ^١] إداما ؛ وقال السموأل بن يحيى : وهو
 طائر صغير يشبه السمانى ^٢ ، و خاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية ،
 يموت ^٣ إذا سمع صوت الرعد كما أن الخطاف يقتله البرد ، فيلهمه الله
 عز وجل أن يسكن جزائر البحر التى لا يكون بها مطر ولا رعد إلى
 انفصال أوان المطر و الرعد ، فيخرج من الجزائر و ينتشر ^٤ فى الأرض .
 و لما ذكر عظمتة فى ذلك ، ذكر نتيجته فقال : ﴿ كلوا من طيبت
 ١٠ ما رزقناكم ^٥ ﴾ أى بصفة العظمة القاهرة لما يريد مما لم تعالجوه ^٥ نوع معالجة ،
 و دل على أنهم قابلوا هذا الإحسان بالطغيان و الظلم و العدوان بقوله عطفاً ^٦
 على ^٢ ما تقديره : فعدلوا عن الطيبات المأذون فيها ، و أكلوا الحباثت التى
 حرمانها عليهم بالاصطياد يوم السبت - كما يأتى - و فعلوا غير ذلك من
 المحرمات ، فظلموا أنفسهم بذلك : ﴿ و ما ظلمونا ﴾ أى بشئ مما قابلوا
 ١٥ فيه الإحسان بالكفران ﴿ ولكن كانوا ﴾ أى دائماً جبلة و طبعاً ﴿ انفسهم ﴾
 أى خاصة ﴿ يظلمون ^٧ ﴾ وهو - مع كونه من أدلة " ساصرف عن
 البتة " الآية - دليل على صحة وصف هذا الرسول بالنبي ، فان من علم
 هذه الدقائق من أخبارهم مع كونه أمياً و لم يخاطب أحداً من أحبارهم ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : السمان (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : يسير (٥) من ظ ، وفى الأصل : لم يعالجوه (٦) فى ظ : عاطفاً .

١ كان صادقا عن علام الغيوب من غير مؤيد وكذا ما بعده .
 ولما ذكر ما حابم^١ به في القفار ، أتبعه إنعامه عليهم عند الوصول
 إلى الدار فقال : ﴿ واذا ﴾ أى اذكر لهم هذا ليصدقوك أو يصيروا في غاية
 الظلم كأصحاب السبت فيتوقعوا مثل عذابهم ، واذكر لهم ما لم تكن
 حاضره ولا أخذته عنهم ، وهو وقت إذ ، [وعدل عن الإكرام بالخطاب ه
 ونون العظمة ، لأن السياق الاسراع في الكفر فقال - ٢] :
 ﴿ قيل لهم اسكنوا^٢ ﴾ أى ادخلوا مطمئنين على وجه الإقامة ، [ولا يسمى
 ساكنا إلا بعد التوطن بخلاف الدخول ، فانه يكون بمجرد الولوج في
 الشيء على أى وجه كان - ٣] ﴿ هذه القرية ﴾ فهو دليل آخر على
 الأمرين : الصرف والصدق ، وعبر هنا بالمجهول في " قيل " إعراضا عن ١٠
 تلذيمهم بالخطاب إيذانا بأن هذا السياق للغضب عليهم بتساقطهم في الكفر
 وإعراضهم عن الشكر ، من أى قائل كان وبأى صيغة ورد القول وعلى
 أى حالة كان ، وإظهارا للعظمة^٤ حيث كانت ، أدنى إشارة منه كافية في
 سكتهم^٥ في البلاد واستقرارهم فيها قاهرين لأهلها الذين ملأوا قلوبهم
 هية حتى قالوا " انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها^٦ " .

١٥

ولما خلت نعمة الأكل في هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

(٣-٣) تأخر ما بين الرقيين في الأصل - مع تقديم " اسكنوا " على " لهم " - عن

" أى وجهه كان " (٤) من ظ ، وفي الأصل : اعراض (ه) في ظ : لعظمة .

(٦) من ظ ، وفي الأصل : مساكنهم (٧) سورة ه آية ٢٤ .

من التعقيب وهو الاستعطاف، ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع، وهي لا تنافي تلك، فقال: ﴿وكلوا منها﴾ أى القرية ﴿حيث شئتم﴾ وأسقط الرغد لذلك، وقدم ﴿وقولوا حطة﴾ ليكون أول قارع للسمع مما أمروا به من العبادة مشعرا بعظيم ما تحملوه من الآثام، إيدانا بما سيقته له هذه القصص في هذه السورة من المقام .

ولما أمروا بالحطة قولاً، أمروا أن يشفعوها بفعل، لتحط عنهم ذنوبهم، ولا ينافي التقديم / هنا^٢ التأخير في البقرة، لأن الواو لا ترتب، فقال: / ٣٧٤
﴿وادخلوا الباب﴾ أى باب بيت المقدس حال كونكم ﴿سجدوا تغفراً لكم﴾ ولما كان السياق هنا^٣ لبيان إصراعهم في الكفر، ناسب ذلك جمع الكثرة ١٠ في قوله: ﴿خطاياكم﴾ في قراءة أبي عمرو، وأما^٤ قراءة ابن عامر "خطيتكم" بالإفراد وقراءة غيرهما "خطياتكم" جمع قلة فللاشارة^٥ إلى أنها قليل في جنب عفوه تعالى، وكذا بناء "تغفر" للجهول تأنيثاً وتذكيراً، كل ذلك ترجية لهم واستعطافاً إلى التوبة، ولذلك^٦ ساق سبحانه ما بعده مساق السؤال لمن كأنه قال: هذا الرجاء قد حصل، فهل مع المغفرة من ١٥ كرامة؟ فقال: ﴿سنزيد﴾ أى بوعده لا خلف فيه عن قريب، وهو لا ينافي إثبات الواو في البقرة ﴿المحسنين ه﴾ أى العريقين في هذا الوصف، (١) في ظ: سقيت (٢) من ظ، وفي الأصل: هذا (٣) من ظ، وفي الأصل: يغفر، وفي روح المعاني ٣/ ١٤٤: وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء والبناء للمفعول (٤) زيد بعده في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها. (٥) في ظ: فللاشارة (٦) في ظ: لذا.

واللسياق^١ الذى وصفت قيد قوله: ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ بقوله: ﴿ منهم ﴾
لئلا يتوهم أنهم من الدخلاء فيهم ﴿ قولاً غير الذى ﴾ .
ولما كان من المعلوم أن القائل من له إلزامهم ، بناء للجهول فقال :
﴿ قيل لهم ﴾ وقال : ﴿ فارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم ﴾
بالإضمار تهويلاً لاحتمال العموم بالعذاب ﴿ رجزاً من السماء ﴾ ولفظ هـ
الظلم - فى قوله : ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾ بما يقتضيه من أنهم لا ينفكون
عن الكون فى الظلام إما مطلقاً وإما مع تجديد فعل فعل^٢ من هو فيه -
أهول من لفظ الفسق المقتضى لتجديد الخروج مما ينبغى الاستقرار
فيه ، كما أن لفظ الإرسال المعدى بـ " على " كذلك بالنسبة إلى لفظ
الإزال .

١٠

ولما فرغ من هتك أستارهم فيما عملوه أيام موسى عليه السلام
وما يليها ، أتبعه خزياً آخر أشد مما قبله ، كان بعد ذلك بمدة لا يعلمه
أحد إلا من جهتهم أو من الله ، وإذا اتقى الأول ثبت الثانى ، فقال :
﴿ وسئلهم ﴾ أى بنى إسرائيل مبكتاً^٣ لهم ومقرراً ﴿ عن القرية ﴾
أى البلد الجامع ﴿ التى كانت حاضرة البحر ﴾ أى على شاطئه وهى أيلة ، ١٥
ولعله عبر بالسؤال ، ولم يقل : وإذا تعدد القرية^٤ التى - إلى آخره ، ونحو
ذلك ، لأن كراهتهم للاطلاع على هذه الفضيحة أشد مما مضى ، وهى
دليل على الصرف والصدق . ولما كان السؤال عن خبر أهل القرية قال
(١) فى ظ : يساق (٢) فى ظ : كفعل (٣) فى ظ : مبتلياً (٤) زيد بعده فى
ظ : أى .

مبدلاً بدل اشتغال من انقرية : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ يعدون ﴾ أى يجوزون الحد الذى أمرهم الله به ﴿ فى السبت اذ ﴾ أى العدو حين ﴿ تاتيهم ﴾ وزاد فى التبيكيت بالإشارة إلى المسارعة فى الكفر بالإضافة فى قوله : ﴿ حينانهم ﴾ إيماء إلى أنها مخلوقة لهم ، فلو صبروا نالوها وهم مطيعون ،
 ٥ كما فى حديث جابر رضى الله عنه رفعه : بين العبد وبين رزقه حجاب ، فان صبر خرج إليه ، وإلا هنك الحجاب ولم ينل إلا ما قدر له .
 ﴿ يوم سبتهم ﴾ أى الذى يعظمونه بترك الاشتغال فيه بشئ غير العبادة ﴿ شرعاً ﴾ أى قرية مشرفة لهم ظاهرة على وجه الماء بكثرة ، جمع شارة و شارع أى دان ﴿ ويوم لا يسبئون ﴾ أى لا يكون سبت ، ١٠ ولعله عبر بهذا إشارة إلى أنهم لو عظموا الأحد على أنه سبت جاءتهم فيه ، وهو من : سبت اليهود - إذا عظمت سبتها ﴿ لا تاتيهم ﴾ أى ابتلاء من الله لهم ، ولو أنهم صبروا أزال الله هذه العادة فأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

ولما كان هذا بلاء عظيماً ، قال / مجيباً لسؤال من كأنه قال^٢ لشدة / ٢٧٥

١٥ ما بهره من هذا الأمر : هل وقع مثل هذا؟ مشيراً إلى أنه وقع ، ولم يكف به ، بل وقع لهم أمثاله لإظهار ما فى عالم الغيب منهم إلى عالم الشهادة : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البلاء العظيم ﴿ نبلوهم ﴾ أى نجدد اختبارهم كل قليل ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ [أى -^٢] جلة وطبعا ﴿ يفسقون ﴾ أى يحددون فى علمنا من الفسق ، وهو الخروج عما هو

(١) من ظ : وفى الأصل : اليهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .

أهل للتوطن من الطاعات .

ولما أخبر أن الفسق ديدنهم ، أكد به بقوله عطفًا على " اذ يعدون " :
 ﴿ واذ ﴾ أى وأسألهم عن خبرهم حين ﴿ قالت أمة منهم ﴾ أى جماعة
 من يعتبر و يقصد من الواعظين الصالحين الذين وعظوا حتى أسوا^١ لامة
 أخرى منهم لا يقلعون عن الوعظ^٢ تخويفًا للوعظيين^٣ بما يتجاوزون به ه
 ﴿ لم تعظون قوما ﴾ أى معتمدين على قوتهم ﴿ الله ﴾ أى الذى له الملك
 كله ﴿ مهلكهم ﴾ أى لا محالة لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون
 بالمواعظ ﴿ او معذبهم عذابا شديدا ﴾ أى بعظيم ما يرتكبونه و تماردهم فيه
 ﴿ قالوا ﴾ أى الامة الأخرى من الواعظين : وعظنا ﴿ معذرة الى ربكم ﴾
 أى المحسن إليكم بالحفظ^٤ عما وقعوا فيه من الذنب و الإقبال على الوعظ ١٠
 حتى إذا سئلنا عن أمرنا فى عصيانهم نقول : فعلنا فى أمرهم جهدنا ، هذا
 إن^٥ لم يرجعوا ﴿ و لعلمهم يتقون ه ﴾ أى و ليكون حالهم حال من يرجى
 خوفه لله فيرجع عن غيه .

ولما تراجعوا بهذا الكلام ليكون زاجرا للعاصين فلم يرجعوا ، أخبر
 أنه صدق ظنهم بإيقاع الأمرين معاً : العذاب الشديد و الإهلاك ، فقال : ١٥
 ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أى فعلوا فى إعراضهم عنه فعل الناسى و تركوه
 ترك المنسى ، وهو أن الله لا يهملهم كما أن الإنسان لا يمكن أن يهمل

(١) من ظ ، وفى الأصل : يسوا كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : الوغى - كذا .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : للوعظيين (٤) من ظ ، وفى الأصل : لحفظ (ه) فى

ظ : اذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : مع .

أحدا تحت يده ، ليفعل ما يشاء من غير اعتراض ﴿ انجينا ﴾ أى بعظمتنا
 ﴿ الذين ينهون ﴾ أى استمروا على النهى ﴿ عن سوء ﴾ أى الحرام
 ﴿ واخذنا ﴾ أى أخذ غلبة وقهر ﴿ الذين ظلموا ﴾ أى بالعدو فى السبت
 ﴿ بعذاب بئيس * ﴾ أى شديد جدا ﴿ بما كانوا ﴾ أى جيلة وطبعا
 ه ﴿ يفسقون * ﴾ أى بسبب استمرارهم على تجديد الفسق .

ولما ذكر ما هددهم به من العذاب الشديد ، أتبعه الهلاك فقال :
 ﴿ فلما عتوا ﴾ أى تكبروا جلالة ويسا عن الانتهاء ﴿ عن ما نهوا عنه ﴾
 أى بعد^٢ الأخذ بالعذاب الشديد ، وتجاوزوا إلى الاجترار على جميع
 المعاصى عنادا وتكبرا بغاية الوقاحة وعدم المبالاة ، كان موافقتهم لذلك
 ١٠ الذنب وإمهالهم مع الوعظ أكسبتهم ذلك و غاظت أكبادهم عن الخوف
 بزاجر العذاب ، من عتا يعتو عتوا - إذا^٣ أقبل على الآثام^٤ ، فهو عات ،
 قال عبدالحق فى كتابه الواعى : وقيل إذا أقدم^٥ على كل أموره ، ومنه
 هذه الآية ، وقيل : العاتى هو المبالغ فى ركوب المعاصى ، وقيل : المتمرد
 الذى لا ينفع فيه الوعظ والتنبه ، ومنه قوله سبحانه "ففتوا عن امر ربهم"^٦
 ١٥ أى جاوزوا المقدار والحد فى الكفر - انتهى . وحقيقته : جاوزوا الأمر
 إلى النفى ، أو جاوزوا الائتثار بأمره ، والمادة ترجع إلى الغلظ والشدّة
 والصلاية ﴿ قلنا لهم ﴾ أى بما لنا من القدرة العظيمة ﴿ كونوا قردة ﴾
 أى فى صورة^٧ القردة حال كونكم^٨ ﴿ خستين * ﴾ أى صاغرين مطرودين

(١) من ظ ، وفى الأصل : شديدا (٢) من ظ ، وفى الأصل : ابد (٣-٢) فى
 ظ : قدم على الآثار (٤) فى ظ : قدم (٥) سقط من ظ (٦) سورة ١٥ آية ٤٤ .
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : صور (٨) من ظ ، وفى الأصل : كونهم .

بعيد^١ عن الرحمة كما يبعد الكلب . ولما تبين بما مضى من جرأتهم على المعاصي وإسراعهم فيها استحقاقهم لدوام الخزي والصغار ، أخبر أنه فعل بهم ذلك على وجه موجب للقطع بأنهم مرتبكون^٢ في الضلال ، مرتكبون / سي^٣ الأعمال ، ما دام عليهم ذلك النكال ، فقال : (واذا) ٣٧٦ / وهو عطف على " وسئلهم " [أى - ٢] واذكر لهم حين (تاذن) ٥ أى أعلم إعلاما عظيما جهرا معني به (ربك) أى الرب لك والمهد لأدلة شريعتك والناصر لك على من خالفك .

ولما كان ما قيل جاريا مجرى القسم ، تلقى بلامه^٤ ، فكان كأنه قيل : تاذن مقسما بعزته وعظمته وعلمه وقدرته : (ليعثن) أى من مكان بعيد ، وأهم أنه بعث عذاب بأداة الاستعلاء المفهومة لأن المعنى : ١٠ ليسلطن (عليهم) أى اليهود ، ومد زمان التسليط فقال : (الى يوم القيمة) الذى هو الفصل^٥ الأعظم (من يسومهم) أى ينزل بهم دائما (سوء العذاب^٦) بالإذلال والاستصغار وضرب الجزية والاحتقار ، وكذا فعل سبحانه فقد سلط عليهم الأمم^٧ ووزعهم في الأرض كل ممزق من حين أنكروا رسالة المسيح عليه السلام ، كما أتاهم به الوعد ١٥ الصادق في التوراة ، وترجمة ذلك موجودة بين أيديهم الآن في قوله في آخر السفر الأول : لا يزول القضيبي من آل يهودا ، لا يعدم سبط يهودا ملكا مسلطا واتخاذة نيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - وفي نسخة :

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : مرتكبون (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : كلامه (٥) في ظ : الفصل (٦) في ظ : الأمة .

الكل - و إياه تنتظر الشعوب، يربط بالحيلة جحشه؛ وقال السموأل في أوائل كتابه غاية المقصود: نقول لهم: فليس في التوراة التي في أيديكم ما تفسيره^١: لا يزول الملك من آل يهودا و الراسم^٢ بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح. فلا يقدرّون على جحده، فنقول لهم: إذا علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة و ملك إلى ظهور المسيح ثم انقضى ملككم - انتهى . و من أيام رسالة المسيح^٣ ساط الله عليهم الأمم و مزقهم في الأرض، فكانوا مرة تحت حكم البابليين، و أخرى [تحت أيدي المجوس، و كرة تحت قهر الروم من بني العيص، و أخرى - ^٤] في أسر غيرهم إلى أن أتى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب عليهم الجزية هو و أمته من بعده .

١٠ و لما كان السياق للعذاب و موجباته، علل ذلك مؤكدا بقوله: ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك باذلال أعدائك الذين هم أشد الأمم لك و لمن آمن بك عداوة ﴿لسريع العقاب﴾ أى يعذب عقب الذنب بالانتقام* باطنا بالنكته السوداء في القلب، و ظاهرا - إن أراد - بما يريد، و هذا بخلاف ما في الأنعام فانه في سياق الإنعام بجملهم خلافت .

١٥ و لما رهب، رغب بقوله: ﴿وانه لغفور﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا لمن تاب و آمن^٢ ﴿رحيم﴾ أى مكرم منعم بالتوفيق لما يرضاه ثم بما يكون سبب له من الإعلاء^١ في الدنيا و الآخرة .

(١) من ظ، و في الأصل: يفسره (٢) من ظ، و في الأصل: المراسم .
(٣-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و في الأصل: و الانتقام (٦) في ظ: الاعلى .

ذكر شيء مما هددوا به في التوراة على العصيان والبغي والعدوان
غير ما تقدم في المائة عند^٢ من لعنه الله و غضب عليه^١ " وغيرها من
الآيات - قال في السفر الخامس : وإن^٣ لم تحفظ وتعمل^٢ بجميع الوصايا والسنن
التي^٢ كتبت في هذا الكتاب و تتق الله ربك وتهب^٤ اسمه المحمود المرهوب ،
يخصك الرب بضربات موجعة و يتليك بها ، و يتلى نسلك من بعدك ه
و تدوم^٥ عليك ، و يبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت
قد صارت مثل نجوم السماء ، و تجلون عن الأرض [التي -^٦] تدخلونها
لترثوها ، و يفرقكم الرب بين الشعوب ، و تعبدون هنالك الآلهة الأخرى^٦
التي عملت من الحجارة والخشب ، و لا تسكنون أيضا بين تلك الشعوب ،
و لكن يصير الله قلوبكم هناك فرعة مرتجفة ، بالغداة^٧ تقولون : متى نمتى ؟ ١٠
و بالعشى تقولون : متى نصبح ؟ و ذلك من فزع قلوبكم و خوفكم و قلة
حيلكم ، و يردكم الله إلى أرض مصر في ألوف في الطريق الذي قال الرب :
لا تعودوا^٩ أن تروه ، و تباعون هناك [عبيدا -^٦] و إماء ، و لا يكون
من يشتريكم - هذه أقوال العهد^{١٠} التي أمر الله بها موسى أن يعاهد بني إسرائيل
في أرض موآب سوى العهد^{١١} الذي عاهدهم بحوريب ؛ ثم دعا موسى ١٥
جميع بني إسرائيل و قال لهم : قد رأيتم ما صنع الله بأرض مصر بفرعون

(١) آية ٦٠ (٢-٢) من ظ ، و في الأصل : لم يحفظ و يعمل (٣) في ظ : الذي .

(٤) في الأصل : بهاب ، و في ظ : تهاب (٥) من ظ ، و في الأصل : يدوم .

(٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : بالعذاب (٩) في الأصل و ظ :

لا يقدوا - كذا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ .

و جميع عبيده وكل شعبه^١ والبلايا العظيمة التي رأت أعينكم والآيات
والأعاجيب التي شهدتموها، ولم يعطكم الرب قلوبا تفهم وتعلم، ولا أعينا
تبصروا ولا آذانا تسمع إلى يومنا هذا، ودبركم في البرية أربعين سنة،
لم تبل ثيابكم عليكم ولم تخلق خفافكم أيضا ولم تأكلوا خبزا، لتعلموا
ه أنى أنا الله ربكم، وأنا الذي أتيت بكم إلى هذه البلاد، فاحفظوا وصايا
هذه التوراة واعملوا بها واثموا جميع الأعمال في طاعة الله وأكلوها،
لأنكم قد عرقتم جميعا أنا كنا سكانا بأرض مصر وجزنا بين الشعوب،
ورأيتم نجاستهم وأصنامهم، لعل فيكم اليوم رجلا أو امرأة أو قبيلة
أو سبطا يميل قلبه عن^٢ عبادة الله ربنا ويطلب عبادة آلهة^٣ تلك الشعوب،
١٠ فيسمع أقوال هذا العهد فيقول: يكون لي^٤ السلام فأتابع مسرة قلبي،
هذا لا يريد الرب أن يغفر له، ولكن هناك يشتد غضب الرب وزجره
عليه وينزل [به - *] كل اللعن الذي في هذا الكتاب، ويستأصل
الرب اسمه من تحت السماء ويفرزه الرب من جميع أسباط بني إسرائيل
للشر والبلايا، ويقول الحقب الآخر بنوكم الذين يقومون من بعدكم
١٥ والغرباء، وينظرون إلى ضربات تلك الأرض والأوجاع أنزل الله بها
ويقول الشعب^٥: لما ذا صنع الرب هكذا؟ ولما ذا^٦ اشتد غضبه على هذا
الشعب العظيم؟ ويقولون: لأنهم تركوا عهد الله إله آبائهم، فاشتد غضب
الرب على هذه الأمة وأمر أن ينزل بها كل اللعن الذي كتب في هذا

(١) من ظ، وفي الأصل: تسعة (٢) في ظ: من (٣) سقط من ظ (٤) من
ظ، وفي الأصل: إلى (٥) زيد من ظ.

الكتاب ، ويجليهم الرب عن بلادهم بغضب وزجر شديد . ويعيدهم إلى أرض غريبة كما ترى^١ اليوم ، فأما الخفايا والسرائر فهي لله ربنا ، والأمور الظاهرة المكشوفة هي لنا .

ولما أخبر سبحانه بالتأذن ، كان كأنه قيل : فأسرعنا في عقابهم بذنوبهم وبعثنا عليهم من سامهم سوء العذاب بالقتل والسبي ، فعطف^٥ عليه قوله : (وقطعناهم) أى بسبب ما حصل لهم من السبي المترتب على العذاب بما لنا من العظمة تقطيعا كثيرا بأن أكثرنا تفريقهم^٢ (في الأرض) حال كونهم (اما ج) يتبع بعضهم بعضا ، فصار في كل بلدة قليل منهم ليست^٣ لهم شوكة ولا يدفعون عن أنفسهم ظلما .

ولما كان كأنه قيل : فهل أطبقوا [بدد - ^٤] هذا العذاب على الخير ؟ قيل : لا ، بل فرقتهم الأديان نحو فرقة^٥ الأبدان (منهم الصالحون) أى الذين ثبتوا على دينهم إلى أن جاء الناسخ له فتبعوه امتثالا لدعوة كتابهم (ومنهم دون ذلك د) أى بالفسق تارة وبالكفر أخرى (وبلونهم) أى عاملناهم معاملة المبتلى ليظهر للناس ما نحن به منهم عالمون (بالحسنة) أى النعم (والسيات) أى النقم (لعلهم يرجعون *)^{١٥} أى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن غيه رغبة أو رهبة .

ولما كان العذاب الذى وقع التأذن بسببه [ممتدا - ^٤] إلى يوم القيامة ،

(١) من ظ ، وفي الأصل : يرى (٢) فى ظ : تقرعهم (٣) من ظ ، وفي الأصل : كسبت (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : فرقوا . (٦) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

تسبب عنه قوله : (خلف) أى نشأ ؛ ولما كانوا غير مستغفرين لزمان
 البعد ، أتى بالجار فقال : (من بعدهم خلف) أى قوم هم أسوأ حالا منهم
 (ورثوا الكتب) أى الذى هو نعمة ، وهو التوراة ، فكان لهم نعمة
 لشهادته عليهم بقبح أفعالهم ، لأنه بقى في أيديهم بعد أسلافهم يقرؤنه
 ٥ / ٣٧٨ ولا يعملون بما فيه ؛ قال ابن فارس : والخلف ما جاء من بعد ، أى / سواء
 كان محركا أو ساكنا ، وقال أبو عبيد الهروى في الغريين^٢ : ويقال :
 خلف سوء - أى بالسكون - وخلف صدق ، وقال الزيدى في مختصر العين :
 والخلف : خلف السوء بعد أبيه ، والخلف : الصالح ، وقال ابن القطاع
 في الأفعال : وخلفَ خلفُ سوء : [صاروا بعد قوم صالحين ، وخلفَ
 ١٠ سوء ، قال الأخفش : هما سواء^٢ ، أى بالسكون -^٤] ، * منهم من يسكن
 ومنهم من يحرك فيها جميعا ، ومنهم من يقول : خلف صدق - أى
 بالتحريك - وخلف سوء - أى بالسكون * - [يريد بذلك الفرق بينهما ،
 وكل ذلك إذا أضاف ، يعنى فإذا لم يضاف كان السكون -^٤] للفساد ،
 والتحريك للصالح ؛ وقال فى القاموس : خلف تقيض قدام ، والقرن
 ١٥ بعد القرن ، ومنه : [هؤلاء -^٦] خلف سوء ، والردىء من القول ؛
 وبالتحريك الولد الصالح ، فإذا كان فاسدا أسكنت^٧ اللام ، وربما استعمل
 كل منهما مكان الآخر ، يقال : هو خلف صدق من أبيه - إذا قام مقامه ،
 (١) فى ظ : له (٢) من ظ ، وفى الأصل : الغريين - كذا (ب) من كتاب
 الأفعال - خلف ، وفى ظ : سوء (٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ (هـ-هـ) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٦) زيد من القاموس (٧) من القاموس ، وفى الأصل
 وظ : سكنت .

أو^١ الخلف بالسكون و بالتحريك^٢ سواء، الليث : خلف للأشعار خاصة،
و بالتحريك ضده . و المادة ترجع إلى الخلف الذى هو تقيض قدام،
كما يفت ذلك فى فن المضطرب من حاشيق على شرح ألفية العراقي .
و لما كان المظنون بمن^٣ يرث الكتاب الخير، فكان كأنه قيل :
ما فعلوه^٤ من الخير فيما^٥ ورثوه ؟ قال مستأنفا : ﴿ ياخذون ﴾ أى يجددون ه
الآخذ دائما ، و حقر^٦ ما أخذوه بالإعلام بأنه بما يعرض و لا يثبت بل
هو زائل فقال : ﴿ عرض ﴾ و زاده حقارة بإشارة الحاضر فقال :
﴿ هذا ﴾ و صرح بالمراد بقوله : ﴿ الادنى ﴾ أى من الوجودين ، و هو
الدنيا ﴿ و يقولون ﴾ أى دائما من غير توبة .

و لما كان النافع الغفران من غير نظر إلى معين، بنوا للفعول قولهم : ١٠
﴿ سيفقر لناج ﴾ أى^٧ من غير شك ، فأقدموا على السوء و قطعوا بوقوع
ما يبعد [وقوعه فى المستقبل حكما على من يحكم و لا يحكم عليه ، و صرح
بما أفهمه ذلك من -^٨] إصرارهم معجبا منهم فى جزمهم بالمغفرة مع
ذلك بقوله : ﴿ وان ﴾ أى و الحال أنه إن ﴿ يأتهم عرض مثله ﴾
[أى فى الدناءة و الخسة -^٩] و الحرمة كالرشى ﴿ ياخذوه^{١٠} ﴾ . ١٥
[و لما كان هذا عظيما ، أنكر عليهم مشددا -^{١١}] " للنكير بقوله "

(١) فى ظ « و » (٢) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : التحريك (٣) فى ظ :
من (٤) فى ظ : فعلوا (٥) فى ظ : بما (٦) من ظ ، و فى الأصل : حقق (٧) سقط
من ظ (٨) زيد ما بين الحাজزين من ظ (٩) زيد من ظ و القرآن الكريم .
(١٠-١١) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على « و الحرمة كالرشى » و الترتيب
من ظ .

مستأنفا^١: ﴿الم يؤخذ عليهم﴾ بناء للفعول إشارة إلى أن العهد يجب الوفاء به على كل حال، ثم عظمه بقوله: ﴿ميثاق الكتب﴾ أى الميثاق المؤكد [فى التوراة - ٢] ﴿ان لا يقولوا﴾ [أى قولاً من الأقوال وإن قل - ٢] ﴿على الله﴾ أى الذى له كمال العظمة ﴿الا الحق﴾ أى المعلوم ثباته، وليس من المعلوم ثباته إثبات المغفرة على القطع بغير توبة، بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب.

ولما كان ربما وقع فى الوم أنه أخذ على أسلافهم ولم يعلم هؤلاء به، نفى ذلك بقوله: ﴿ودرسوا ما فيه^٢﴾ أى ما فى ذلك الميثاق بتكرير القراءة للحفظ ﴿والدار الآخرة﴾ أى فعلوا ما تقدم من بجانب التقوى ١٠. والحال أن الآخرة ﴿خير﴾ أى بما يأخذون ﴿لذين يتقون^٣﴾ أى وهم يعلمون ذلك بإخبار كتابهم، ولذلك أنكر عليهم^٤ بقوله: ﴿افلا يعقلون^٥﴾ أى حين أخذوا ما يشقيهم ويفنى بدلا مما يسعدهم ويبقى، وعلى قراءة نافع وابن عامر وحفص بالخطاب يكون المراد الإعلام بتناهى الغضب.

١٥ ولما بين ما للفسدين من^٦ كونهم قالوا على الله غير الحق فلا يغفر لهم، بين ما للصالحين^٧ المذكورين فى قوله "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ومنهم الصالحون" فقال عاطفا على تقديره: أولئك حببطت أعمالهم فيما

(١) تأخر فى الأصل عن «الميثاق المؤكد» والترتيب من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى ظ: أكد فى الكتاب والكتاب (٤) فى ظ: عليه (٥) فى ظ: عما (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: للصالحين.

درسوا من الكتاب ، ولا يغفر لهم ما أتوا من الفساد : ﴿ والذين يمكن ﴾
 أى يمكنهم إمساكا شديدا يتجدد على [كل - '] وجه الاستمرار ،
 وهو إشارة إلى أن التمسك بالسنة فى غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور
 الفساد ﴿ بالكتب ﴾ أى فلا يقولون على الله إلا الحق ، ^٢ ومن جملة
 تمسيكهم / المتجدد انتقلهم عن ذلك الكتاب عند إتيان الناسخ لأنه ناطق ٥ / ٢٧٩
 بذلك - والله الموفق .

ولما كان من تمسيكهم بالكتاب عند نزول هذا الكلام انتقلهم
 عن دينهم إلى الإسلام كما وقع الأمر به فى المواضع التى تقدم بيانها ،
 عبر عن إقامة الصلاة المعهودة لهم بلفظ الماضى دون المضارع لئلا يجعلوه
 حجة فى الثبات على دينهم ، فيفيد ضد المراد فقال : ﴿ واقاموا الصلوة ^١ ﴾ ١٠
 وخصها إشارة إلى أن الأولين تركوها كما صرح به فى آية مريم ،
 وتوابعها ^٢ بشأنها بيانا لأنها من أعظم شعائر الدين ، ولما كان التقدير إخبارا
 عن المبتدئين : ستؤتيهم أجورهم لإصلاحهم ، وضع موضعه للتعميم قوله :
 ﴿ انا لا نضيع ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اجر المصلحين ٥ ﴾ .

ولما ذكر الكتاب أنه رهبهم من مخالفته و رغبهم فى مؤالفته ، ١٥
 وكان عذاب الآخرة مستقبلا وغائبا ، وكان ما هذا شأنه لا يؤثر
 فى الجامدين ، أمره أن يذكرهم ^٣ بترهيب ذنبوى مضى إبقاعه بهم ،
 ليأخذوا موائق الكتاب لغاية الجد مع أنه لا يعلمه إلا علماءهم ، فيكون

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 ثبوتها (٤) فى ظ : اجرهم (٥) فى ظ : يذكره .

علم الآمى^١ له من أعلام نبوته الظاهرة فقال: ﴿واذ﴾ أى اذكر لهم هذا ، فان لم يتعظوا اذكر لهم إذ ﴿تقنا^٢﴾ أى قلنا^٣ ورفنا ، [و-^٤] أتى بنون العظمة لزيادة الترهيب ﴿الجليل﴾ عرفه لمعرفتهم به ، [و عبر به لدلالة لفظه على الصعوبة والشدة دون الطور - كما فى البقرة - لأن السياق لبيان نكدهم بأسراعهم فى المعاصى الدالة على غلظ القلب -^٥] .
ولما كان مستغرقا لجميع الجهة الموازية لعساكرهم ، حذف الجار فقال :
﴿فوقهم﴾ [ثم بين أنه كان أكبر منهم بقوله -^٦] : ﴿كانه ظلة﴾ أى سقف ، وحقق أنه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله : ﴿وظنوا﴾ هو على حقيقته ﴿انه واقع﴾ ولما كان ما تقدم
١٠ قد حقق العلو ، لم يحتاج إلى حرف الاستعلاء ، فقال مشيرا إلى السرعة واللسوق : ﴿بهم﴾ أى إن^٧ لم يأخذوا عهد^٨ التوراة ، قالوا : ولما رأوا ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ، و صار ينظر بعينه النبى^٩ إلى الجبل^{١٠} فزعا من سقوطه ، وهى ستة لهم فى سجودهم إلى الآن ، يقولون : هذه السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة .

١٥ ولما كان كأنه قيل : فقالوا : أخذنا يا رب عهدك ، قال مشيرا إلى عظمته ليشد إقبالهم عليه إشارة إلى أنه علة رفع الجبل : ﴿خذوا ما اتينكم﴾ أى بعظمتنا ، فهو جدير بالإقبال عليه وأن يعتقد فيه الكمال ، وأكد ذلك بقوله : ﴿بقوة﴾ أى عزم عظيم على احتمال

(١) فى ظ : الادنى (٢) تقدم فى ظ على « أى اذكر » (٣) فى ظ : قطعنا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (د) سقط من ظ (٦) فى ظ : عهد (٧-٧) فى ظ : اليه .

مشاقه^١؛ ولما كان الأخذ للشيء بقوة ربما نسيه في وقت ، قال :
 ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ أى [من الأوامر والنواهي وغيرها - ^٢]
 فلا تنسوه ﴿ لعلمكم تقون ﴾ أى ليكون^٣ حالكم حال من يرجى تقواه ،
 فدل سبحانه بهذا على تأكيد الموائيق عليهم في^٤ أخذ جميع ما في الكتاب
 الذى من جملته^٥ ألا تقولوا^٦ على الله إلا الحق ولا تكتموا^٧ شيئا منه ، قالوا : ه
 ولما قرأ موسى عليه السلام [الألواح] وفيها كتاب الله لم يبق على الأرض
 شجر ولا جبل ولا حجر إلا اهتز ، فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التوراة
 إلا اهتز وانفض رأسه - ^٨] .

ولما ذكر أنه ألزمهم أحكام الكتاب على هذه الهيئة القاهرة الملبجة
 انقاسرة التى هى من أعظم الموائيق عند أهل الأخذ ، وأنه أكد عليهم ١٠
 الموائيق فى كثير من فصول الكتاب ، وكان ذلك كله خاصا بهم ؛ أمره
 أن يذكر لهم أنه ركب لهم فى عموم هذا النوع الآدمى من العقول ونصب
 من الأدلة الموضحة للأمر إيضاح المشهود للشاهد ما لو عذب تاركة والمتهاون
 به لكان تعذيبه جاريا على المناهج ملائما للعقول ، ولكنه لسبق رحمته
 وغلبة رأفته لم يؤخذ بذلك حتى ضم إليه الرسل ، وأنزل معهم الكتب ، ١٥
 وأكثر فيها من الموائيق ، وزاد فى الكشف والبيان ، وإلى ذلك الإشارة
 باسم الرب ، فكان من عنده علم أشد ملامة من الجاهل^٩ ، فقال : ﴿ واذ ﴾
 أى واذكر لهم / إذ ﴿ اخذ ﴾ أى خلق بقوله وقدرته ﴿ ربك ﴾ أى المحسن

٣٨٠ /

(١) فى ظ : شاقه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : لتكون (٤) فى ظ :
 من (هـ) فى ظ : ان لا يقولوا (٦) فى ظ : لا يكتموا (٧) فى ظ : الكافر .

إليك بالتمهيد لرسالتك كما يؤخذ القمل بالمشط^١ من الرأس .
ولما كان السياق لأخذ الموائيق والأخذ بقوة ، ذكر أخذ الذرية
من أقوى نوعي الآدمي ، وهم الذكور فقال : ﴿ من بنى آدم ﴾ و ذكر
أنه جعلها من أمتن الأعضاء فقال : ﴿ من ظهورهم ﴾ كل واحد من
ه ظهر آيه ﴿ ذريتهم^٢ ﴾ إشارة إلى أنه [لا - ٢] أكد عليهم الموائيق
وشدها لهم [وأمرهم - ٢] بالقوة في أمرها ، أعطاهم من القوة^٣ في
التركيب و المزاج ما يكونون^٤ به مطيعين لذلك ، فهو تكليف بما في
الوسع ، و جعل لهم عقولا عند من قال : هو على حقيقته كنملة سليمان
عليه الصلاة والسلام ﴿ واشهدهم^٥ على أنفسهم ج ﴾ أى أوضح لهم من
البراهين من الإنعام بالعقول مع خلق السموات و الأرض و ما فيهما على
هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية و تمام العلم و القُدرة ، و من إرسال
الرسل المؤيدين بالمعجزات ما كانوا^٦ كالشهود بأنه لا رب غيره ؛
[٢ -] وقد ذكر معنى هذا الإمام حجة الإسلام الغزالي في الكلام على العقل
من باب العلم من الإحياء فانه قال في معنى هذه الآية : و المراد إقرار^٧
١٥ نفوسهم ، لا إقرار الألسنة ، فانهم انقسموا^٨ في إقرار الألسنة حيث

(١) من ظ ، و في الأصل : من المشط (٢) هذا على قراءة نافع و أبي عمرو و ابن
عامر و يعقوب ، و قرأ الباقر بالتوحيد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٤) في ظ : القوى (٥) من ظ ، و في الأصل : يكون (٦) من ظ و القرآن الكريم ،
و في الأصل : اشهدتهم (٧) من ظ ، و في الأصل : اتوا (٨) من إحياء العلوم
١٥/٦٤ ، و في ظ : افراد (٩) من الإحياء ، و في ظ : ان قسموا - كذا .

وجدت الألسنة والأشخاص؛ ثم ذكر أن النفوس فطرت على معرفة الأشياء على ما هي عليه لقرب الاستعداد للادراك .

ولما^١ تبين أنه فرد لا شريك له فلا راد لأمره ، وأنه رب فلا أراف منه ولا أرحم ، كان ذلك أدعى إلى طاعته خوفاً من سطوته ورجاء لرحمته ، فكانوا بذلك بمنزلة من سئل عن الحق فأقر به ، فلذلك ه قال : ﴿ الست بربكم^٢ ﴾ أى المحسن إليكم بالخلق والثرية بالرزق وغيره ﴿ قالوا بلى ج شهدنا ج ﴾ أى كان علمنا بذلك علماً شهودياً ، وذلك لأنهم وصلوا بعد البيان إلى حد لا يكون فيه الجواب إلا ذلك فكأنهم قالوه ؛ فهو - والله أعلم - [من -^٣] وادى قوله تعالى " والله يسجد من فى السموات والارض [٢ - طوعاً وكرها^٤] - الآية و " الله يسجد ما فى السموات ١٠ والارض [من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون^٥] " .

ولما كان كأنه قيل : لم فعل ذلك ؟ قيل : دلالة على أن المتقدم إنما هو على طريق التمثيل بجعل تمكينهم من الاستدلال كالإشهاد ، فعله كراهة ﴿ ان يقولوا^٦ يوم القيمة ﴾ أى إن لم ينصب^٧ لهم الأدلة ﴿ انا كنا عن هذا ﴾ أى وحدانيتك وربوبيتك ﴿ غفلين^٨ ﴾ أى لعدم ١٥ الأدلة فلذلك^٩ أشركنا ﴿ او يقولوا ﴾ أى لو لم نرسل إليهم الرسل ﴿ انما اشرك ابأؤنا من قبل ﴾ أى من قبل أن نوجد^{١٠}

(١) فى الأصل وظ : ما (٢) زيد من ظ (٣) سورة ١٣ آية ١٥ (٤) سورة ١٦ آية ٤٩ (٥) هذا وما بعده على قراءة أبى عمرو ، وقرأ الباقون بالخطاب (٦) فى ظ : لم تنصب (٧) من ظ ، وفى الأصل : فان ذلك (٨) من ظ ، وفى الأصل : يوجد .

(و كنا ذرية من بعدهم ع) فلم نعرف لنا 'مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشقنا
اتباعهم عن النظر ولم يأتنا رسول منبه^٢، فيتسبب عن ذلك إنكارهم في
قولهم: (قاتلنا بما فعل المبطلون ه) أى من آباءنا؛ قال أبو حيان:
و المعنى أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما
تضمنه العهد من توحيد الله و عبادته لكانت لهم حجتان: إحداهما ' كنا
غافلين، و الأخرى ' كنا تبعا لأسلافنا ' فكيف و الذنب إنما هو لمن
طرق لنا و أضلنا - انتهى . و مما يؤيد معنى التمثيل حديث أنس في الصحيح
' يقول الله لأهل النار عذابا: لو أن لك ما فى الأرض من شئ
كنت تفقدى به ؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا
١٠ و أنت فى صلب آدم أن لا تشرك شيئا، فأيت إلا الشرك^٣، و ذلك لأن
التصريح بالآباء ينافى كون الإقرار على حقيقته، و الأخذ و هو فى الصلب
إنما هو بنصب الأدلة و تقرير الحق على وجه مهيئ للاستدلال بتركيب
العقل على القانون الموصل إلى المقصود عند الخلى من الحظوظ و الشوائب،
و هذا الذى وقع تأويل الآية به لا يعارضه حديث الاستنطاق فى عالم
١٥ الذر على تقدير صحته، فانه روى من طرق كثيرة جدا ذكرتها فى كتابى
سر الروح، منها فى الموطأ و مسند أحمد و إسحاق بن راهويه و محمد بن نصر^٤
المروزي و أبى يعلى الموصلى و مستدرک الحاكم و كتاب المائتين / لأبى عثمان

/ ٣٨١

- (١) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ،
و فى الأصل: منبه (٣) من ظ و الصحيح - الأنبياء، و فى الأصل: اشرك -
(٤) فى ظ: الخلق (ه) من تهذيب التهذيب، و فى الأصل وظ: مضر .

الصابوني عن صحابة و تابعين مرفوعا [و موقوفا - ^١] منهم عمر
و أبي بن كعب و أبو هريرة و حكيم بن حزام و عبد الله بن سلام
و عبد الله بن عمرو و ابن عباس و ابن مسعود رضى الله عنهم ، و عن محمد
ابن كعب و عطاء بن يسار و سعيد بن المسيب و أبي العالية رحمهم الله ،
و إنما كان لا يعارضه لأن فى بعض طرقه عن أبي [بن - ^٢] كعب رضى الله
عنه ^٣ أنه سبحانه قال بعد أن استنطقهم : فاق شهد عليكم السموات السبع
و الأرضين السبع ، و أشهد عليكم أبائكم آدم أن تقولوا [يوم القيامة - ^١] :
إنا كنا عن هذا غافلين ، فلا تشركوا بى شيئا ، فاق أرسل إليكم رسل
يذكرونكم عهدي و ميثاقى ، و أنزل عليكم كتبي ، فقالوا : نشهد أنك ربنا
و إلهنا ، لا رب لنا غيرك . فالاستنطاق فى الحديث على بابه ، عبرة لآلينا ١٠
آدم عليه السلام و من حضر ذلك من الخلق ، و إيقافا لهم على بديع
قدرته و عظيم علمه . و إشهاد ما أشهد من المخلوقات بمعنى أنه ^٦ نصب
فيها من الأدلة ما يكون إقامة الحجة به عليهم بالنقض إن أشركوا كشهادة
[الشاهد - ^١] الذى لا يرد ، و ليس فى شيء من الروايات ما ينافى هذا ؛
و الحاصل أنه أخذ علينا عهدان : أحدهما حالى تهدى إليه العقول ، و هو ١٥
نصب الأدلة ، و الآخر مقالى أخبرت به الرسل ، كل ذلك للإعلام بمزيد
الاعتناء بهذا النوع البشرى لما له من الشرف الكريم و يراد به من

(١) زيد من ظ (٢) زيد ولا بد منه (٣) العبارة من ٥ عن أبي ، إلى هنا ساقطة
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : الأرض (هـ) من ظ ، وفى الأصل : عمله .
(٦) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

الامر العظيم - 'والله الموفق' .

ولما كان كأنه قيل تنبيها على جلالة هذه الآيات: انظر كيف فصلنا هذه الآيات هذه التفاصيل الفائقة وأبرزناها في هذه الأساليب الرائقة، [قال-٢]: ﴿وكذلك﴾ أى ومثل ذلك التفصيل البديع^٢ الجليل الرفيع ه ﴿نفصل الآية﴾ أى كلها لثلا يواقعوا ما لا يليق بجنابنا جهلا لعدم الدليل ﴿واعلمهم يرجعون ه﴾ أى وليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن الضلال إلى ما تدعو إليه الهداة من الكمال عن قرب إن حصلت غفلة فواقعوه، وذلك من أدلة "والذى" خبث لا يخرج الانكدا "وما وجدنا لا كثرهم من عهد" و^٢ "صايرف عن ابنتى" .

١٠ ولما ذكر لهم ما أخذ عليهم فى كتابهم من الميثاق الخاص الذى انسلخوا منه، وأتبعه الميثاق العام الذى قطع به الاعتذار؛ أتبعهما [بيان-٢] ما يعرفونه من حال من انسلخ من الآيات، فأسقطه الله من ديوان السعداء، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يتلو ذلك عليهم، لأنه - مع الوفاء ببيكيتهم - من أدلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه، فذكرهم ما وقع له فى نبد العهد ١٥ والانسلخ من الميثاق بعد أن كان قد أعطى الآيات وأفرغ عليه من الروح فقال: ﴿واتل﴾ أى اقرأ شيئا بعد شيء ﴿عليهم﴾ أى اليهود وسائر الكفار بل الخلق كلهم ﴿بنا الذى﴾ وعظم ما أعطاه بمظهر العظمة ولفظ الإيتاء بعد ما عظم خبره بلفظ الإنباء فقال: ﴿اتينته﴾ .

(١ - ١) تقدم فى الأصل على «والحاصل أنه» والترتيب من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل: ترجى (ه-ه) فى ظ: وادى .

ولما كان تعالى قد أعطاه من إجابة الدعاء وصحة الرؤيا وغير ذلك
 بما شاء سبحانه أمرا عظيما بحيث دله^١ على الله تعالى دلالة لا شك فيها ،
 وكانت الآيات كلها متساوية الأقدام في الدلالة وإن كان بعضها أقوى
 من بعض ، قال تعالى : ﴿ ائْتِنَا ﴾ وهو بلعام من غير شك للسباق والحق ،
 وقيل : هو رجل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين فرشاه فبيع دينه ٥
 فافتن به الناس ، وقيل : هو أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي قال فيه
 النبي صلى الله عليه وسلم « آمن شعره و كفر قلبه » ، قاله عبد الله بن
 عمرو^٢ سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ، وقيل : هو^٣ أبو عامر الراهب
 الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق ، وقيل : نزلت في منافق
 أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فأنكروه . ١٠

ولما كان / الذي جرأهم على عظمته سبحانه ما أنعم عليهم به من
 إعطاء الكتاب ظنا منهم أنه لا يشقيهم بعد ذلك ، رهبهم ببيان أن^٤ الذي
 سبب له هذا الشقاء هو إيتاء^٥ الآيات فقال : ﴿ فانسئ منها ﴾ أى فارقها
 بالكلية كما تنسلخ الحية من قشرها ، وذلك بسبب أنه لما كان محاب
 الدعوة سألها ملك زمانه الدعاء على موسى وقومه فامتنع فلم يزل يرغبه ١٥
 حتى خالف أمر الله اتباعا لهوى نفسه ، فتمكن منه الشيطان ، وأشار عليه
 أن يرسل إليهم النساء مزينات و يأمرهن أن لا يمتنعن^٦ من أحد ، فأشقاء الله ،
 وهذا معنى ﴿ فاتبعه الشيطان ﴾ أى فأدركه مكره فصار قرينا له

(١) من ظ ، وفي الأصل : دل (٢) في ظ : بن (٣) من ظ ، وفي الأصل : هذا .
 (٤) في ظ : انه (٥) من ظ ، وفي الأصل : اتيان (٦) من ظ ، وفي الأصل :
 لا يتبعن .

(فكان) أنى فتسبب عن إدراك الشيطان له أن كان (من العوين *)
 أى الضالين الراكبين هوى نفوسهم^١، وعبر في هذه القصة بقوله "أتل"
 دون "وسئلهم عن" نحو ما مضى في القرية، لأن هذا الخبر مما يحجب
 ذكره لأن سلخه من الآيات كان لأجلهم، فهو شرف لهم، فلو سألهم
 عنه لبادروا إلى الإخبار به ولم يتلغشوا^٢ فلا تكون تلاوته صلى الله
 عليه وسلم بعد ذلك لما أنزل في شأنه^٣ واقعاً موقع ما لو أخبرهم به
 [قبل - ٤]، ولعل المقصود الأعظم من هذه الآية والتي قبلها الاستدلال
 على كذب دعواهم في قولهم "سيغفر لنا" بما هم قائلون به، فيكون من
 باب الإلزام، وكأنه قيل: أتم قائلون بأن من أشرك لا يغفر له لتركه
 ١٠ ما نصب له من الأدلة حتى أنكم لتقولون "ليس علينا" في الامن سبل"
 لذلك، فالكم توسعون المغفرة لكم في ترك ما أخذ عليكم به الميثاق الخاص
 وقد ضيقتموها على غيركم في ترك ما أخذ عليهم به الميثاق العام؟ ما ذلك
 إلا مجرد هوى، فان قلتم: الأمر في أصل التوحيد أعظم فلا يقاس
 عليه، قيل لكم: أليس المعبود قد حرم الجميع؟ وعلى النزول فن المسطور
 ١٥ في كتابكم أمر بلعام وأنه ضل، وقد كان أعظم من أحباركم^٦، فأننا
 آتيناه آيات من غير واسطة رسول، وكان سبب هلاكه - كما تعلمون -
 وخروجه من ربة الدين وإحلاله دمه مشورته^٨ على ملك زمانه بأن يرسل

(١) من ظ، وفي الأصل: روسهم (٢) في الأصل: لم يتعلموا، وفي ظ:
 لم يتعلموا - كذا (٣) في ظ: شأنهم (٤) زيد من ظ (٥) من ظ والقرآن الكريم
 سورة ٣ آية ٧٥، وفي الأصل: لنا (٦) في ظ: أحادكم (٧) في ظ: لما (٨) في
 الأصل: مستوريه، وفي ظ: مسورته - كذا.

النساء إلى عسكر بنى إسرائيل متزينات غير نمتعات ممن أرادهن ، وذلك من
الفروع التي هي أخف من باب الأموال ، فقد بحتم كذبكم في قولكم
" سيغفر لنا " وأنكم لم تتبعوا فيه إلا أهوى كما تبعه بلعام فانظروا^١
ما فعل به .

ولما كان هذا السياق موهما لمن لم يرسخ قدمه في الإيمان أن ه
الشیطان له تأثير مستقل في الإغواء^٢ ، نثي ذلك غيره^٣ على هذا المقام
في مظهر العظمة فقال : (ولو شئنا) أى أن نرفعه بها على ما لنا من
العظمة التي من دنا من ساحتها بغير إذن محق (لرفعناه) أى في المنزلة
رفعة دائمة (بها) أى الآيات حتى لا يزال عاملا بها .

ولما علق الأمر بالمشيئة تنبيها على أنها هي^٤ السبب الحقيقي وأن ١٠
ما لم يشأه سبحانه لا يكون ، وكان التقدير : ولكننا لم نشأ ذلك وشئنا له
الكفر فأخلدناه - إلى آخره ، عبر عنه تعليما للأدب في إسناد الخير
إلى الله والشر إلى غيره وإن كان الكل خلقه [حفظا - °] لعقول
الضعفاء من إيهام نقص أو^٥ إدخال لبس بقوله مسندا نقصه إليه :

(ولكنّه اخلد) أى فعل فعل من أوقع الخلد - وهو^٦ الدوام - وأوجده^٧ ١٥
(إلى الارض) أى رمى بنفسه إلى الدنيا رميا ، تهالكا على ما فيها من
الملاذ الحيوانية والشهوات النفسانية (واتبع) أى اتباعا شديدا

(١) من ظ ، وفي الأصل : فانظروا (٢) من ظ ، وفي الأصل : الأغراء .
(٣) سقط من ظ (٤) في ظ : من (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل
« و » (٧ - ٧) في ظ : دوام ووجوده - كذا .

(هو به ج) فأعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات مقدما لداعى نفسه على داعى روجه ، لأن القلب الذى هو نتيجتهما فى عالم الأمر له وجهان : وجه إلى الروح العلوى الروحانى الذى هو الأب ، وله الذكورة المناسبة للعلو ؛ ووجه إلى النفس التى ^١ / هى الروح الحيوانى التى هى الأم ولها المناسبة للأرض بالأنوثة و بأن أصلها من التراب الذى له الرسوب بوضع الجبلية ، ه فالتقدير : فخط نفسه خطأ عظيما ، لأننا لم نشأ رفعه بما أعطيناه من الآيات ، وإنما جعلناه وبالا عليه ، فلا يعتر أحد بما أوتى من المعارف ، وما حاز من المفاخر واللطائف ، فإن العبرة بالخواتيم ، ولنا بعد ذلك أن نفعل ما نشاء .
ولما كان هذا حاله ، تسبب عنه أن قال تعالى : (فثله) أى مع ١٠ ما أوتى من العلم فى اتباعه ^٢ لمجرد هواه من غير دليل بعد الأمر بمخالفة الهوى (كمثل الكلب ج) أى فى حال دوام اللهث .

ولما كان [كأنه - ٢] قيل : مثله فى أى أحواله ؟ قال : فى كونه (أن تحمل عليه) أى لتضربه (يلهث أو تتركه يلهث ^٣) فان أوجب لك الحمل عليه ظن أن لهته لما حاول من ذلك التعب ردك عنه لهته فى الدعة ^٤ ، ١٥ فاعلم حيثذ أنه ^٥ ليس له ^٦ سبب إلا اتباع الهوى ، فتابع الهوى مثل الكلب كالبين ، ومثال هذا المنسلخ الجاهل الذى لا يتصور أن يتبع غير الهوى ، لأنه يتبع الهوى مع إتياء الآيات فبعد الانسلاخ منها أولى ، فقد ^٧ وضع تشبيه ^٨ مثله بمثل الكلب ، لا ^٩ تشبيه مثله ^{١٠} بالكلب ، وهذه القصة تدل على

(١) تكرر فى الأصل (٢) فى ظ : اتيانه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الدعوة .
(٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : لا (٦) من ظ ، وفى الأصل : فكم (٧) سقط من ظ .
(٨-٨) من ظ ، وفى الأصل : يشبه بمثله .

أن من كانت نعم الله في حقه أكثر، كان بعده عن الله إذا عرض عنه أعظم وأكبر^١.

ولما تقرر المثلان، وكان كل منهما منطبقاً على حالة^٢ كل مكذب، كانت النتيجة قوله: ﴿ذاك﴾ أى كل من المثليين ﴿مثل القوم﴾ أى الأقوياء على ما يحاولونه ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ أى فى [أب - ٢] ه تركهم لها إنما هو بمجرد الهوى، لأن لها من الظهور والعظمة بنسبتها إلينا ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة ﴿فأقصص القصص﴾ أى فأخبر الإخبار العظيم الذى تتبعته به مواقع الوقائع وآثار الأعيان حتى لم تدع فى شيء منها لبساً على كل من يسمع لك من اليهود وغيرهم، وهو مصدر قص الشيء - إذا تبع أثره واستقصى فى ذلك ﴿لعلهم يتفكرون﴾ ١٠ أى ليكون حالهم حال من يرجى تفكره فى هذه الآيات، فيعلمون أنه لا يأتى بمثلها من غير معلم من الناس إلا نبى، فيردهم ذلك إلى الصواب حذراً من مثل حال هذا.

ولما ظهر بهذا أن مثل الكلب الذى اكتسب من ممثوله من السوء والقذارة^٣ ما لا يعلمه حق عليه^٤ إلا الله تعالى مثل المكذبين بالآيات؛ أنتج ١٥ ذلك قوله تأكيداً لدمهم وزجرهم: ﴿سَاء مثلاً لقوم﴾ أى مثل القوم ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ أى فلو لم يكن عليهم درك^٥ فى فعلهم أن لا تنزل هذا المثل عليهم لكان أعظم زاجراً^٦ له أدنى مروءة، لأنهم نزلوا عما

(١) فى ظ: أكثر (٢) فى ظ: حال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: لا (٥) من ظ، وفى الأصل: حلها - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: القذرة (٧) سقط من ظ. (٨) من ظ، وفى الأصل: زجر.

لمن يتبعها من العظمة إلى ما ظهر بهذا المثل من الخسة ، فكيف وهم يضرون أنفسهم بذلك و^١ لا يضرون إلا إياها ، وذلك معنى قوله : ﴿ وانفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ كانوا يظلمون ه ﴾ أى كان ذلك^٢ فى طبعهم جبلة لهم ، لا يقدر غير الله على تغييره .

هـ ولما كان ذلك محل عجب بمن يميل عن^٣ المنهج بعد إيضاحه هذا الإيضاح الشافى ، قال جوابا لمن كأنه قال : فما لهم لا يؤمنون ؟ مفصلا لقوله ” ولو شئنا لرفعنه بها “ : ﴿ من يهد الله ﴾ أى يخلق الهداية فى قلبه الملك الأعظم الذى لا أمر لاحد معه ﴿ فهو المهتدى ج ﴾ أى لا غيره . ولما كان فى سياق الاستدلال على أن أكثر الخلق هالك بالفسق ١٠ ونقض العهد ، وحده ” المهتدى “ نظرا إلى لفظ ” من “ ، وجمع الضال^٤ نظرا إلى معناها فقال : ﴿ ومن يضل فاولئك هم ه ﴾ أى البعداء البغضاء خاصة لا غيرهم ﴿ الخسرون ه ﴾ إذ^٥ لا فعل لغيره أصلا ، والآية من فذلك ما مضى ، وما أحسن ختمها بالخسران فى وعظ من ترك الآخرة بأقباله على أرباح الدنيا وأعراضها القانية ، ثم تعقيها بذره جهنم ١٥ الذين لا أخسر^٦ منهم .

/٣٨٤

ذكر^١ قصة بلعام من التوراة - قال فى السفر الرابع منها بعد أن ساق قتالهم لسيحون ملك الأمورانيين : و فرق الموابيون^٢ من الشعب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : على (٤) فى ظ : مع (ه) فى ظ : الضلال (٦) تأخر فى الأصل عن ” لا غيرهم “ و الترتيب من ظ (٧) فى ظ : أى (٨) فى ظ : خسر (٩) من التوراة ، وفى الأصل : الموابتون ، وفى ظ : الموابيين - كذا .

فرقا شديدا لأنهم رأوه شعبا عظيما ، فاضطرب الموآبيون ورجفت
قلوبهم خوفا من بنى إسرائيل ، وقال ملك موآب لأشياخ مدين : اعلموا
أن هذا الجمع يرتعى حرثنا ، ولا يدع أحدا إلا أهلكه ، ويرتعى كل
من حولنا^١ كما يرتعى الثور عشب الأرض ، وكان ملك الموآبيين
فى ذلك الزمان بالاق بن صفور ، فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور^٢ ه
العراف المعبر الأحلام الذى كان ينزل على شاطئ النهر قريبا من أرض
بنى عمون ليدعوه إليه فيستعين به : أخبرك أنه [قد -^٣] خرج شعب
من أرض مصر ، ففتشى وجه الأرض كلها ، وقد نزلوا جبالنا ، فأطلب
إليك أن تأتى وتلعن هذا الشعب لأنه أقوى وأعز منا . لعلنا نقدر أن
نحاربه ونهلكه عن جديد الأرض ، لأنى عارف أن الذى تباركه هو ١٠
مبارك ، والذى تلعنه هو ملعون . وانطلق أشياخ موآب وأشياخ مدين
ومعهم هدايا وجواز ، فأتوا بلعام فقالوا له قول بالاق ، فقال لهم :
يبتوا ههنا ليلتكم هذه فأخبركم بما يقول الرب ، فأقام أشراف موآب
عند بلعام ، فأتى ملك الله بلعام وقال له : من القوم الذين أتوك ؟ قال
بلعام للملاك : بالاق بن صفور ملك موآب أرسل إلى وقال : قد ١٥
خرج شعب من أرض مصر فلا وجه الأرض ، فأقبل إلينا^٤ حتى
تلعنه ، لعل^٥ أقدر أن أجاهده وأهلكه ، وقال الملاك^٦ لبلعام : لا تنطلق
مع القوم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك ، فقال بلعام بكرة لعظما^٧ .
(١) فى ظ : حولها (٢) فى ظ : فعورا (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
واخبركم (٥) من ظ ، وفى الأصل : للملايكة (٦) فى ظ : بالاق (٧) من ظ ،
وفى الأصل : علينا (٨) فى ظ : لعل ان (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : الملك .
(١١) فى الأصل و ظ : عظما .

بالاق : انطلقوا إلى صاحبكم ، لأن الرب لم يجب أن يدعى أنطلق معكم ،
 ونهض^١ عظماء موآب فأتوا بالاق وقالوا له : لم يهو بلعام إتيانك معنا ،
 فعاد بالاق أيضا فأرسل رسلا أعظم وأكرم من الأولين ، [فأتوا بلعام
 وقالوا له : هكذا يقول بالاق بن صفور : لا نمتنع أن تأتيني - ^٢] لآنى
 ه سأعظمك وأكرمك جدا ، وما قلت لى من شيء فعلت ، وأقبل إلينا
 [لتلعن لى - ^٣] هذا الشعب ، فرد بلعام على رسل بالاق قائلا : لو أن
 بالاق أعطاني ملة بيته ذهباً وفضة لم أقدر أن أتعدى قول ربى وإلهى ،
 ولا أحيد عن قول صغير^٤ ولا كبير^٥ من أقواله ، فخرجوا أنتم أيضا^٦
 عندنا ليلتكم هذه حتى أنظر ما يخبرنى ملاك الله من أمركم ، فنزل وحى الله
 ١٠ على بلعام ليلا ، وقال له : إن كان هؤلاء القوم إنما أتوك ليدعوك فقم
 فانطلق معهم ، ولكن إياك أن تعمل إلا ما أقول ، فنهض^٧ بلعام بكرة
 وأسرج أتاناه^٨ وانطلق مع عظماء موآب ، فقام^٩ ملاك الرب فى الطريق
 ليكون له لدادا ، فرأت الأتان ملاك الله^{١٠} قائما فى الطريق محتترطا سيفه
 ممسكه فى يده ، فخادت عن الطريق وسارت فى الحرث ، فضرىها بلعام
 ١٥ ليردها إلى الطريق ، فقام ملاك الرب فى طريق^{١١} ضيق بين كرمين ،
 فرأت الأتانة ملك الرب فرحمت الحائط وضغطت^{١٢} رجل بلعام فى

(١) فى ظ : نهق (٢) زيد من ظ (٣) زيد بناء على نص التوراة و هو : نعال
 الآن العن لى هذا الشعب - راجع الأصحاح الثانى والعشرين من السفر الرابع .
 (٤) فى ظ : قوله (هـ - ء) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) - سقط من ظ (٧) من
 ظ ، وفى الأصل : فنزل (٨) فى ظ : اتاه (٩) فى ظ : فقال (١٠) فى ظ : الرب .
 (١١) فى ظ : سبل (١٢) فى ظ : وضعت .

الحائط ، فعاد يضربها أيضا ، ثم عاد ملاك^١ الرب وقام في موضع ضيق حيث ليس لها موضع تحيد [منه - ^٢] يمنة ولا يسرة ، فبصرت بملاك الرب وربضت تحت بلعام ، فاشتد غضب بلعام وضرب الاتان^٣ بالعصا ، وفتح الرب فم الاتان وقالت لبلعام : ما الذى صنعت بك حتى ضربتني ثلاث مرات ؟ قال بلعام : لأنك زريت^٤ بي ، ولو أنه كان في يدي ٥

سيف كنت قد قتلتك / الآن ، فقالت^٥ : أأست^٦ أأنا^٧ التي تركبني منذ صباحك إلى اليوم ؟ هل صنعت مثل هذا الصنع قط ؟ قال لها : لا ، وجلى الرب عن بصر بلعام فرأى ملك الله قائما في الطريق مخترطا سيفه^٨ بيده ، فجثى وخر على وجهه ساجدا ، فقال له ملاك الرب :

ما بالك ضربت أأنا^٩ ثلاث مرات ، [أنا - ^{١٠}] الذى خرجت لأكون لك لدا ، لأنك أخذت في طريق خلافا لأمرى ، فلما رأته الاتان حادت عني ثلاث مرات ، ولو أنها لم تحد عني كنت قد قتلتك وأبقيت عليها ، قال بلعام لملاك الرب : أسأت وأجرمت ، لم أعلم أنك قائم بازائي في الطريق^{١١} ، فالآن إن كان انطلاقي بما تكرمه^{١٢} رجعت ، قال ملاك

الرب لبلعام : انطلق مع القوم وإياك أن تفعل شيئا إلا ما أقول لك ١٥
فانطلق بلعام ، فسمع بالاق فخرج ليلقاه وقال بالاق : لم^{١٣} تأتني ؟ قال : قد أتيتك الآن ، لعلك تظن أني أقدر أن أقول شيئا إلا القول الذى

(١) في ظ : ملك (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في الأصل : رزنت ، وفي ظ : زرنت - كذا (٥) في ظ : قالت (٦-٧) في ظ : أأنا^٧ التي (٧) في ظ : محسبا (٨) من ظ ، وفي الأصل : طريق (٩) من ظ ، وفي الأصل : تركه . (١٠) من ظ ، وفي الأصل : كيف .

يخرجه الله على لسانى به أنطق ، فلما كان الغد عمد بالاق إلى بلعام وأصعده
إلى بيت بعْل^١ الصنم ، فرأى من هناك أقاصى منازل شعب^٢ لإسرائيل ،
وقال بلعام لبالاق : ابن لى هاهنا سبعة^٣ مذابح ، وهى لى سبعة^٤ ثيران
وسبعة^٥ كباش ، وفعل بالاق كما قال له بلعام ، ورفع بالاق الكباش
والتيران على المذبح قربانا ، وقال بلعام لبالاق : قم هاهنا عند قراينك
حتى أنطلق [أنا ، لعل الرب يوحى إلى ما أهواه ، وأنا مظهر لك ما يوحى به ،
فانطلق - '] فظهر الله وأهمه قولا وقال له : انطلق إلى بالاق وقل^٦
له هذا القول ، فاتاه وهو قائم عند قراينه وجميع قواد^٧ موآب معه ،
ورفع بلعام صوته بأمثاله وقال : ساقى بالاق^٨ ملك الموائسين من
أرام التى فى المشرق ، وقال لى : أقبل حتى تلعن يعقوب وتهلك آل
إسرائيل ، فكيف ألعنه ولم يلعنه الله ، وكيف أهلكه والرب لا يريد
هلاكه^٩ ، رأيت من رؤس الجبال ، ونظرت إليه من فوق الآكام وإذا
هو شعب وحده ، لا يعد مع الشعوب ، ومن يقدر يحصى^{١٠} جميع عدد
يعقوب ، أو من يقدر يحصى^{١١} عدد ربيع بنى إسرائيل ، تموت نفسى موتا^{١٢}
و يكون^{١٣} " أخرى إلى آخرهم " ، قال بالاق للبعام : دعوتك لتلعن أعدائى

(١) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : بعلا (٢) زيد بعده فى ظ : بنى (٣) فى
الأصل و ظ : سبع (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قال (٦) من ظ ، وفى الأصل :
أفراد (٧) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : بالاك (٨) فى ظ : أهلاكه .
(٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) فى التوراة - الأصحاح الثالث
والعشرين : موت الأبرار (١١) فى ظ : تكون (١٢) من ظ ، وفى الأصل :
أخراهم .

فاذا أنت تباركهم و تدعو لهم ، فرد بلعام قائلاً : الذى يلهمنى الرب و يجرى
على لسانى إياه أحفظ ، و به أنطق : قال له بالاق : مر معى إلى موضع
آخر لئراهم من هناك ، و إنما أسوقك لئرى آخرهم و لا تراهم أجمعين ،
و انطلق به^١ إلى حقل^٢ الرية و أقامه على رأس الأكمة ؛ و ابقي هناك سبعة^٣
مذابح ، و قرب عليها الثيران و الكباش ، و قال بلعام : قف هاهنا عند هـ
قراينك حتى أنطلق أنا الآن ، فانظر ما الذى يقال ؟ و تجلى الرب على بلعام
و أجرى على فيه قولاً و قال له : انطلق إلى بالاق فأخبره بهذا القول ، فأتاه
و هو قائم عند قراينه و معه أشراف موآب ، فرفع بلعام صوته بأمثاله و قال :
انهض بالاق و اسمع قولى و أصغ لشهادتى يا ابن صفور ! اعلم أن الله ليس
مثل الرجل يحلف و يكذب ؛ إذا قال الرب قولاً ففعله ، و كلامه دائم إلى ١٠
الابد ، ساقى^٤ لادعو و أبرك ، و لا أرد البركة و لا أخالف ما أمرت به ،
لست أرى فى آل يعقوب إثماً و لا غدرا عند بنى إسرائيل و لا ظلماً ، لأن الله
ربه معه ، الله الذى أخرجهم من مصر بعزة و عظمة قوية ، و لست أرى فى آل
يعقوب / طيرة ، و لا حساب بجوم أو عراف بين بنى إسرائيل ، كيف ٣٨٦ /
أقول و الشعب قائم مثل الضرعام لا يريض^٥ حتى يفترس^٦ فريسته و يشرب
دم القتل ، فقال بالاق للبعام : أطلب أن لا تلعه و لا تدعو له ، فرد بلعام
على بالاق قائلاً : ألسنت قلت لك : إني^٧ إنما أنطق بما يقول لى الرب ، فقال

(١) فى ظ : بي (٢) من ظ ، و فى الأصل : جبل (٣) من ظ ، و فى الأصل :
سبع (٤) من ظ ، و فى الأصل : سادى - كذا (هـ) من ظ ، و فى الأصل : لا يرتض .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : يكثر من - كذا (٧) سقط من ظ .

بالاق: انطلق بنا إلى موضع آخر، لعل الله يرضى بغير هذا فقلعنه لى هناك،
 فأصعده إلى رأس فغور الذى بازاء إستيمون، فأمره بمثل ما تقدم من الذبح
 و القربان، فرأى بلعام أن الرب يحب أن يدعو لبنى إسرائيل، ولم ينطلق
 كما كان ينطلق^١ فى كل وقت ليطلب الوحى، ولكن أقبل بوجهه إلى
 البرية ومد بصره، فرأى بنى إسرائيل نزولاً قبائل [قبائل - ^٢] فخل
 عليه روح الله، ورفع صوته بأمثاله وقال: قل^٣ يا بلعام بن بعور^٤، قل
 أيها الرجل الذى أجلى عن بصره، قل أيها الذى سمع قول الله ورأى
 رؤيا الله وهو ملقى وعيناه مفتوحتان، ما أحسن منزلك يا يعقوب
 و منازلك يا إسرائيل! وخيمك كالأودية^٥ الجارية، ومثل الفراديس
 ١٠ التى على شاطئ النهر، ومثل الجى الذى^٦ ركزه الله، ومثل شجر الارز
 على شاطئ النهر يخرج رجل من بينه، [و - ^٧] ذريته أكثر من الماء
 الكثير^٨، ويعظم على الملك، وذلك بتموة الله الذى أخرجه من أرض
 مصر^٩ بغير توقف رثما^{١٠}، يا كل خيرات الشعوب^{١١} أعدائه ويكسر عظامهم
 ويقطع ظهورهم، رتع وربض كالأسد ومثل شبل الليث^{١٢}، ومن يقدر
 ١٥ أن يبعثه، يبارك مباركوك ويلعن لاعنوك، فاشتد غضب بالاق على
 بلعام و صفق^{١٣} "بيديه ملتفها" وقال: دعوتك للعن أعدائى، فإذا أنت
 تباركهم و تدعولهم ثلاث مرات، انصرف الآن إلى بلادك^{١٤}، قد كنت

(١) فى ظ: ينطق (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من التوراة، وفى
 الأصل وظ: فغور (٥) فى ظ: بالأودية (٦) فى ظ: التى (٧-٧) سقط ما بين
 الرقيم من ظ (٨) فى ظ: شعوب (٩) فى ظ: الأسد (١٠-١٠) فى ظ: بيده
 ملتفها (١١) من ظ؛ وفى الأصل: بلايك - كذا.

عزمت على إكرامك وإجازتك فاذا الرب قد أحرمك^١ ذلك، فرد بلعام على بالاق قائلا : قد كنت قلت لرسلك الذين أرسلتهم إلى أنه لو وهب لي بالاق ملء بيته من ذهب وفضة لم أقدر أتعدى عن قول الرب، ولكن إنما أنطق ما يلهمني الرب، فأنا أنطلق^٢ الآن إلى أرضي، فأسمع ما أشير عليك وأخبرك ما يصنع هذا الشعب بشعبك آخر الأيام، ثم رفع صوته بأمثاله^٣ وقال : قل يا بلعام بن بعور^٤ ! قل أيها الرجل المجلى عن بصره ! قل أيها الذى سمع قول الله و علم علم العلى و رأى رؤيا الله إذ هو ملقى وعيناه مفتوحتان^٥ ! فاني رأيت أنه وإذا ليس ظهوره الآن وإن كان متدافعا، ونظرت في أمره وإذا [ليس - ^٦] بقريب، بشرق نجم من آل يعقوب، ويقوم رئيس من بنى إسرائيل، ويهلك جابرة من موآب^٧ ويبيد^٨ ١٠ جميع بنى شيث، وتصير أدوم ميراثه، وساعير وراثته أعدائه^٩ يصير له، ويستفيد^{١٠} بنو إسرائيل قوة بقوته - ونحو ذلك من الكلام الذى فيه ما يكون سببا لانسلاخه من الآيات، لكن ذكر المفسرون أنه أشار عليه باختلاط نساء بلاده ببنى إسرائيل متزينات غير ممتنعات ممن^{١١} أرادهن منهم ليزنوا بهن فيحل بهم الرجز، فوقع بهم ذلك، وهو الصواب ١٥ لأنه ستأتى الإشارة إليه فى التوراة عند فتح مدين بقوله : لما ذا أبقيتم^{١٢} على الإناث وهن كن عثرة^{١٣} لبنى إسرائيل عن قول بلعام ومشورته -

(١) فى ظ : حرمك (٢) فى ظ : منطلق (٣) من التوراة، وفى الأصل وظ : فعور (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل : ستفيد (٧) فى ظ : من (٨) فى ظ : بقيم (٩) فى ظ : عشرا .

وسأتي ذلك قريباً ، وما فيه من ذكر الوحي فهو محمول على المنام
أو غير ذلك مما يليق ؛ ثم قال : وقام بلعام ورجع منصرفاً إلى بلاده
وبالاق أيضاً رجع إلى بيته ، وسكن^١ بنو إسرائيل شاطيم ، وبدأ الشعب
[أن يسفح مع بنات موآب ، ودعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم ،
٥ و أكل الشعب -^٢] من ذبائحهم وسجدوا^٣ لآلهتهم ، وكل بنو إسرائيل
لعبادة^٤ بعلبون^٥ الصنم ، فاشتد^٦ غضب الله على بني إسرائيل ، / فقال الرب
لموسى : اعمد إلى جميع بني إسرائيل فافضحهم ، فقال موسى : يقتل كل
رجل منكم كل من أخطأ وسجد لبعلبون ، وإذا رجل من بني إسرائيل
قد أتى بجمرة أمام إخوته من غير أن يستحي ، فدخل على امرأة مدينية
١٠ وموسى وبنو إسرائيل سيكون في باب قبة الآمد ، فرآه فتحاس^٧ بن
اليعازر بن هارون الحبرفنهض من الجماعة غضباً لله وأخذ يده رحاً ودخل
إلى البيت الذى كانا فيه فطعنهما بالرح فقتلهما ، فكف الموت الفاشى
عن بني إسرائيل ، وكان عدد الذين ماتوا في الموت البغية أربعة وعشرين
ألفاً ، وكلم الرب موسى وقال له : فتحاس صرف غضبي عن بني إسرائيل
١٥ و غار غيرة الله بينهم^٨ وطهر بني إسرائيل . وكان اسم القتيل الذى
قتل مع المدينية زمرى^٩ بن سلو ، وكان رئيساً [في قبيلة شمعون ،

(١) من ظ ، وفي الأصل : ستكون - كذا (٢) زيد ما بين الحاجر من ظ .
(٣) من ظ ، وفي الأصل : سجد (٤) في ظ : العبادة (٥) من ظ ، وفي الأصل :
عليون (٦) في ظ : واشتد (٧) في ظ : فتحاس (٨) من ظ ، وفي الأصل : عنهم ،
(٩) من ظ والثوراة - الأصحاب الخامس والعشرين ، وفي الأصل : زمرى .

وكانت المرأة المدينية كزبي^١ بنت صور، وكان أبوها -^٢ [من رؤساء أهل مدين . وقال بعض المفسرين^٣ : إنه خرج رافعا الحرب^٤ إلى السماء ، قد اعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحرب^٥ إلى لحيته^٥ ، فمن هنالك^٦ يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاس من كل ذبيحة القبة^٧ والذراع والحي والبكر من كل أموالهم وأنفسهم^٨ لأنه كان بكرًا لميزار بن هارون . ثم كلم الرب موسى وقال له : ^٩ضيق على أهل مدين وأهلكهم كما ضيقوا عليكم ولحسوكم ، ثم قال : ثم كلم الرب موسى وقال له : ^{١٠}إني لنتقم من المدينين ما صنعوا^{١١} بين بني إسرائيل ، ثم تقتص إلى شعبك ، ثم قال موسى للشعب : يتسلح منكم قوم للحرب لينتقموا للرب من المدينين ، وليكونوا اثني عشر ألفا ، فانتخب^{١٢} موسى من بني إسرائيل ١٠ ألفا من كل سبط ، اثني عشر ألفا أبطالًا مسلحين وأرسلهم ، وصير قائدهم فنحاس بن اليعازر الحبر ومعهم أوعية القدس وقرون ينفخ بها ، وتقووا على مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر فيها وقتلوا ملوك مدين مع القتلى ، وقتل بلعام بن بعور^{١٣} معهم في الحرب ، وسى بنو إسرائيل نساء مدين واتهبوا مواشيهم وسلبوا جميع دوابهم وأموالهم ١٥ وأخربوا جميع قرى مساكنهم وأتوا بما اتهبوه^{١٤} إلى موسى ، وخرج

(١) من التوراة ، وفي ظ : ركشي - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

(٣) راجع تفسير البغوي حول آية الانسلاخ (٤) في ظ : للحرب (٥) في ظ : لحية .

(٦) من ظ ومعالم التنزيل ، وفي الأصل : هناك (٧) - سقط من ظ (٨-٨) - سقط

ما بين الرقيين من ظ (٩ - ٩) في ظ : بيني (١٠) في ظ : فانتج (١١) من ظ ،

وفي الأصل : يفور (١٢) من ظ ، وفي الأصل : اتهبوا .

موسى وجميع عظماء الجماعة فتلقوهم خارج العسكر، وغضب موسى على رؤساء
الاجبار و رؤساء الألوف و المثين الذين أتوه من الحرب فقال لهم : لما ذا
أبقيتم على الإناث و هن كن عثرة لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته،
و قتلوا و غدروا و تمردوا^١ على الرب فى أمر فغور^٢ - و فى نسخة السبعين :
٥ فان هؤلاء كن شينا لبنى إسرائيل لقول بلعام^٣ أن يتباعدوا و يتهاونوا
بكلمة الرب من أجل فغور - فواقعت السخطة جماعة الرب - [و فى
النسخة الأخرى : و تسلط الموت على جماعة الرب -^٤] - بغته ، فاقتلوا
الآن جميع الذكور من الصبيان ، و كل امرأة أدركت و عقلت و عرفت
الرجال فاقتلوها ، و أبقوا على جميع النساء اللواتى لم يعرفن الرجال ، و أما^٥
١٠ أنتم فانزلوا خارجا عن^٦ العسكر سبعة أيام - إلى آخر ما مضى قريبا
فى الآصار .

و لما انقضت هذه القصص فأسفرت^٧ عن أن أكثر الخلق هالك ،
صرح بذلك فقال مقسما لأنه لا يكاد يصدق أن الإنسان [يكون -^٨]
أضل من البهائم ، عاطفا على ما تقديره : هؤلاء الذين قصصنا عليكم
١٥ أخبارهم ذرأنهم للجهنم : ﴿ ولقد ﴾ و عزتنا و جلالنا ﴿ ذرانا ﴾ أى
خلقنا بعظمتنا و أنشأنا و بثنا و نشرنا^٩ ﴿ للجهنم كثيرا ﴾ أى و ألجأناهم
١ (١) فى ظ : مردوا (٢) من ظ و التوراة - الأصحاح الحادى و الثلاثين ،
و فى الأصل : يغور (٣) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : بلعم - كذا (٤) زيد
ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ما (٦) فى ظ : من (٧) من
ظ ، و فى الأصل : فأسرف (٨) فى ظ : انشرنا .

إليها ولم يجعل بينهم و بينها حائلا .

ولما كانوا يعظمون الجن و يخافونهم و يضلون بهم ، بدأ بهم فقال :

(من الجن) أى بنصبهم أنفسهم آلهة باضلالهم / الإنس فى تزيين ٣٨٨ /

عبادتهم ' غير الله ، فهم فى الحقيقة المعبودون لا الحجارة ' ونحوها

(و الإنس) أى بعبادتهم لمن لا يصلح ، و علم أن الآية صالحة لأن ه

تكون معطوفة على الجملة التى قبلها فهى من فذلك ما تقدم .

ولما كان كأنه قيل : ما لهم رضوا لأنفسهم بطريق جهنم ؟ قيل :

(لهم) ولما كان السياق للتفكر ، بدأ بالقلوب فقال : (قلوب لا يفقهون بها)

أى الفقه الذى كلفوا به ، وهو النظر فى أدلة التوحيد و ثبوت النبوة

وما تفرع عن ذلك ، وهو الفقه المسعد ، عد غيره عدما لأنه لم ينفعهم ١٠

النفع المقصود فى الحقيقة ، و ما أحسن التعبير بالفقه فى سياق إقامة الأدلة

التى منها إرسال الرسل و إنزال الكتب .

ولما كان البصر أعم^٤ من السمع ، لأنه ينتفع به الصغير الذى لا يفهم

القول ، و كذا [كل - °] من فى حكمه ، قدمه فقال : (ولهم عين)

ولما لم يترتب عليها الإبصار النافع فى الآخرة الباقية ، نفى إبصارهم و إن ١٥

كانوا أحد الناس إبصارا فقال : (لا يبصرون بها) أى الآيات المرئية

إبصار تفكر و اعتبار (ولهم أذان) ولما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم ،

نفاه على نحو ما مضى فقال : (لا يسمعون بها^٥) أى الآيات المسموعة و ما

(١) فى ظ : عباده (٢) من ظ ، وفى الأصل : حجارة (٣) فى ظ : من (٤) من

ظ ، وفى الأصل : اهم (٥) زيد من ظ .

يدل عليها سماع اذكار وافتكار . ولما سلبت^١ عنهم^٢ هذه المعاني كانت النتيجة : ﴿ اُولَٰئِكَ ﴾ أى البعداء من المعاني الإنسانية ﴿ كالانعام ﴾ أى فى عدم الفقه ؛ ولما كانوا قد زادوا على ذلك تفقد نفع السمع والبصر قال : ﴿ بل هم اضل^٣ ﴾ لأنهم إما معاند وإما جاهل بما يضره وينفعه ،
 ٥ و الانعام تهرب إذا سمعت صوتا منكرا فرأت بعينها أنه يترتب عليه^٤ ضررها ، و تنتظر ما ينفعها من الماء و المرعى فتتصدده ، و الانعام لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه . و هؤلاء مع قدرتهم على ذلك أهملوه [قزلوا عن رتبتها درجة كما أن من طلب السكال و سعى له سعيه مع نزاع الشهوات علا عن درجة الملائكة بما قاسى من الجهاد -^٥] .
 ١٠ و لما تشاركوا^٦ الانعام بهذه فى الغفلة و زادوا عليها ، أتج ذلك قطعا على طريق الحصر : ﴿ اُولَٰئِكَ ﴾ أى البعداء بغضاء ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الغفلون^٧ ﴾ لا الانعام ، فانها - وإن كانت غافلة عما يراد بها - غير خالدة فى العذاب ، فلم تشاركهم فى العمى و الصمم عما ينفعها و لا فى الغفلة عن الحسارة الدائمة ، فقد أشارت الآية إلى تفضيل الإنسان على الملك كما
 ١٥ اقتضته سورة الزيتون ، لأنه جعل فى خلقه وسطا بين الملك الذى هو عقل صرف و الحيوان الذى هو شهوة مجردة ، فان غلب عقله كان أعلى بما عاجله من جهاد الشهوات فكان فى " احسن تقويم " ، و إن غلبت شهوته كان أسفل من الحيوان بما أضاع من عقله فكان " اسفل سافلين " .

(١) من ظ ، و فى الأصل : تسالبت (٢) فى ظ : عليهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : على (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : شاركوا (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ .

ولما أنتج هذا أن لهم الاسماء السوأي و لمعبوداتهم أسوأ منها،
عطف عليه^١ - دفعا لوهم من يتوهم بالحكم بالضلال و الذرء لجهنم ما لا يليق،
و تنبيهها على أن الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله^٢ و دعائه - قوله:
﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بجميع صفات الكمال وحده ﴿ الاسماء ﴾
[ولما كان الاسم إذا لحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة ، أنث في ه
قوله - ٢] : ﴿ الحسنى ﴾ أى كلها باتصافه دون غيره بصفات الكمال التى
كل واحدة منها أحسن شئ و أجله و تنزهه عن شوائب النقص و سمات
الحدث ، فكل أفعاله حكمة ، [و - ٢] إنما كان مختصا بذلك لأن الأشياء
غيره^٣ ممكنة لتغيرها ، و كل^٤ ممكن محتاج ، و أدنى ما يحتاج^٥ إلى مرجح
يرجح وجوده ، و بذلك نعلم وجود المرجح و نعلم أن ترجيحه على سبيل ١٠
الصحة / و الاختيار لا الوجوب ، و إلا لدام العالم بدوامه ، و بذلك ثبت
قدرته ، و تكون أفعاله محكمة . ثبت عليه قُتبت حياته و سمعه و بصره و كلامه
و إرادته و وحدانيته ، و إلا لوقع التنازع فوقع الخلل^٦ ، فالعلم بصفاته العلى
ليس فى درجة واحدة بل مترتبا ، و علم بهذا أن الكمال له لذاته ، و أما غيره
فكماله به و هو بذاته غرق فى بحر الفناء واقع فى حضيض النقصان ١٥
﴿ فادعوه ﴾ أى فصفوه و سموه و اسألوه ﴿ بهاس ﴾ لتنجوا من جهنم
و تناولوا كل ما تمحمد عاقبته ، فان القلب إذا غفل عن ذكر الله أقبل على
الدنيا و شهواتها فوقع فى نار الحرص و زمهير الحرمان ، و لا يزال

(١) من ظ ، و فى الأصل : عليها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ :
واحد (٥) من ظ ، و فى الأصل : غير (٦) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٧) فى
الأصل و ظ : تحتاج (٨) فى ظ : الجلل .

في^١ رغبة إلى رغبة حتى لا يبقى له مخلص، وإذا^٢ أقبل على^٣ الذكر تخلص عن
 نيران الآفات واستشعر بمعرفة الله حتى تخلص^٤ من^٥ رق الشهوات فيصير حرا
 فيسعد بجميع المرادات، وكثرة الأسماء لا تقدح في التوحيد، [بل -^٦]
 تدل على عظم المسمى ﴿وذروا﴾ أي اتركوا على حالة ذريسة
 هـ ﴿الذين يلحدون﴾ أي يميلون عما حد لهم [بزيادة فيشبهوا أو نقص
 فيعطلوا -^٧] ﴿في أسمائه^٨﴾ أي فيطلقونها على غيره بأن يسموه إلهها،
 فيلزمهم أن يطلقوا عليه جميع أوصاف الإله. فقد ألدوا في البعض بالفعل
 وفي الباقي بالزوم، أو بأن يسموه بما لم يأذن فيه،^٩ وما لم يأذن فيه^{١٠} تارة
 يكون مأذونا فيه في الجملة كالضار فلا يجوز ذكره إلا مع النافع، وتارة
 لا، مثل إطلاق الأب عليه والجسم، وكذا كل ما أوهم نقصا، فلم يكن
 أحسن، ولورود^{١١} إطلاق بعض^{١٢} اشتقاقاته عليه^{١٣} مثل علم لا يجوز^{١٤} أن
 يقال لأجله: معلم، وكذا لحبهم^{١٥} لا يجوز لأجله أن يقال: يا خالق
 الديان والقردة مثلا، وكذا لا يجوز^{١٦} أن يذكر اسم لا يعرف الذاكر
 معناه ولو كان الناس يفهمون منه مدحا كما يقول بعض البدو: يا أبيض
 هـ الوجه! يا أبا المكارم! فإن ذلك كله إلحاد، وهذا الفعل يستعمل مجردا
 ومزيدا فيقال: لحد في كذا وألحد فيه - بمعنى واحد، وهو العدول عن
 (١) من ظ، وفي الأصل: من (٢) من ظ، وفي الأصل: فاذا (٣) من ظ،
 وفي الأصل: إلى (٤) من ظ، وفي الأصل: ينخلص (٥) سقط من ظ (٦) زيد
 من ظ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) في ظ: لوورد (٩ - ٩) من
 ظ، وفي الأصل: استقامة على (١٠) كذا في الأصاين.

الحق والإدخال فيه ما ليس منه^١ - نقله أبو حيان عن ابن السكيت؛ وقال الإمام أبو القاسم علي بن جعفر ابن القطاع في كتاب الأفعال: لحد الميت لحداً واحداً: شق له جانب القبر، وإلى الشيء^٢ عنه وفي الدين: مال، وقرئ بهما كذاك.

ولما كان كأنه قيل: فما يفعل بمن أُلحد؟ وكان المرهب إيقاعه الجزء، لا كونه من معين، قال بانياً للفعول: ﴿سيجزون﴾ أي في الدنيا والآخرة بوعده لا خلف فيه ﴿ما كانوا﴾ أي^٣ بجبلاتهم ﴿يعملون﴾ أي يفعل بهم من أنواع الإهانة والعقوبة ما يوجب وصفهم بأقبح الأوصاف ضد ما كانوا يسمعون في الدنيا ممن يدانيهم^٤.

ولما أخبر تعالى عن ذرء جهنم من القليلين^٥، تشوف السامع إلى معرفة حال الباقيين منهما، فقال مصرحاً بالخبر عنهم عاطفاً على "ولقد ذرانا" مشيراً بمن التبعية إلى قلتهم تصديقاً لقوله "وان وجدنا أكثرهم لفسقين": ﴿ومن خلقنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿أمة﴾ أي جماعة عرفت من هو أهل^٦ لأن يؤم ويهتدى به فقصدته فاقبست من أنواره فصارت هي أهلاً لأن تقصد^٧ ويؤتم بها.

١٥

[ولما -^٨] أفهم لفظ الأمة هذا، صرح به في قوله: ﴿يهدون بالحق﴾ أي الثابت الذي يطابقه الواقع ﴿وبه﴾ أي الحق خاصة ﴿يعدلون﴾

(١) من البحر المحيط ٤/١٩٤، وفي الأصل و ظ: فيه (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: يرايهم (٤) من ظ، وفي الأصل: القبيلين (٥) في ظ: عطفاً (٦) زيد بعده في ظ: بها (٧) من ظ، وفي الأصل: يقصد (٨) زيد من ظ.

أى يجعلون الأمور متعادلة، لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي ولا نقص،
لأننا وقفناهم فكشفنا عن بصائرهم حجاب الغفلة التي ألزمتها أولئك،
قال أكثر المفسرين: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورواه بعضهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم، وأبهم الأمر بعد تعيين قوم موسى عليه السلام
٥ تعظيماً لهم .

ولما بين حال الهادين المهديين^١، وكان أصل السياق للضالين
المضلين، أتبعه بقية الحديث عنهم على وجه ملوح بأن علة الهداية
التوفيق، فقال عاطفاً على ما تقديره: فنحن نعلي أمرهم ونطيب ذكركم:
/ (والذين كذبوا) أى نسبوا الرسل إلى الكذب بسبب إتيانهم
١٠ (بإيتنا) على ما يشاهد من عظمتها (سنستدرجهم) أى نستنزهم

ونستدينهم بوعده لا خلف فيه إلى ما نريد بهم^٢ من الشر العظيم درجة
درجة بسبب أنهم كلما أحدثوا جريمة أسبقنا عليهم نعمة، وإذا عملوا طاعة
قصرنا عنهم^٣ في الإنعام، أو ضربناهم بسوط الانتقام، فيظنون أن المعاصي
سبب النعم فينسلخون من الدين، ولذلك قال: (من حيث لا يعلمون^٤)
١٥ أى فيرتكبون ما يتعجب من مداناته فضلاً عن مباشرته
ومعاناته من له أدنى بصيرة حتى يكمل ما نريد منهم من المعاصي،
وهو من أدلة^٥ ما صرّف عن الأيتى^٦، [وأتى^٧] فى الاستدراج
بأداة العظمة وفى الإملاء بضمير الواحد فقال: (واملى لهم^٨) أى أمهلهم

(١) فى ظ: المهتدين (٢-٢) فى الأصل: يريد بهم، وفى ظ: تريدهم (٣) فى ظ:
عليهم (٤) من ظ. وفى الأصل: فيرتكبوا (٥) من ظ، وفى الأصل: يريد.
(٦) زيد من ظ .

بوعد جازمَ زمانا طويلا و آمد لهم و هم يعصون حتى يظنوا^١ أن الله
 يحبهم حتى يزيدوا في ذلك لأنهم لا يفعلون شيئا إلا بمرادى و لا يفوتون^٢،
 ولم يأت بهما على نهج واحد، لأن الاستدراج يكون بواسطة
 وبغيرها، فكأنه قال: سأستدرجهم بنفسى من غير واسطة تارة وبمن
 أتيح لهم النعم على يده من عيسى و جنودى أخرى، و أما الإملاء^٣
 - "وهو" تطويل الأجل - فلا يتصور أن يكون إلا من الله تعالى .
 ولما كان هذا موجبا لهم - ولا بد - الإصرار على المعاصى حتى يصلوا
 إلى ما حكم عليهم به من النار، قال مستأنفا: (ان كيدى) أى فعلى الذى
 ظاهره رفعة و باطنه [ضيعة -^٤]، ظاهره إحسان و باطنه خذلان (متين^٥)
 أى شديد قوى لا يمكن أحدا قطعه، قال الإمام بعد تأويل للمعزلة^٦ ١٠
 حملهم عليه إيجابهم رعاية الأصلح: و أنا شديد التعجب من المعزلة،
 يرون القرآن كالبحر الذى لا ساحل له^٧ علموا من هذه الآيات،
 والدلائل العقلية القاهرة مطابقة لها، ثم يكتفون فى تأويلها - أى عن
 أنه تعالى يريد الشر - بهذه الوجوه الضعيفة إلا أن على بما أراد الله
 كائن، مزيل هذا التعجب .

١٥

ولما كان السياق من أول السورة للإنذار، و كان لا بد فى صحة
 الإنذار^٨ من توضيح الرسالة، و ختم بأمر الاستدراج، و كانوا قد واقعوا
 من المعاصى ما لا يحترق عليه إلا مطنوس البصيرة، و كان عندهم أن

(١) من ظ، و فى الأصل: يظنون (٢) فى ظ: لا يفوتى (٣-٤) من ظ، و فى
 الأصل: فهو (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: المعزلة (٦) سقط من ظ (٧) من
 ظ، و فى الأصل: الابدان - كذا .

من قال : إنهم على حال سيء ، - مع ما هم فيه من النعم الظاهرة -
 مجنون ، وكان التقدير دلالة على صحة الاستدراج : ألم يروا أنهم يقدمون
 على ما لا يرضاه لنفسه عاقل من عبادتهم للحجر و شماختهم عن^١ أكل
 البشر و وصفه بالجنون و وصفهم أفضل الكلام بالسحر^٢ و الكذب إلى
 ٥ غير ذلك مما يغضب من ليس^٣ النفع و الضر^٤ إلا ييده ، و هو مع ذلك يراى
 عليهم النعم ، و يدفع عنهم النقم ، هل^٥ ذلك إلا استدراج ؛ قال منكرا عليهم
 عطفًا على ما أرشد السياق و العطف على غير معطوف عليه إلى تقديره :
 ﴿ أو لم تفكروا سمعة ﴾ أى يعملوا أفكارهم و يمينوا^٦ فى ترتيب المقدمات
 ليعلموا أنه لا يتوجه لهم طعن يورث شبهة بوجه من الوجوه ، و بين المراد
 ١٠ من هذا التفكير^٧ عينه بقوله : ﴿ ما بصاحبهم ﴾ أى الذى طالت خبرتهم
 لأنه أمتهم عقلا و أفضلهم شمائل . و لم يقل : ما برسولى و نحوه ، لئلا
 يقول متعنتهم ما لا يخفى ، و أغرق فى النفي فقال : ﴿ من جنة^٨ ﴾ أى
 حالة من حالات الجنون .

و لما نفى أن يكون به^٩ شيء مما نسبوه إليه و افتروه عليه فثبتت
 ١٥ رسالته ، حصر أمره فى النذارة لأنها النافعة [لهم - ٧] مع أن المقام لها فى
 هذه السورة فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو الانذار ﴾ أى بالغ فى نذارته^{١٠}
 ﴿ مبين^{١١} ﴾ أى موضح للطريق إيضاحا لا يصل إليه غيره ، و من أدلة
 ذلك عجز الخلق عن معارضة شيء مما^{١٢} يأتى به من أنه أحسن الناس

(١) من ظ . و فى الأصل : على (٢) فى ظ : بسحر (٣-٣) فى ظ : الضر و النفع .
 (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى الأصل و ظ : يمينوا (٦) سقط من ظ .
 (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : نذارته .

خَلَقُوا وَأَعْلَامُ خُلُقُوا وَأَفْضَلُهُمْ عَشْرَةٌ وَأَرْضَاهُمْ طَرِيقَةٌ وَأَعْدَلُهُمْ سِيرَةٌ
وَأَطْهَرُهُمْ سَرِيرَةٌ وَأَشْرَفُهُمْ عَمَلًا وَأَحْكَمُهُمْ عِلْمًا وَأَرْصَنُهُمْ رَأْيًا وَأَعْظَمُهُمْ
عَقْلًا وَأَشَدَّهُمْ أَمَانَةً وَأَظْهَرُهُمْ نَبْلًا^١.

ولما كان النظر / في أمر النبوة مفرعا على تقرير أدلة التوحيد،
وكان المقصود من الإنذار الرجوع عن الإلحاد، قال منكرنا عليهم عدم ه
النظر في دلائل التوحيد الراد عن^٢ كل حال^٣ سي^٤: ﴿اولم﴾ ولما
كان الأمر واضحا قال: ﴿ينظروا﴾ أى نظر تأمل واعتبار، ودل على
أنه بالبصيرة لا البصر بالصلة، فقال إشارة إلى أن كل ذرة فيها دلائل
جته^٥ ﴿في ملكوت﴾ وعظم الأمر بقوله: ﴿السموات والارض﴾
أى ملكها البالغ من حد العظمة أمرا^٦ باهرا بظاهره الذى يعرفونه ١٠
وباطنه الذى يلوح لهم ولا يدركونه.

ولما كانت أدلة التوحيد تفوت الحصر، ففى كل ذرة برهان قاهر^٧
ودليل ساطع باهر، قال: ﴿وما﴾ أى [و-^٨] فيما ﴿خلق الله﴾
أى على ماله من الجلال والجمال ﴿من شيء لا﴾ أى غيرهما، ليعلموا
أنه لا يقدر على شيء من ذلك فضلا عن ذلك غيره^٩، ويتحققوا أن ١٥
كتابه سبحانه^{١٠} مبين لجميع مخلوقاته فيعلموا أنه صفته سبحانه^{١١} وكلامه،
فلا يلحدوا فى أسمائه فلا يسموا بشيء منها غيره لما ظهر لهم من تمام
(١) فى ظ: اكلمهم (٢) فى ظ: مثلا (٣) فى ظ: على (٤) فى ظ: مثال (ه) فى
ظ: جمعة (٦) من ظ، وفى الأصل: امر (٧) فى ظ: ظاهر (٨) زيد من ظ.
(٩-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ.

قدرته و تمام عجز غيره عن كل شيء و من شمول علمه و تناهى جهل
 غيره بكل شيء إلى غير ذلك حتى يعلموا بعظمة هذا الكون أنه سبحانه
 عظيم ، و بقهرة لكل شيء^١ أنه قهار شديد ، و بعجز كل شيء عن كل
 شيء من أمره [أنه - ٢] عزيز ، و بأسباغه النعمة^٢ أنه رحيم كريم إلى
 ه غير ذلك من أسمائه الحسنى و صفاته العلى التى تنطق الأشياء بها بألسنة
 الأحوال و تحدث بها صدور الكائنات و إن لم يكن لها مقال ، و يشرحها
 كلام التدبير بما له من الكمال ﴿ و ان عسى^٣ ﴾ أى و ينظروا فى الإشفاق
 و الخوف من أنه ممكن^٤ و خليق و جدير ﴿ ان يكون قد اقترب ﴾ أى
 [دنا دنوا عظيما ﴿ اجلهم ﴾ أى - ٢] الذى لاشك عندهم فى كونه
 ١٠ بموتة من موتات هذه الأمم التى أسلفنا أخبارها كنفس واحدة
 أو بالتدرج فيأدرؤا بالإيمان به خشية انخرام الأجل للنجاة من أعظم
 الوجل ، فان كل عاقل إذا جوز خطرا ينبغى له أن ينظر فى عاقبته
 و يجتهد فى الخلاص منه .

ولما كان قد تقدم فى أول السورة النهى عن التخرج من الإنذار
 ١٥ بهذا الكتاب ، و بان بهذه الآيات أنه صلى الله عليه وسلم اتصف بالإنذار
 به حق الاتصاف ، و بان أن القرآن مبين لجميع المخلوقات ، فثبت أنه
 كلام الله ؛ تسبب عن ذلك الإنكار على من يتوقف عن الإيمان به ،

(١) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) زيد من
 ظ (٣) فى ظ : النعم (٤) فى الأصل : يمكن ، و فى ظ : تمكن (٥) من ظ ، و فى
 الأصل « و » .

والتخويف من إحلال أجله قبل ذلك فبقع فيما لا يمكنه تداركه، وذلك في أسلوب دال على أن الإيمان بعد هذا البيان بما لا يسوغ التوقف فيه إلا لانتظار كلام آخر فقال: ﴿ فبأى حديث ﴾ أى كلام يتجدد له في كل واقعة بيان المخلص منها ﴿ بعده ﴾ أى بعد هذه الرتبة العظيمة ﴿ يؤمنون ٥ ﴾ فقد دلت هذه الآية على أن للإيمان طريقين: أحدهما ٥ سمعى، والآخر عقلى، قال الحرالى في كتاب له في أصول الفقه: الحكم إنما يتلقى من خطاب الله البالغ على السنة رسله، وقد اتضح واشتهر أن السمع من طرق تفهم^٢ خطاب الله الذى تبلغه الرسل، وكذلك أيضا قد تحقق لقوم^٣ من أبلى الألباب أن الرؤية وسائر الحواس طريق من طرق تفهم خطاب الله أيضا، يعنى منه اللب العقلى معنى الإرسال في ١٠ كتابه المخلوق^٤ كما يعنى العقل معنى الإرسال من مفهوم كلامه المنطوق^٥، وقوم ممن فهم من مرئى كتاب الله المشهود إرسالا ولقن أحكاما يسمون الحنيفيين / كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل، وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن^٦ كل واحد منهم يبعث أمة واحدة، لاهتدائه من نفسه من غير رسالة هاد خارج عنه، بل من رسول موجدته ١٥ وإحساسه للعالم، ولأنه إنما أخذ بكلية حكم الإيمان وجوب المناصفة مع الخلق من شهود خلق الله، وصار مع ذلك يتقرب تأكيد ما يحصل له عقلا من مسموع خطاب الله، وعلى نحو هذه الحال - وأتم هى - حال

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: يفهم (٣) فى ظ: القوم (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ لخذفناها (٥) من ظ، وفى الأصل: المنطق. (٦) فى ظ: ان .

الأنبياء و الصديقين قبل مورد الوحي على النبي و قبل سماع صديقه و ارد
 وجهه ، و هؤلاء [هم - '] الذين لا يتوقفون عن الإيمان بالنبي عند
 ابتداء دعوته ، و^٢ كما أن النبي لا يلزم و يحكم بل يبلغ عن^٣ الله فكذلك
 نظر العقل لا يلزم و لا يحكم بل يبلغ عن الله ، فيكون الحكم الذي هو تصرف
 الحق في^٤ أفعال الخلق بهذا على ضريين : شرعى أى مأخوذ من الإرسال
 الشرعى ، و عقلى أى مأخوذ من الإرسال العقلى ، و حاصل ذلك أن
 العالم المشهود مبين عن أمر الله ، و كل مبين مبلغ ، فالعالم مبلغ أى بما
 يفهمه الفاهم من كلامه عن الله ، فان النحاة قالوا - كما ذكره ابن عصفور
 فى شرح الإيضاح لأبى على و كذا غيره : إن الكلام فى الاصطلاح
 ١٠ لا يقع إلا على اللفظ المركب وجودا أو تقديرا المفيد بالوضع ، قال :
 و احتزوا باللفظ عما يقال له كلام لغة و ليس بلفظ كالخط و الإشارة
 و ما فى النفس ، و ما يفهم من حال الشيء ، و قال الحرالى : نحو حال الخجل
 و الغضبان ، و بالفعل نحو الإشارة باليد و العقد بالأنامل و بآثار الفعل
 كالصنائع و الأعمال ، و باللفظ الذى يلفظ به القلب إلى ظاهر اللسان ،
 ١٥ و بآثار رقوم يحاذى بها حذو مفهوم اللفظ و هو الخط - انتهى .

و لما كان ذلك كله من أعجب العجب ، كانت فذلكته قطعاً تعليلاً
 لما قبله من إعراضهم عما لا ينبغي الإعراض عنه دليلاً على أن الأمر ليس
 إلا بيد منزله سبحانه قوله : ﴿ من يضل الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة
 ﴿ فلا هادى ﴾ أصلاً ؛ ﴿ له^١ ﴾ بوجه من الوجوه ؛ و لما دل بالإفراد^٥

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : على (٤) تأخر فى
 ظ عن « له » (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

اعلى أن كل فرد في قبضته، و كان التقدير: بل يستمر على ضلاله، عطف عليه بضمير الجمع دلالة على أن جمعهم لا يغنى من الله شيئا فقال: (و يذرهم) أى يتركهم^٢ على حالة قبيحة، و عبر بالظرف إشارة إلى إحاطة حكمه بهم فقال: (في طغيانهم) أى تجاوزهم للحدود حال كونهم (بعمهون^٣) أى يتحيرون و يترددون في الضلال لا يعرفون طريقا هـ ولا يفهمون حجة .

و لما بين التوحيد و النبوة و القضاء و القدر، أتبعه المعاد لتكمل المطالب [الأربعة - ٢] التى هي أمهات مطالب القرآن، مينا ما اشتمل عليه هذا الكلام من تلبدهم^٤ في العمه و تلدهم في أشراك الشبه بقوله: (يستلونك) أى مكررين لذلك (عن الساعة) أى عن وقتها سؤال استهزاء (إيان مرسها^٥) ١٠ أى أى وقت ثبات ثقلها و استقراره^٦، والمرسى يكون مصدرا و زمانا و مكانا، من رحت السفينة - إذا ثبتت بالحديدة المتشعبة، و إنما كان هذا يانا لعمهم^٧ فانهم^٨ وقعوا بذلك^٩ في الضلال من وجهين: السؤال عما غيره لهم أم، و جعله على طريق الاستهزاء مع ما قام عليه من الأدلة، و سكره في هذه السورة، و كان اللائق بهم أن يجعلوا بدل السؤال عنها ١٥ اتقاءها بالأعمال الصالحة .

و لما كان السؤال عن الساعة عاما ثم خاصا بالسؤال عن وقتها^{١٠}، جاء الجواب عموما عنها بقوله: (قل إنما عليها) أى علم وقت إرسالها و غيرها

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ: يتركهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل: تتركهم (٥) في ظ: استقلاله (٦) في ظ: لانهم (٧) في ظ: به.

﴿عند ربّي ج﴾ أى المحسن إلى باقامتها لينعم على من / تبعى و ينتقم من^١
 تركنى ، لم يطلع على ذلك أحدا من خلقه ، ولا يقيمها إلا فى أحسن
 الاوقات و أنفعها لى ، و إخفاؤها أنفع للخلق لأنه أعظم لشأنها و أهيب ،
 فيكون أدعى إلى الطاعة و أزجر عن المعصية و أقرب إلى التوبة ، ثم خصصت
 ه من حيث الوقت بقوله مشيرا إلى أن لها أشرطا^٢ تقدمها : ﴿لا يحلبها﴾
 أى بينها غاية البيان ﴿لوقتها الا هو ط﴾ .

ولما كان قد أشار إلى ثقل الساعة بالإرساء ، وكان الشيء إذا جهل
 من بعض الوجوه أشكل و إذا أشكل ثقل ، قال : ﴿ثقلت﴾ أى الساعة
 فغاصت إلى حيث لم يتغلغل إليها علم العباد فأمهمهم كلهم [على - ٣] شأنها ،
 ١٠ و لذلك عبر بالظرف فقال : ﴿فى السموات و الارض﴾ أى نسبة أهلها
 إلى خفائها و الخوف منها على خد سواء لأن مالكتها قادر على ما يشاء ، و له
 أن يفعل [ما يشاء - ٢] ؛ ثم قرر خفاءها على الكل فقال : ﴿لا تاتيكم﴾
 أى فى حالة من الحالات ﴿الا بغتة﴾ أى على حين غفلة .

و لما كانوا قد ألحفوا فى سؤاله صلى الله عليه و سلم عنها ، و كانت
 ١٥ صفة الربوبية المذكورة فى الجملة الأولى ربما حملت على سؤاله طمعا فى
 تعرفها^٤ من المحسن إليه ، قطع الأطماع بقوله مؤكدا^٥ للمعنى : ﴿يسئلونك﴾
 أى عن الساعة مطلقا فى وقت وقوعها و ما يحصل من أمورها و يحدث
 من^٦ شدائدنا ، أى و يلحفون فى^٧ سؤالك كلما أخبرتهم أنه لا يعلمها^٨ إلا الله^٩

(١) من ظ ، و فى الأصل : من (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشرط (٣) زيد
 من ظ (٤) فى ظ : الحوا (٥) فى ظ : تعريفها (٦) من ظ ، و فى الأصل : موكد .
 (٧) فى ظ : فى (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين
 من ظ .

(كانك حق) أى عالم بأمرها مستفص مبالغ فى السؤال (عنها قل) أى قطعاً لسؤالهم (إنما عليها عند الله) أى الذى [له - ٩] جميع العزة والعظمة والكبرياء فلا يستطيع علم شئ مما عنده إلا بأذنه، ولم يأذن فى عليها لأحد من الخلق (ولكن أكثر الناس) أى الذين غلبت عليهم صفة الاضطراب (لا يعلمونه) أى ليسوا من أهل العلم فهم بالسؤال عنها يستهزئون، ولو كانوا من أهله ما كذبوك، فواقعوا ما لا يغنيهم من السؤال عنها وغيره من أنواع التعتن، وتركوا ما ينجيهم ويغنيهم من المبادرة إلى الإيمان بهذا القرآن خوف انحرام الآجال وهم يهيمون فى أودية الضلال .
ولما كان علم الغيب ملزوماً لجلب الخير ودفع الضرر، وكانت الساعة أدق علم الغيب، أمره بنفى هذا اللازم فيتبقى الأعم فيتبقى ١٠ باتفاقه الأخص، وقدم النفع لأنه أهم إلى النفس، وليس فى السياق ما يوجب تأخيرها بخلاف ما فى سورة يونس عليه السلام^٢، فقال آمراً باظهار ذل العبودية: (قل لا أملك) أى فى وقت من الاوقات أصلاً (لنفسى نقلاً) أى شيئاً من جلب النفع قليلاً ولا كثيراً (ولا ضراً) كذلك، فان قدرنى قاصرة وعلى قليل، وكل من كان عبداً كان كذلك . ١٥
ولما كان من المعلوم بل المشاهد أن كل حيوان يضر وينفع، أعلم أن ذلك إنما هو بالله فقال: (إلا ما شاء الله) أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد سواه أن يقدرنى عليه .

(١) زيد من ظ (٢) فظ : الذى (٣) راجع آية ٤٩ (٤) من ظ، وف الأصل : يقدر .

ولما بين لهم بهذا أن سؤالهم عن الساعة وغيرها^١ من المفيات
جهل منهم ، لأن حاله واضح^٢ في أنه لا يعلم من ذلك إلا ما عليه الله
الذى اختص بعلم الغيب ، دل عليه بقوله : ﴿ ولو كنت ﴾ أى من ذاتي
﴿ اعلم الغيب ﴾ أى جنسه ﴿ لاستكثرت ﴾ أى أوجدت لنفسى كثيرا
﴿ من الخير ﴾ باستجلاب المنافع بنصب أسباها .

ولما كان الضر لا يحتمل منه شيء قال : ﴿ وما منى السوء ﴾ أى
هذا الجنس باقامة الموانع / له عنى لأن آمن لازم^٣ إحاطة العلم بشمول
القدرة كما سيقدر إن شاء الله تعالى في سورة طه^٤ ، ولما بين أن علم الغيب
رتبة الإله ، ختم الآية ببيان رتبته ، فقال قائل ما ادعوه فيه من الجنون
١٠ لما بان بقوله : ^٥ يا بنى عبد مناف ! اتقوا الله ، يا بنى فلان يا بنى فلان ،
[وكذا ما لازم عن إلزامهم له بعلم الساعة من أنه يكون إلها - ^٦] :
﴿ إن أنا إلا ﴾ ولما كانت السورة للانذار ، قدمه فقال : ﴿ نذير ﴾ أى
مطلقا للكافر ليرجع عن كفره ، والمؤمن ليثبت^٧ على إيمانه
﴿ وبشير لقوم يؤمنون ﴾ أى خاصة ، أو الصفتان لهم خاصة بالنظر
١٥ إلى النفع ، وأما ما لا تقع فيه فعدم .

ولما ذكر سبحانه الساعة هنا كما ذكرها^٨ أول السورة^٩ بما لم يذكره
(١) من ظ ، وفي الأصل : غيره (٢) من ظ ، وفي الأصل : واضح (٣-٣) في
ظ : اللزوم (٤) في ظ : يقول (ه-ه) في الأصل : ما يعنى ، وفي ظ : يا - كذا :
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : فثبت (٨) العبارة من هنا إلى
« يذكره هناك » ساقطة من ظ (٩) في الأصل : سورة .

هناك من تهكمهم واستهزائهم ، و ختم هنا بحصر العلم و القدرة في الله
الموجب لتفردة بالإلهية ، وكان الذى جرم إلى ذلك الاستهزاء إشراكهم ؛
ذكر ما ذكر قبلها 'أول السورة من ابتداء الخلق على وجه الحصر المستلزم
لتمام القدرة الموجب لنفى الشريك' و اعتقاد القدرة على الساعة و غيرها
و الصدق فى كل ما وقع الإخبار به من أمرها و غيره الموجب للاستقامة ه
فى قبول بشارته و نذارته و الإقبال بالكلية على الخالق ، فقال مقررا
للتوحيد 'مؤكدًا لأمره': (هو) أى وحده (الذى خلقكم) أى
و لم تكونوا شيئًا (من نفس واحدة) أى خلقها ابتداء من تراب و هى
آدم عليه السلام - كما مر بيانه ، و من قدر على اختراع حى من شىء
ليس له أصل فى الحياة؟ كان على إعادته حيا من ذلك الشىء بعد أن ١٠
صار له أصل فى الحياة؟ أقدر .

و لما كان آدم عليه السلام بعد صيرورته لحما و دما أقرب إلى السبيية
لخلق ذات لحم و دم منه ، قال [معبرا بالواو لأنه كاف فى نفي الشرك الذى
السياق للتحذير منه بخلاف الزمر^٢ فإنه للقهر ، و تأخير المسيات عن
الأسباب مدة أدل عليه لأنه خلاف الأصل - ٤] : (و جعل) لأن ١٥
الجميل - كما قال الحرالى - إظهار أمر عن سبب و تصيير (منها) أى
لأمن غيرها (زوجها) أى حواء من لحمها و دمها و عظمها .

و لما كان المراد بالنفس آدم عليه السلام و كان الزوج يقال على الذكر

(١-١) تكرر ما بين الرقيين فى ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) راجع
آية ٦ (٤) زيد من ظ .

والآثى، استخدم ضميره فى المذكر ذاكر اءلة الجعل بقوله: ﴿ليسكن﴾
 أى آدم لأنه هو المراد بالنفس هنا؛ ولما كان الزوج هنا هو المرأة،
 أنث الضمير فقال: ﴿إليها﴾ [وتقلكم من ذلك السكون منه إليها - ١] لأن
 النفس إلى الجنس أميل و عليه أقبل، ولا سيما إن كان بعضا، ألا ترى إلى
 ٥ حبة الوالد لولده و القريب لقريبه، وإنما منع سبحانه من نكاح الأصل
 و الفرع لما فى ذلك من الضرر و غيره من الحكم الكبار، فيغشاها عند
 ما يسكن إليها فيحصل الحمل و الولادة فتفرع النفوس من تلك النفس .
 و لما كان [السكون هنا كناية عن الجماع، أعاده بلفظ أقرب منه - ١]
 فقال مؤذنا بقرب غشيانها بعد جعلها، [أو - ١] ناسقا له على [ما - ١]
 ١٠ تقديره: فسكن إليها فالت نفسه إليها فلم يتالك أن غشيا: ﴿فلما تغشها﴾ أى
 غشيا آدم عليه السلام المعبر عنه بالنفس بهمة عظيمة ﴿حملت حملا خفيفا﴾
 أى لأنه نطفة ﴿فرت به ج﴾ أى فعالت [به - ١] أعمالها و قامت
 و قعدت، لم يعقها عن شىء من ذلك، إعلاما بأن أمرها فيه كان على عادة
 النساء التى نعرفها* ﴿فلما انقلبت﴾ أى صارت ثقيلة بكبره و تحركه فى
 ١٥ بطنها ﴿دعوا الله﴾ أى آدم و حواء عليهما السلام .

ولما ذكر الاسم الأعظم استحضارا لأن المدعو هو الذى له جميع
 الكمال، فهو قادر على ما دعوا به لأنه قادر على كل ما يريد؛ ذكره صفة
 الإحسان رجاء القبول و الامتنان فقال: ﴿ربهما﴾ أى الذى أحسن إليهما،

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يعرفها (٣) فى
 ظ: أهواى (٤) من ظ، و فى الأصل: ذكره .

مقسمين ﴿لئن اتينا صالحا﴾ أى ولدا لا عيب فيه ﴿لنكونن من الشكرين ه﴾
 أى نحن و أولادنا على نعمتك علينا ، وذلك أنهما جوزا أن يكون غير
 سوى لقدرة الله تعالى على كل ما يريد ، لأنه الفاعل المختار لا الطبيعة ولا
 غيرها ، وأشار بالقاء إلى قرب الولادة من الدعاء فقال : ﴿ فلما آتاهما ﴾

/ أى أبويكم آدم و حواء ﴿ صالحا ﴾ أى جنس الولد الصالح فى تمام الخلق ه ٥ / ٣٩٥
 بدنا وقوة وعقلا ، فكثروا فى الأرض و انتشروا فى نواحيها [ذكورا
 وإناثا - ٢] ﴿ جعلنا ﴾ أى النوعان من أولادهما الذكور والإناث ،
 لأن 'صالحا' صفة لولد وهو للجنس فيشمل الذكر و الأنثى والقليل
 والكثير ، فكأنه قيل : فلما آتاها أولادا صالحى الخلق من الذكور
 و الإناث جعل النوعان ﴿ له شركاء ﴾ أى بعضهم أصناما و بعضهم ١٠
 نارا وبعضهم شمسا وبعضهم غير ذلك ، هذا على قراءة الجماعة ، و على
 قراءة نافع [و - ٣] أبى بكر عن عاصم بكسر الشين وإسكان الراء
 والتوين التقدير : ذوى شرك ﴿ فيما آتاهما ﴾ أى من القوى بالعبادة
 و الرزق بالنذور ونحوها .

ولما لم يضر المشركون بالإشراك إلا أنفسهم ، سبب عن ذلك ١٥
 قوله : ﴿ فتعلى الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال التى ليست لغيره
 تعاليا كثيرا ، و الدليل على إرادة النوعين قوله : ﴿ عما يشركون ه ﴾ بالجمع ،
 (١) فى الأصل : أبواكم ، و فى ظ : أبوكم (٢) فى ظ : ذلك (٣) زيد ما بين
 الحائزين من ظ (٤) فى ظ : فكأنى (ه) من ظ ، و وقع فى الأصل : صالحا -
 مكورا (٦) فى ظ : أصنام .

وكذا ما بعده من عيب عبادة الأصنام .

ولما ذكر علوه سبحانه ، شرع يذكر من أوصافه عبارة وإشارة ما يدل على ذلك ، و يقيم الأدلة على عدم صلاحية ما أشركوا به للشركة^١ بعجزها ، بأنها من جملة خلقه ولا تصرف لها تستحق^٢ به وجهها من التعظيم ، فقال منكرا على عبادها^٣ دالا على [أن-^٤] المراد الشرك الحقيقي ، لا ما ذكر من قصة^٥ إبليس في تسيه في التسمية بعبد الحرث ونحوه : ﴿ ايشركون ﴾ أى المشركون [و-^٦] أولادهما في العبادة ﴿ ما لا يخلق ﴾ أى من الأصنام والطبائع والكواكب وغيرها ﴿ شيئا ﴾ أى يوجد من العدم كما يفعل الله الذى أشركوها به .

١٠ ولما كان يلزم أن يكون^٧ ما لا يخلق^٨ شيئا مخلوقا^٩ لأنه لا يتكون

عاجز بغير قادر^{١٠} أوجده ، صرح به في قوله مجريا للأوثان مجرى أولى العلم لتزليهم منزلهم في الاعتقاد والعبادة : ﴿ وهم ﴾ ولما كان المصنوع لا يكون صانعا ، اكتفى بالبناء للفعول فقال : ﴿ يخلقون ﴾ أى متجددا خلق أعراضهم وذواتهم وأمثالهم ﴿ ولا يستطيعون لهم ﴾ أى للمشركين الذين يعبدونها ﴿ نصرا ﴾^{١١} وهو المعونة على العدو ، ولعله عبر بصيغة العاقل إشارة إلى أنهم لو كانوا يعقلون ، وكانوا بهذه الصفات الحسية ما أهلوهم لأن يكونوا^{١٢} أحبابهم فضلا عن أن يجعلوهم أربابهم .

(١) من ظ ، وفي الأصل : للشرك (٢) من ظ ، وفي الأصل : يستحق (٣) في ظ : عبادتها (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : قضية (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) في ظ : مخلوق (٨) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ فحذفناها . (٩-١٠) في ظ : هذا لما لا عويه - كذا (١٠) من ظ ، وفي الأصل : يكون .

و لما كان من لا ينصر غيره قد ينصر نفسه ، نفي ذلك بقوله :
 ﴿ ولآ انفسهم ينصرون ه ﴾ أى فى وقت من الاوقات عند ما يصيبهم
 بسوء ، بل عبدتهم يدافعون عنهم .

و لما تبين^١ من هذا الاستفهام الإنكارى المعجب من حالهم فى
 ضلالهم فى أسلوب الغيبة أن من أشركوه ليس فيه نوع قابلية لما أهلوه ، ه
 فان المعبود يجب أن يكون قادرا ، و من كان عاجزا نوع عجز كان
 مربوبا^٢ ، وكان للتنبيه بالخطاب ما ليس له بالغيبة ؛ أتبع ذلك فى أسلوبه
 تعجيبا آخر منهم أشد من الأول ، و ذلك أن معبوداتهم التى^٣ أشركوا
 بها كما أنها لاتفعل شيئا من تلقاء أنفسها ، لا^٤ تفعله عند دعاء الداعى
 ولا تهتدى إليه فقال تعالى : ﴿ وان تدعوم ﴾ أى و إن تدعوا أيها ١٠
 المشركون أصنامكم دعاء مستمرا متجددا ﴿ الى الهدى ﴾ أى [إلى - °]
 الذى يدل الداعى إليه قطعاً ، على^٥ أن المتخلف عنه سبب^٦ المزاج ، محتاج
 إلى العلاج ، لكونه تخلف عما لا يتخلف عنه من له نوع صلاح لكونه
 أشرف الأشياء ، فالمتخلف عنه راض لنفسه بالدون ﴿ لا يتبعوكم^٧ ﴾
 أى فى ذلك الهدى الذى دعوتهم إليه و لو بالغتم فى الاستتباع ، ولعله ١٥
 عبر بصيغة الافعال إشارة إلى أنها لا يتصور منها قصد التبع [فضلا - °]
 عن إيجادهم ؛ ثم بين أن ذلك ليس بأمر عارض ، بل هو^٨ مستمر دائم
 بقوله مستأنفا تأكيداً للنعى : ﴿ سواء عليكم ﴾ .

(١) فى ظ : بين (٢) من ظ ، وفى الأصل : مرباه (٣) فى ظ : الذين .

(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : كما .

ولما كان السواء^١ لا يكون إلا بين أمرين ، تشوف السامع إليهما فقال : ﴿ ادعوتموهم ﴾ أى وجد منكم ذلك الدعاء الذى أشير إلى استمراره ، و عبر بالاسمية إشارة إلى أنهم لا يدعونهم^٢ فى وقت الشدائد ، بل يدعون الله فقال : ﴿ ام اتم صامتون ﴾ أى عن ذلك على الدوام على عادتكم فى
 ٥ الإعراض عن دعائهم فى أوقات الملمات ، فالذين يدعون معتقديهم فى وقت الضرورات أقبح حالا فى ذلك من المشركين^٣ ، [ويجوز أن تكون الآية من الاحتباك ، فيكون نظمها : أدعوتموهم مرة أم أتم داعوهم دائما أم صمتم عن دعائهم فى وقت ما أم أتم صامتون دائما عن دعائهم ، حالك فى كل هذه الأجوبة سواء فى عدم الإجابة ، لا اختلاف فيه بوجه ،
 ١٠ دل بالفعل أولا على حذف مثله ثانيا ، وبالاسم ثانيا على حذف مثله أولا - ٤] .

ولما كان اتباع من يدعى أنه أعقل الناس وأبدهم عن النقائص وأعرقهم فى معالى الأخلاق وأرفعهم عن سفاسفها لمن هذا سبيله أخزى الخزى وأقبح العار ، وكانوا مع العلم بهذا الذى وصفت [به - ٤]
 ١٥ معبوداتهم يفعلون فى الإشراك بهم وفى خوفهم ورجائهم ما هو عين الجهل ؛ كرر تبكيتهم باتباعهم فى أسلوب آخر أوضح مما قبله فى تبيين النقائص والتنبية على المعاييب ملجئ إلى الاعتراف أو التصريح بالعناد أو الجنون فقال مؤكداً : ﴿ ان الذين تدعون ﴾ أى أيها المشركون دعاء
 (١) فى ظ : السوء (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يدعوههم (٣) من ظ ، وفى الأصل : المشركون (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

عبادة ملازمين لذلك ، أو أنه أطلق الدعاء على العبادة إشارة إلى أنه لا تصح عبادة من ليس فيه قابلية أن يدعى^١ . والحاصل أن الدعاء يلازم المعبود . ولما كان دعاؤهم لهم إنما هو على سبيل الإشراف^٢ ، قال مشيرا إلى سفول رتبتهن باثبات الجار : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال والعظمة والجلال ﴿ عبادا^٣ امثالكم ﴾ أى فى العجز عن كل شيء ٥ لا سيما عما وقع به التحدى من^٤ معارضة القرآن وغيرها ، [وأنتم تزيدون عليها بالحياة والعقل ، والمعبود لا يصح أن يكون مثل العابد فكيف إذا كان دونه ؛ ولما كانوا لا يسلبون أنهم أمثالهم ، سبب عن ذلك أمرهم بدعائهم لبيان دعوى المثلية بل الدونية فقال - ٦] : ﴿ فادعوم ﴾ أى إلى شيء من الأشياء .

١٠

ولما كان الإله الحق يجيب وليه عند التحدى من غير تخلف^٧ ، أشار إلى ذلك بالربط بالفاء فقال : ﴿ فليستجيبوا^٨ لكم ﴾ أى يوجدوا لكم إجابة بينة فى الإتيان بسورة تماثل شيئا من القرآن وفى شيء من المنافع . ولما كان المقام محتاجا إلى مزيد توبيخ وإلهاب ، قدم منه ما رأيت ، ثم زاد فى الإلهاب فقال : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ صدقين ﴾ ١٥ أى فى دعوى أنهم آلهة ، فإن رتبة الإله تقتضى ذلك ، وقرأ^٩ سعيد ابن جبير " ان " خفيفة و " عبادا^{١٠} امثالكم " - بنصب الدال واللام ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : يدعها (٥) فى ظ : الاشتراك (٢) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : عبادا (٤) فى ظ : كما (٥) من ظ ، وفى الأصل : عن (٦) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٧) فى ظ : تخالف (٨) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : فيستجيبوا (٩) من ظ ، وفى الأصل : قراءة (١٠) فى ظ : عباد .

و اتفق المفسرون على تخريجها على أن 'إن' هي النافية أعملت عمل
'ما' الحجازية، فرفعت الاسم ونصبت الخبر، وإعمالها هذا العمل
فيه خلاف، أجازة الكسائي وأكثر الكوفيين، ومن البصريين
ابن السراج و الفارسي و ابن جني، و منع منه الفراء و أكثر البصريين،
و اختلف النقل^٥ عن سيويه و المبرد، و الصحيح أن إعمالها لغة ثبت ذلك
في النظم و النثر - ذكر ذلك كله أبو حيان^٦ و ذكر أنه أشبع الكلام فيه في
شرح التسهيل، و اعترض على هذا التخريج بأنه يلزم منه منافاتها للقراءة
المشهورة، و إنما يسلم له ذلك لو توارد النفي و الإثبات على شيء واحد،
و ليس الأمر هنا كذلك، فالإثبات لمائلتها لهم في مطلق العجز، و النفي
١٠ مساواتها^٧ لهم فيه لزيادتهم عنها بالبطش و نحوه، أو يكون الأمر - كما قال
الزمخشري - أن الإثبات على سبيل التناول و النفي على الحقيقة .

و لما أثبت عجزهم و أنهم أمثالهم، دل عليه و على أنهم دونهم بأسلوب
إنكار و تعجيب مفصلاً لبعض ما نفاه [عنهم - ^٨] فقال مقدماً الأرجل
لأن أول ما يخشى من الشيء انتقاله : (اللهم أرجل) و لما كانت
١٥ لهم جوارح مصنوعة، بين المراد بقوله : (يمشون بها ذ) .

و لما كان الخشى بعد الانتقال مدّ اليد، قال^٩ : (ام لهم ايد) أي^٦
موصوفة بأنهم (يبطشون بها ذ) أي نوعاً من البطش ؛ و لما كان الخوف
بعد البطش باليد البصر خوفاً من الدلالة [قال - ^{١٠}] : (ام لهم اعين)

() سقط من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٤/٤٤٤ (٣) من ظ ، و في الأصل :
لناواتها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : فقال (٦) سقط من ظ .

أى منعوتة بأنهم ﴿ يعصرون بها ﴾ أى ضربا من الإبطار؛ ولما كان الإنسان ربما خاف مما يقصد ضره فتغيب عنه فلا يصل إليه بعد ذلك إلا بالسمع قال خاتما: ﴿ ام لهم اذان ﴾ أى مقول فيها أنهم ﴿ يسمعون بها ﴾ / أى شيئا من السمع .

٣٩٧/

ولما سواها بهم ونفى عنهم ما تقدم ، لزم نقصانها عنهم وأنه فى ه
الحقيقة مسلوب عنهم لأنهم ليس لهم من ذراتهم إلا العدم ، والقدرة
فيما يقدرون عليه إما هى يد الصانع لهم أشركهم معها ، وقال دالا على
ذلك مستأنفا: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المشركين ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ أى
هذه التى تقدمت ومهما شتمت غيرها ، واستعينوا بها فى عداوتى .

ولما كان هذا تحديا عظيما يحق لفاعله التمدح به ، نبه عليه بأداة ١٠
التراخى فقال: ﴿ ثم كيدون ﴾ أى جميعا أنتم وهم وأنتم أكثر من حصى
البطحاء و رمل الفضاء و أنا وحدى ، ولما كان المعنى : و عجّلوا ، عطف
بفاء السبب قوله : ﴿ فلا تنظرون ﴾ أى تمهلون لحظة فما فوقها
لثلاثا تعتلوا فى الإنظار بعلّة ، وعلل عدم المبالاة بكيدهم بقوله دالا على

اتصاف معبوده بما نفاه عن شركائهم من الإحاطة بمنافع الدارين فيما ١٥
يتعلق بالأديان والأبدان ، وقدم الدين إشارة إلى أنه الأهم فقال مؤكدا
فى مقابلة إنكارهم : ﴿ ان ولّى ﴾ أى ناصرى و متولى جميع أمورى
﴿ الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ الذى نزل ﴾ أى بحسب التدرج

(١) فى ظ : الى (٢) من ظ ، وفى الأصل : معقول (٣) فى ظ : لله (٤) فى ظ :
أشركوا (٥) من ظ ، وفى الأصل : لثلاثا تعتلوا (٦) فى ظ : الانتظار - كذا .

متكفلا بفصل الوقائع (الكُتُبُ) أى الجامع لعلوم الأولين
والآخرين و أمر المعاش و المعاد و أحوال الدارين وكل ما فيه صلاح
من أحوال القلوب و غيرها الذى عجزتم بأجمعكم و من 'دعيتم شركته
عن معارضة شئ منه .

و لما تكفل هذا التنزيل بجميع الصفات ، و هى الحياة التامة المستلزمة
للارادة و القدرة و العلم و السمع و البصر و الكلام ، و كان عجزهم عن
المعارضة للكتاب دليلا^١ شهوديا قوليا على كذبهم ، أتبع ذلك دليلا^٢
آخر شهوديا فعليا فقال : (و هو) أى وحده (يتولى) أى يلى
ولاية تامة (الصلحين) أى كلهم بنصرهم على كل مناو و كفايتهم
١٠ لكل مهم و قد علمتم ما قدمه فى هذه السورة من وقائمه بمن كذب أنبياءه
واستهزأ برسله و أنه أنجى كل من والاه^٣ ، و أهلك جميع من عاداه
كمن عدوم آلهة ، و هو و ما بعده و ما قبله متلفت إلى قوله تعالى " اتبعوا
ما أنزل إليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه أولياء " بالشرح^٤ ، و هو دال
على أنه هو الذى فعل ما تقدم لأجل أوليائه بدليل أنه أعجزهم عن معارضة
١٥ شئ من كتابه ، و عن^٥ الوصول إلى جميع ما يريدون^٦ من أوليائه و أحبابه .
و لما صور بهذا جلاله^٧ ، و قرر عظمته و كماله ، باتصافه بجميع
الصفات العلى التى منها القدرة التى تكفهم^٨ عنه ؛ كرر التنفير عن أندادهم^٩
فى أسلوب آخر تأكيذا للمعنى السابق بزيادة بالغة فى العجز^{١٠} و هو تصوير^{١١}

(١) من ظ ، و فى الأصل : دليل (٢) من ظ ، و فى الأصل : ولاء (٣) فى ظ :
بالشرع (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) من ظ ، و فى الأصل : يرون (٦) فى
ظ : اجلاله (٧) فى ظ : تكفلهم (٨) فى ظ : انذارهم (٩) من ظ ، و فى الأصل
» و « (١٠ - ١١) من ظ ، و فى الأصل : هى تصوير - كذا .

النظر من غير إِبصار ، مع أن الأول للتقريع ، وهذا للفرق بين من
يعبد بحق و من يعبد بباطل ليرجعوا عن غيرهم وعنادهم . فقال مينا أنهم
ليسوا في شيء من صفاته مصرحا بنفي النصرة التي أثبتنا له عنهم مع
المواجهة بالحُطاب الذي هو أقطع في الجواب : ﴿ و الذين تدعون ﴾ أى
تديمون دعاءهم ﴿ من دونه ﴾ - فأنهم يدعونه سبحانه في بعض الأوقات - ه
أو تدعونهم تاركين [له - ٢] ﴿ لا يستطيعون نصركم ﴾ أى بوجه
من وجوه النصرة بدليل عجزكم عني وأنا وحدي وأنتم أهل الأرض
﴿ و لا انفسهم ينصرون ه ﴾ بدليل أن الكلب يبول عليهم فلا يمنعونه .
ولما كان دعاء الجماعة أقرب إلى السماع من دعاء الواحد ، نسق
على ما قبله قوله : ﴿ و ان تدعوه ﴾ أى يا من هم أضل منهم وأعجز ١٥
﴿ الى الهدى ﴾ أى [إلى - ١] الذى هو أشرف الخلال ليهتدوا في نصر
أنفسهم أو غير ذلك ﴿ لا يسمعون ١ ﴾ أى شيئا من ذلك الدعاء ولا غيره ؛
ولما كان حالهم في البصر بالنسبة إلى كل أحد على حد سواء ، قال مفردا
للخاطب : ﴿ و رنهم ﴾ أى أيها الناظر إليهم ﴿ ينظرون اليك ﴾ / أى كأنهم
٣٩٨ / ينظرون لما صنعوا لهم من الآعين ﴿ وهم لا يبصرون ه ﴾ أى نوعا ١٥
من الإبصار ، و ما أشبه مضمون هذه الآيات بما ٢ في سفر أنبياء بنى إسرائيل
في نبوة ١ أشعيا : هكذا يقول الرب ملك إسرائيل ومخلصه : أنا الأول و أنا
الآخر ، وليس إله غيرى . و من مثلى ٥ يدعى و يظهر قوته و يخبر بما كان
(١) في ظ : الذى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل :
سواء - كذا (ه) من نبوة أشعيا - الأصحاح الرابع والأربعين ، وفي الأصل
و ظ : مثل .

منذ بسطت الدنيا إلى الأبد ، والآيات القديمة تظهر للشعوب ، فلا يفزعون
ولا يخافون ، ألم أسمعكم منذ^١ أول الدهر وأظهرها لكم وأبين لكم الأمور
وأنتم شهدائي أن ليس إله غيري ، وليس عزيز منيع إلا وأنا أعز منه ، لأن
جميع الصناعات الذين يعملون الأصنام إنما عملهم باطل وليس في أعمالهم منفعة ،
٥ وأن^٢ الصناعات الذين^٣ يعملونها [هم-] يشهدون عليها أنها لا تبصر ولا تسمع
ولا تعلم ، لذلك يخزى جميع صناعات الآوثان المسبوكة لأن جميع ما صنعوا^٤
لا تغل له ، فيجمعون كلهم ويخزون ويفتضحون لأن التجار نحت
بجديده وهباً صنماً بمقتاره وسدده بقوة ساعده وجاع وعطش في عمله ،
والتجار اختار خشبة وقدرها وألصق بعضها ببعض بالغراء وركبها وعملها
١٠ كشبه الإنسان ، أقام من الخشب الذى ققطع من الغيضة كشبه رجل الذى
نبت من شرب المطر لبصير للناس للوقود فعملوه لهم إلهاً وعبده
وسجدوا له ، الذى ينصفه خبزوا لهم خبزاً وشبوا لهم لحماً على جمرة وأكلوا
وشربوا واصطلوا^٥ وقالوا : قد حمينا لأننا قد أوقدنا ناراً واصطينا ،
والذى بقى منه اتخذوه إلهاً منحوتاً وسجدوا له وصلوا وقالوا : نجماً لأنك
١٥ إلهنا ، ولم يخطر على بالهم فكر أن يقولوا : إنا قد أوقدنا نصفه بالنار ،
وخبزنا خبزنا وشوينا على جمرة اللحم وأكلنا ، ولم يعلموا أن باقية قد عمل
منه صنم وسجدوا له ، لأن قلوبهم متمرغة في رماده ، وضلت عقولهم
فلا يقدرّون ينجون أنفسهم ولا^٦ يقولون : إن أيادينا^٧ عملت الباطل

(١) من ظ ، وفي الأصل : سبل - كذا (٢-٢) في ظ : الصانع الذى (٣) زيد

من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : اصنعوا (٥) في ظ : اصطنعوا (٦) سقط من

ظ (٧) زيد بعده في ظ : التى .

و اتخذت الكذب، ثم قال: أليس أنا الرب منذ أول، و ليس إله غيرى
ولا مخلص سوى، ادنوا إلى يا جميع الذين^١ فى أقطار الأرض لتنجوا
لأنى أنا الرب و ليس إله غيرى، حلفت يمينى و أخرجت كلمة صدق و لست
أرجع عنها لأنه لى تتخى كل ركة، و بى يحلف كل إنسان و يقول:
إنما البر بالرب، و إليه تدنو^٢ الأعزاء و يخزى جميع المبغضين، و بى يمتدح^٣
و يبرر، بمن شبهتمونى؟ و إلى من نسبتمونى؟ بالضالين الذين أخرجوا
الذهب من أكياسهم [و-^٢] وزنوا الفضة بالميزان و اكثروا الصناعات^٤
حتى عملوا لهم آلهة يسجدون لها و يحملونها على أكتافهم و يمشون بها
ثم يصلون لها و يدعونها لا تجيبهم و لا تخلصهم من شدائدهم ثم يحملونها
أيضا و يردونها إلى مواضعها، اذكروا هذه الأشياء و اعقلوا أيها الأئمة^٥
و أخطروها على قلوبكم و اذكروا الأيام التى كانت من الابتداء، إنى أنا الله
الخالق و ليس إله غيرى و لا مثلى، فأنا^٦ أظهر العتيدات و أخبر بالذى
يكون قبل أن يكون، و أثبت رأى و أكمل إرادتى و هوأى، و أدعو
من فى المشارق فيأتون أسرع من الطير، و أتانى^٧ الرجل الذى قد عمل
مسرقتى من الأرض البعيدة، لأنى أنا إذا^٨ تكلمت بشئ فعلته. أنا خلقت^٩
و أنا أخلق؛ و فى الزبور فى المزمور الثالث عشر بعد المائة^{١٠}: إلهنا فى
الأرض، كل ما يشاء يصنع، أو ثابن الأمم ذهب و فضة عمل أيدي
(١) من ظ، و فى الأصل: الدنيا (٢) فى ظ: تدعو (٣) زيد من ظ (٤) من
ظ، و فى الأصل: الصناعات - كذا (٥) فى ظ: أنا (٦) فى ظ: اتى (٧) فى ظ:
الذى (٨) و أما فيما عندنا من نسخة الزبور فالنص الآتى وارد فى المزمور
الخامس عشر بعد المائة.

البشر، لها أفواه ولا تتكلم، لها أعين ولا تنظر، لها آذان^١ ولا تسمع،
وأناف ولا تشم، وأيد^٢ ولا تلمس، وأرجل ولا تمشي، ولا صوت
بجناجرها، ولا روح في أفواهها، فليكن صانعوها مثلها وجميع من يتوكل^٣
عليها - انتهى . / ٣٩٩

٥ ولما كان محصل أمرهم الإعراض عما أنامم بالكذب والإقبال على
ما لم يأتهم بالطلب والتعنت كالسؤال عن الساعة، والأمر بالمنكر من
الشرك وما يلزم منه^٤ من مساوى الأخلاق، والنهي عن المعروف الذى
هو التوحيد وما يتبعه من محاسن الشرع، وذلك هو الجهل، وختم
ذلك بالإخبار بأنه سبحانه أصلح له الدين بالكتاب، والدنيا بالحفظ
١٠ من كل ما يتأب^٥، وكان حالهم ربما كان موثا من فلاحهم، مفترأ عن
دعاتهم إلى صلاحهم^٦، كان الداعى لهم صلى الله عليه وسلم كأنه قال:
فما أصنع في أمرهم؟ فأجابه بالتحذير من مثل حالهم والأمر بضد قائلهم
وفعالهم والإبلاغ في الرفق بهم فقال: ﴿خذ العفو﴾ أى ما أناك من
الله والناس بلا جهد ومشقة، وهذه المادة تدور على السهولة، وتارة
١٥ تكون من الكثرة وتارة من القلة، فعفا المال، أى كثر، فصار يسهل
إخراجه ويسمح به لزيادته عن^٧ الحاجة، وعفا المنزل، أى درس، فسهل
أمره حتى صار لا يلتفت إليه .

(١) في ظ: اذن (٢) في الأصل وظ: ايدي (٣) في ظ: يتكلم (٤) من ظ، وفي
الأصل: عنه (٥) في ظ: يشاب (٦) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن
في ظ فحذفناها (٧) من ظ، وفي الأصل: على .

ولما أمره بذلك في نفسه، أمره به^١ في غيره فقال: ﴿وامر بالعرف﴾
 أى بكل ما عرفه الشرع وأجازته، فانه من العفو سهولة و شرفا ،
 ٢ وقد تضمن ذلك النهى عن المنكر فأغنى بذلك عن ذكره لأن السياق
 للاسهلة^٣؛ ولما أمره بالفعل^٤ في نفسه و غيره، أتبعه الترك فقال:
 ﴿واعرض عن الجاهلین^٥﴾ أى فلا تكافئهم بخفتهم و سفههم ولا تمارمهم
 فان ذلك أسهل من غيره، وذلك [بعد فضيحتهم بالدعاء، وذلك - °]
 لأن محط حالهم اتباع الهوى فيدعوم إلى تكلف ضد هذه الخصال،
 وفيه إشارة إلى النهى عن أن يذهب نفسه عليهم حسرات مبالغة في
 الشفقة عليهم، وعن جعفر الصادق أنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم
 الأخلاق منها .

١٠

ولما كان الشيطان بعداوته لبني آدم مجتهدا في التنفير من هذه
 المحاسن و الترغيب في أضدادها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزع
 منه حظ الشيطان بطرح تلك العلقة السوداء من قلبه إذ شق جبرئيل
 عليه السلام صدره و غسل قلبه و قال^٦: هذا حظ الشيطان منك؛ شرع
 لآمته ما يعصمهم منه عند نزغه مخاطبا له بذلك ليكون أدعى لهم إلى القبول ١٥
 وأجدر باشتداد الخوف المقتضى للفرار المثمر للنجاة، لأنهم إذا علموا

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) في ظ: باء مدل .

(٤) العبارة من «ولما أمره بالفعل» إلى هنا تأخرت في ظ عن «بخفتهم و سفههم» .

(٥) زيد من ظ (٦) من ظ، وفي الأصل: قد .

قصد الشيطان لمن نزع منه^١ حظه وعصم. من كل محنة علموا أنه لهم
أشد قصدا وأعظم كيدا^٢ وصدأ^٣، فقال مؤكدا بأنواع التأكيد إشارة
إلى شدة قصد الشيطان^٤ للفتنة وإفراطه في ذلك، ليبالغ في الحذر منه
[وإن كان قصده بذلك في محل الإنكار لعلله بالعصمة - ^٥]
و [لذلك - ^٦] عبر بأداة الشك إشارة إلى ضعف كيدته للنبي صلى الله عليه
وسلم، لأن الله تعالى أعانه على قرينه فأسلم: ﴿و اما﴾ أي إن،
وأكدت بـ "ما" إثباتا للنعى ونفيا لصدده ﴿ينزعك﴾ أي ينخسك
نخسا عظيما ﴿من الشيطان نزع﴾ أي نخس بوسوسته من شأنه [أن - ^٧]
يزعج فيسوق إلى خلاف ما تقدم من المحاسن في نحو غضب من جهل
الجاهل وسفه السفهيه [أو - ^٨] إفراط في بعض أوجه^٩ كما تساق الدابة
بما تنخس به، فيفسر ويجعل^{١٠} النخس ناخسا إشارة إلى شدته ﴿فاستعذ﴾
أي فأوجد أو اطلب العوذ وهو الاعتصام ﴿بالله^{١١}﴾ أي الذي له جميع
العز والعظمة والقدرة والفهر لانقطاعك عن الإخوان والأنصار إليه
فلا ولي لك ولا ناصر إلا هو، فانه إذا أراد إعادتك ذكرك من^{١٢} عزيز
نعمه وشديد نقمه ما يرد عن الفساد رغبا ورهبا، والآية ناظرة إلى قوله تعالى
٤٠٠ / ١٥ نعمه وشديد نقمه ما يرد عن الفساد رغبا ورهبا، والآية ناظرة إلى قوله تعالى
[أولها - ^{١٣}] "لا تعبدن لهم صراطك المستقيم".

ولما أبطل تعالى أن يكون شركائهم سمع أو علم، صار إثبات ذلك

(١) من ظ، وفي الأصل: فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من
ظ، وفي الأصل: الشياطين (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: اوجب (٦) من ظ،
وفي الأصل: جعل (٧) سقط من ظ.

له كافيًا في اختصاصه به من غير حاجة إلى الحصر المتضمن لنفيه عن غيره
لتقدمه صريحًا بخلاف ما في فصات^١ ، فقال معللاً : ﴿ انه سميع ﴾ أى بالغ
السمع فهو يسمع استغاثتك فيجيبك إن شاء ﴿ عليم ﴾ شامل العلم بما
تريد ويريد منك عدوك ، فلا يعجزه شيء ، و ختم بصفة العلم في الموضعين
لأن الوسوسة من باب ما يعلم ، و ختمها في سورة المؤمن^٢ بالبصير^٣ المشتق^٥
من البصر^٢ و البصيرة ، لأن المستعاذ منه أمر الناس و منه ما يبصر .

و لما كان لا يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم إلا شيء خفيف جدا كما
نبه عليه بالنزغ ، و هو ليس بمحقق كما نبهت عليه أداة الشك ، و كان
لا يستعذ بالله إلا المتقون فكان كأنه قيل : افعل ذلك عند أول نزغه^٤
لتكون من المتقين ، علله بقوله : ﴿ ان الذين اتقوا ﴾ أى حصل لهم هذا ١٠
الوصف . و حقق أذاه لهم بأداة التحقيق - بخلاف ما مضى عند أفراد
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم - فقال : ﴿ اذا مسهم طيف ﴾ أى
طواف على أنه مصدر ، و يجوز أن يكون تخفيف طيف كيت و هو
بمعنى قراءة طائف على أنه فاعل كيت و مائت ، و يجوز أن يكون
مصدرا أيضا ، و هو إشارة إلى أن الشيطان دائر حولهم لا يفارقهم ، فتارة ١٥
يؤثر فيهم طوافه فيكون قد مسهم مسا هو أكبر من النزغ لكونه أطاف
بهم من جميع الجوانب ، و تارة لا يؤثر ﴿ من الشيطان ﴾ أى البعيد من
الرحمة المحترق باللعة ﴿ تذكروا ﴾ أى كلفوا أنفسهم ذكر الله بجميع
ما ينفعهم في ذلك إقداما و إحجاما .

(١) راجع سورة ٤١ آية ٣٦ ، (٢) راجع آية ٥٦ (٣ - ٢) سقط ما بين الرقين
منظ (٤) فيظ : نزع (٥) هذه قراءة ابن كثير و أبي عمرو و الكسائي و يعقوب .

و لما كانوا بأسراع التذكر^١ كأنهم لم يمسه شيء من أمره، أشار إلى ذلك بالجملة الاسمية مؤكدا لسرعة البصر باذا الفجائية: ﴿فاذا هم﴾ أى بنور ضمائرهم ﴿مبصرون﴾ أى ثابت إبصارهم فلا يتابعون الشيطان، فإن المتقى من يشتهى فينتهى، و يبصر^٢ فيقصر، وفى ذلك تنبيه ه على أن من تمدى مع الشيطان عمى لأنه^٣ ظالم، و الظالم [هو -^٤] من يكون كأنه يمشى فى الظلام.

و لما وصف المتقون الذين هم العلماء ملوحا إلى نصيح ولبهم لهم، و عرف من حالهم أنهم أعداء الشيطان، و عرف أن أضدادهم^٥ أولياؤه؛ أتبعه وصف الجاهلين و غش أوليائهم لهم و الكل غير متقين، فقال: ١٠ ﴿واخوانهم﴾ أى و إخوان الجاهلين من شياطين^٦ الإنس و الجن ﴿يمدونهم﴾ أى يمدون الجاهلين، من المد و هو الإمهال و الإطالة على قراءة^٧ الجماعة، و هو بمعنى قراءة^٨ أهل المدينة بالضم من الإمداد؛ [و قال الواحدى: إن هذا أكثر ما يأتى فيما يحمد كامدئتهم بفأكهة، فهو من استعمال الشيء فى ضده نحو "فبشرهم بعذاب"، و كأنه يشير إلى أن الشيطان ١٥ أكثر ما يأتى الإنسان فى صورة الناصح الشفيق، و الأوجه أن يكون الإخوان الجاهلين لأنهم فى مقابلة "الذين اتقوا" و يكون الضمير للشيطان المراد به الجنس، أى و إخوان الشياطين - و هم الجاهلون الذين لا يتقون - يمدهم أولياؤهم من الشياطين -^٩] ﴿فى النى﴾ و هو ضد

(١) فى ظ: التذكير (٢) من ظ، و فى الأصل: يصبر (٣) من ظ، و فى الأصل:

انه (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: أضداده.

(٦) من ظ، و فى الأصل: شياطينهم (٧-٨) سقط ما بين الرقين من ظ.

الرشاد ، [و أشار - ١] إلى مزيد اعتنائهم بالإغواء و ماثرتهم على الإضلال و الإغراء بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ أى لا يتركون إغواءهم و لو^٢ لحظة لجهلهم و شرهم .

ولما تقرر ما شرعه من التعفف و عدم التنطع و التكلف ، و كان قد أخبر أن من عمهم تكلفهم السؤال عن^٣ الساعة ، و الشياطين لا يفترون ه عن إغوائهم ، أخبره عن مطلق تكلفهم تعجبا^٤ منهم و إشهادا لتماذيهـ مع إغواء شياطينهم ، و أمره صلى الله عليه و سلم بما يحيجهم [به - ١] فقال عاطفاً على " يمدونهم " : ﴿ واذا لم تأتهم بآية ﴾ أى على حسب اقتراحهم ﴿ قالوا لولا ﴾ أى هلا ﴿ اجتبيتها ﴾ و الجبي : الجمع ، و الإجابة تركه ، و الاجتباء : الجد فى الجمع ، و يلزم منه الاصطفاء و الاختيار ، ١٠ فعنى اجتبيتها اجتلبتها ، أى تكلفت من عند نفسك الإتيان بها محتارة . و لما كان المقام داعياً إلى السؤال فى تطعيم الجواب ، ٦ أسعف ذلك^٥ بقوله : ﴿ قل ﴾ أى إذا قالوا ذلك ﴿ انما آتبع ﴾ أى أتعمد و أنكلف اتباع ﴿ ما يوحى^٦ الى ﴾ أى يأتينى به الملك ﴿ من ربي ﴾ / أى ٤٠١ / المحسن إلى تعليمى ما ينفعنى ، لا أنى آتى بشيء من عند نفسى و لا أقترح ١٥ على ربي .

و لما حصر حاله فى اتباع الوحي كان كأنه قيل : ما هذا الذى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى الأصل و ظ : لا (٣) من ظ ، و فى

الأصل : على (٤) فى ظ : تعجيباً (٥) فى ظ : عطفاً (٦) فى ظ : أسعف .

(٧) من ظ ، و فى الأصل : بذلك .

يوحى إليك؟ فقال - ويجوز أن يكون تعليلا لاتباعه لأنه كاف في إثبات نبوته مغني عن الآيات المقترحة قاهر في وجوب اتباعه - : ﴿هذا﴾ مشيرا إلى ما يوحى إليه تنبيها على أنه يجب أن يكون مستحضرا في سائر الأذهان ، حاضرا بين عيني كل إنسان ﴿بصائر﴾ أي أشياء هي^١ ٥ - على حسب ما طلبتم - مجتابة ، بل هي خيار الخيار ، يكون بها نور القلب فيصير للعيون أيضا بصر يقربه^٢ مما يبحث الكتاب على نظره من الآيات المرئيات إلى علوم لم تكن لها قبل^٣ ذلك ، وهي حجج^٤ بينة قاهرة على تصديق و^٥ قبول [كل - ^٦] ما جئت به ، و سماه بذلك لأنه سبب لبصر العقول بدلائل التوحيد و النبوة و المعاد و جميع الشريعة ١٠ أصولا وفروعا ، فهو تسمية للسبب باسم المسبب ، و على^٧ مدحها بقوله : ﴿من ربكم﴾ أي الذي لم يقطع إحسانه عنكم أصلا ، فهو جدير بأن يتلقى ما أتى منه بكل جميل .

ولما كانت البصائر جمعا ، و كانت العادة جارية بأن مفردات الجمع تكون متفاوتة ، أكدها بما يشير إلى أنها خارقة للعادة في أنها على ١٥ حد - واه في أعلى طبقات الهداية فقال : ﴿وهدي﴾ أي يان ؛ ولما كان البيان قد لا يكون على وجه الإكرام ، قال : ﴿ورحمة﴾ أي إكرام .

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يعبر به (٣) زيد بعده في الأصل : بصر ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٤) في ظ : حجة (٥) في ظ : في (٦) زيد من ظ . (٧) في ظ : اعلى .

ولما كان من لا ينتفع^١ بالشئ يصح أن ينفي عن الشئ النافع النفع بالنسبة إليه ، قال : ﴿ لقوم يؤمنون^٢ ٥ ﴾ أى يوجدون هذه الحقيقة ويستمرون على تجديدها فى كل وقت ، وأما غيرهم فقد يكون عليهم عذابا .

ولما عظم الله شأن القرآن ، فكان^٣ التقدير : فآمنوا به تفلحوا ، ٥ عطف عليه قوله : ﴿ واذا قرئ القرآن ﴾ أى وهو هذا^٤ الذى يوحى إلى ، فتأدبوا وتواضعوا لأنه صفة ربكم ﴿ فاستمعوا له ﴾ أى ألقوا إليه أسماعكم مجتهدين فى عدم شاغل يشغلكم عن السمع .

ولما كان بعض الفهماء يسمع وهو يتكلم ، أشار إلى أن هذا الكتاب أعلى قدرا من أن يناله من يشتغل عنه بأدنى شغل فقال : ١٠ ﴿ وانصتوا ﴾ أى للتأمل والتدبر لتجلى قلوبكم فتعلموا حقيقة فتعلموا بما فيه ولا يكون فى صدوركم حرج منه ؛ ولما كان ظاهر الآية وجوب الإنصات لكل قارئ على كل أحد ، رغب فيه تعظيما لشأنه^٥ فقال : ﴿ اعلمكم ترحمون^٦ ٥ ﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن يكرمكم ربكم ويفعل بكم كل ما يفعله الراحم مع المرحوم .

١٥

ولما تقدم الأمر بالذكر عند نزغ الشيطان ، ومر إلى أن أمر بالاستماع لأعظم الذكر ، وكان التالى ربما بالغ فى الجهر ليكثر سامعه ، وربما أسر^٧ لئلا يوجب على غيره الإصغاء ، عليهم^٨ أدب القراءة^٩ ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : لا ينتفع (٢-٣) زيد ما بين الرقين من ظ والقرآن الكريم .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : كان (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل : اشد ، وفى ظ :

اسرع - كذا (٦) فى ظ : علم (٧) من ظ ، وفى الأصل : القرآن .

و أطلق ذلك في كل حال لأنه ربما فهم فاهم الاختصار على الذكر في حالة النزغ ، ورقى^١ الخطاب منهم إلى إمامهم ليكون أدعى لقبولهم مع الإشارة إلى أنه لا يكاد يقوم بهذا الأمر حق قيامه^٢ غيره صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ واذكر ﴾ [أى بكل ذكر من القرآن وغيره -^٣]
 ه ﴿ ربك ﴾ أى الذى بلغ الغاية فى الإحسان إليك ﴿ فى نفسك ﴾ أى ذكرا يكون راسخا فىك مظهروفا لك لفهمك لمعانيه وتخلقك بما فيه ، وليكن سرا لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص وأعون على التفكير ، وكونه سرا دال على أشرف الأحوال ، وهو المراقبة مع تحقق القرب ، فإذا كان كذلك أثمر قوله : ﴿ تضرعا ﴾ أى حال كونك ذا تضرع بالظاهر ١٠ ﴿ وخيفة ﴾ أى لتدعو المخافة إلى تذلل قلبك لتجمع بين تضرع السر والعلن ، وبهذا^٤ يكمل ذل العبودية لعز الربوبية .

ولما أمر بالسر ، قال مقابلا له : ﴿ ودون الجهر ﴾ أى لأنه أدخل فى الإخلاص ، ومن المعلوم أنه فوق السر ، وإلا لم تقدر الجملة / ٤٠٢

شيئا ؛ ولما كان الجهر قد يكون فى الأفعال ، أكد به بقوله : ﴿ من القول ﴾
 ١٥ أى فان ذلك يشعر بالتذلل^٥ والخضوع من غير صياح كما يناجى^٦ الملوك ويستجلب^٧ منهم الرغائب ، وكما قال صلى الله عليه وسلم للصحابة وقد جهروا بالدعاء فوق المقدار : إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، فان

(١) من ظ ، وفى الأصل : نفى (٢) من ظ ، وفى الأصل : قيام (٣) زيد من ظ .

(٤) فى ظ : لكن (٥) فى ظ : هذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : التذلل (٧) فى ظ :

تناجى (٨) فى ظ : تستجلب (٩) فى ظ : لا .

المقصود حصول الذكر اللسانى ليعين الذكر القلبى، و المقصود حاصل
باسماع النفس فانه يتأثر الخيال فيتقوى الذكر القلبى، و لا تزال الأنوار
تتزايد^١ فينعكس تراجع بعضها إلى بعض حتى يزداد الترقى من ظلمات عالم
الأجسام إلى أنوار مدبر النور و الظلام .

- و لما أمر بالذكر مكيفا له بكيفيته اللائقة به ، أمره صلى الله عليه وسلم ٥
بالمداومة عليه ذا كرا^٢ أحسن الأوقات [له - ٢] و أحقها به ، لكونها
- لما^٣ فيها من الشغل - أدل على إثارة لمزيد المحبة و التعظيم فقال: ﴿ بالغدو ﴾
أى أوقات البكر ، و لعله أفرد على جعله مصدر غدا ، لأنه ما ثم^٤
إلا صلاة الصبح ، و جمع ما بعده للعصرين و المغرب فقال: ﴿ و الأصال ﴾
أى أوقات العشاء^٥ ، و قيل : الغدو جمع غدوة ، فيراد حينئذ مع الصبح ١٠
الضحى ، و آخر كل نهار متصل بأول ليلة اليوم الثانى فسمى آخر اليوم
أصيلا لأنه يتصل^٦ بما هو أصل اليوم الثانى ، و خص هذين الوقتين و إن
كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم و الليل باسم جزئه ، لذكر بالغدو
الاتشار من الموت ، و بالأصيل السكون بالموت و الرجوع إلى حال العدم
فيستحضر^٧ بذلك جلال الله عز و جل فيكون ذلك حاويا^٨ على تعظيمه ١٥
حق تعظيمه .

و لما كان ربما أوهم هذا الخصوص بهذين الوقتين و إن كان ظاهرا فى

- (١) فى ظ : تريد كذا (٢) فى ظ : ذا كرا (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : العشى (٦) فى ظ : متصل (٧) فى ظ : مستحضر (٨) فى ظ : جاذبا .

الدوام ، قال مصرحا : ﴿ ولا تكن^١ من الغفلين^٢ ﴾ أى فى وقت غيرهما ، بل كن ذاكره فى كل وقت على كل حال ؛ ثم علل الأمر بالمراقبة الدالة على أعظم الخضوع بأنها وظيفة المقربين فقال : ﴿ ان^٣ الذين ﴾ وزاد ترغيا فى ذلك بقوله : ﴿ عند ربك ﴾ أى المحسن إليك بتقريبك من جنابه وجعلك أكرم أحبائه^٤ ، وهم الملائكة الكرام أولو العصمة^٥ ، والقرب دنو مكانة لا مكان ﴿ لا يستكبرون ﴾ أى لا يوجدون ولا يطلبون الكبر ﴿ عن عبادته ﴾ أى الخضوع له والتلبس بانحاء التذلل^٦ مع مزيد قربهم وغاية طهارتهم وجههم ﴿ ويسبحونه ﴾ أى ينزهونه عن كل ما لا يليق مع خلوصهم^٧ عن دواعى الشهوات والحظوظ .

١٠ . ولما كان هذا يرجع إلى المعارف ، وقدمه دلالة على أن الأصل فى العبادة أعمال القلوب ، أردفه بقوله : ﴿ وله ﴾ أى وحده ﴿ يسجدون^٨ ﴾ أى يخضعون باثباتهم له^٩ كل كمال ، وبالمباشرة لمحاسن الأعمال ، وقد تضمنت الآية الإخبار عن الملائكة الأبرار بثلاثة أخبار : عدم الاستكبار الذى هو أجل أنواع العبادة إذ هو الحامل على الطاعة كما أن ضده حامل على المعصية ، والتسبيح الذى هو التنزيه عن كل ما لا يليق ، وتخصيصه بالسجود ؛ ولما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار ، وكانت^{١٠} على قسمين : قلبية وجسمانية ، أشار إلى القلبية بالتنزيه ، وإلى الجسمانية بالسجود ، وهو الحال الذى يكون العبد به عند ربه كالملائكة قريبا وزلفى

(١) فى ظ : لا تكون (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) من ظ ، وفى الأصل : جنابه (٤) من ظ ، وفى الأصل : العظمة (٥) فى ظ : التذكر (٦) فى ظ : خضوعهم (٧) زيد بعده فى ظ : على (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، به عليه أبوحيان^١ على أن العبادتين مرجعهما القلب ، وإحدهما^٢ مدلول عليها بالقول والآخرى بالفعل ، وقد رجع آخر السورة في الأمر باتباع القرآن إلى أولها أحسن رجوع ، ولوصف المقربين بعدم الاستكبار والمواظبة على وظائف الخضوع إلى وصف إبليس بعصيان أمر الله في السجود/ لآدم عليه السلام ٥ / ٤٠٣
على طريق الاستكبار أى التفات ، بل شرع في رد المقطع على المطلع حين أتم قصص الأنبياء ، فقوله ” ولقد ذرانا “ هو قوله ” والذى خبت لا يخرج الانكدا “ يتضح لك ذلك إذا راجعت^٣ ما قدمته في المراد منها^٤ ” والله الاسماء الحسنى فادعوه بها “ [هو - ٥] ” ادعوا ربكم تضرعا وخفية “ و ” بمن خلقنا امة [يهدون بالحق - ٦] هو ” والذين امنوا ١٠ و عملوا الصلحت لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحب الجنة “ ” والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها “ و ” ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم “^٥ هو ” اذا جاء اجلهم لا يستأخرون “ و ” يستلونك^٦ عن الساعة “ هو ” كما بداكم تعودون “ و ” لكم في الارض مستقر و متاع الى حين “ و ” هو الذى خلقكم من نفس واحدة “ و ” لقد خلقنكم ثم صورنكم “ ١٥ و ” انما اتبع ما يوحى الى من ربي “ - إلى آخرها بعد التنفير من الانداد - هو ” كتب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه - إلى قوله : ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون “ فسيحان من هذا كلامه ، و تعالى حجاباه وعز مرامه ، و على من أنزل عليه صلاته و سلامه ، و تحيته و إكرامه .

(١) راجع البحر المحيط ٤/ ٥٤٤ (٢) في ظ : أحدهما (٣) من ظ ، وفي الأصل :

رجعت (٤) من ظ ، وفي الأصل : منه (٥) زيد من ظ (٦) زيد من ظ والقرآن

الكريم (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

سورة الأنفال

وتسمى الجهاد ﴿ بسم الله ﴾ أى^٢ الذى له جميع الحول والقوة
والطول ﴿ الرحمن ﴾ الذى أحاط دائرة العقل بشموس الأدلة من كل
منقول ﴿ الرحيم ﴾ الذى منّ على من شاء من الاتباع بحسن الاتباع ؛
٥ ^١ ومقصد هذه السورة تبرؤ العباد من الحول والقوة ، وحثهم على التسليم
لأمر الله واعتقاد أن الأمور ليست إلا بيده وأن الإنسان ليس له فعل ،
ليثمر^٣ ذلك الاعتصام بأمر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين
وإذلال المفسدين المنتج لكل خير ، والجامع لذلك كله أنه لما ثبت
بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الإله والاجتماع عليه لما ثبت من
١٠ تفرد و اقتداره^٤ ، كان مقصود هذه إيجاب اتباع الداعى إليه بغاية
الإذعان والتسليم والرضى والتبرؤ من كل حول وقوة إلى من أنعم بذلك
ولوشاء^٥ سلبه وأدل ما فيها على هذا قصة الأنفال التى اختلفوا فى أمرها وتنازعوا
قسمها ففتحهم الله منها وكف عنهم حظوظ الأنفس وألزمهم الإخبات والتواضع ،
وأعطاهم نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه الذى هزمهم بما رمى من الحصبات
١٥ التى خرق الله فيها العادة بأن بثها فى أعين جميعهم وبما أرسل من جنوده ،
فكان الأمر له وحده ، يمنحه من يشاء ، ثم لما صار له صلى الله عليه وسلم ،

(١) مدنية ، وهى سبع وسبعون آية فى الشامى ، وست وستون فى البصرى
والحجازى ، وخمس وسبعون فى الكوفى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى
الأصل : ليتم (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : لا ، ولم تكن
الزيادة فى ظ فحذفناها .

رده فيهم منة منه عليهم وإحسانا إليهم ، واسمها الجهاد كذلك لأن الكفار دائماً أضعاف المسلمين ، وما جاهد قوم من أهل الإسلام قط إلا أكثر^١ منهم ، وتجب مصابرة الضعف ، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطيع ذلك ، ولهذه المقاصد سنت قراءتها في الجهاد لتنشيط المؤمنين للجلاد ، وإن كثرت من الأعداء الجموع [و - ٢] الأعداد ، وتوالت إليهم زمر^٥ الأمداد من سائر العباد ، كما ذكره الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى ابن سالم الكلاعي المغربي في فتوح البلاد من كتابه الاكتفاء في سيرة المصطفى وأصحابه الثلاثة الخلفاء ، وكذا شيخه الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن حبيش في كتابه الذي جمعه في الفتوح ، قالوا في وقعة اليرموك من فتوح الشام عن حديث سيف بن عمر وهذا لفظ ابن سالم : قال : وكان ١٠ القارئ يوم ذاك^٢ المقداد ، قالوا : ومن السنة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر أن نقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، وهي سورة الأنفال ، ولم يزل الناس بعد على ذلك ٤ / قالوا في وقعة القادسية من فتوح فارس واللفظ لابن سالم أيضاً قالوا : ولما صلى سعد - يعني ابن أبي وقاص - رضي الله عنه الظهر أمر غلاماً كان عمر رضي الله عنه ألزمه إياه ١٥ وكان من القراءة يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها فقرأها على الكتيبة التي تليه ، وقرئت في كل كتيبة ، فهشت قلوب الناس وعرفوا السكينة مع قراءتها ، قال مصعب بن سعد : وكانت قراءتها سنة يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الزحوف ويستقرئها ، فعمل (١) من ظ ، وفي الأصل : كثر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : ذلك .

الناس بذلك - انتهى . و مناسبتها للاعراف أنه لما ذكر تعالى - كما تقدم - قصص الأنبياء عليهم السلام مع أنهم في تلك ، ناسب أن يذكر قصة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مع قومه ، و تقدم أنه لما أظنب سبحانه في قصة موسى عليه السلام كان ذلك^١ ربما أوهم تفضيله على الجميع ، فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن في سورتين كاملتين : الأنفال في أول أمره و أثباته ، و براءة في ختام أمره و انتهائه ، و فرق بين القصتين ، و ذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا في سوء العذاب ، و كانوا يعلمون^٢ عن أسلافهم أن الله سيذكرهم و ينجيهم من أيدي القبط ، فلما أتاهم موسى عليه السلام و بين لهم الآيات التي أمره الله بهالم يشكوا في أنه الموعود^٣ به من رحمة الله لهم ، و إثباته نفع لهم عاجل مع ما فيه من النفع الآجل ، فأطبقوا على اتباعه ، و كانوا أكثر من ستمائة ألف مقاتل ، و مع ذلك فقد كانوا يخالفون عليه في كل قليل ، و لا^٤ يجدون قلوبا يواجهون بها القبط في الإباء عن أمثال أوامرهم ، و أما محمد صلى الله عليه وسلم فأتى قومه و لا حس عندهم من نبوة و لا علم لهم بها ، و لم يكونوا تحت ذل أحد ، بل كانوا ملوك العرب ، فعندهم أنه جاء يسلبهم عزم و يصيرهم له تبعا يخالفوا أشد المخالفة و لم يدعوا كيذا حتى باشره في رده عما جاء به ، و مع ذلك فنصره الله عليهم و لم يزل يؤيده حتى دخل الناس هم و غيرهم في دين الله أفواجا ، و أظهر دينه على الدين كله [كما - ^٥] و عده سبحانه ، ثم أيد أمره من بعده و لم يزل أتباعه ظاهرين و لا يزالون إلى يوم الدين ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يعملون (٣) في ظ : لم (٤) زيد من ظ .

فبين القستين فرقان^١ لأولى الإبصار والإتقان ، وأما مناسبة أولها لآخر تلك فقد تبين أن آخر الأعراف آخر قصة موسى عليه السلام المحتمة بقصة بلعام وأن ما بعد ذلك إنما هو تنمات لما تقدم لا بد منها و تنمات للتمات حتى كان آخر ذلك مدح من أهلهم لعنديته^٢ سبحانه بالإذعان و تمام الخضوع ، فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية ، اقتضى ذلك ه سؤالاً عن حال الذين عند المخاطب صلى الله عليه وسلم فأجيب بقوله تعالى : ﴿ يسألونك ﴾ أى الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار فى الحقيقة كما علمت ذلك - و سيأتى بيانه ، فهم المستحقون للأنفال وليس لهم إليها^٣ التفات وإما همهم العبادة . والذين عندك^٤ إنما جعلتهم آلة ظاهرة ومع ذلك فهم يسألون ﴿ عن الأنفال^٥ ﴾ التى توليتهم إياها^٦ بأيدي جنودى ١٠ سؤال منازعة ينبغى الاستعاذة بالله منها - كما^٧ نبه عليه^٨ آخر الأعراف - لأن ذلك يفضى إلى افتراق الكلمة والضعف عن مقاومة^٩ الأعداء ، وهو جمع نقل - بالتحريك ، وهو [ما - ^{١٠}] يعطاه الغازى زيادة على سهمه ، والمراد بها^{١١} هنا الغنيمة ، وهى المال المأخوذ من أهل الحرب قهراً ، سميت هنا بذلك لأن أصلها فى اللغة الزيادة ، وقد فضل المسلمون ١٥ بها على سائر الأمم .

ولما كان السؤال عن حكمها ، كان كأنه قيل : فما ذا يفعل ؟ فقال

- (١) فى ظ : فرقاً (٢) فى الأصل : لتعديته ، وفى ظ : لعباده (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : عند ربك (٥) فى ظ : إياها - كذا (٦) فى ظ : لما (٧) من ظ ، وفى الأصل : على (٨) فى ظ : مقامة (٩) زيد من ظ - (١٠) فى ظ : به .

- دالا على أنهم سألوا عن مصرفها و حكمها - لطابق الجواب السؤال :

٤٠٥ / ﴿ قل ﴾ أى لهم / فى جواب سؤالهم ﴿ الاثقال لله ﴾ أى الذى ليس النصر إلا من عنده لما له من صفات الكمال ﴿ والرسول ﴾ أى الذى كان جازما بأمر الله مسلما لقضائه ماضيا فيما أرسله به غير متخوف من مخالطة الردى بمواقعة العدى ؛ قال أبو حيان^٢ : ولا خلاف أن الآية نزلت فى يوم بدر و غنائه^٣ ، و قال ابن زيد : لا نسخ ، إنما أخبر أن الغنائم لله من حيث أنها ملكه و رزقه ، و للرسول عليه السلام من حيث هو مبین لحكم الله و الصادع فيها بأمره ليقع التسليم من الناس ، و حكم القسمة نازل خلال ذلك - انتهى .

١٠ و لما أخبر سبحانه أنه لا شىء لهم فيها إلا عن أمر الله و رسوله ، و كان ذلك موجبا لتوقفهم إلى بروز أمره سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم ، و كانت التقوى موجبة للوقوف خوفا حتى باتى الدليل الذى يحسم على المشى وراهه ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى خافوا خوفا عظيما فى جميع أحوالكم^٤ من الذى لا عظمة لغيره و لا أمر لسواه ، فلا تطلبوا شيئا^٥ بغير أمر^٦ رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا تتخاصموا ، فإن الله تعالى الذى رحمكم بارسال رسول لنجاتكم و إنزال كتاب لعصمتكم غير مهمل^٧ ما يصلحكم ، فهو يعطيكم ما سبق فى عليه الحكم بأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : بموانعة (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٤/ ٤٠٥ .

(٣) فى ظ : غنائه (٤) من ظ ، و فى الأصل : احوالهم (٥ - هـ) فى ظ : بامر .

(٦) من ظ ، فى الأصل : مهملها .

لكم، و يمنكم ما ليس لكم ﴿ واصلحوا ذات بينكم ﴾ أى الحال التى هى صاحبة افتراقكم واجتماعكم، فان أغلب أمرها البين الذى هو القطيعة، وقد أشرفت على الفساد بطلب كل فريق الأثرة على صاحبه فأقبلوا على رعايتها بالتسليم لأمر الله ورسوله الأمرين بالإعراض عن الدنيا ليقسمها بينكم على سواء، القوى والضعيف سواء، فانكم إنما ترزقون و تنصرون ٥ بضعفائكم، لتجتمع كلمتكم فيشتد أمركم ويقوى أزركم فتقدروا على إقامة الدين وقمع المفسدين ﴿ واطيعوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى عظمت من عظمتة فى كل ما يأمرانكم به من تفيل لمن يراه وإنفاذ شرط لمن شرط ووفاء عهد لمن عاهده .

ولما أمر ونهى، هيج وألهب فقال مبينا كون الإيمان مستلزما للطاعة: ١٠ ﴿ ان كنتم مؤمنين ٥ ﴾ أى صادقين فى دعوى الإيمان، فليس كل من يدعى شيئا يكون صادقا فى دعواه حتى يحصل البيان بالامتحان، ولذلك وصل به قوله مؤكدا غاية التأكيد لأن التخلص من الأعراض الدنيوية عسر: ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الراضون فى وصف الإيمان ﴿ الذين ﴾ أى يقيمون الدليل على دعوى الإيمان بتصدق أفعالهم لأقوالهم فيكونون ١٥ ﴿ اذا ذكر الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال من الجلال والجمال [مجرد ذكر فى نحو قوله " الا فقال لله " - ١] ﴿ وجلت ﴾ أى خافت خوفا عظيما يتخلل صميم عظامهم ويحول فى سائر معانيهم وأجسامهم ﴿ قلوبهم ﴾ أى (١) من ظ، وفى الأصل: ليجتمع (٢) من ظ، وفى الأصل: تنعم (٣) فى ظ: الجلال (٤) زيد من ظ .

بمجرد ذكره استعظاما له ﴿واذا نلت﴾ أى قرئت على سبيل الموالاة
والاتصال [من أى تال كان - ١] ﴿عليهم البتة﴾ أى^٢ كما يأتى فى إقامة
الأدلة على ذلك [الحكم الذى ورد ذكره فيه - ١] ﴿زادتهم إيماناً﴾
أى بإيمانهم بها وبما حصل لهم من نور القلب وطمأنينة اليقين بسببها ،
ه فانها هى الدالة على الله بما تبين من عظيم أفعاله ونعوت جلاله وجماله ،
وتظاهر الأدلة أقوى للدلول عليه ، وكال قدرة الله تعالى إنما يعرف^٣
بواسطة آثاره حكمته فى مخلوقاته ، وذلك بحر لا ساحل له ، ولما كانت
المراتب لا نهاية لها ، كانت مراتب التجلى والمعرفة لا نهاية لها ، فالزيادة
فى أشخاص التصديق ﴿وعلى﴾ أى والحال أنهم على ﴿ربهم﴾ أى
١٠ الدائم الإحسان إليهم وحده ﴿يتوكلون﴾ أى يحددون إسناد أمورهم
إليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر أو غيره / ليكفيهم من حيث
لا يحسبون ، فان خزائنه واسعة ، ويده سحاء الليل والنهار ، كما أنهم
لما توكلوا عليه فى القتال نصرهم وقد كانوا فى غاية الخوف من الخذلان ،
وكان حالهم جديرا بذلك لقلقهم وخوفهم وقتلهم وضعفهم .

/ ٤٠٦

١٥ ولما وصفهم بالإيمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع لهم الدافع
للمانع منها ، قال منتقلا [من - ١] عمل الباطن إلى عمل الظاهر مينا أن
همتهم إنما هى العبادة والمكارم : ﴿الذين يقيمون الصلوة﴾ أى لا يفترون
عن تجديد ذلك ؛ ولما كانت صلة بين الخلق والخالق ، أتبعها الوصلة بين

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : تعرف (٤-٤) فى

ظ : واسطة بآثار (ه) من ظ ، وفى الأصل : انتم .

الخلائق فقال : ﴿ وما رزقنهم ﴾ أى على عظمتنا وهو لنا دونهم
 ﴿ ينفقون ط ﴾ ولو كانوا مقلين اعتمادا على ما عندنا فالإنفاق وإهانة الدنيا
 همهم ، لا الحرص عليها ، فيثبذ ' يكونون كالذين ' عند ربك فى التحلى
 بالعبادة والتخلى من الدنيا إعراضا وزهادة ، وهو تذكير بوصف المتقين
 المذكور أول الكتاب بقوله " الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة ه
 وما رزقنهم ينفقون " .

ولما حققوا إيمانهم بأفعال القلوب و الجوارح و الأموال ، فاستوفوا
 بذلك جميع^٢ شعب الدين ، عظم سبحانه شأنهم بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى
 العالو الهمم ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ المؤمنون ﴾ و^٢ أكد مضمون الجملة بقوله :
 ﴿ حقا ط ﴾ .

١٠

ولما كانت^٢ صفاتهم الخمس المذكورة المشتمة على الأخلاق و الأعمال
 لها تأثيرات فى تصفية القلوب و تنويرها بالمعارف الإلهية ، وكلما كان
 المؤثر أقوى كانت التأثيرات أعلى ، فلما كانت هى درجات كان جزاؤها^٣
 كذلك ، فلهذا قال سبحانه تعالى فى جواب من كأنه قال : فما جزاؤهم
 على ذلك ؟ : ﴿ لهم درجت ﴾ ولما كثرتا بجمع السلامة بما دل عليه ١٥
 سياق الامتان ، عظمها بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ أى بتسليمهم لأمره .
 ولما كان قدر الله عظيما ، وكان الإنسان عن بلوغ ما يجب عليه
 من ذلك ضعيفا حقيرا ، وكان بأدنى شئ من أعماله يستغفره الإعجاب ،
 أشار سبحانه * إلى أنه لا يسهه إلا العفو ولو بذل فوق الجهد فقال :

(١-١) فى ظ : يكون كالذى (٢) فى ظ : حقوا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ :

اجزائها (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ .

﴿ ومغفرة ﴾ أى لذنوبهم إن رجعوا عن المنازعة فى الأنفال وغيرها ،
 ﴿ و رزق كريم ﴾ أى لا ضيق فيه ولا كدر بوجه ما من منازعة ولا
 غيرها ، فهو يغنيهم عن هذه الأنفال^٢ ، ويملا^٣ أيديهم من الأموال من
 غنائم فارس و الروم وغير ذلك ، هذا فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فما
 لا يحيط به^٤ الوصف ؛ قال أبو حيان^٥ : لما تقدمت ثلاث صفات قلبية
 - وهى الوجع وزيادة الإيمان والتوكل - وبدنية ومالية ، ترتب عليها ثلاثة
 أشياء ، فقبولت الأعمال القلبية بالدرجات والبدنية بالغفران ، وقبوت
 المالية بالرزق الكريم ، وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع -
 انتهى . ولما كان الإيمان عند الشافعى رحمه الله الاعتقاد والإقرار
 ١٠ و العمل جواز أن يقال : مؤمن إن شاء الله ، لأن استيفاء الأعمال مشكوك
 فيه وإن كان الاعتقاد والإقرار يقينا ، وعند أبى حنيفة رحمه الله الإيمان
 الاعتقاد والإقرار فقط ، فلم يجوز الاستثناء ، فالخلاف لفظى ، هذا إذا
 كان الاستثناء للشك ، وإن كان لغيره كان لكسر النفس عن التمدح ،
 وللشهادة بالجنة التى هى للؤمن ، وللحكم على حالة الموت ، على أن هذه
 ١٥ الكلمة لا تنافى الجزم ، فهى بمجرد التبرك كقوله تعالى " لتدخلن المسجد
 الحرام ان شاء الله آمين " / - " ذكر ذلك " الإمام غفر الدين .

/ ٤٠٧

ولما كان ترك الدنيا شديدا على النفس ، وترك النزاع بعد
 الانتساب^٦ فيه أشد ، شرع يذكر لهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم

(١) من ظ : وفى الأصل : لو (٢) فى ظ : الأنفال (٣) سقط من ظ (٤) راجع
 النهر من البحر المحيط ٤/ ٤٥٨ (٥) سورة ٤٨ آية ٢٧ ، وزيد بعده فى ظ : وكذا .
 (٦) من ظ ، وفى الأصل : الانتساب .

وأمرهم به لعله بالعواقب فحمدوا أثره ، ليكون أدعى لتسليمهم لأمره
 وازدجارهم بزجره ، فشبّه حال كراحتهم لترك مرادهم في الإنفال^١ بحال
 كراحتهم لخروجهم معه ثم بحال كراحتهم للقاء الجيش دون العير ،
 ثم إنهم رأوا أحسن العاقبة في كلا الأمرين فقال : ﴿ كما ﴾ أى حالهم في
 كراهية تسليم الإنفال - مع كون التسليم هو الحق والاولى لهم - كما^٥
 كانت حالهم إذ ﴿ اخرجك ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإرشاد إلى جميع
 مقاصد الخير ﴿ من يترك بالحق ﴾ أى الأمر الفاصل الفارق بين الثابت
 والمزلزل ﴿ وان ﴾ أى والحال أن ﴿ فريقا ﴾ عبر به لأن آراءهم كانت
 تؤل إلى الفرقة ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراغبين في الإيمان ﴿ لكرهون ﴾
 ثم ذكر دليل كراحتهم فقال : ﴿ يجادلونك ﴾ أى يكررون ذلك إرادة^{١٠}
 أن يفتلوك عن اللقاء للجيش إلى الرجوع عنه .

و لما كان لقاء الجيش أمرا قد حتمه الله فلا بد^٢ من وقوعه مع
 أنه يرضيه ، قال : ﴿ في الحق ﴾ أى الذى هو إثارة الجهاد ﴿ بعد ما تبين ﴾
 أى [وضع وضوحا عظيما سهلا من غير كلفة نظر - ^٤] بقرائن الأحوال
 بفوات العير وتيسير أمر النفير وباعلام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم^{١٥}
 تارة صريحا وتارة تلويحا كقوله : والله لكأن أنظر إلى مصارع القوم ،
 هذا مصرع فلان وذلك مصرع فلان .

[و - ^٤] لما كان سبحانه قد حكم^٥ باللقاء والنصرة تأييدا لوليه^٦
 وإعلاء لكلمته مع شدة كراحتهم لذلك ، شبّه^٧ سوقه لهم^٧ إلى مراده ،

(١) من ظ ، وفي الأصل : الإنفال (٢) في ظ : إشارة (٣) في ظ : باس (٤) زيد
 (٥) من ظ : في ظ جاكم (٦) في ط : إدينه - كذا (٧-٧) في ظ : سوقهم له .

فقال باننا للفعول لأن المكره إليهم السوق لا كونه من معين :
 ﴿ كما يساقون ﴾ أى يسوقهم سائق لا قدرة لهم على ممانعته ﴿ الى الموت
 وهم ينظرون ﴾ لأنها كانت أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم
 و كان فيها لقاء ، و كانوا غير متأهين للقتال غاية التأهب ، إنما خرجوا
 ٥ للقاء العير ، هذا مع أنهم عدد يسير . وعدد أهل النفير كثير ، و كانوا
 فى غاية الهيبة للقائهم و الرعب من قتالهم ، و كل هذا تذكير لهم بأنه
 لم ينصرهم إلا الله بلا صنع منهم ، بل كانوا فى يد قدرته كالآلة فى
 يد أحدهم ، لينتج ذلك أنه ليس لهم أن ينازعوا فى الأنفال .

ولما لانوا بهذا الخطاب ، و أقبلوا على الملك التواب ، أقبل عليهم
 ١٠ فقال : ﴿ واذ ﴾ أى اذكروا هذا الذى ذكره الله لكم و قد كان حالكم
 فيه ما ذكره ، ثم أفضى إلى سعادة عظيمة و عز لا يشبهه عز ، و اذكروا
 إذ ﴿ يعدكم الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ احدى الطائفتين ﴾ :
 العير أو النفير ، و أبدل من الإحدى - ليكون الوعد بها مكررا - قوله :
 ﴿ انها لكم ﴾ أى فتكروهون لقاء ذات الشوكة ﴿ و تودون ﴾ أى
 ١٥ و الحال أنكم تحبون محبة عظيمة ﴿ ان غير ذات الشوكة ﴾ أى السلاح
 و القتال و الكفاح الذى به تعرف الأبطال و يميز بين الرجال من ذوات
 الحجال ﴿ تكون لكم ﴾ أى العير لكونها لم يكن فيها إلا ناس قليل ،
 يقال : إنهم أربعون رجلا ، جهلا منكم بالعواقب ، ثم تبين لكم أن ما
 فعله الله خير لكم بما لا يبلغ كنهه ، فسلموا له الامر فى السر و الجهر

(١) فى ط : انما (٢) فى ظ : بل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لانها .

/ تنالوا الغنى والنصر، وقال الإمام [أبو -] جعفر بن الزبير العاصمي في مناسبة تعقيب الأعراف بهذه السورة ومناسبة آخر تلك لأول هذه ما نصه : لما قص سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف أخبار الأمم، وقطع المؤمنون^٢ من مجموع ذلك بأنه^٣ لا يكون الهدى إلا بسابقة السعادة ، لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة إبليس ه وختمها بقصة بلعام، وكلاهما^٤ كفر على علم ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه، ونبه تعالى عباده على الباب الذي أتى^٥ منه على بلعام بقوله سبحانه "ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه" فأشار سبحانه إلى أن اتباع الأهواء أضل كل ضلال، نهوا على ما فيه الحزم^٦ من ترك الأهواء جملة فقال تعالى "يستلونك عن الانقال" - الآية، فكان قد^٧ قيل لهم : اتركوا ١٠ ماترون أنه حق واجب لكم ، وفوضوا في أمره لله وللرسول، فذلك أسلم لكم وأحزم في ردع أغراضكم وقمع شهواتكم وترك^٨ أمور ربكم^٩ وقد ألف في هذه الشريعة السمحة^{١٠} البيضاء حسم الذرائع كثيرا وإقامة مظنة الشيء مقامه كتحريم الجرعة من الخمر والقطرة^{١١}، والخطبة في العدة واعتداد النوم الثقيل ناقضا، فهذه مظان لم يقع الحكم فيها على ما هو ١٥ لانفسها^{١٢} ولا بما هي كذا، بل بما هي مظان ودواع لما منع لعينه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : المؤمنين (٣) من ظ ، وفي الأصل : بان (٤) في ظ : كفرهما (٥) في ظ : اوتى (٦) في ظ : الجرم (٧) سقط من ظ : (٨-٩) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) في ظ : السمحة (١٠) من ظ ، وفي الأصل : القطرة (١١) في ظ : انفسها .

أو استوجب حكماً لعينه وعلته الخاصة به، ولما أمر المسلمون بحل أيديهم عن
الأنفال يوم بدر إذ كان المقاتلة قد هموا بأخذها وحدثوا أنفسهم بالانفراد
[بها - ١] ورأوا أنها من حقهم وأن من^٢ لم يباشر قتالا من الشيوخ
ومن انحاز منه^٣ لهمم فلا حق له فيها، ورأى الآخرون [أيضا - ١] أن
٥ حقهم فيها ثابت لأنهم كانوا فيه للمقاتلين عدة^٤ وملجأ وراء ظهورهم،
كان ما أمرهم الله به من تسليم الحكم في ذلك إلى الله ورسوله من باب
حسم الذرائع لأن تمشية أغراضهم في ذلك - وإن تعلق كل من الفريقين
بحجة - مظنة لرئاسة^٥ النفوس واستسهال اتباع الأهواء^٦، فأمرهم الله
بالتزهد عن ذلك و التفويض لله و لرسوله فان ذلك أسلم [لهم - ١] وأوفى
١٠ لدينهم^٧ وأبقى في إصلاح ذات البين وأجدى في الاتباع "فاتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم" - الآية؛ ثم ذكروا بما ينبغي لهم أن يلتزموا فقال
تعالى "انما المؤمنون - إلى قوله: زادتهم إيماناً" ثم نهوا على أن أعراض
الدنيا من نقل أو غيره لا ينبغي للمؤمن أن يعتمد عليه اعتماداً يدخل
عليه ضرراً من الشرك [أو - ١] التفاتا إلى غير الله سبحانه بقوله "وعلى
١٥ ربهم يتوكلون" ثم ذكروا بما وصف به المتقين من الصلاة والإتقان
ثم قال "اولئك هم المؤمنون حقا" تنبيها على أن من قصر عن هذه الأحوال
ولم يأت بها على كمالها لم يخرج عن الإيمان ولكن ينزل عن درجة
الكمال بحسب تقصيره، وكان في هذا إشعار^٨ بعذرهم في كلامهم في
الأنفال وأنهم قد كانوا في مطلبهم على حالة من الصواب وشرب من

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في الأصل: فيه، وفي ظ: فيه (٤) في
الأصل و ظ: وعدة - كذا (٥) من ظ، وفي الأصل: الرئاسة (٦-٦) سقط
ما بين الرقمن من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: اشتغرا.

التمسك والاتباع ، لكن أعلى الدرجات ما بين لهم ومنحوه ، وأنه
 السكّال والفوز ، ثم نبههم سبحانه بكيفية أمرهم في الخروج إلى بدر وودعهم
 أن غير ذات الشوكة تكون لهم وهو سبحانه يريهم حسن العاقبة فيما
 اختاره لهم ، فقد كانوا تمنوا لقاء العير ، واختاروا ذلك على لقاء العدو
 ولم يعلموا ما وراء ذلك ” ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر
 الكافرين ” إلى ما قصه تعالى عليهم من اكتنافهم برحمته وشمول ألطافه
 وآلائه وبسط نفوسهم ، ونبههم على ما ثبت يقينهم ويزيد في إيمانهم ،
 ثم أعلم أن الخير كله في التقوى فقال ” يا أيها الذين آمنوا ان تقوا / الله
 يجعل لكم فرقانا “ - الآية ، وهذا الفرقان هو^٢ الذي حرمه إبليس وبلغام ،
 فكان منهما ما تقدم من^٣ اتباع الأهواء القاطعة لهم عن الرحمة ، وقد
 تضمنت الآية حصول خير الدنيا والآخرة بنعمة الاتقاء^٤ ، ثم أجمل
 الخياران معا في قوله ” والله ذو الفضل العظيم “ بعد تفصيل ما إليه إسراع^٥
 المؤمنين من الفرقان والتكفير والغفران ، [ولم يقع التصريح بخيرى
 الدنيا الخاص بها مع اقتضاء الآية إياه^٦ تنزيها للمؤمن في مقام إعطاء الفرقان
 وتكفير السيئات والغفران - ^٦] من^٧ ذكر متاع الدنيا التي هي لهو^٨
 ولعب ، فلم يكن ذكر متاعها الفانى ليذكر مفصلا مع ما لا يجانسه ولا يشاكله
 ” وان الدار الآخرة لهى الحيوان “ ثم التحمت الآى ؛ ووجه آخر وهو
 (١-١) من ظ ، وفي الأصل : عليها (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : في (٤) من
 ظ ، وفي الأصل : الإبقاء (٥) في ظ : اسرع (٦) زيد من ظ (٧) في ظ : إياها .
 (٨) في ظ : عن .

أنه تعالى لا قال " و اذا قرئ القرآن فاستمعوا له - ٢ " بين لهم كيفية هذا الاستماع وما الذى يتصف به المؤمن من ضروبه فقال " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله - الآية ، فهؤلاء لم يسمعوا بأذانهم فقط ، ولا كانت لهم آذان لا يسمعون بها ولا قلوب لا يفقهون بها ، ولو كانوا كذا ٢ لا وجلت و عمهم الفرع و الحشية و زادتهم الآيات إيماناً ، فاذن إنما يكون سماع المؤمن هكذا " و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون " و لما كان هؤلاء إنما آتى عليهم من اتباع أهوائهم و الوقوف مع أغراضهم و شهواتهم " ياخذون عرض هذا الأدنى " ، " و لكنه اخلد الى الارض و اتبع هونه " و هذه بعينها كانت آفة إبليس ، رأى لنفسه المزيد ١٠ و اعتقد لها الحق ثم اتبع هذا الهوى حين قال " لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماسنون " فلما كان اتباع الهوى أصلاً فى الضلال و تنكب الصراط المستقيم ، أمر المؤمنين بحسم باب الأهواء ، و التسليم فيما لهم ٧ به تعلق ٤ و إن لم يكن هوى مجرداً لكنه مظنة تيسير لاتباع الهوى ، فافتتحت السورة بسؤالهم عن الانتقال و أخبروا أنها لله ١٥ و رسوله ، يحكم فيها ما يشاء " فاتقوا الله " و احذروا الأهواء التى أهلكت من قص عليكم ذكره " و اصلحوا ذات بينكم " برفع التنازع ، و سلوا الله و لرسوله ، و إلا لم تكونوا سامعين و قد أمرتم أن تسمعوا السماع الذى

(١) من ظ ، و فى الأصل : كما (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم سورة ١٥ آية ٣٣ ، و فى الأصل : اسجد . (٥) فى ظ : الا هوى (٦) فى ظ : تفكت (٧) من ظ ، و فى الأصل : له (٨-٨) فى ظ : يعلن - كذا (٩) فى ظ : اتباع .

عنه رجي الرحمة، ويانه في قوله " انما المؤمنون " - الآيات ؛ ووجه آخر
وهو أن قصص بني إسرائيل عقب بوصاة المؤمنين وخصوصا بالقوى
وعلى حسب ما يكون الغالب فيما يذكر من أمر بني إسرائيل، ففي
البقرة أتبع قصصهم بقوله^١ " يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرونا^٢ و اسمعوا^٣ " ولما كان قصصهم مفتحا بذكر تفضيلهم " يبنى اسرائيل ٥
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم و انى فضلتكم على العالمين^٤ " افتتح خطاب
هذه الأمة بما يشعر بتفضيلهم^٥، وتأمل ما بين " يبنى اسرائيل " و " يا أيها الذين
آمنوا " و أمر أولئك بالإيمان " و آمنوا بما أنزلت^٦ " و أمر هؤلاء بتعب
احتياطي فقيل " وقولوا انظرونا و اسمعوا " ثم أعقبت البقرة بآل عمران
وافتح ببيان المحكم والمتشابه الذى من جهته أتى^٧ على بني إسرائيل في^٨
كثير من مرتكباتهم، ولما ضمنت سورة آل عمران من ذكرهم^٩ ما ورد^{١٠}
فيها، أعقبت بقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين^{١١} " ثم أعقبت السورة بقوله
" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة^{١٢} " و عدل عن الخطاب
باسم الإيمان للناسبة، وذلك أن سورة آل عمران خصت من مرتكبات
بني إسرائيل بمحرمات كقولهم في الكفار " هؤلاء أهدى من الذين آمنوا
سيلا^{١٣} " فهذا بهت^{١٤}، ومنها قولهم " الله فقير ونحن أغنياء^{١٥} " إلى
(١) آية ١٠٤ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) آية ٤٧ (٤) في ظ :
تفضيلهم (٥) آية ٤١ (٦) في ظ : أوتى (٧) في ظ : و (٨ - ٨) من ظ ، وفي
الأصل : واذ (٩) آية ١٠٠ (١٠) سورة ٤ آية ١ (١١) سورة ٤ آية ٥١ .
(١٢) في ظ : بهت (١٣) سورة ٣ آية ١٨١ .

ما تحفل هاتين^١ من الآيات المنبئة عن تعمد الجرائم، فعدل عن "يا أيها الذين آمنوا" إلى "يا أيها الناس" ليكون أوقع في الترتيب وأوضح مناسبة لما ذكر، ولما ضمنت سورة النساء قوله تعالى "فبظلم من الذين هادوا/ حرمنا عليهم طيبات - إلى قوله: واكلهم اموال الناس بالباطل"^٢

/ ٤١٠

ه أتبع بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود"^٣ ثم ذكر لهم ما أحل لهم وحرم عليهم ليحذروا عما وقع فيه أولئك، فعلى هذا لما ضمنت سورة الأعراف من قصصهم جملة، وبين فيها اعتدائهم، وبناء على اتباع الأهواء والمهجوم على الأغراض، طلب هؤلاء باتقاء ذلك والبعد عما يشبهه جملة، فقيّل في آخر السورة ["ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا"] ثم افتتحت السورة -^٤ [الأخرى بصرفهم عما لهم به تعلق وإليه تشبث يقيم عذرهم شرعا فيما كان منهم، فكان قد قيل لهم: ترك هذا أسلم وأبعد عن اتباع الأهواء، فسلموا في ذلك الحكم لله ورسوله واتقوا الله، ثم تناسج السياق والتحمّت الآي، وقد تبين وجه اتصال الأنفال بالأعراف من وجوه، والحمد لله - انتهى .

١٥ ولما أخبر تعالى بما هو الحق من أن إرادتهم بل ودادتهم إنما كانت منصبة إلى العير لا إلى النفير، تبين أنه لا صنع لهم فيما وقع إذ لو كان لكان على ما أرادوا، فلا حظ لهم في الغنمة إلا ما يقسبه الله لهم لأن الحكم لمراده لا لمراد غيره، فقال تعالى عاطفا على "وتودون": (ويريد الله) أي بما له من العز والعظمة والعلم (ان يحق الحق)

(١) فلاحظ: ما بين (٢) آية ١٦٠ و ١٦١ (٣) سورة ٥ آية ١ (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

أى ثبت فى عالم الشهادة الثابت عنده فى عالم الغيب ، وهو هنا إصابة
 ذات الشوكة ﴿ بكلمته ﴾ أى التى أوحاها [إلى - '] نبيه صلى الله
 عليه وسلم أنهم يهزمون و يقتلون و يؤسرون ، و أن هذا مصرع فلان
 و هذا مصرع فلان ، ليعلى دينه و يظهر أمره على كل أمر ﴿ و يقطع دابر ﴾
 أى آخر ﴿ الكافرين لا ﴾ أى كما يقطع أولهم ، أى يستأصلهم بحيث ه
 لا يبقى منهم أحد يشاقق أهل حزبه فهو يدبر أمركم على ما يريد ، فلذلك
 اختار لكم ذات الجد و الشوكة ليكون ما وعدكم به من إعلاء الدين و قمع
 المفسدين بقطع دابرهم ﴿ ليحق الحق ﴾ [أى - '] الذى هو دينه القيم و فيه
 فوز الدارين ﴿ و يبطل الباطل ﴾ و هو كل ما خالفه ﴿ و لوكره ﴾ أى
 ذلك ﴿ المجرمون ٣ ﴾ أى الذين يقطعون ما أمر الله به^٢ أن يوصل ١٠
 و يكسر قوتهم بضعفكم و يفنى كثرتهم بقلتكم و يمحى عزم بذلتكم^٢ فيظهر
 علو أمره و يخضع الأعناق لذكره ﴿ اذ ﴾ ظرف ” ليحق الحق “
 ﴿ تستغيثون ربكم ﴾ أى تطلبون إغاثة المحسن إليكم ، و هو بدل من
 ” اذ يعدكم “ فهو من البيان لكراحتهم لقاء ذات الشوكة بشدة جزعهم
 الموجب لهم الاستغاثة مع إسفار العاقبة عن أن^٢ الخير فيما كرهوه ١٥
 و أنه أحق الحق و أظهر الدين و أوهن أمر المشركين .

و لما أسرع سبحانه الإجابة ، دل على ذلك بقوله : ﴿ فاستجاب ﴾
 أى فأوجد الإجابة إيجاد من هو طالب لها شديد الرغبة فيها ﴿ لكم ﴾
 بغاية ما تريدون تثبتنا لقلوبكم ﴿ انى ﴾ أى بآنى ﴿ بمدكم ﴾ أى موجد

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بذركم (٤) فى
 ظ : شد .

المدد (لكم) أى بامدادكم ، ولعله حول العبارة لما فى التصريح بضميره
من العظمة والبركة (بالف من الملائكة) حال كونهم (مردفين *) أى
متبعين بأمتالهم .

و لما كانت نصرة المسلمين فى هذه الغزوة ظاهرة جدا ، قال :
٥ (وما جعله الله) أى الإمداد والوعد به على ما له سبحانه من العظمة
التي من راقبها لم يهب شيئا (الا بشرى) [أى - ٢] لتستبشر به نفوسكم ،
ولم يحتاج إلى تقييد بأن يقال : لكم ، وأما فى قصة أحد فقد كان المقتول
٢ منهم أكثر من المقتول من الكفار فلو لا قوله ' لكم ' لربما طرق بعض
الأوهام حين سماع أول الكلام أن الإمداد بشرى للكفار .

١٠ و لما كان الذى وقع الحكم به هنا على الإمداد أنه بشرى نفسه من
غير قيد ، علم أن العناية به أشد ، فكان المحكوم به الطمأنينة كذلك ، فكان
أصل الكلام : إلا بشرى هو وطمأنينة هو ، فلذلك وجب ' تقديم ضميره
فى قوله ' به ' على القلوب تأكيدا لأمره وتفخما لشأنه ، وإشارة إلى إتمامه
على عادة العرب فى تقديم ما هم به أعنى وهو عندهم أهم فقال : (ولتطمئن)
١٥ أى وطمأنينة لتطمئن (به) أى وحده من غير نظر إلى شيء من قوتكم
ولا غيرها (قلوبكم) فالآية من الاحتباك ، وأما فى قصة أحد فلما
قيدت البشرى / بالإمداد بلسكم لما تقدم ، علم أن الطمأنينة كذلك ، فكان
الانسب تأخير ضميره وتقديم القلوب الملازمة لضميرهم موازنة لقوله ' لكم ' .

/ ٤١١

(١) من ظ ، وفى الأصل : بمضمرة (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) سقط من ظ .

و لما كان ذلك مفهما أن النصر ليس إلا يده و أن شيئا من الإمداد
أو غيره لا يوجب النصر بذاته ، صرح به في قوله : ﴿ وما النصر ﴾ أى
حاصلا و موجودا بالملائكة و غيرهم من الأسباب ﴿ الا من عند الله ﴾ أى
لأن له^١ وحده صفات الكمال ، فما عنده ليس منحصرًا في الإمداد بالملائكة ،
فالنصر و إن كان بها فليس من عندها ، فلا تعتمدوا على وجودها ، لا تهنوا ه
بفقدائها اعتمادا عليه سبحانه خاصة ، فان ما عنده من الأسباب لا يحاط
به علما ، هذا إذا أراد النصر بالأسباب ، و إن أراد بغير ذلك فعل ،
فكان التعبير بعند لإفهام^٢ ذلك .

و لما كانت هذه الغزوة في أول الأمر ، و كانوا بعد بروز الوعد
الصادق لهم باحدى الطائفتين كارهين للقاء ذات الشوكة جدا ، ثم وقع لهم ١٠
ما وقع من النصر ، كان المقام مقتضيا لإثبات عزة الله و حكمته على سبيل
التأكيد إعلاما بأن صفات الكمال ثابتة له دائما ، فهو ينصر من صبر و اتقى
بعزته ، و يحكم أمره^٣ على آتم وجه بحكمته ، هذا فعله دائما كما فعل في هذه
الغزوة فلذلك قال معللا لما^٤ قبله مؤكدا : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم
﴿ عزيز ﴾ أى هو في غاية الامتاع و القهر لمن^٥ يريد قهره أزلا و أبدا ، ١٥
لا يغالب و لا يحوج و له إلى^٦ زيادة العدد و لا نقاسة العدد ﴿ حكيم ﴾
أى إذا قضى أمرا كان في غاية الإتقان و الإحكام ، فلا يستطيع أحد نقص
شيء منه ، هذا له دائما ، فهو يفعل في نصركم هكذا^٧ مهما استأنستم^٨

(١) في ظ و ه ، (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الانهزام (٤) من ظ ، وفي الأصل :

امر (هـ) من ظ ، وفي الأصل : كما (٦) من ظ ، وفي الأصل : بمن (٧) في ظ :

هذا (٨) من ظ ، وفي الأصل : استأنسهم .

إلى بشره ولم تنظروا إلى قوتكم ولا غيرها مما سواه؛ فلا تقلقوا^١ إذا أمركم بالهجوم على البأس^٢ و لو كان فيه لقاء جميع الناس .

ولما أكد هنا ، لم يحتج إلى إعادة تأكيده في آل عمران فقيل ” العزيز الحكيم^٣ “ أى الذى أخبركم عن عزته وحكمته في غزوة بدر بما يليق بذلك .
المقام [من التأكيد ، و أخبركم أنكم إن فاديتم الأسرى قتل منها في العام المقبل - ٤] مثل عددهم ، فوقوع^٥ الأمر على ما قال مغن عن التأكيد ، ولم يكن أحده^٦ من المسلمين في أحد مترددا في اللقاء ولا هائبا له إلا ما وقع من الهم بالفشل من الطائفتين والعصمة منه في الحال ، وقد مضى في آل عمران لهذا مزيد يان .

١٠ ولما ذكر البشرى و الطمأنينة بالإمداد ، ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع

القول الفعل فأتى في قلوبهم بعزته وحكمته الطمأنينة و الأمن والسكينة بدليل النعاس الذى غشيه في موضع هو أبعد الأشياء عنه^٧ و هو موطن الجلاء ومصارلة الأنداد و التيقظ لمخاتلة أهل العناد ، وكذا المطر وأثره ، فقال مبدلا أيضا من ” اذ يعدكم “ أو^٨ معلقا بالنصر أو بما في الظرف من راحة

١٥ الفعل مصورا لعزته وحكمته : ﴿ اذ يغشاكم ﴾ بفتح حرف المضارعة في

قراءة ابن كثير و أبى عمرو فالفاعل ﴿ النعاس ﴾ و ضم الباقون الياء ،

(١) من ظ ، وفي الأصل : فلا تغفلوا (٢) من ظ ، وفي الأصل : الناس .

(٣) راجع آية ١٢٦ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : فوق (٦) سقط

من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : عندهم (٨) في ظ و « .

و أسكن نافع الغين و فتحها الباقون و شددوا الشين المكسورة، فالفاعل
في القراءة الأولى مفعول هنا، و الفاعل ضمير يعود على الله .

ولما ذكر هذه التغطية الغريبة الخارقة للعوائد، ذكر ما فعلت لأجله
فقال: ﴿ ائمة ﴾ و لما كان ذلك خارقا للعادة، جاء الوصف بقوله:
﴿ منه ﴾ أى بحكمته لأنه [لا - ١] ينام فى مثل تلك الحال إلا الآمن، ه
و يمنع عنكم العدو و أتم نائمون بعزته، و لم يختلف فاعل الفعل الملل فى
القراءات الثلاث لأن كون النعاس فاعلا مجاز، و يصح عندى نصبها^٢
على الحال .

ولما كانت النعاس آية / الموت، ذكر بعده آية الحياة فقال: ٤١٢ /
﴿ و ينزل عليكم ﴾ [و حقق كونه مطرا بقوله - ١]: ﴿ من السماء ماء ﴾ ١٠
و وقع فى اليبس و أصله و كذا تفسير أبى حيان أن المشركين سبقوا
إلى الماء و غلبوا عليه، و ليس كذلك بل الذى سبق إلى بدر و غلب على
مائها المؤمنون كما ثبت فى صحيح مسلم و غيره، فىكون شرح القصة أنهم
مطروا فى المنزل الذى ساروا منه إلى بدر فحصل للمسلمين منه ما ملأوا
منه أسقيتهم فظهروا^٢ من حدث أو جنابة و لبد لهم الرمل و سهل عليهم ١٥
المسير، و أصاب المشركين ما زلق^٣ أرضهم حتى منعهم المسير، فكان
ذلك سببا لسبق المسلمين لهم إلى المنزل و تمكينهم من بناء الحياض و تغوير^٤
الأصل: زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: نصبه با - كذا (م) من ظ، و فى
الأصل: فيطهروا (٤) فى ظ: لزوم (ه) من ظ، و فى الأصل: تقدير .

ما وراء الماء الذى نزلوا عليه من القلب كما هو مشهور فى السير ، ويكون رجز الشيطان وسوسته لهم بالقلّة والضعف والتخويف بكثرة العدو ، والربط على القلوب طمأنينتهم وطيب نفوسهم بما أراهم من الكرامة كما يوضح ذلك جميعه قول ابن هشام " وينزل عليكم من السماء " ماء للطير ٥ الذى أصابهم^١ تلك الليلة ، فخبس^٢ المشركين أن يسبقوا إلى الماء وخلق سبيل المؤمنين إليه ﴿ ليظهركم به ﴾ أى من كل درن ، وابتدأ من فوائد الماء بالتطهير لانه المقرب من صفات الملائكة المقربين من حضرات القدس وعطف عليه - بقوله^٣ : ﴿ ويذهب عنكم ﴾ أى لا عن غيركم ﴿ رجز الشيطان ﴾ بغير^٤ لام - ما هو^٥ لازم له ، وهو البعد الذى كان مع الحدث الذى ١٠ منه الجنابة المقربة من الحباث الشيطانية بضيق الصدر والشك والخوف لإبعادها من الحضرات الملائكة ، لا تدخل الملائكة بيتا فيه جنب ، والرجز يطلق على القدر وعبادة الأوثان والعذاب والشرك ، فقد كان الشيطان وسوس لهم ، ولا شك أن وسوسته من أعظم القدر^٦ فانها تجر من تمادى معها إلى كل ما ذكر ؛ ثم عطف عليه ما تهيأ له القلب من الحكم الإلهية ١٥ وهو إفراغ السكينة فقال : ﴿ وليربط ﴾ أى بالصبر واليقين .

ولما كان ذلك ربطا محكما غالبا عاليا ، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ على قلوبكم ﴾ أى بعد إسكانها الوثوق بلطفه عند كل مله^٧ حتى

(١) من سيرة ابن هشام ٣٥/٢ ، وفى الأصل : أصابكم ، وفى ظ : أصابكم (٢) فى ظ : فخبسوا (٣) فى ظ : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : القدر (٧) فى ظ : لم .

امتلاّت من كل^١ خير و ثبت فيها بالربط^٢ ، فشبهها بحراب^٣ ملى^٤ شيئا ثم ربط رأسه حتى لا يخرج من ذلك الذى فيه شيء ، و أعاد اللام إشارة إلى أنه المقصد الأعظم و ما قبله وسيلة إليه و عطف عليه بغير لام لازمه من^٥ التثيت فقال : ﴿ و ثبت به ﴾ أى بالربط أو بالمطر ﴿ الاقدام ط ﴾ أى لعدم الخوف فان الخائف لا تثبت قدمه فى المكان ه [الذى - °] يقف به ، بل تصير رجله تنتقل من غير اختياره ، أو بتليد الرمل .

ولما ذكر حكمة الإمداد و ما تبعه من الآثار المثبتة للقلوب و الأقدام ، ذكر ما أمر به المدد من التثيت بالقول و الفعل فقال : ﴿ اذ ﴾ بدلا ثالثا من " اذ يعدكم " أو ظرفا ليثبت ﴿ يوحى ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع ١٠ ذلك ﴿ الى الملائكة ﴾ و بين أن النصر منه لا من المدد بقوله : ﴿ انى معكم ﴾ أى و من كنت معه كان ظافرا^٦ بجميع مأموله ﴿ فثبتوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ الذين آمنوا^٧ ﴾ أى بأنواع التثيت من تكثير سوادهم و تقوية قلوبهم و قتال أعدائهم و تقليلهم فى أعينهم و تحقير شأنهم ؛ ثم بين المعية بقوله : ﴿ سالتى ﴾ أى^٨ بوعد لا خلف فيه ﴿ فى قلوب الذين كفروا ﴾ أى ١٥ أو جدوا الكفر ﴿ الرعب ﴾ فلا يكون^٩ لهم ثبات ﴿ فاضربوا ﴾ [أى - °] أيها المؤمنون من الملائكة و البشر غير هائين بسبب ذلك .

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٢) فى ظ : الربط (٣) فى الأصل : بحراب ، و فى ظ : بحرابه - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : فى (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : ظاهرا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا يكن .

ولما كان ضرب العنق والرأس أوحى مهلك للإنسان ، وكان العنق يستر في الحرب غالبا ، عبر بقوله : ﴿ فوق الاعناق ﴾ أى الرؤس أو أعلى الاعناق منهم لأنها مفاصل ومذابح .

ولما كان إفساد الأصابع أنكى ما يكون بعد ذلك ، لأنه يطل

٤١٣ / ٥ / قتال المضروب أو كمال قتاله^١ ، قال : ﴿ واضربوا منهم كل بنان^٢ ﴾ أى

فانه لا مانع من ذلك لكونى معكم^٣ ؛ ثم علل تسليطهم عليهم^٤ بقوله :

﴿ ذلك ﴾ أى التسليط العظيم ، وأخبر عنه بقوله : ﴿ بانهم ﴾ أى الذى

تلبسوا الآن بالكفر ولو كانوا من يقضى بإيمانه بعد ﴿ شاقوا الله ﴾ أى

الملك الأعلى الذى لا يطاق انتقامه ﴿ ورسوله ج ﴾ أى طلبوا أن يكونوا

١٠ بمخالفة الأوامر والنواهي فى شق غير الشق الذى فيه حزب الهدى^٥ فى

مكر منهم وخداع ، وشاقوة باشتهاار السيف جهرا^٦ - ٢ ، ثم [بين - ٢]

ما لفاعل ذلك ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن شاق الله ورسوله فافعلوا به

ذلك ، فأنى فاعل به ما فعلت بهؤلاء ، وأظهر الإدغام فى المضارع^٧ لأن

القصة للعرب وأمرهم فى عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا ومجاهرة^٨ ،

١٥ وأدغم فى الماضى لأن ما مضى قبلها كان ما بين مسطرة بالمماكرة ومجاهرة

بالمقاهرة ، وعبر بالمضارع ندبا إلى التوبة بتقييد^٩ الوعيد بالاستمرار ،

وأدغم فى الحشر فى الموضعين^{١٠} لأن القصة لليهود وأمرهم كان ضعيفا^{١١}

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى

ظ : الادغام (٥) فى ظ : مهاجرة (٦) فى ظ : تقييد (٧) راجع آية ٤ (٨) فى

ظ : ضعيف .

و مسارة في مماكرة : ﴿ ومن يشاقق الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر
 لأحد معه [ويشاقه سرا أو جهرا - '] ﴿ ورسوله ﴾ بأن يكون في شق
 غير الشق الذى يرضيانه ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال
 ﴿ شديد العقاب ﴾ أى له هذه الصفة ، فليتوقع مشاققه عذابه ، [فالآية
 من الاحتباك : ذكر الفعل المدغم أولا دليل على حذف المظهر ثانيا ، ه
 والمظهر ثانيا على حذف المدغم أولا - '] . و [لما - '] ختم الآية ببيان
 السبب الموجب لإهانة الذين كفروا وبما له من الوصف العظيم ، أتبعه
 ما يقول لهم لبيان الحال^٢ عند ذلك بقوله التفاتا إليهم لمزيد التبكيت
 والتوبيخ : ﴿ ذلكم ﴾ أى هو سبحانه بما له من هذا الوصف الهائل
 يذيق عدوه من عذابه ما لا طاقة لهم به ولا يدان ، فيصير لسان الحال ١٠
 مخاطبا لهم نيابة عن المقال : الأمر الذى حذرتكم منه الرسل وأتكم به الكتب
 وكنتم تستهزئون به^٣ أيها الكفرة هو هذا الأمر الشديد وقعه^٤ البعيد
 على [من - '] ينزل^٥ عليه دفعه قد دهمكم ، فما لكم لا تدافعونه^٦ ؟ كلا
 والله شغل^٧ كلاً ما قابله^٨ ولم يقدر أن يزاوله .

ولما كان ما وقع لهم في وقعة بدر من القتل والأسر والقهر ١٥
 يسيرا^٩ جدا بالنسبة إلى ما لهم في الآخرة ، سماه ذوقا لآله يكون بالقليل
 ليعرف به حال الكثير فقال : ﴿ قدوقوه ﴾ أى باشروه قهرا مباشرة
 (١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : بهم (٤) في ظ :
 وقعة (٥) في الأصل : يترك ، وفي ظ : يترك - كذا (٦) في ظ : تدفعونه (٧) في
 ظ : قابله (٨) في الأصل و ظ : يسير .

الذائق و اعلوا أنه بالنسبة إلى ما تستقبلونه كالمذوق. بالنسبة إلى المذوق
 لأجله ﴿ وان ﴾ أى و الأمر الذى أتتكم به الرسل و الكتب أن لكم
 مع هذا الذى ذقتموه فى الدنيا ، هكذا^١ كان الأصل و لكنه أظهر
 تعميما و تعليقا^٢ بالوصف [فقال - ٢] : ﴿ للكافرين ﴾ أى على كفرهم
 ٥ و إن لم يظهروا المشاققة^٣ ﴿ عذاب النار ﴾ و هو مواقعكم و هو أكبر
 و سترون .

و لما قرر إهاتهم فى الدنيا و الآخرة بما حسر عليهم القلوب ، حسن
 أن يتبع ذلك نهى من ادعى الإيمان عن الفرار منهم و تهديد من نكص
 عنهم بعد هذا البيان و هو يدعى الإيمان فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى
 ١٠ بما أتاهم من عند ربهم^٤ ﴿ اذا لقيتم الذين كفروا ﴾ أى بآيات ربهم
 فشاqqوه ، و عبر عن حال لقاتهم بالمصدر مبالغة [فى التشبيه فقال - ٢] :
 ﴿ زحفا ﴾ أى حال كونهم زاحفين محاربين و هم من الكثرة بحيث
 لا يدرك من حركتهم - و إن كانت سريعة - إلا مثل الزحف
 ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ أى هربا منهم و إن كنتم أقل منهم ﴿ و من يولهم ﴾
 ١٥ و لما كان الأغلب فى وقوع القتال النهار ، و كانت التولية بما لا يكون
 الظرف [٢ - معيارا له^٥] لأنها بما لا يمتد زمنه ، فالعصيان يقع
 بمجرد الالتفات بقصد الفرار ، و التهادى تكرير أمثال ، لا شرط فى صحة

(١) فى ظ : هذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : لم يظهر

المشاة (٥-٥) فى ظ : ربكم (٦) فى ظ : لهم .

٤١٤ /

إطلاق الاسم، عبر باليوم^١، وجرده عن « في » ندبا إلى الكر / بعد الفرع
 عدم الالتباس^٢، فان الظرف لا يكون معيارا للفعل إلا إذا كان ممتد
 الزمان كالصوم [فقال - ٣]: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ؛ لقتيم على هذه الحالة
 فى أى وقت ' كان من ' أوقات القتال من ليل [كان - ٣] أو نهار
 ﴿ دبره ﴾ أى يجعل ظهره إليهم لشيء من الأشياء تولى لا يريد الإقبال ه
 إلى القتال منها ﴿ الا ﴾ أى حال كونه ﴿ متحرفا ﴾ أو^٤ الحال التحرف،
 وهو الزوال عن جهة الاستواء ﴿ لقتال ﴾ أى لا يتسهل^٥ له إلا بذلك،
 أو يخيل إلى عدوه أنه منهزم خداعا له ثم يكر عليه ﴿ او متحيزا ﴾ أى
 متقلبا من حيز إلى آخر^٦ ومتحيزا ﴿ الى فئة ﴾ أى جماعة أخرى من
 أهل حزبه هم أهل لأن يرجع إليهم ليستعين بهم^٧ أو يعينهم . ١٠

ولما كان هذا محل توقع السامع للجواب و تفرغ ذهنه له، أجاب
 رابطا بالقاء^٨ إعلاما بأن الفعل المحدث^٩ عنه سبب لهذا الجزاء فقال:
 ﴿ فقد بآء ﴾ أى رجع ﴿ بغضب من الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال
 ﴿ وماونه جهنم ﴾ أى تتجهمة^{١٠} كما أنه هاب نجهم الكفار و لقاء الوجوه
 العابسة بوجه كالح عابس ﴿ وبئس المصير ﴾ هذا إذا لم يزد الكفار عن ١٥

(١) من ظ ، وفي الأصل : القوم (٢) من ظ ، وفي الأصل : الالتباس (٣) زيد
 من ظ (٤) في ظ : اذا (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من ظ .
 (٦) زيد بعده في ظ : الا (٨) في ظ : لايسهل (٩) في ظ : حيز (١٠) من ظ ، وفي
 الأصل : لكم (١١) من ظ ، وفي الأصل : انسا (١٢) في ظ : المحذر (١٣) من
 ظ ، وفي الأصل : تتجهم .

الضعف - كما سيأتى النص به .

ولما تقدم إليهم فى ذلك ، علله بتقرير عزته وحكمته ، وأن النصر ليس إلا من عنده ، فمن صح إيمانه لم يتوقف عن امتثال أوامره ، فقال مسيا عن تحريمه الفرار وإن كان العدو كثيرا ، تذكيرا بما صنع لهم فى بدر ، ليجريهم على مثل ذلك ، ومنعا لهم من الإعجاب بما كان على أيديهم فى ذلك اليوم من الخوارق : ﴿ فلم تقتلوه ﴾ أى حل على المدبر الغضب لأنه قد تبين لكل مؤمن أنه تعالى لا يأمر أحدا إلا بما هو قادر سبحانه على تطويقه له ، فانه قد وضع عما يجرى على قوانين العوائد أنكم لم تقتلوا قتلى بدر وإن تعاطيتم أسباب قتلهم ، لأنكم لم تدخلوا قلوب ذلك الجيش العظيم الرعب الذى كان سبب هزيمتهم التى كانت سبب قتل من قتلتم ، اضعفكم عن مقاومتهم فى العادة ، وفيه مع ذلك زجر لهم عن أن يقول أحد منهم على وجه الاختار : قتل كذا وكذا رجلا وفعلت كذا ﴿ ولكن الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا يخرج شىء عن مراده ﴿ قتلهم ﴾ أى بأن هزمهم لكم لما رأوا الملائكة وامتلات أعينهم من التراب الذى رماهم به صلى الله عليه وسلم وقلوبهم جزعا حتى تمكنتم من قتلهم خرق عادة كان وعدكم بها ، فصدق مقاله وتمت أفعاله .

ولما رد ما باشروه إليه سبحانه ، أتبعه ما باشره نبيه صلى الله عليه وسلم دلالة على ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا مقبلة قال : اللهم ! هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وغرما تحادك وتكذب رسولاك ، فقال

(١) فى ظ : الابعاز (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : قلت .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : يكذب .

جبرئيل عليه السلام: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، ففعل فلأت^١
أعينهم فانهزموا فقال: ﴿ ومارميت ﴾ أى يا سيد المؤمنين الرمل فى أعين
الكفار ﴿ اذرميت ﴾ أى أوقعت صورة قذفه من كفك، لأن هذا
الآثر الذى وجد عن رميك خارق للعادة، فمن الواضح أنه ليس فعلك،
وهذا هو الجواب عن كونه لم يقل: فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم، لأن زهوق
النفس عن الجراح^٢ المتخن هو العادة، فهم الذين قتلوهم حين باسروا ضربهم،
فلا يصح: فلم تقتلوهم حين قتلتموهم، والمنفى إنما هو السبب المتقدم على
القتل الممكن من القتل، وهو تسكين قلوبهم الناشئ عند إقدامهم وإرعاب
الكفار الناشئ^٣ عند ضعفهم وانهزامهم الممكن منهم، فالمنفى عنهم^٤ / البداية
والمنفى عنه صلى الله عليه وسلم الغاية، أو أن الملائكة عليهم السلام لما باشرت
قتل بعضهم صح أن ينفى عنهم قتل المجموع مطلقا،^٥ أو أنهم لما افتخر
بعضهم^٦ بقتل من قتل نفاه سبحانه عنهم مطلقا لأن مباشرتهم لقتل من قتل
فى جنب ما أعد لهم من الأسباب وأيدهم به من الجنود عدم، وأما النبى
صلى الله عليه وسلم فانه فعل ما أمر به من رمى الرمل ولم يعد فعله
ولا ذكره، فأثبته سبحانه له مع نفي تأثيره عنه وإثباته لمن إليه ترجع^٧
الأمور تأديا منه سبحانه لهذه الأمة، أى لا ينظر أحد إلى شىء من طاعته،
فانا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن أكل الخلق مع أنه عالم مقر^٨ بأنه
منا فليحذر الذى يرى له فعلا من عظيم سطواتنا، ولكن لينسب جميع
أفعاله الحسنة إلى الله تعالى كما نسب الرمى إليه بقوله: ﴿ ولكن الله ﴾

(١) فى ظ: فامتلات (٢) فى ظ: الجوارح (٣) فى ط: عنه (٤-٥) سقط ما بين

الرقين من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: يرجع (٦) فى ظ: مقرر.

أى' الذى لا راد لآمره ﴿ رعى ج ﴾ لأنه الذى أوصل أثره بما كان هازما للكفار ، فمل ذلك كله ليبل الكفار منه بأيدى^٢ من أراد من عباده بلاء عاقبه سيئة ﴿ وليلى المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ﴿ منه ﴾ أى وحده ﴿ بلاء حسنا^١ ﴾ [أى - ٣] من النصر والغنيمة و الأجر ، ه [ومادة بلاء يائية أو واوية بأى^٢ - ٢] ترتيب كان تدور على الخلطة^٤ ، وتارة تكون مطلقة نحو أبلاه عذرا ، وتارة بكثرة ومحاوله^٥ وعناء وهو أغلب أحوال المادة ، وتارة تكون للامتحان وأخرى لغيره ، وما أباليه باله - أظنه من البال^٦ الذى هو الخاطر فهو من بول لا بلو ، أجوف لا من ذوات الأربعة ، ومعناه : ما أفاعله بالبال ، أى ما أكرث به فما أصرف خاطرى إلى مخالطة أحواله حيث يصرف هو خاطره إلى ، أى ما أفكر فى أمره لهوانه على^٧ ، و سيأتى بسط معانى المادة إن شاء الله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى " ما بال النسوة^٨ " وهذه المادة معناها ضد الدعة ، لأن هذه يلزمها شغل الخاطر الذى عنه ينشأ التعب بمدافعة الملابس ، والدعة يلزمها هدوء^٩ السر وفراغ البال الذى هو منشأ الراحة ، ١٥ فعنى الآية أنه تعالى فعل ذلك من الإمكان من إذلال الكفار ليخالطهم من شؤنه^{١٠} ما يكون لهم فى مدافعتهم عاقبة سيئة ، وليخالط المؤمنين من ذلك ما يكون لهم فى مزاولته عاقبة حسنة بل أحسن من الراحة ، لأنه يفضى بهم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يدى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : الخلطة (٥) من ظ ، وفى الأصل : مجادلة (٦) فى ظ : البالى (٧) آية . ه (٨) فى ظ : هدى (٩) فى الأصل : تسوته ، وفى ظ : سووته .

إلى راحة دائمة ، والدعة تفضى إلى تعب طويل - والله موفق .
ولما ثبت بما مضى أن له تعالى الأفعال العظيمة و البطشات الجسيمة .
ودلت أقوال من قال من المؤمنين : إنالم تنأهب للقاء ذات الشوكه ، على
ضعف العزائم ؛ ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة
بصفات الكمال ﴿ سميع ﴾ أى لاقوالكم من الاستعانة^٢ فى المعونة على ه
النصرة^٣ وغيرها ﴿ عليم ه ﴾ أى بعزائمكم وإن لم تتكلموا بها ، فهو يجازى
المؤمن على حسب إيمانه والكافر على ما يبدى ويخفى من كفرانه ، الامر
﴿ ذلكم ﴾ العظيم الشأن البعيد المتناول الذى أمركم فيه بأوامره ونهاكم
به عن مناهيه وأبلاكم فيه البلاء الحسن ، وأراكم بأعينكم توهينه لهذه
الطائفة التى قصدتكم وأتم عندها أكلة جزور و عصفور بين يدي صقور ، ١٠
و بين لكم من ؛ علل ذلك و عجائب مقدوره ما لم يبق معه عذر لمؤمن ، فالزموا
طاعته وسابقوا^٤ فى طاعة رسوله ولا تنظروا فى عاقبة شئ / بما يأمر به ،
٤١٦ / فانه ما ينطق عن الهوى بل إنما يأمر عنا ، ونحن لم نأمر بشئ إلا بعد
تدييره على أحكم الوجوه وأتقنها ﴿ وان ﴾ أى والأمر أيضا أن
﴿ الله ﴾ أى الحاوى لجميع صفات العز والعظمة^٥ ﴿ موهن ﴾ أى مضعف ١٥
إضعافا شديدا ثابتا دائما أبدا ﴿ كيد الكافرين ه ﴾ أى الراسخين فى الكفر
جميعهم ، فلا تهنوا فى ابتغاء القوم وإن نالكم قرح فانا نجعله^٦ لكم تطهيرا
وللكافرين تدميرا والعاقبة للتقوى ، فنطلقكم على عوراتهم ونلقى الرعب
(١) فى ظ : انه (٢) فى ظ : استعانة (٣) فى ظ : النصر (٤) - سقط من ظ (ه) فى
ظ : تسابقوا (٦) فى ظ : الكبر (٧) من ظ ، وفى الأصل : نجعل .

في قلوبهم و تفرق كلمتهم و تنقض ما أبرموا .

و لما تضمن ذلك إيقاع الإهانة 'بالكفار بهذه الوقعة ، و الوعد بالزامهم الإهانة' فيما يأتي ، كان ذلك مفصلا للالتفات إلى تهديدهم في قالب استجلانهم و الاستهزاء بهم و تفخيم أمر المؤمنين فقال : ﴿ ان تستفتحوا ﴾ ٥
 أى تسألوا الفتح أيها الكفار بعد هذا ' اليوم كما استفتحتم في هذه الوقعة عند أخذكم أستار الكعبة وقت خروجكم بقولكم : اللهم انصر أهدي الحزبين ، و أكرم الجدين ، و أعلى الفتين ، و أفضل الدينين ، و وقت ترائى الجمعين ؛ بقول أبى جهل : اللهم أقطعنا للرحم و آتانا^٢ بما لا يعلم فأحنه الغداة ؛ أتاكم الفتح كما أتاكم في هذا اليوم ﴿ فقد جاءكم ﴾ أى فى هذا اليوم بنصر المؤمنين ﴿ الفتح ج ﴾ أى الذى استفتحتم له لأنهم أهدي الفتين و أكرم الطائفتين ﴿ و ان تنتهوا ﴾ أى بعد هذا عن مثل هذه الأقوال و الأفعال المتضمنة للشك أو العناد ﴿ فهو خير لكم ج ﴾ و قد رأيتم دلائل ذلك ﴿ و ان تعودوا ﴾ أى إلى المغالبة لأنكم لم تنتهوا ﴿ نعد ج ﴾ أى إلى خذلانكم ﴿ و لن تغنى عنكم ﴾ أى أبدا ﴿ فتشكم ﴾ أى جماعتكم التى ١٥
 ترجعون إليها للاعزاز بها ﴿ شيئا ﴾ أى من الإغناء ﴿ و لو كثرت لا ﴾ لأن الله على الكافرين ﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ مع المؤمنين ٥ ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، و أحله عبر بالمستقبل فى الشرط و الماضى فى الجزاء

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة

فى ظ لحذفها (م) من ظ و سيرة ابن هشام ١٨/٢ ، و فى الأصل : اماما - كذا .

(٤) فى ظ : للاعترار .

إشارة إلى أنكم استفتحتم في بدر و جاءكم من الفتح ما رأيتم ، فان كان أعجبكم فالزموه في المستقبل ، فانى لا أجبتكم أبدا ما دمت على حالكم إلا بما جئتم به يومئذ ، و الفتح يحتمل أن يكون بمعنى النصر فيكون تهكما بهم ، و أن يكون بمعنى القضاء .

- و لما كان سبب ما أحله^٢ بالكفار - من الإعراض عن إجابتهم فيما ه قصدوا من دعائهم و من خذلانهم في هذه الواقعة و إيجاب مثل ذلك لهم أبدا - هو عصيانهم الرسول و توليهم عن قبول ما يسمعون^٣ منه من الروح ؛ حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادى في التنازع في الغنime أو غيرها فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ اطيعوا الله ﴾ أى الذى له جميع العز و العظمة ﴿ و رسوله ﴾ تصديقا لدعواكم الإيمان . ١٠
- و لما كانت طاعة الرسول هى طاعة الله لأنه إنما يدعو إليه و إنما خلقه القرآن ، و حد الضمير فقال : ﴿ و لا تولوا عنه ﴾ أى عن الرسول في حال من الأحوال ، في أمر من الأوامر من الجهاد وغيره ، من الغنائم وغيرها ، خف أو ثقل ، سهل أو صعب ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تسمعون^٤ ﴾ أى لكم سمع لما يقوله ، أو أتم تصدقونه ، لأن ارتكاب ١٥ شئ من ذلك يكذب دعوى الإيمان و ينطبق على أحوال الكفار ، و إلى ذلك إشارة بقوله : ﴿ و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ أى بآذاننا ﴿ و هم لا يسمعون^٥ ﴾ أى لا يستجيبون^٦ فكأنهم لم يسمعوا ، لما ابتغت
-
- (١) في ظ : أجبتكم (٢) في ظ : حله (٣) في ظ : يستمعونه (٤) في ظ : من (ه) زيد بعده في الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٦) من ظ ، و في الأصل : لا يستحسنون .

الثمرة عد المثمر عدما .

ولما كانت حال من هذا شأنه مشابهة لحال الأصم في عدم السماع

لعدم الانتفاع به . و الأبيكم في عدم كلامه لعدم تكلمه بما ينفع ، والعدم

للعقل في عدم عقله لعدم انتفاعه به ، / قال معللا لهذا النهى معبرا بأنسب / ٤١٧

٥ الأشياء لما وصفهم به : ﴿ ان شر الدواب ﴾ اى التى تدب على وجه الأرض ، جعلهم من جنس الحشرات أو البهائم ثم جعلهم شرها .

ولما كان لهم من يفضلهم ، وكانت العبرة بما عنده^١ سبحانه ، قال

تعالى : ﴿ عند الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال من إحاطة العلم والقدرة

و غيرها ﴿ الصم البكم ﴾ أى الطرش الخرس طرشا و خرسا بالغيث

١٠ ﴿ الذين لا يعقلون ه ﴾ أى لا يتجدد^٢ لهم عقل ، ومن لم ينتفع بسماع الداعى كان كذلك^٣ .

ولما كان ذلك ربما دعا السامع إلى أن يقول : ما للقادر لم يقبل

بمن هذا شأنه إلى الخير ؟ أجاب بأنه جبلهم من أول الأمر - وله أن يفعل

فى ملكه ومملكه ما يريد - جلة عريقة فى الفساد ، وجعل^٤ جواهرهم شريرة

١٥ كجواهر العقرب^٥ التى لا تقبل^٦ التآديب بوجه ولا تمر بشيء إلا لسبته ، فلم

سبحانه أنه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم ﴿ ولو علم الله ﴾ أى الذى

له الكمال كله ﴿ فيهم خيرا ﴾ أى قبولاً للخير ﴿ لا سمعهم^٧ ﴾ أى إسماعا

هو الإسماع . وهو ما تعقبه الإجابة المستمرة .

(١) فى ظ : عند الله (٢) فى ظ : لا يجدد (٣) من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٤) فى

ظ : ان (٥) من ظ ، وفى الأصل : جيله (٦-٧) من ظ ، وفى الأصل : الذى

لا يقبل .

[و - ١] لما كان علم الله تعالى محيطاً ، وجب أن يعلم كل ما كان حاصلًا ، فكان عدم^٢ علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه ، فلا جرم كان التقدير هنا : [و - ١] لكنه لم يعلم فيهم خيرا ، بل علم أنه^٣ لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الإسماع (ولو أسمعهم) وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير إسماعا قسرم^٤ فيه على الإجابة (لتولوا) ه أي بعد إجابتهم (وهم معرضون ه) أي [ثابت إعراضهم - ١] مرتدين على أعقابهم ، ولم يستمروا على إجابتهم لما جبلوا عليه من ملازمة الشر ومباعدة الخير ، فلم يريدوا الإسلام وأهله بعد إقبالهم إلا وهنا ، [و كما كان لأهل الردة الذين قتلوا مرتدين بعد أن كانوا دخلوا في الإسلام خوفا من السيف ورغبة في المال - ١] وهو من وادي " ولو ردوا ١٠ لعادوا لما نهوا عنه " فان علم الله تعالى أربعة أقسام : جملة الموجودات ، وجملة المعدومات ، [و أن كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف يكون حاله ، و أن كل واحد من المعدومات - ١] لو كان موجودا كيف^٥ يكون حاله ، والقسمان الأولان علم بالواقع ، والآخران علم بالقدر ، والآية من القسم الأخير ، ولعمري إنا دفعنا إلى زمان ١٥ أغلب من فيه على قريب من هذا الأمر ، أجرأ الناس على الباطل ، وأثبتهم في المصاولة فيه ، وأوسعهم جبلا في التوصل إليه ، وأجبنهم عند الدعوة

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : علم (٣) في ظ : ان (٤) من ظ ، وفي الأصل : ضرهم (٥) سورة ٦ آية ٢٨ (٦) في ظ : فانه (٧) من ظ ، وفي الأصل : فكيف .

إلى الحق ، و أسرعهم تكوصا عند الإقدام بعد جهد عليه ، و لكنهم عند
الجدال له ، فصار^١ ما كان مقدرا مفروضا حاصل^٢ و موجودا ، و كلمة
"لو" هنا يحتمل أن تكون^٣ هي التي يعلق^٤ بها أمر على آخر هو
بضده أولى فيكون المراد أن المعلق - وهو الثاني - موجود دائما مثل
٥ قول عمر رضى الله عنه : نعم العبد صهيب رضى الله عنه لو لم يخف الله
لم يعصه^٥ ، فالمراد هنا على هذا أنهم إذا كانوا يتولون مع الإسماع
و الإجابة ، فتوليهم مع عدمهما أولى - نه على ذلك الرازى^٦ ، و يحتمل
أن تكون^٧ على بابها من أن الجزئين بعدها منفيان ، و انتفاء التولى إنما
يكون خيرا إذا نشأ عن الإسماع المترتب على علم الخير فيهم ، و أما عدمه
١٠ لعدم إسماعهم الإسماع الموصوف لأنه لاخير فيهم [فليس - ^٨] من
الخير في شيء بل هو شر محض ، التولى المنفى عنهم ليس هو الموجود
منهم ، بل هو الناشئ عن الإسماع^٩ الموصوف فلا يناقض ادعاؤه تحقق
عنادهم و عدم انقيادهم ، و تحقيقه أن المنفى إنما هو زيادة التولى الناشئة
عن الإسماع ، فالمعنى : ولو أسمعهم ل زادوا إعراضا ، فالمنفى في هذا السياق
١٥ تلك الزيادة - و الله الموفق .

(١) من ظ ، و في الأصل : و صار (٢) في ظ : حاصل (٣) في الأصل و ظ :
يكون (٤) في ظ : تعلق (٥) من ظ ، و في الأصل : لم يقصده (٦) في الأصلين :
الرضى ، و الصواب ما أثبتناه فان هذا المبحث بتمامه قد ساقه أبوحيان في بحره
منسوبا إلى نحر الدين الرازى (٧) من ظ ، و في الأصل : يكون (٨) زيد من ظ .
(٩) من ظ ، و في الأصل : الاتباع .

و لما كان ما مضى من نكال الكافرين مسييا عن عدم الاستجابة، أمر المؤمنين بها تحذيرا من الكون مع الكفرة في مثل حالهم فيحشروا معهم في مآلهم فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بأستهم / ﴿ استجبوا ﴾ أى صدقوا دعواكم ذلك بإيجاد الإجابة إيجاد من هو في ٤١٨ / غاية الرغبة فيها ﴿ لله ﴾ أى واجعلوا^١ إجابتكم هذه خاصة للذى له ه جميع صفات الكمال ﴿ وللرسول ﴾ الذى أرسله إلى جميع الخلق .

و لما كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم لا محالة لأن الله تعالى أمره بدعائهم ، [وكان لا يدعوهم^٢] إلا إلى ما أمره^٣ الله به ، وكان سبحانه لا يدعو إلا إلى صلاح ورشد ؛ عبر بأداة التحقيق و وحد الضمير و شوق بأثمار الحياة فقال : ﴿ اذا دعاكم ﴾ أى الرسول بالنذب و التحريض . ١٠

و لما كان اجتناء ثمرة الطاعة في غاية القرب ، نبه على ذلك بالام دون ' إلى ' فقال : ﴿ لا يحيككم ﴾ أى ينقلكم^٤ بعز الإيمان و العلم عن حال^٥ الكفرة من الصمم و البكم و عدم العقل الذى هو الموت المعنوى إلى الحياة المعنوية ، و لا يعوقكم عن الاستجابة في أمر من الأمور أن تقولوا : إنا استجبنا إلى الإيمان و كثير من شرائعه ، فلو لا أن ربنا علم فينا ١٥ الخير ما أسمننا ، فتحن ناجون ؛ روى البخارى في التفسير و غيره عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : كنت أصلى فمر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى فلم آته حتى صليت ثم أتته فقال : ما منعك أن تأتى ؟ فقلت^٦ : كنت أصلى ، فقال : ألم يقل الله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استجبوا " -

(١) من ظ ، وفى الأصل : احدثوا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : امر (٤-٤) فى ظ : الحياة - كذا (ه) فى ظ : حالة (٦) فى ظ : فقال .

الآية ، ثم قال : لأعلنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له فقال : هي " الحمد لله رب العالمين " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . وللترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا ! ' وهو يصلى ، فالتفت أبى ' فلم يجبه وصلى أبى^٢ تخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و عليك السلام ، ما منعك يا أبا أن تجيئني إذ دعوتك ، فقال : يا رسول الله ! إني كنت في الصلاة ، قال : فلم تجد فيما أوحى الله إليّ أن " استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " قال : بلى ! ولا أعود إن شاء الله ! قال^٣ : تحب أن أعلمك سورة لم ينزل^٤ في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟ قال : نعم ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تقرأ في الصلاة ؟ قال : فقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى بيده ! ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته - هذا حديث حسن صحيح .

ولما كان الإنسان إذا كان على حالة يستبعد جدا أن يصبر^٥ على

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لم تنزل (٤) في ظ : يصبر .

غيرها ، قال تعالى مرغبا مرهبا : ﴿ واعلموا ان الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ^١ ﴿ يحول ﴾ أى بشمول علمه وكال قدرته ﴿ بين المرء وقلبه ﴾ فيرده إلى ما علم منه فيصير فيما كشفه الحال كافرا معاندا بعد أن كان فى ظاهر الحال مؤمنا مستسلما فيكون بمن علم الله أنه ^٢ لا خير فيه وقصره على الإجابة فلم يستمر عليها ، ويرد الكافر بعد عناده ^٣ إلى الإيمان بغاية هـ ما يرى من سهولة قياده ، فكفى سبحانه بشدة ^٤ القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقدار على تبديل العزائم / والمرادات . وهو تحريض على المبادرة إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفا من تغييرها ^٥ .

ولما خوفهم عاقبة الحال ، حذرهم شأن المال فقال : ﴿ وانه ﴾ ١٠ أى واعلموا أنه تعالى ﴿ اليه تحشرون هـ ﴾ لا إلى غيره ، فيحشر المستجيبين فى زمرة المؤمنين ، والمعرضين فى عداد الكافرين وإن أبوا حكما واحدا ، لأن الدين لا يتجزأ ، وقد علم أن ' اذا ' ليست قيذا وإنما هى تنبيه على وجوب اتباعه فى ^١ كل ما يدعو إليه لعصمته ، وحكمة الإتيان بها الإعلام بأنه ما ترك خيرا إلا دعا إليه ؛ قال الجوالى فى أواخر كتاب ^٢ ١٥ له فى أصول الفقه : ولها - أى العصمة - معنيان : أحدهما عصمة الحفظ ، وهو معنى ينشأ من التزام الحكم عليه بمضى شرعته ، وهى العصمة العامة للأنبياء ، وفى هذه الرتبة يقع الكلام فى الحفظ من الصغار بعد

(١) فى ظ : العظيم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : عبادة (٤) فى ظ : بزيادة (هـ) فى ظ : تغييره (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، وفى الأصل : كتابه .

الاتفاق على الحفظ عما يخل بالتبليغ ويحط الرتبة من الكبار، و حقيقة الصغائر مقدمات الذنوب التي لم تتم ، فيكون تمامها كبيرتها ، وعلى ذلك بنى قوم احتمال وقوع الفعل محظورا من نبى ، وكل ذلك - وإن كان من أحوال أنبياء - فإن المتحقق^٢ من أمر النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو علو عن هذا المحل ؛ المعنى الثانى من العصمة رفع الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم بما حفظه الحافظ من ماضى ظاهر شرعته و بما بلغ إليه فهمه من مبادئ التنشؤ من سننه ، واتخاذ فعله مبدأ للأحكام فى كل آن من غير التفات لما تقرر فى^٣ ماضى الزمان ، وهذه هى العصمة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم الجامع ، فلا يكون لفعله حكم إلا ما يفهمه إنبأؤه عن حال وقوعه ، ويكون الأحكام تبعا لفعله ،^٤ لأن^٥ فعله يتبع حكما ، فهذا وجه عصمته الخاصة الممتنع عليها جواز الخروج عنها ، فمن كان^{*} يسبق إليه من أكابر الصحابة نحو من هذا المعنى لا يتوقف فى شيء من أمره كالصديق رضى الله عنه وكما كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى اقتدائه حتى فى إدارة راحلته و صبغه بالصفرة و لبسه ١٥ النعال السبئية ونحو ذلك من أمره وأمر من حذا منهم هذا الحذو ، ومن كان يتوهم الحكم عليه بمقتضى علمه و فهمه من أمر شرعته لا يكاد يسلم من وقوع فى أمر يرد عليه اتحاله كما حكم أبى رضى الله عنه لما كان يصلى بامضاء عمل الصلاة إذ دعاه حتى بين له قصور فهمه عن الله

(١) من ظ ، وفى الأصل : عن (٢) فى ظ : المحقق (٣) من ظ ، وفى الأصل : من (٤-٤) من ظ ، وفى الأصل : لان (٥) سقط من ظ .

في حقه أى بقوله : ألم تسمع الله يقول "استجيبوا لله وللرسول" وكالذى^١
قال : أنزل فاجدع لنا ، فقال^٢ : إن^٣ عليك نهارا ، فقال له في الثالثة
أو الرابعة : أنزل فاجدع لنا ويلك أو ويحك ! فاذا وضع أن فعله مبدأ
الحكم ومعلم الإنباء لزم صحة التأسي^٤ به في جميع أحواله ، إما على بيان
من تعين رتبة الحكم من وجوب أو ندم أو أباحة ، أو على مطلق التأسي^٥
مع^٦ إيهام رتبة الحكم والاتكال على ما عنده هو صلى الله عليه وسلم
من العلم ، فنية التأسي به على إيهام في الحكم ربما كان أتم من العمل^٧
بما تبين حكمه ، أحرم على رضى الله عنه وهو باليمن ، توجه إلى مكة
باحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتطرق لشيء من أمره صلى الله
عليه وسلم بما وقع من كونه يفتى بأمر ثم يوافق في غيره ، لأن الآخذ^٨
في ذلك عن قصور في العلم بمكاته من علم رحمانية الله وكلمته وتنزيله
إلى موافقة أمر سنة الله وحكمته نحو الذى أفتاه بتكفير الجهاد كل ذنب
بناه على علمه برحمانية الله وإمضاء كلمته ، ثم ذكر له ما قال جبرئيل
عليه السلام من استثناء الدين مما أنزل على حكم أمر الله في محكم شرعته
وسنته ، يعنى - والله أعلم - أن من صح جهاده تكفر كل ذنوبه ، ١٥
و أن توقف الدين على إرضاء^٩ الله لخصمه ، فالإخبار بالكفارة ناظر إلى
المآل ، والإخبار بنفيها ناظر^{١٠} إلى الابتداء ، وكذلك أفتى بترك / التلقيح
بناء على إفاذ كلمة الله ، وردهم إلى عادة دنياهم حين لم يتجشموا الصبر
(١) في ظ : للذى (٢) في ظ : قال (٣) من ظ ، وفي الأصل « و » (٤) في ظ :
التأسي (٥) من ظ ، وفي الأصل : من (٦) في ظ : العلم (٧) في ظ : رضى .
(٨) سقط من ظ .

إلى ظهور كلمة الله على مستمر عاداته ، فقد^١ عمل بأول^٢ قياه غير واحد
 ممن لم يسترب^٣ في نفاذ حكمه وصحته فأخفق ثمرات ثلاث سنين ثم عاد
 - في غنى عن التلقيح - إلى أحسن من حاله في متقدم عاداته ، ولا يتقاصر
 عن إدراك ذلك من أمره في كل نازلة من^٤ نحوه إلا من لم يسم^٥ به
 التأييد إلى معرفة حظ من مكانته ، فاذا وضح ذلك فكل فعل فعله
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان^٦ بياناً لواجب فهو منج من
 عقاب الله ، وإن كان تعليماً لقربى من الله فهو وصلة إلى محبة الله كما قال
 تعالى "قل^٧ ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"^٨ وإن لم يتضح له
 بمحل^٩ منهما تأسى بها على إيهام يغنيه عمله^{١٠} وتعلو به نيته ، وما كان مختصاً به
 ١٠ فلا بد من إظهار أمر اختصاصه بخطاب من الله سبحانه أو منه عليه السلام
 كما قال تعالى "خالصة لك من دون المؤمنين"^{١١} - انتهى .

ولما كان المحيب ربما قال : ليس على إلا الإجابة في خاصة نفسى ،
 وليس على^{١٢} تعريض نفسى للأذى بالأخذ على يد غبرى ، به سبحانه
 على أن ذلك منابذة^{١٣} للدين واجتثاث^{١٤} له من أصله ، لأن ترك العاصى
 ١٥ على عصيانه كترك الكافر على كفرانه ، وذلك موجب لعموم البلاء
 ومزید القضاء فقال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة ﴾ أى بلاء يملا محيلاً إن
 لا تقوه بعمكم ، هكذا كان الأصل ، لكن لما كان نهى الفتنة على إصابتهم

(١) في ظ : وقد (٢) في ظ : بأولى (٣) من الاستراية ، ووقع في الأصل :
 لم يسرب ، والتصحيح من ظ (٤) في ظ : في (٥) في ظ : لم يتم (٦) سقط من
 ظ (٧) سورة ٣ آية ٣١ (٨) في ظ : محل (٩) في ظ : علمه (١٠) سورة ٣٣ آية ٥٠
 (١١) في الأصل و ظ : منابذة (١٢) من ظ ، وفي الأصل : احصاب .

أروع من سوق ذلك مساق الشرط و من نهيم عن التعرض لها لما فيه^١
 من تصوير حضورها و فهمها للنهى آتى به ، و لما كان نهيمها عن تخصيص
 الظالم أشد روعة لإفهامه ، أمرها بأن تعم ؛ قال مجيباً للأمر : ﴿ لا تصين ﴾
 و لحقه نون التأكيد لأن فيه معنى النهى ﴿ الذين ظلموا ﴾ أى فعلوا
 بموافقة المعصية ما^٢ لا يفعله إلا من لا نور له ﴿ منكم ﴾ أيها المأمورون ه
 بالتقوى ﴿ خاصة ج ﴾ أى بل تعمكم ، فهو نهى للفتنة و المراد نهى مباشرتها ،
 أى لا يفعل أحد منكم الذنب يصيبكم أثره عموماً أو لا يباشر أسباب العذاب
 بعضكم و البعض الآخر مقر له بعمكم الله به ، و ذلك مثل : لا أرينك ههنا ،
 و المعنى فكى ههنا فأراك ، فالتقدير^٣ : واجعلوا بينكم و بين البلاء العام
 وقاية باصلاح ذات بينكم و اجتماع كلمتكم على أمر الله و رد من خالف ١٠
 إلى أمر الله و لا تختلفوا [كما اختلفتم - ١] فى أمر الغنيمة فقتلوا فيسلط
 عليكم عذاب عام من أعدائكم أو غيرهم ، فان كان الطائع منكم أقوى
 من العاصى أو ليس أضعف منه فلم يردده فقد اشترك الكل فى الظلم ، ذلك
 بفعله و هذا برضاه ، فيكون العذاب عذاب انتقام للجميع ؛ روى أصحاب
 السنن الأربعة و حسنه الترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه ١٥
 قال فى خطبة خطبها : أيها الناس ! إنكم تقرأون هذه الآية و تأولونها
 على خلاف تأويلها ” يأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
 اذا اهتديتم “^٤ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من قوم
 (١) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : و التقدير (٤) زيد
 من ظ (٥) سورة ه آية ١٠٥ .

عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن
يعمهم الله بعذاب من عنده ؛ وللترمذى وحسنه عن حذيفة رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولذى نفسى بيده ! لتأمرن
بالمعروف ولتتهون^١ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا
منه ثم تدعون^٥ه فلا يستجيب لكم ؛ وللإمام أحمد عنه رضى الله عنه أنه
قال : لتأمرن بالمعروف ولتتهون عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليستحكن^٢
الله جميعا بعذاب أوليؤمرن^٣ الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم
فلا يستجاب لكم^٤ . وهو فى حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الراى ،
/ فإن كان الطائع أضعف من العاصى نزل على ما روى أبو داود و الترمذى -

/ ٤٢١

١. وحسنه - وابن ماجه عن أبى ثعلبة الحشنى رضى الله عنه أنه قيل له^٦ : كيف
تقول فى هذه الآية " عليكم انفسكم " فقال : أما والله لقد سألت عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل اتمروا بالمعروف وتناهوا عن
المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا و دنیا مؤثرة وإعجاب كل
ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام ، فإن من
١٥ ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل
أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قال : يا رسول الله ! أجر خمسين
رجلا منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم . والأحاديث فى مثله كثيرة^٧ ،
(١) فى ظ : لتهن (٢) من مسند الإمام أحمد ٥ / ٢٩٠ ، وفى الأصل : لستمكم ،
وفى ظ : ليستحقنكم - كذا (٣) من ظ و المسند ، وفى الأصل : ليأمرن (٤) ليس
فى السند (٥) من ظ و المسند ، وفى الأصل : لهم (٦) سقط من ظ (٧) سورة ه
آية ١٠٥ (٨) فى ظ : كثير .

و حينئذ يكون العذاب للعاصي نقمة و للطائع رحمة و يعيشون على نياتهم .
 ولما حذرهم سبحانه عموم البلاء ، أتبعه الإعلام بأنه قادر مريب
 ليلزموا سبيل الاستقامة فقال : ﴿ واعلموا ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة
 بصفات العظمة ﴿ شديد العقاب ه ﴾ .

ولما كان من أشد العقاب الإذلال ، حذرهموه^١ بالتذكير بما كانوا ه
 فيه من الذل ، لأنه أبعث على الشكر و أزجر عن الكفر فقال :
 ﴿ واذكروا ﴾ و ذكر المفعول به فقال : ﴿ اذ اتم ﴾ أى فى^٢ أوائل
 الإسلام ﴿ قليل ﴾ أى عددكم .

ولما كان وجود مطلق الاستضعاف^٣ دالا على غاية الضعف^٤ ،

بنى للمفعول [قوله - °] : ﴿ مستضعفون ﴾ أى لا منفذ عنكم ﴿ فى الارض ﴾ ١٠
 أطلقها و المراد مكة ، لأنها اعظمها كأنها هى الأرض كلها ، ولأن حالهم
 كان فى بقية البلاد كحالهم فيها أو قريبا من ذلك ، ولذلك عبر بالناس
 فى قوله : ﴿ تخافون ﴾ أى فى^٥ حال اجتماعكم فكيف عند الانفراد
 ﴿ ان يتخطفكم ﴾ أى على سبيل التدرج ﴿ الناس ﴾ أى كما تتخطف^٦
 الجوارح الصيود ، فحذرهم سبحانه - بالتنبيه على أنه قادر على أن يعيدهم ١٥
 إلى ما كانوا عليه - من هذه الأحوال بالمخالفة بين كلمتهم و ترك التسبب
 إلى اجتماعها بالامر بالمعروف [و - °] النهى عن المنكر ، وفى ذلك

(١) من ظ ، وفى الأصل : حذرتموه (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) فى
 ظ : الاستعطاف (٤) فى ظ : العطف (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من
 ظ ، وفى الأصل : يتخطف .

أيضا إشارة إلى أنهم لما كانوا في تلك الحالة التي هي في غاية الضعف، وكانت كلمتهم مجتمعة على أمر الله الذي هو توحيده وطاعة رسوله، أعقبهم الإيواء في دار منيعة، قد أيدهم بالنصر وأحسن رزقهم، وذلك معنى قوله تعالى مسيبا عما قبله : ﴿ فأنزلناهم ﴾ أى في دار الهجرة رحمة لكم ٥ ﴿ وايدكم بنصره ﴾ أى بأهلها مع الملائكة ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أى الغنائم الكاملة الطيبة بالإحلال وعدم المنازع التي لم تحل لأحد قبلكم وغيرها ﴿ لعلكم تشكرون ٥ ﴾ أى ليكون حالكم حال من يرجى شكره، فيكون بعيدا عن المنازعة في الأنفال، وذلك إشارة إلى أنهم مهما استمروا على تلك الحالة، كان - بأقبالهم على مثل ما أتاهم به وزادهم من فضله - أن جعلهم سادة في الدارين بما يهب لهم من الفرقان الآتي في الآية بعدها والتوفيق عند إتيانه^١، فالآية منصبة إلى الصحابة بالقصد الأول وهي صالحة للعرب كافة فتصرف^٢ إليهم بالقصد الثاني؛ قال قتادة : كان هذا الحى من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأجوعهم بطنا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا، من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم تردى في النار معكوفين على رأس الحجرين الشديدين : فارس والروم، ١٥ يؤكلون ولا يأكلون، وما في بلادهم شيء عليه^٣ يحسدون حتى جاء الله بالإسلام، فمكن لهم من البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا على رقاب^٤ الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على

(١) في ظ : لتكون (٢) في ظ : انتهائه (٣) من ظ ، وفي الأصل : فينصرف .

(٤) من ظ ، وفي الأصل : على (٥) من ظ ، وفي الأصل : اقارب .

نعمه ، فان ربكم يحب شكره و الشاكر^١ في مزيد من الله تعالى^٢ .

ولما ختم الآية / بما هو في غابة النصيحة منه تعالى لهم من الإيواء
و النصر و الرزق الطيب المشار به إلى الامتان باحلال المغنم ، و ختم ذلك
بالحث على الشكر ؛ نهانا عن تضييع الشكر في ذلك بالخيانة في أوامره
بالغلول أو غيره فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تذكيرا بما ألزموا به أنفسهم ٥
من الوفاء ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ ﴾ أى تنقصوا من حقوق الملك الأعظم ،
فان أصل الخون انقص ثم استعمل في ضد الأمانة و الوفاء فصارت
نقصا خاصا ﴿ و الرسول ﴾ بغلول و لا غيره ، بل أدوا الأمانة في جميع
ذلك ، و لعله كرر العامل في قوله : ﴿ و تَخُونُوا أَمْنَكُمْ ﴾ من الفرائض
و الحدود و النوافل و غيرها إشارة إلى أن الخيأتين مختلفتان^٣ ، خيأتهم لله ١٠
حقيقة ، و خيأتهم للأمانة استعارة ، لأن حاملها لما أخل بها كان كأنه
خانها ؛ و خفف عنهم بقوله : ﴿ و أتم تعلمون ٥ ﴾ حال الغفلة و نحوها ،
و يجوز أن يكون المفعول غير مراد فيكون المعنى : و أتم علماء ، و يكون
ذلك مبالغة في النهى عنها بأنهم جديرون بأن لا يقبل منهم عذر بجهل
و لا نسيان لأنهم علماء ، و العالم هو العارف بالله ، و العارف به لا ينبغي ١٥
أن ينفك عن المراقبة .

ولما كان سبب الحياة غالبا محبة المال أو الولد ، و كان سبب التقاول
المسبب عنه إنزال هذه السورة - كما سلف بيانه أولها - الأموال من

(١) من ظ ، و في الأصل : الثنا له - كذا (٢) و هذا الأثر قد رواه الطبري
بغاية اختلاف عما هنا (٣) من ظ ، و في الأصل : مختلفان .

الأنفال، وكان من أعظم الخيانة في الأنفال الغلول، وكان الحامل على الغلول المحنة بحب جمع المال إما استلذاذا به أو لإنفاقه على محبوب، وكان الولد أعز محبوب؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله: ﴿واعلموا﴾ وهي كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعدها مهم جدا ﴿انما أموالكم﴾ ٥ ﴿قلّت أو جلّت هانت أو عزّت﴾ (واولادكم) كذلك ﴿بقية﴾ أى سبيها، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يعتز بالعاجل الفانى بمن تسمو نفسه عن ذلك، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر الله فتهلكوا ﴿وان الله﴾ أى المحيط بكل كمال ﴿عنده اجر عظيم﴾ عاجلا وآجلا لمن وقف عند حدوده، فيحفظ له ماله ويشمره ١٠ أولاده ويبارك له فيهم مع ما يدخر له في دار السعادة، وعنده عذاب أليم لمن ضيعها، فأقبلوا بجميع هممكم إليه تسعدوا، وزاد وضعها هنا حسنا سبب نزول التي قبلها من قصة أبى لبابة رضى الله عنه الحامل عليها ماله وولده، وكانت قصته في قريظة سنة خمس وغزوة بدر في السنة الثانية .

١٥ ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف، وامن عليهم بما أعزم به، وختم هذه بالتحذير من الأموال والاولاد الموقعة في الردى، وبتعظيم ما عنده الحامل على الرجاء، تلاها بالامر بالتقوى الناهية عن الهوى^٢ بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع

(١) في ظ: جميع (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في ظ: فيه (٥) من ظ، وفي الأصل: همم .

بينهما ، و^١ بين تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره في الأولى و البجاة من عذابه في الأخرى فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تكريرا^٢ لهذا الوصف تذكيرا بما يلزم بادعائه ﴿ ان تقوا الله ﴾ باصلاح ذات بينكم ، وذلك جامع لأمر الدين كله ﴿ يجعل لكم فرقا ﴾ أى نصرا ، لأن مادة ' فرق ' ترجع إلى الفصل ، فكان الشيء إذا كان متصلا كان كل جزء منه مقهورا على ملازمة صاحبه ، فاذا جعل له قوة الفرق قدر على الاتصال والانفصال ، فحقيقته : يجعل لكم عزا يصيرون به بحيث تفرقون من أردتم متى أردتم و تتصلون / بمن أردتم متى أردتم لما عندكم من عزة الممانعة ، و تفرقون^٣ بين من أردتم متى أردتم لما لديكم من قوة المدافعة ، أى يجعل لكم ما يصير لكم به قوة التصرف فيما تريدون من الفصل ١٠ والوصل الذى هو وظيفة السادة المرجوع إلى قولهم عند التنازع ، لا كما كنتم فى مكة ، لا تأمنون فى المقام ولا تقدررون على الكلام - فضلا عن الخصام - إلا على تهيب شديد ، ومع ذلك فلا يؤثر كلامكم أثرا يسمى به فارقا ، والفاروق من الناس الذى يفرق بين الأمور ويفصلها ، وبه سعى عمر رضى الله عنه لأنه^٤ أظهر الإسلام بمكة إظهارا فيه عز وقوة ، ١٥ جعل فيه الإيمان مفارقا للكفر لا يخافه ، و فرق - بالكسر بمعنى خاف - يرجع إلى ما دارت عليه المادة ، فان المراد [به - ٦] : تفرقت همومه من اتساع الخوف ، و الفرق الذى هو المكيال الكبير كأنه هو الفارق بين الغنى و الفقير ، قال الهروى : هو اثنا عشر مدا ، و أفرق من علته -

(١) من ظ ، و فى الأصل : اذ (٢) فى ظ : تكرير (٣) فى ظ : لا (٤) فى ظ :

تفرقون (٥) فى ظ : لان (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اتنى .

إذا برئ ، أى صارت له حالة فرقت بين صحته ومرضه الذى كان به ،
 ومنه الفريقه وهى تمر وحلبه^١ يطبخ للنفساء ؛ وقرفت الشيء - بتقديم
 القاف : قشرته ، و القرف^٢ : الخلط ، كأنه من الإزالة ، لأنهم قالوا : إن 'فعل'
 يدخل فى كل باب ، ومنه : قرف^٣ الشيء واقترفه : اكتسبه ، والاقتراف
 ٥ بمعنى الجماع ، ويمكن أن يرجع إلى الوعاء لأن القرف^٤ الوعاء ، لأنه
 يفصل مظهره عن^٥ غيره ، وفلان قرقى ، أى موضع ظنى منه كأنه
 صار وعاء لذلك ، و فرس مقرف ، [أى - ٦] بَيْن القرفة ، أى هجين
 لأنه واضح التميز^٧ من العربى ، وقرف بسوء : رمى به ، أى جعل
 وعاء له أو فرق همومه ؛ و انقفر - بتقديم القاف : المكان [الخالى لانفصاله
 ١٠ من الناس ، وأقفر المكان - ٦] : خلا ، وأقفر الرجل^٨ من أهله^٩ : انفرد
 عنهم ، وقفر^٩ [الطعام - ١٠] : خلا من الأدم ، ورجل قفر الرأس :
 لا شعر عليه لا انفصاله عنه ، وقفر الجسد : لا لحم عليه ، والفقر : الطعام
 لا أدم له ، واقتفرت الأثر : اتبعته لتفصله من غيره ؛ والفقره - بتقديم
 الفاء - والفقر : ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب^{١١}
 ١٥ لتمييز كل واحدة عن أختها ، وفقرت الأرض فقرا : حفرتها حفرا ،

(١) فى ظ : حلبا (٢) فى ظ : الفرق (٣) من المعاجم ، وفى الأصل و ظ : فرق .
 (٤) من المعاجم ، وفى الأصل و ظ : الفرق (٥) من ظ ، وفى الأصل : من .
 (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : التمييز (٨-٨) فى ظ : لأهله (٩) من القاموس ،
 وفى الأصل و ظ : انقفر (١٠) زيد من القاموس (١١) من ظ و القاموس ،
 وفى الأصل : العجز .

فصارت كل واحدة منفصلة من الأخرى ، و الفاقة : الداهية الكاسرة
 للفقار ، ومنه الفقر والافتقار للحاجة ، وأقفرني دابته : أعارني ظهرها ،
 وراميته^١ من أدنى [فقرة : من أدنى - ^٢] معلم لأن المعالم منفصل بعضها
 عن بعض ، والتقفير^٣ في رجل الدابة يياض لانفصاله عن بقية لونها ،
 ورفقت بالأمر : لظفت به ، ولا يكون ذلك إلا بفصله عما يضره ، ومنه ه
 الرفيق للصاحب من الرفقة ، والمرفق من ذلك لما يحصل به من اللطف .
 ولما كان الإنسان محل النقصان فلا يخلو من زلة أو هفوة ، أشار
 إلى ذلك بقوله : ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ أي يسترها مادمت على التقوي
 ﴿ ويغفر لكم^٤ ﴾ أي يمحو ما كان منكم غير صالح عينا وأثرا ، وفيه تنبيه
 لهم على أن السادات على خطر عظيم لأنهم مأمورون بالمساواة بين ١٠
 الناس ، و النفس مجبولة على ترجيح من لا همها [على - ^٢] من نافرها ،
 وإشارة إلى أن الحكم بالعدل في أعلى الدرجات لا يتسمه^٥ إلا الفرد
 البادر ، وقوله : ﴿ والله ﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال
 ﴿ ذو الفضل العظيم ﴾ مرجح للزيادة على الكفارة^٦ والمغفرة من فضله ،
 [ومعلم - ^٢] بأنه لا يمتنع عليه شيء ، فمن الممكن أن يلزم كلا منهم ١٥
 طريق العدل وإن كانت من خرق العادة في أعلى محل ، وفي الآية
 أعظم مناسبة لقصة أبي لبابة رضي الله عنه لأنه لما كان الحامل له على
 ما فعل بنفسه / من العقوبة التقوى ، فكفرت عنه خطيئته وغفر له ،

٤٢٤ /

(١) من ظ ، وفي الأصل : رايته - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : التقفير .
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : لا يتسمه (٥) في ظ : الكفار .

عقبت^١ بها ترغيبا لغيره في الإسراع بالتوبة عند واقعة الحفوة، و^٢ ختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص، إشارة إلى تفضله سبحانه [بما - ٣] رزق أهل الإسلام من علو المنزلة وانتشار الهيبة ونخامة الأمر في قلوب المخالفين كما هو مشاهد، و^٤ ختم الآية المحذرة من المداهنة بشديد العقاب، إشارة إلى ما ألبسهم من الأحوال المذكورة^٥ في التي تليها من قلة منعهم واستضعافهم وخوفهم من تخطف المخالفين لهم، ولكنه تعالى رحمهم بأن جعل ذلك من بعضهم بمن يشمله اسم الإسلام لبعض، لا من غيرهم فلبسهم^٦ شيئا وأذاق بعضهم بأس بعض^٧، فكل خائف من الآخر، وصار المتقي من كثرة المخالف لا يزال من المعاطب والمثالب خائفا ١٠. يتقرب^٨، ومباعدة لا يقرب، على أنهم لا يعدمون أنصارا يؤيدهم الله بهم، ولا يزال أهل الظلم يختلفون فيما بينهم فيرجع الفريقان إليهم ويقولون عليهم، فمن نصره فهو المنصور، فكلامهم عند المضايق هو الفرقان، ولهم في قلوب الظالمين هيبة وإن نزلت بهم الحال أكثر مما للظلمة في قلوبهم من الهيبة ليتيقن^٩ الكل أنهم على الحق^{١٠} الذي الله ناصرهم، وأن أهل الشر على الباطل الذي الله خاذله، قال الحسن البصري رحمه الله في حق العالين في الأرض : أما والله ! إن للمعصية في قلوبهم لذلا وإن طغفط^{١١}

(١) في ظ : عقبت (٢) زيد بعده في ظ : لما (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده في الأصل : لما ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفنا (٥) زيد بعده في ظ : من المداهنة (٦) من ظ ، وفي الأصل : فلبسهم - كذا (٧) في ظ : بعضهم (٨) في ظ : يتقرب . (٩) في ظ : ليتيقن (١٠) سقط من ظ (١١) أي استرخى ، وفي الأصل : طعطعت ، وفي ظ : طغطعت - كذا .

بهم اللحم ، فقد انقسم^١ الخوف بينهم نصفين و شتان ما بين الحزين ،
 غوفهم يزيدهم الله [به - ٢] أجرا و يجعله لهم ذخرا ، و خوف أهل
 الباطل يزيدهم به^٢ وزرا و يجعله لدينه^٣ أزرا . فهذه حقيقة الحال في وصف
 أهل الحق و المحال .

و لما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم و النبا الجسيم ، ذكرهم من ٥
 أحوال داعيهم و قائدهم و هاديهم عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام
 بما يدعواهم إلى ملازمة أسبابه في سياق المخاطبة له صلى الله عليه و سلم
 تذكيرا بنعمته و إشارة إلى دوام نصرته . فقال تعالى عاطفا على " اذاتم " :
 ﴿ واذيكر بك ﴾ أى يدبر فى اذاك على وجه الستر ﴿ الذين كفروا ﴾
 أى أوجدوا هذا الوصف ، و فيهم من لم يكن راسخ القدم فيه ؛ ثم بين ١٠
 غاية مكرهم فقال : ﴿ ليثبتوك ﴾ أى ليمنعوك من التصرف بالحس فى
 بيت يسدون عليك بابه - كما هو واضح من قصة مشاورتهم فى دار الندوة
 فى أمره صلى الله عليه و سلم فى السير ، و من قرأها بالموحدة ثم التحتانية
 من الليات الذى معناه إهلاك العدو كيلا ، فعطف ﴿ او يقتلوك ﴾ عنده
 بمعنى القتل نهارا جهارا ، و كأنه عد الليات للاستخفاء به عدما بالنسبة إلى ١٥
 المجاهرة ﴿ او يخرجوك ﴾ أى من مكة ﴿ و يمكرون ﴾ أى و المحال أنهم
 يمكرون باخفاء ما يريدون بك من ذلك و غيره من الكيد ﴿ و يمكر الله ﴾
 أى يفعل المحيط بكل شئ قدرة و علما فى أمرهم فعل من يمكر باخفاء

(١) من ظ ، وفى الأصل : انقسم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بها (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : منه (٥) فى ظ : تريدون (٦) من ظ ، وفى الأصل : القيد .

ما يقابلهم به ﴿ والله خير المسكرين ٥ ﴾ لأنه لا يمكن أحدا علم ما يريد إخفاءه لأنه الملك الأعلى المحيط بالجلال والجمال ، فالناقد إنما هو مكره ، والعالي إنما هو نصره ، فكأنه تعالى يقول : انظروا إلى مصداق ما وعدتكم به في أحوال نبي صلى الله عليه وسلم فانه كان وحده وجميع الناس يخالفونه فثبت على أداء الرسالة إليهم وإبلاغ النصيحة لهم على ما يصله منهم من الأذى ولا يزيده أذاهم له إلا اجتهدا في أداء ما ينفعهم إليهم .

ولما ذكر مكرهم^١ / بالرسول ، ذكر مكرهم بما أرسل به ، فقال عاطفا على "اذاتم" : ﴿ واذا تتلى ﴾ أى من أى تال فرض ﴿ عليهم انبتنا ﴾ أى التى هى الفرقان جلالة^٢ وعظما لم يدعوها تؤثر فى تلك الحالة ، بل

١٠ ﴿ قالوا ﴾ إظهارا لعنادهم لها وتشبعا بما لم يعطوا و ادعاه [لما -^٣] لم ينالوا ﴿ قد سمعنا ﴾ ولما لم يتأثر عن سماعهم الإذعان ، تشوف السامع إلى علة إعراضهم فقال معللا أو مستأنفا : ﴿ لو نشاء ﴾ أى فى أى وقت أردنا ﴿ لقلنا مثل هذا ﴾ أى لأنه ليس قول الله كما يزعم محمد ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذا ﴾ الذى يتلى عليكم^٤ ﴿ إلا اساطير ﴾ جمع سطور وأسطار

٥ ا جمع سطر ﴿ الاولين ٥ ﴾ أى من بنى آدم ، سطورا فيها علومهم وأخبارهم فهو من جنس كلامنا وقائله من جنسنا ، وهذا غاية المكابرة لأنه قد تحدام بقطعة من مثله إن كان له - كما يزعمون - مثل ، وبالغ فى تفريعهم فما منعهم - من إبراز شىء مما يدعون وليس بينهم وبينه بزعمهم إلا أن يشاءوا ،

(١) فظ : فثبتت (٢) هنا صفحة الأصل مقحمة فى « مكر/هم » (٣) من ظ ، وفى الأصل : جلا (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

مع انتقاهم إلى [أشد - ١] الأمور : السيف الماحق على تهالكهم على
 قهره صلى الله عليه وسلم وعلى ما لهم من فرط الآفة من العار والبعد
 بما يقضى عليهم بالقلب أر أن يوصفوا بالكذب^٢ - إلا عليهم بأن ذلك
 فاضحهم ، ومخزيهم مدى الدهر وقائحهم ، والمعنى أنى أثبت هذا النبي الكريم
 على صبره على ذلك ومثارته^٣ على أداء الأمانة بالاجتهاد في النصيحة ه
 على ما يلحق إن نجيتهم منهم ومنعته من جميع ما كادوه به . وكنت لا أزال
 أويده باتباع من أعلم فيه الخير إلى أن هيات له دارا وخبات له أنصارا ،
 وجعلت داره بالأصحاب منيعة ، وبنيت لها أعمدة بصوارم الاحباب ثابتة
 رفيعة ، نقلته إلى ذلك مع اجتهد أهل الغناد وهم جميع أهل الأرض
 في المنع ، فلم يؤثر كيدهم ، ولا أفادهم مع أيدي أيدهم ، وجعلت نفس ١٠
 نقلته له فرقانا يفرق بها بين الحق والباطل ، وصار إلى ما ترون من
 قبول الأمر وجلالة القدر ونفاذ الفصل^٤ بين الأمور وظهر دينه أي^٥
 ظهور ، فلازموا التقوى ملازمته وداوموا على الطاعة مداومته أهب لكم
 من سيادته وأحكم بلباس إمامته^٦ .

و لما كان ذلك موضع عجب من عدم إعمال الضلال بالعذاب ١٥
 وإمهالهم إلى أن أوقع^٧ بهم في غزوة بدر لا سيما مع قوله " ان
 تستفتحوا فقد جاءكم الفتح " بين السر في ذلك وإن بالغوا في استعجاله

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في ظ : الماحق (٣) من ظ ، وفي الأصل :

يتاولونه - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : تقبله - كذا (٥) في ظ : الفعل (٦) في

ظ : امانته (٧) في ظ : وقع .

فقال : ﴿ واذ قالوا ﴾ أى إرادة ' المكابرة بالتخيل إلى الناس أنهم على 'قطع من أنه باطل وإلا لما دعوا بهذا الدعاء ﴿ اللهم ﴾ أى يا من له تمام الملك وعموم الملك ﴿ ان كان هذا ﴾ أى الأمر الذى أتانا به محمد ﴿ هو ﴾ أى لا مانحن عليه ﴿ الحق ﴾ حال كونه منزلا ﴿ من عندك ﴾ هـ وقال الزجاج : إنه لا يعلم أحدا قرأ " الحق " بالرفع - أفاده أبوحيان^١

﴿ فامطر علينا حجارة ﴾ ولعل تقييده بقوله : ﴿ من السماء ﴾ - مع أن^٢ الإمطار لا يكون إلا منها - لإزالة وهم من يتوهم أن الإمطار مجاز عن مطلق الرجم وأنه إنما ذكر ليان أن الحجارة المرجوم بها فى الكثرة مثل المطر ﴿ او اتنا بعذاب اليم^٣ ﴾ أى غير الحجارة ، ولعل مرادهم ١٠ / ٤٢٦ بقولهم ذلك الإشارة إلى أن مجيء الوحي إليك / من السماء خارق

كما أن^٢ إتيان الحجارة منها كذلك ، فان كنت صادقا فى إتيان الوحي إليك منها فاتتنا بحجارة منها كما أتت الحجارة منها أصحاب الفيل صونا من الله لبيته الذى أراد الجيش انتهاك حرمة وإعظاما له - أشار إلى ذلك أبوحيان^١ ، وهذه الآية و التى قبلها فى النضر بن الحارث أسره المقداد ١٥ يوم بدر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد : أسيرى [يا -^٤] رسول الله ! فقال : إنه كان يقول فى كتاب الله تعالى ما يقوله ، فعاد المقداد رضى الله عنه لقوله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم ! أغن^٥

(١) من ظ ، وفى الأصل : إراة - كذا (٢) راجع البحر المحيط ٤ / ٤٨٨ (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٤ / ٤٨٩ (٥) زيد من ظ وتفسير الطبرى - راجع تفسير آية ٣١ (٦) من الطبرى ، وفى الأصل و ظ : اغز - كذا .

المقداد من فضلك ، فقال : ذاك الذى أردت يا رسول الله ! فقتله
النبي صلى الله عليه وسلم فأشدت أخته قتيلاً ألياً^١ منها :
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المخنق^٢
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه .
وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال لرجل من سبأ : ما أجهل قومك حين ه
ملكوا عليهم امرأة ! قال : أجهل من قومي قومك قالوا " ان كان هذا
هو الحق^٣ من عندك^٤ " - الآية ، وما قالوا : فاهدنا به ، والسر الذى بينه
فى هذه الآية فى إمهالهم هو أنه ما منعه من الإسراع فى إجابة دعائهم
كما فعل فى وقعة بدر إلا لإجلال^٥ مقامه صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم
فقال : ﴿ وما كان الله ﴾ أى مع ما له من^٦ صفات الكمال والعظمة ١٠
والجلال ، وأكد النقي بقوله : ﴿ لعذبهم ﴾ أى ليجدد لهم ذلك فى وقت
من الأوقات ﴿ وانت ﴾ [أى - ^٧] يا أكرم الخلق ﴿ فيهم^٨ ﴾ فانه
لعين تجازى ألف عين وتكرم

ولما بين بركة وجوده ، أتبعه ما يخلفه صلى الله عليه وسلم إذا غاب
فى العباد من العذاب فقال : ﴿ وما كان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ١٥
﴿ معذبهم ﴾ أى مثبتاً وصف تعذيبهم بحيث يدوم ﴿ وهم يستغفرون^٩ ﴾
أى يطلبون الغفران بالدعاء أو يوجدون هذا اللفظ فيقولون : أستغفر الله ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : اثباتاً - كذا (٢) من ظ وسيرة ابن هشام ٢/ ٦٨ ،
وفى الأصل : الحق - كذا (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) فى ظ : نعم -
كذا (٥) فى ظ : اجال - كذا (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اذ .

فان لفظه و إن كان خبرا فهو^١ دعاء و طلب ، فوجوده صلى الله عليه و سلم
 في قوم أبلغ من نفي العذاب عنهم ، و هذا الكلام ندب لهم إلى الاستغفار
 و تعليم لما يدفع العذاب عنهم كما تقول : ما كنت لأضربك و أنت تطيعني ،
 أى فأطعني - نبه عليه الإمام أبو جعفر النحاس ، و فى ذلك حث عظيم
 لمن^٢ صار صلى الله عليه و سلم بين أظهرهم من المسلمين صادقهم و منافقهم
 على الرغبة فى مواسلته و الرهبة من مفارقه ، و تعريف لهم بما لهم فى
 حلول ذاته المشرقة فى ساحتهم من جليل النعمة ترغيبا فى المحبة لطول
 عمره و الاستمسك بعزره^٣ فى نهيه و أمره إذ المراد - و الله أعلم -
 بالاستغفار طلب المغفرة بشرطه من الإيمان و الطاعة ، و عن أبي موسى^٤
 ١٠ الأشعرى رضى الله عنه أنه كان فى هذه الأمة أمانان ، أما النبى صلى الله
 عليه و سلم فقد مضى ، و أما الاستغفار فهو كأن فىكم إلى يوم القيامة .
 و لما كان هذا ليس نصا فى استحقاقهم العذاب ، قال تعالى عاطفا
 على ما تقديره : و ليعذبهم الله إذ هاجرت عنهم و لم يؤمنوا فيستغفروا :
 ﴿ و ما لهم ﴾ قال أبو حيان : الظاهر أن ' ما ' استفهامية ، أى أى شئ .
 ١٥ لهم فى انتفاء العذاب ، و هو استفهام معناه التقرير ، أى كيف لا يعذبون
 و هم متصفون بهذه الصفة^٥ المتقضية للعذاب و هى صدم المؤمنين عن
 المسجد الحرام و ليسوا^٦ بولاية البيت - انتهى . و تقدير الكلام : و أى
 حظ لهم فى ﴿ لا يعذبهم الله ﴾ أى الذى له كمال العز و العظمة على
 (١) فى ظ : فانه (٢) فى ظ : لما (٣) فى ظ : بعزوه (٤) سقط من ظ (هـ) وفى
 البحر المحيط ٤ / ٤٩٠ : الحالة (٦) فى ظ : ليس .

٤٢٧ /

الظالم والإكرام و الرفق بالطائع عاجلا (و هم) أى و الحال / أنهم
 مستحقون للعذاب فهو واقع بهم لا محالة و إن تأخر مدة إبانته و أبطأ
 عنهم أوانه و قوعا ينسيهم ما نالوه من اللذات و إن عظم عندهم شأنها
 و امتد^١ طويلا زمانها لأنهم (يصدون) أى يوجدون الصد (عن المسجد)
 أى من أراد تعظيمه بالصلاة التى وضع المسجد لها و غيرها (الحرام) ٥
 أى العظيم حرمة عند كل أحد فلا اختصاص به لشخص دون آخر ، أى
 شأنهم فعل حقيقة الصد فى الماضى و الحال و المآل ، لا ينفكون عن ذلك ،
 كما كانوا يمتنعون من شأوا من دخول البيت و يقولون : نحن ولاته ، نفعل
 ما نشاء ، و يصدون المؤمنين عن الطواف به بالتعذيب و الفتنة و صدوا
 رسول الله صلى الله عليه و سلم و من معه بالإخراج ثم صدوهم عام الحديبية ١٠
 عن الوصول إلى البيت و عام عمرة القضية عن الإقامة بعد الثلاثة الأيام
 (و ما) أى و الحال أنه لم يكن لهم ذلك لأنهم^٢ ما (كانوا أولياءه^٣)
 أى أهلا لولايته بحيث أن صدقهم ربما يقع موقعه ؛ روى البخارى فى
 التفسير عن أنس رضى الله عنه قال : قال أبو جهل : ” اللهم ان كان^٤ هذا
 هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم “ ١٥
 فزلت ” و ما كان الله يعذبهم - إلى - عن^٥ المسجد الحرام “ .

و لما نفي عنهم الولاية ، ذكر أهلها فقال : (ان) أى ما (أوليآؤه)
 أى بالاستحقاق (الا المتقون^٦) أى العريقون فى هذا الوصف بما يجعلون

(١) فى ظ : امد (٢) من ظ ، و فى الأصل : انهم (٣) سقط من ظ (٤) فى
 ظ : المتقين .

بينهم وبين^١ سخط الله من وقايات الطاعات ، لا كل من آمن بل خاصة المؤمنين ، وهم ليسوا كذلك لتلبسهم الآن بالكفر (ولكن أكثرهم لا يعلمونه) أى ليس^٢ لهم علم بالأمور ليميزوا بين الحق والباطل والمتقى والفاسق وحسن العواقب وسيئها ، ولعله عبر بالأكثر إعلاما بأن فيهم المعاند ، ولأنه كان منهم من آمن بعد ذلك فصار من أولى العلم .

ولما كانوا يفعلون عند البيت ما ينزه البيت عنه مما هو غاية في الجمل ، قال مينا لجملهم واستحقاقهم للنكال وبعدهم عن استحقاق ولايته : (وما كان صلاتهم) أى التى^٣ ينبغي أن تكون مبنية على الخشوع ، وزاد [فى - ٤] التبشيع عليهم بقوله : (عند البيت) أى فعلهم الذى يعدونه صلاة أو يدلونها به (الامكأ) أى صفيرا [يشبه صغير الطير والدبر بريح الحدث - ٥] من مكأ يمكأ [مكأ - ٦] ومكأ - إذا صفر فيه أو شبك أصابعه وفتح فيها ، [ومكأ الشجرة^٧ بريحها : صوت ، والدبر بريح الحدث : صوت - ٨] ؛ قال أبو حيان^٩ : وجاء^{١٠} على فعال - أى بالضم - ويكثر فعال فى الأصوات كالصراخ - انتهى . (وتصدية^{١١})

١٥ أى [و - ١٢] تصفيقا ، [كان أهل الجاهلية يطوفون عراة ويصفرون بأفواههم ويصفقون بأيديهم مقصورة ، فيكون تصويتهم ذلك يشبه الذى

(١) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : الشجة - كذا ، ويمكن أن يكون : السبخة (٦) راجع النهر من البحر المحيط ٤ / ٤٩١ (٧) زيد بعده فى ظ : مكأ .

رجع الصوت في المكان الخالي ، فهو كناية عن أن صلاتهم لا معنى لها ،
وأصله صدد - مضاعف^١ - إذا أعرض و مال مثل التظنى من ظنن -^٢ [،
فهذا لهو لا عبادة و هزه لا جد مع أن الأمر جد و أى جد كما قال تعالى
" أفنى هذا الحديث تعجبون و تضحكون و لا تبكون و أنتم سمدون^٣ "
أى و لا تبكون في حال جدكم بدأبكم في العمل الصالح ، فهذا الذى يعملونه ه
مناف لحال البيت فهو تخريب لا تعمير ، قال مقاتل : كان النبي صلى الله
عليه و سلم إذا صلى في المسجد قام رجلان من المشركين عن يمينه يصفران
و يصفقان ، و رجلان كذلك عن يساره ليخطوا عليه صلاته ، و تقدير
الكلام على قراءة الأعمش : صلاتهم - بالنصب : و ما كان شئ إلا مكاه
و تصدية صلاتهم^٤ ، فنى عما يجعلونه صلاة كل شئ إلا المكاه و التصدية ، ١٠
فالصلاة مقصورة عليهما بهذا الاعتبار ، فقد صارت بهذا الطريق بمعنى
القراءة المشهورة سواء فتأمله فانه نفيس جدا ، و خرج عليه الخلاف في
آية الأنعام " ثم لم تكن فتنتهم^٥ " و غيره ، و قد مضى هناك ما ينفع هنا ،
[و مما يجب أن يعلم أن هؤلاء لم يذمهم الله لأنه أعلى الذم ، بل ذمهم
لكونهم اتخذوا العبادة لعبا لينبه بذلك على ذم من أشبههم في ذلك ، ١٥
فعمد إلى ما هو مباح في أصله فاتخذ دينا فكيف إذا كان مكروها أم
كيف إذا كان حراما ، فقبح الله قوما ادعوا أنهم أعرضوا عن الدنيا
ثم اتخذوا الطبول و الغنى و التصدية شعارهم ثم ضربوا به حتى فعلوه في
(١) في ظ : مضاف (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٣) سورة ٥٣ آية ٥٩ - ٦١ .
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٦ آية ٢٣ .

المساجد وزادوا على فعل الجاهلية الرقص الذى ابتدعه قوم السامرى لما عبدوا العجل ، فأخذوا أنواعا من أفعال أنواع من الكفرة وجعلوها عادتهم وشعارهم وديانتهم ، فلقد انتهكوا حرمان الشريعة وبدلوها واستهانوا بها واسترذلوها - [١] .

٥ ولما كان مساق الكلام لبيان استحقاقهم العذاب ، وأنه لا ممانع لهم منه وكان قد أوقع بهم في هذه الغزوة مبادئه ، وكانت المواجهة بالتعنيف وقت إيقاع / ما لا يطاق بالعدو إنكاه ؛ قال مسيبا عن قبيح ما كانوا يرتكبونه : ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الذى توعدهم الله والذى رأيتموه ييدر وطلبتموه في استفتائكم حكم الاستهانة^٢ به ﴿ بما كنتم تكفرون * ﴾ ١٠ أى إنكم قد صرتم بهذا الفعل أهلا لذوقه بما تسترون بما دلتكم عليه^٣ عقولكم من هذا الحق الواضح .

ولما أخبر سبحانه عن أحوال الكفار في الأعمال البدنية ، وكان غلبهم مع كثرتهم وقوتهم مستعبدا ، أخبر بما يقربه ميئنا لأعمالهم المالية فقال : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى مع كثرتهم [لأنهم - ١] ستروا ١٥ مراقى عقولهم التى هى الإنسان بالحقيقة فنفصوا بذلك نقضا لا يدرك كنهه ﴿ ينفقون أموالهم ﴾ أى يعزمون على إنفاقها فيما يأتى ﴿ ليصدوا ﴾ أى يزعمهم أنفسهم وغيرهم ﴿ عن سبيل الله^٤ ﴾ [أى عن سلوك طريق - ١] الذى لا يدانى عظمتَه عظمة مع اتساعه ووضوحه وسهولته ﴿ فيسيفنقونها ﴾

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢) في ظ : قد (٣) في ظ : استهانة (٤) من ظ ، وفي الأصل : عليكم .

أى بحكم قاهر لهم لا يقدرّون على الانفكاك عنه ﴿ ثم تكون ﴾ أى بعد
 إنفاقها بمدة ، وعبر بعبارة^١ ظاهرة فى مضرّتها فقال : ﴿ عليهم ﴾ وأبلغ
 فى ذلك بأن أوقع^٢ عليها المصدر فقال : ﴿ حسرة ﴾ أى لضياعتها وعدم
 تأثيرها ﴿ ثم يغلبون ﴾ أى كما^٣ اتفق لهم فى بدر سواء ، فإنهم أنفقوا
 مع الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شىء من ذلك شيئا مما أراد الله بهم ، هـ
 بل كان^٤ وبالا عليهم ، فانه كان سببا لجرأتهم حتى أقدموا نظرا إلى الحاضر
 وقصورا عن الغائب كالبهايم فهلكوا ، وكان ذلك قوة للمؤمنين فما كان
 فى الحقيقة إلا لهم ، وهذا الكلام منطبق على ما كان سبب نزول الآية
 وعلى كل ما شاكله ، وذلك أنهم لما قهروا فى بدر قال لهم أبو سفيان :
 إنه ينبغي أن تنفقوا مال تلك العير - يعنى التى كانت معه - ونحث على ١٠
 حرب محمد ، فأجابوا وأنفقوه على غزوة أحد فحصل لهم فيها بعض ظفر
 ثم تعقبه الحسرة^٥ والمغلوبة فى بدر الموعد وكل ما بعدها ؛ ثم أظهر
 وصفهم الذى استحقوا به ذلك تعليقا للحكم به و تعميما منذرا لهم بما هو
 أشد من ذلك فقال : ﴿ والذين كفروا ﴾ أى حكم بدوام كفرهم عامة
 سواء زادوا على الكفر فعلا ما تقدم أم لا ﴿ الى جهنم ﴾ أى لا إلى غيرها . ١٥
 ولما كان المشكى هو الحشر ، لا كونه من معين ، بنى للفعول قوله :
 ﴿ يحشرون ﴾ أى بعد الموت فهم فى خزي دائم دينا و أخرى ، ويجوز
 أن يتجاوز بهم عن أسبابها فيكون المعنى أنهم يستدرجون بمباشرة أسبابها
 (١) من ظ ، وفى الأصل : عبارة (٢) فى الأصل : واقع ، وفى ظ : وقع - كذا .
 (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : كانوا (هـ) فى ظ : الحسر .

إليها ويحملون في الدنيا عليها ، وهذه الآيات - مع كونها معللة بما لهم في الدنيا وما لهم في الآخرة من أن آخر أمرهم في الدنيا الغلب كما كشف عنه الزمان علما من أعلام النبوة وفي الآخرة جهنم - هي مبينة لكذبهم في قولهم " لو نشاء لقلنا مثل هذا " فانهم لو كانوا صادقين في دعواهم لقالوا مثله ثم قالوا : لو كان هذا هو الحق لا غيره لما قلنا مثله ، موضع قولهم " ان كان هذا هو الحق " - إلى آخره ، وأما آية المكاء والتصدية فكأنها^٥ تقول : هذا القرآن في أعلى درج البلاغة ولم تؤهلوا أتم - مع ادعائكم سبق في البلاغة - لأن تعارضوه بشيء له أهلية لشيء من البلاغة ، بل نزلتم إلى أصوات الحيوانات العجم حقيقة ، فلا أجلى من هذا البيان ١٠ على ما ادعيتم من الزور والبهتان ، وأما آية الإنفاق فقائلة : لو قدرتم في معارضته على إنفاق الأقوال لما عدلتم عنه إلى إنفاق الأموال المفضى إلى مقاساة الأهوال وفساد الأشباح وتفوق ما حوت من الأرواح المؤدى إلى الذل السرمذ بالعذاب المؤبد .

ولما ذكر حشر الكافرين ، ذكر^٢ علته فقال / معلقا بيحشرون :

/ ٤٢٩

١٥ ﴿ لِمِيزَ اللَّهُ ﴾ أى الذى له صفات الكمال بذلك الحشر ﴿ الخبيث من الطيب ﴾ أى إنما جعل للكفار دارا تخصهم ويخصونها لإظهار العدل والفضل بأن يميز الكافر من المؤمن فجعل لكل دار يميز بها عدلا في الكافرين وفضلا على المؤمنين ، فيجعل الطيب في مكان واسع حسن ﴿ ويجعل الخبيث ﴾ أى الفريق المتصف بهذا الوصف ﴿ بعضه على بعض ﴾ والركم : جمع الشيء

(١) في ظ ، فكأنه (٢) في ظ : دلت .

بعضه فوق بعض ، فكأن قوله : ﴿ فيركمه جميعا ﴾ عطف تفسير يؤكد الذى قبله فى إرادة الحقيقة مع إفهام شدة الاتصال حتى يصير الكل كالشئ الواحد كالسحاب المركوم ، و النتيجة قوله : ﴿ فيجعله فى جهنم ^١ ﴾ أى دار الضيق و الغم و التجهم و الهم .

ولما كان هذا أمرا لا فلاح معه ، استأنف قوله جامعا تصريحاً هـ بالعموم : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء بغضاء الذين أفهمهم اسم الجنس فى الخيث ﴿ هم الخسرون ^٢ ﴾ أى خاصة لتأهى خسراهم ، لأنهم اشتروا بأموالهم إهلاك أنفسهم ^٣ بذلك الخسر ^٤ .

ولما بين ضلالهم فى عبادتهم البدنية و المالية ، [و - ٢] كان فى كثير من العبارات السالفة القطع للذين كفروا بلفظ الماضى ١٠ بالشقاء ، كان ذلك موهما لأن يراد من أوقع الكفر فى الزمن الماضى و إن تاب ، فيكون مؤيسا من التوبة فيكون موجبا للثبات على الكفر ، قال تعالى متلطفا بعباده مرشدا لهم إلى طريق الصواب مبينا المخلص عما هم فيه من الوبال فى جواب من كأنه قال : أما لهم من جبلة يتخلصون بها من الخسارة : ﴿ قل للذين ﴾ أى لاجل الذين ﴿ كفروا ﴾ إلى ١٥ أقبل توبة من تاب منهم بمجرد انتهائه عن حاله ﴿ ان ينتهوا ﴾ أى يتجدد لهم وقتا ما الانتهاء عن مغالبتهم ^١ بالانتهاء عن كفرهم فيذلوا لله و يخضعوا لأوامره ﴿ يغفر لهم ﴾ بناء للفعول لأن النافع نفس الغفران و هو

(١) فى ظ : الانفصال (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : مقابيتهم .

محو الذنب ﴿ ما قد سلف ج ﴾ أى مما اجتروحه كائنا ما كان فيمحي عينا
و أثره فلا عقاب عليه ولا عتاب ﴿ وان ﴾ [أى وإن - ١] يثبتوا على
كفرهم [و - ١] ﴿ يعودوا ﴾ أى إلى المغالبة ﴿ فقد مضت سنت ﴾ أى
طريقة ﴿ الاولين ه ﴾ أى وجدت و انقضت و نفذت فلا مرد لها بدليل
ه ما سمع من أخبار الماضين وشوهد من حال أهل بدر بما أوجب القطع
بأن الله مع المؤمنين وعلى الكافرين ، ومن كان معه نصر ، ومن كان
عليه خذل وأخذ وقسر " كتب الله لاغلبين انا ورسلى ٢ " " ولينصرن الله
من ينصره ٣ " " والعاقبة للتيقن ٤ " وإن كانت الحرب سجالا .

ولما أشار ختم الآية إلى قتالهم إن أصروا ، وكان التقدير : فأقدموا
١٠ عليهم حيثما عادوكم إقدام ٦ الليوث الجريئة غير هائبين كثرتهم ولا قوتهم
فان الله خاذلهم ، عطف عليه قوله مصرحا بالمقصود : ﴿ وقاتلوهم ﴾ أى
دائما ﴿ حتى لا تكون فتنة ﴾ أى سبب يوجب ميلا عن الدين أصلا
﴿ ويكون الدين ﴾ .

ولما كانت هذه الواقعة قد سرت ككاتب هيتها في القلوب فوجبت
١٥ أيما وجبت ، فضاقت و ضعفت صدور الكافرين ، وانشرحت وقويت
قلوب المؤمنين ؛ اقتضى هذا السياق التأكيد فقال : ﴿ كله لله ج ﴾ أى
الملك الأعظم خالصا غير مشوب بنوع خوف أو إغضاء على قذى ،
وأصل الفتن : الخلطة المحيلة ، ويلزم ذلك [أن - ١] يكون السبب

(١) زيد من ظ (٢) سورة ٥٨ آية ٢١ (٣) سورة ٢٢ آية ٤٠ (٤) سورة ٢٨

آية ٨٣ (ه) في ظ : حيث (٦) من ظ ، وفي الأصل : ققام .

عظيما لأن الشيء لا يحول عن حاله إلا لأمر عظيم لأن مخالفة المألوف
عسرة، ومنه التفت، وكذا نفت القدر، وهو أن يغلي المرق
فيلزق / بجوانبها، والتوبة : القفر، لأنه^١ موضع ذلك، ويلزمه الإخلاص،
من فتت الذهب - إذا أذنته فتميز^٢ جيدة من رديئه، وتارة يكون
الميل إلى جهة الردىء وهو الأغلب، وتارة إلى الجيد، ومنه "وقتلك ه
قتونا"^٣.

ولما كان لهم^١ حال اللقاء حالان : إسلام وإقبال، وكفر
وإعراض وإخلال، قال مبينا لحكم القسمين : (فان انتهوا) أى عن
قتالكم^٢ بالمواجهة بالإسلام فاقبلوا منهم وانتهوا عن مسهم بسوء
ولا تقولوا : أنتم^٣ متعوذون بذلك غير مخلصين، تمسكا بالتأكيد بكنه، ١٠
فانه ليس عليكم^٤ إلا ردكم عن المخالفة الظاهرة . وأما الباطن فالى الله
(فان الله) أى المحيط علما وقدره، وقدم المجرور اهتماما به إفهاما لأن العلم
به كالمختص [به -^٥] فقال : (بما يعملون^٦) أى وإن دق (بصير^٧)
فيجازيهم عليه، وأما أنتم فليستم عالمين بالظاهر والباطن معا فعليكم قبول
الظاهر، والله بما تعملون أنتم أيضا - من كف عنهم وقتل الله^٨ أو لحظ^٩ ١٥

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فيميز (٣) سورة ٢٠ آية ٤٠ (٤) فى ظ : قتالهم .

(٥) فى ظ : انهم (٦) من ظ ، وفى الأصل : عليك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ،

وهو يستجيم مع ما يأتى، وفى الأصل : تعلمون - بالخطاب، وهى قراءة الحسن

و يعقوب و سلام بن سليمان (٩) من ظ ، وفى الأصل : لهم الله .

نفس - بصير ، فيجازيكم على حقائق الامور وبواطنها وإن أظهرتم للناس ما يقيم عذرکم ، ويكمل لكل منكم أجر ما كان عزم على مباشرته من قتالهم لو لم ينتهوا ، وإن لم ينتهوا بل أقدموا على قتالكم ، هكذا كان الاصل ، ولكنه سبحانه عبر بقوله : ﴿ و ان تولوا ﴾ أى عن الإجابة تبشيرا لهم بهزيمتهم وقلة ثباتهم لما ألقى في قلوبهم من الرعب ، ويؤيد ذلك قوله : ﴿ فاعلموا ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ﴿ مولكم ﴾ أى متولى أموركم فهو يعمل معكم ما يعمل من يتولى أمر من يحبه من الاجتهاد فى تحصيل ما ينفعه و دفع ما يضره فهو لا محالة ناصركم ، ثم استأنف مدحه بما هو أهله تعريفا بقدره وترغيبا فى توليه فقال : ١٠ ﴿ نعم المولى ﴾ ولم يدخل فاء السبب هنا لأن المأمور به العلم ، واعتقاد كونه [مولى - ٢] واجب لذاته لا لشيء آخر ، بخلاف ما فى آخر الحج ، فان المأمور هناك الاعتصام ﴿ ونعم النصير ﴾ أى فلا تخافوهم أصلا وإن زادت كثرتهم وقويت شوكتهم فلا تبارحوهم حتى لا يكون إلا كلمة الله .

١٥ ولما كان التقدير : فاذا أعانكم مولاكم عليهم و غلبتموهم وغنمتم فيه فلا تنسبوا إلى أنفسكم فعلا ، بل اعلموا أنه هو الفاعل وحده لأن جميع الأفعال متلاشية بالنسبة إلى فعله فلا تتنازعوا فى المغنم تنازع من أخذه بقوته وحازه بقدرته ، عطف عليه قوله :

(١) من ظ ، وفى الأصل « و » (٢) فى ظ : مولى (٣) زيد من ظ .

واعلموا

(و اعلوا) ابتداء بهذا الأمر إشارة إلى أن ما بعدها من المهمات ليندولوا الجهد في تفريغ أذهانهم لوعيه و تنزيله منازل و رعيه (انما) أى الذى (غنم) و الغنمة لغة : الفوز بالشيء ، و شرعا ما دخل فى أيدي المسلمين من مال الكفار قهرا بالخيول و الركاب ، و زاد فى التعميم حتى لاقل ما يمكن بقوله : (من شيء) أى حتى الخيط و الخيط فانه كله له ، لانه هو الناصر ٥

وحده و إنما أتم آله لا قدرة^٢ لكم على مقاومة الأعداء لأنهم جميع أهل الارض و لانسبة لكم منهم فى عدد و لا قوة أصلا ، فالجارى على منهاج العدل المتعارف عندكم أن يأخذه كله و لا يمكنكم من شيء منه كما كان فيمن قبلكم ، يعزل فتزل نار من السماء فتأكله ، و لكنه [سبحانه - ٢] علم ضعفكم فنّ عليكم به و رضى منكم منه بالخس ، فسباه لنفسه و رده ١٠ عليكم ، و هو معنى قوله : (فان لله) أى الذى له كل شيء (خمسة) .

و لما كان من المعلوم أن الله تعالى [أجل - ٢] من أن يتاله تقع أوضر ، كان من المعلوم أن ذكر اسمه سبحانه إنما هو للاعلام بأن إسلام هذا الخنس و التخلي عنه لا حظ للنفس فيه ، و إنما هو لمحض الدين تقربا إليه سبحانه ، فذكر مصرفه بقوله : (و للرسول) أى يصرف إليه خمس هذا ١٥

الخنس ما دام حيا ليصرفه فى مصالح المسلمين ، و يصرف بعده / إلى القائم مقامه ، يفعل فيه ما كان صلى الله عليه و سلم يفعله (و لذى القربى) أى من الرسول ، و هم آل الذين تحرم عليهم الزكاة : بنو هاشم و بنو المطلب (و اليتيم) أى لضعفهم (و المسكين) لعجزهم (و ابن السبيل^٣) أى المسافر لأن الأسفار مظنات الافتقار ، فالحاصل أنه سبحانه لم يرزأكم من ٢٠

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : قدر (٣) زيد من ظ .

المغرم شيئا، فاعرفوا فضله - ليكن أولا بالإععام بالنصر، وثانياً بحل المغرم،
 وثالثاً بالإمكان من الأربعة الأخماس، ورابعاً برد الخمس^١ الخامس فيكم،
 فاشتغلوا بشكره فضلاً عن أن تغفلوا عن ذلك فضلاً عن أن تتوهموا أن
 بكم فعلاً تستحقون به شيئاً فضلاً عن أن تفعلوا من المنازعة في المغرم فعل^٢
 ٥ القاطع بالاستحقاق، اعلوا ذلك كله علم المصدق المؤمن المذعن لما علم لتنشأ
 عنه ثمرة العمل ﴿ ان كنتم ﴾ صادقين في أنكم ﴿ ائتم بالله ﴾ أى الذى
 لا أمر لاحد منه ﴿ وما ﴾ أى وبالذى ﴿ ازلنا ﴾ أى إزالا واحداً^٣
 سريعاً لأجل التفريج عنكم من القرآن والجنود والسكنية في قلوبكم وغير
 ذلك مما تقدم وصفه ﴿ على عبدنا ﴾ أى الذى يرى دائماً أن الأفعال
 ١٠ كلها لنا فلا ينسب لنفسه شيئاً إلا بنا ﴿ يوم الفرقان ﴾ أى يوم بدر الذى
 جعلنا لكم فيه عزاً ينفذ به أقوالكم وأفعالكم في فصل الأمور .

و لما وصفه سبحانه بالفرقان تذكيراً لهم بالنعمة، بينه بما صور حالهم
 فيه إتماماً لذلك - أو أبدل منه - فقال: ﴿ يوم التقى ﴾ أى عن غير قصد
 من الفريقين بل بمحض تدبير الله ﴿ الجمعين ﴾ أى اللذان أحدهما أنتم
 ١٥ و كنتم حين الترائى - لو لا فضلنا - قاطعين بالموت، وثانيهما أعداؤكم وكانوا
 على اليقين بأنكم في قبضتهم، وذلك هو الجارى على مناهج^٤ العوائد،
 ولو قيل: يوم بدر، لم يقد هذه الفوائد .

و لما كان انعكاس الأمر في النصر محل عجب، ختم الآية بقوله:

- (١) من ظ، و في الأصل: الأخماس (٢) من ظ، و في الأصل: فقال (٣) زيد
 بعده في ظ: وهذا (٤) تأخر في ظ عن « الأفعال كلها » (٥) في ظ: تنفذ .
 (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: مناهيج .

(والله على كل شيء) أى من نصر القليل على الكثير وعكسه وغير ذلك من جميع الأمور (قدير ٥) فكان ختمها بذلك كاشفا للسر ومزيلا للعجب ومبينا أن ما فعل هو الجارى على سنن سنته المطرد فى قديم عاداته عند من يعلم أيامه الماضية فى جميع الأعصر الحالية .

ولما ذكر لهم يوم ملتقاهم ، صور لهم حالتهم الموضحة للأمر المبينة ٥
لما كانوا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرا لهم بذلك ردعا عن المنازعة وردا إلى المطاوعة فقال مبدلا من " يوم الفرقان " (اذ انتم) نزول (بالعدوة الدنيا) أى القربى [إلى - ٢] المدينة (وهم) أى المشركون نزول (بالعدوة القصوى) أى البعدى منها القرية إلى البحر ، والقياس قلب واوه ياه ، وقد جاء كذلك إلا أن هذا أكثر ٢ كما أكثر ٢ استصوب ١٠
وقل استصاب ، والعدوة - بالكسر فى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب ، وبالضم فى قراءة غيرهم : جانب الوادى وشطه ، ومادتها - بأى ترتيب كان - تدور على الاضطراب ويلزمه ٥ المجاورة والسكون والإقبال والرجوع والاستباق والمحل القابل لذلك ، فكانها الموضع ٦
الذى علا عن محل فكان السيل موضعا للعدو (والركب) أى العير ١٥
الذى فيه المتجر الذى خرجتم لاقطاعه ورئيس جماعته أبو سفيان ، ونصب

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لخذفاتها (٢) زيد من ظ .

(٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) و بالفتح أيضا فى قراءة الحسن وقادة

وزيد بن علي وعمر بن عبيد (٥) من ظ ، وفى الأصل : يلزم (٦-٦) فى ظ :

فانها المرجع .

على الظرف قوله : ﴿ اسفل منكم ﴾ أي أيها الجمعان إلى جانب البحر على مدى من قرية تكادون تقعون عليه وتمدون أيديكم إليه مسافة ثلاثة أميال^١ - كما قال البغوي ، وهو كان قصدكم وسؤالكم ، فلو كانت لكم قوة على طرده لبادرتم إليه الطرف وغالبتم عليه الخفف ، ولكن منعكم^٢ من إدراك مأمواكم منه من كان جائئاً بتلك العدو جثوم الأسد واثقاً بما هو

فيه من القوى و العدد كما قال صلى الله عليه وسلم أسلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه - لما قال في تحقيرهم بعد قتلهم / و تدميرهم : إن وجدنا

إلا عجائز صلعا ، ما هو إلا أن لقينا^٣هم فنحنونا أكتافهم - جواباً له : وأرثك يا ابن أخي الملا^٤ لو رأيتهم لهبتهم ولو أمروك لأطعتهم ، مع استضعافكم لأنفسكم عن مقاومتهم لولا رسولنا يبشركم وجنودنا تثبتكم .^٥ وإلى مثل

هذه المعاني أشار تصوير مكانهم و مكان الركب إيماء إلى ما كان فيه العدو من قوة الشوكة و تكامل الأعدة و تمهد أسباب الغلبة و ضعف حال المسلمين و أن ظفرهم في مثل هذا الحال ليس إلا صنعا من الله^٦ ، و ما في البيضاء تبعاً للكشاف من أن العدو الدنيا كانت تسوخ فيها الأقدام

١٥ و لا ماء بها تقدم رده أول السورة بأن المشهور في صحيح مسلم [والسير -]
و غيرها أن المؤمنين هم السابقون إلى الماء ، و أن جميع أرض ذلك المكان كانت رملاً تسوخ فيه الأقدام ، فأقى المسلمين^٧ به من المطر ما لبد لهم الأرض ،

(١) من ظ و معالم التنزيل ٣ / ٣ ، و في الأصل : إيام (٢) في ظ : منعم .

(٣) في ظ : لقينا (٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) في

ظ : السالمون .

و أتى المشركين منه ما لم يقدروا معه على الحركة (و لو تواعدتم) أى أتم
و هم على الموافاة إلى تلك المواضع فى آن واحد (لاختلفتم فى الميعد لا)
أى لأن العادة قاضية بذلك لأميرين : أحدهما بعد المسافة التى كنتم بها
[منها - ٢] و تعذر توقيت سير كل فريق بسير صاحبه ، و الثانى كراحتكم
للقائهم لما وقر^٢ فى أنفسكم من قوتهم و ضعفكم ، و قد كان الذى كره^٥
إليكم لقاءهم قادر على أن يكره إليهم لقاءكم ، فيقع الاختلاف من جهتهم
كما كان فى بدر الموعد ، و أما فى هذه الغزوة فدعاهم من حابة غيرهم
داع لم يستطيعوا التخلف معه ، و طمس الله بصائرهم و قسى قلوبهم مع
قول أبى جهل الذى كان السبب الأعظم فى اللقاء لمن عرض عليه
المدد بالسلاح و الرجال^٤ : إن كنا نقاتل الناس فما بنا ضعف عنهم ، ١٠
و إن كنا إنما نقاتل - كما يزعم محمد - الله فالأحد بالله من طاقة ، و قوله
أيضا فى هذه الغزوة للأخفس بن شريق : إن محمدا صادق و ما كذب
قط ، فعل الله ذلك لما علم فى ملاقاتهم لكم من إعلاء كلمته و إظهار دينه
(و لكن) أى دبر ذلك سبحانه حتى توافيتم إلى موطن^٦ اللقاء كلكم
فى يوم واحد من^٧ غير ميعاد و لم تختلفوا^٨ فى موافاة^٩ ذلك الموضع مع ١٥
خروج ذلك عن العادة [لكونه أتقن أسبابه ، فأطمعكم فى العير أولا مع ما
أتم فيه من الحاجة ثم وعدكم إحدى الطائفتين مبها و أخرج قريشا لحماية
عيرهم إخراجا لم يجدوا منه بدا ، و لما نجت عيرهم أوردتهم الرياء و السمعة
(١) فى ظ : العادية (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : قرر (٤) فى ظ : للرجال (٥) فى
ظ : عدة (٦) من ظ ، و فى الأصل : موطن (٧) فى ظ : عن (٨ - ١٠) سقط ما بين
الرقين من ظ .

والبطر بما هم فيه من الكثرة والقوة كما قال أبو جهل: لا نرجع حتى
نرد بدرًا فننحر بها الجزور ونشرب الخور وتعزف علينا القيان ونطعم
من حضرنا من العرب فلا يزالون يهابوننا مدى الزمان - [١] ﴿ليقضى الله﴾
أى الذى له جميع الأمر من إعزاز دينه بأعزازكم وإذلالهم ﴿أمرًا كان﴾
هـ كما تكون الجبال والطبائع فى التمكن والتمام ﴿مفعولًا﴾ أى مقدرًا
فى الأزل من لقائهم^٢ وما وقع فيه من قتلهم وأسرهم على ذلك الوجه
العظيم فهو مفعول لا محالة ليتبين به إيمان من آمن بآيماده على الله
و تصديقه بموعده^٣ وكفر من كفر .

ولما علل ذلك التدير فى اللقاء بقوله "ليقضى [الله] - [١] ، علل
١٠ تلك العلة بقوله: ﴿ليهلك﴾ أى بعد رؤية ذلك القضاء الخارق للعادة
﴿من هلك﴾ أى من الفريقين^٤: الكفار فى حالة القتال وبعدها، والمسلمين
هلاكا متجاوزا [و - ١] ناشئا - ﴿عن﴾ حالة ﴿بينه﴾ لما بان من
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة فى كل ما وعد به
وكذب الكفار فى كل ما كانوا يقولونه قاطعين به مع أن ظاهر الحال
١٥ يقضى لهم، فكان ذلك من أعظم المعجزات ﴿ويحيى من حي﴾ أى
بالإسلام حياة هى فى أعلى الكمال بما تشير إليه قراءة نافع والبرى عن
ابن كثير و أبى بكر عن عاصم باظهار اليامين، أو فى أدنى الكمال بما يشير
(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: لتأييم (٣) فى ظ :
موعوده (٤) من ظ ، وفى الأصل : فريقى .

إليه إدغام الباقيين تخفيفاً حياة متجاوزة و ناشئة ﴿ عن ﴾ حالة ﴿ بينة ^١ ﴾
 أى كائنة بعد البيان فى كون الكافرين على باطل و المؤمنين على حق لما
 سيأتى من أنهم كانوا يقولون " غر هؤلاء دينهم " فحينئذ تبين المغرور
 وكشفت ^١ عجائب المقدور عن أعين القلوب المستور .

و لما كان التقدير : فإن الله فى فعل ذلك لعزير حكيم ، عطف عليه د

قوله / : ﴿ وان الله لسميع ﴾ أى لما كنتم تقولونه [وغيره - ^٢]
 ﴿ عليم ^٣ ﴾ بما كنتم تضمرونه وغيره فاستكينوا لعظمته وارجعوا عن
 منازعتكم لحشيتيه ، ثم أتم سبحانه تصوير ^٢ حالتهم بقوله مبينا ما أشار إليه
 من لطف تدبره : ﴿ اذ ﴾ أى اذ كر إذ أردت علم ذلك ، حين ﴿ يريكم الله ﴾
 أى الذى له صفات الكمال فهو يفعل ما يشاء ﴿ فى منامك قليلا ^٤ ﴾ تأكيذا ١٠
 لما تقدم إعلامه به من أن المصادمة - فضلا عما نشأ عنها - ما كان إلا منه
 و أنهم كانوا كآلة التى لا اختيار لها ، و ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم
 رآهم فى منامه قليلا فحدث أصحابه رضى الله عنهم بذلك فاطمأنت قلوبهم
 و شجعتهم ذلك ؛ و عين ما كان يحصل من الفساد لولا ذلك فقال :
 ﴿ ولو اريكمهم ﴾ أى فى منامك أو غيره ﴿ كثيرا ﴾ .

١٥

و لما كان الإخبار بعد الوقعة بضد ما وقع فيها مما يقتضى طبع البشر
 التوقف فيه ، أكد قوله : ﴿ لفشلتم ﴾ أى جبتم ﴿ و لتنازعتم ﴾ أى
 اختلفتم فترع كل واحد منزعاً خلاف منزع صاحبه ﴿ فى الامر ﴾
 أى فوهتم فزادكم ذلك ضعفا و كراهة للقائهم ﴿ ولكن الله ﴾ أى الذى
 (١) من ظ ، وفى الأصل : كشف (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : نزع .

أحاط بكل شيء قدرة وعلما ﴿سلم﴾^١ أى و لكن لم يركهم كذلك
فصلت السلامة عما كان يتسبب عنها من النكوص ؛ ثم بين العلة في
ترتيبه ذلك وإخباره بهذا الأمر المفروض بقوله : ﴿انه عليم﴾^٢ أى
بالغ العلم ﴿بذات الصدوره﴾^٣ أى ضمائرهما من الجراءة والجبن وغيرهما
قبل خطورها في القلوب .

و لما بين ما نشأ عن رؤيته صلى الله عليه وسلم من قتلهم^٤ وما كان
ينشأ عن رؤيته الكثيرة لو وقعت ، لأنه صلى الله عليه وسلم - لما^٥ هو عليه
من النصيحة والشفقة - كان يخبرهم بما رأى كما أخبرهم في غزوة أحد بالبقرة^٦
المذبحة ؛ أتبعه ما فعل من اللطف في رؤيتهم بأنفسهم يقظة فقال :
١٠ ﴿واذ﴾^٧ أى واذكروا أيضا إذ ﴿يريكوهم﴾^٨ أى يبصركم إياهم ﴿اذ﴾^٩
أى حين ﴿التقيتم﴾^{١٠} ونه على^{١١} أن الرؤية ليست على حقيقة ما هم عليه
بقوله : ﴿فى اعينكم﴾^{١٢} أى لا فى نفس الأمر حال كونهم ﴿قليل﴾^{١٣}
أى عددهم يسيرا أمرهم مصداقا^{١٤} لما أخبركم به النبي^{١٥} صلى الله عليه وسلم
عن رؤياه لتجترؤا عليهم^{١٦} ؛ روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :
١٥ لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبى : أترام سبعين ؟
قال : أرام مائة ، فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا ، قال
الحراي^{١٧} فى آل عمران : لجعل القليل وصفا لهم لازما ثابتا دائما عليهم
بما أوجب فيهم من نقص ذواتهم بخفاء فطرتهم وما وراء خلق الفطرة
(١) فى ظ : قتلهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : كما (٣) فى ظ : بالبقرة (٤) سقط
من ظ (٥) فى ظ : مصداقا (٦) فى ظ : عنهم (٧) العبارة من هنا إلى « قال
الحراي » ساقطة من ظ .

من الذوات ، قال تعالى : ﴿ و يقللکم ﴾ صيغة فعل واقع وقت لا وصف لهم من حيث أنه لو أراهم إياهم على الإراءة الحقيقية لزادهم مضاعفين بالعرش ، فكانوا يرونهم ثلاثة آلاف و مائتين و ثلاثين - انتهى . ﴿ في أعينهم ﴾ قبل اللقاء ليجتروا على مصادمتكم حتى قال أبو جهل : إنما هم أكلة جزور ، ثم كثركم في أعينهم حين المصادقة حتى انهزموا حين فاجأتهم الكثرة فظنوا الظنون ؛ هـ

قال الحرالي : قللهم حين^١ لم يرم إياهم على [الإراءة - ^٢] الحقيقة العشرية ، ولا أراهم إياهم على الصورة^٣ الحسية ؛ فكان ذلك آية للؤمنين على قراءة ياء الغائب - أى في آل عمران^٤ - وكانت آية للكفار على قراءة "رونهم" - بناء الخطاب ، فكان في ذلك في إظهار الإراءة في أعين الفتنين نحو ما كان من الإراءتين الواقعة بين موسى عليه السلام و السحرة في ١٠ أن موسى عليه السلام و من معه خيل إليهم من سحرهم أنها تسمى و أن فرعون و من معه / رأوا ثعبانا مينا يلقف^٥ ما يأفكون رؤية حقيقة ، فتناسب ما بين^٦ الآيات الماضية القائمة لهذه الآية^٧ بوجه ما ، و كانت هذه الآية أشرف و ألطف بما هي في مدافعة بغير آلة من عصي و لا حبل في ذوات الفتنين و إحساسهم - انتهى .

١٥

و لما ذكر ما أحاله سبحانه من إحساس الفتنين ، علله بقوله :

﴿ يقضى الله ﴾ أى الذى له العزة البالغة و الحكمة الباهرة من نصرهم و خذلانهم بأن تفاجئهم كثرتكم بعد رؤيتكم قليلا فيشجعهم ذلك ، و يهزمهم

(١) في ظ : حتى (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : تصور (٤) راجع آية ١٣ منها (٥) في ظ : يتلقب (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : الامه .

﴿ امرأ كان مفعولا^١ ﴾ أى من إعجالهم - بما فجعهم من الكثرة بعد القلة -
عن الحذر والاستعداد لذلك [و - ١] بما فعل بأيديكم فى هذه الغزوة من
القتل والأسر والهزيمة المثمر لذل جميع أهل الكفر ، كان مقدرا فى
الأزل فلا بد من وقوعه على ما حده لأنه لا راد لأمره ولا يبدل القول
٥ لديه ، فعل ذلك كله وحده .

ولما كان التقدير : فبيده سبحانه ابتداء الأمور بتقديره إياها فى
الأزل لا يبد أحد غيره ، عطف عليه قوله : ﴿ والى الله ﴾ أى الملك
الأعلى الذى بيده وحده كل أمر ﴿ ترجع الأمور ﴾^٢ أى كلها فلا ينفذ
إلا ما يريد إنفاذه ، فلا تجرى الأمور على ما يظنه العباد ، وهو من قولك :
١٠ هذا الأمر راجع^٣ إليك ، أى مهما أردته فيه مضى ، ولو فرض أن
غيرك^٤ عاجله لم يؤثر فيه ؛ ولا يزال كذلك حتى يرجع إليك فيمضى ،
فالخلاص أن فيه قوة الرجوع بهذا الاعتبار وإن لم يكن هناك رجوع
بالفعل ، وفى هذا تنبيه على أن أمور الدنيا غير مقصودة لذواتها ، وإنما
المراد منها ما يصلح أن يكون زادا يوم المعاد . ولما^٥ تقرر ذلك وتم
١٥ على هذا السبيل الأحكم والمنهاج الآقوم ، كان علة لمضمون قوله :
﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ الآيتين ، فكاتنا نتيجته ، لأنه إذا علم أن الأمر كله له
ولا أثر لقلة ولا كثرة أثمر لمن هو فى أدنى درجات الإيمان فضلا عن
غيره قلة المبالاة بالظالمين وإن تجاوزت قواهم الحد ، وزادوا كثرة على

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يراجع (٤) فى ظ : غيره (٥) زيد
فى ظ : كان .

العد ، و الآيتان تذكراهم^١ بحالتهم التي أوجبت نصرهم ليلزموها في كل معترك ولا يتنازعا كما تنازعا^٢ في المغنم ﴿إذا لقيتم﴾ أى قاتلتم لأن اللقاء اسم للقتال غالب ﴿فته﴾ أى [طائفة - ^٢] مستحقة للقتال [كما أغنى عن وصفها بذلك وصفهم بالإيمان - ^٢] ﴿فأثبتوا﴾ أى فى لقائنا بقاتلها كما ثبتتم فى بدر ولا تحذثوا أنفسكم بفرار ﴿واذكروا الله﴾ أى ه الذى له كل كمال فكل شىء يطلب فهو عنده يوجد ﴿كثيرا﴾ أى كما صنعتهم ثم ، لأن ذلك أمانة الصدق فى الاعتماد عليه وحده ، وذلك موجب للنصر لا محالة كما فى الحديث القدسى وإن عندى كل عبيدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه . .

و لما أمر بذلك ، علله بأداة الترجى ، ليكون أدل على أنه سبحانه ١٠ لا يجب عليه شىء فيكون أثبت للإيمان فقال : ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى لتكونوا على رجاء من الفلاح وهو الظفر بالمراد من النصر والاجر وكما كنتم إذ ذاك ﴿واطيعوا الله﴾ أى الذى له الغنى المطلق فلا يقبل إلا الخالص والكمال الاكمل فلا يفعل [إلا - ^٢] ما يريد ﴿ورسوله﴾ أى فى الإقدام والإحجام لجهلكم بالعواقب ، وتلك الطاعة أمانة إخلاصكم ١٥ فى الذكر ﴿ولا تنازعوا﴾ بأن يريد كل واحد نزع ما لصاحبه من رأى وغيره وإثبات ما له ، وأشار إلى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة فقال : ﴿فتفشلوا﴾ أى تضعفوا ؛ قال فى القاموس : فشل كفرح ، (١) فى ظ : تذكراهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : يتنازعوا (٣) زيد من ظ . (٤) فى ظ : وهو .

فهو فشل : كسل وضعف وتراخى وجبن - انتهى . والمادة راجعة إلى الفيشلة وهي الحشفة ، ومن لازمها الرخاوة وينشأ عن الرخاوة الجبن مع الصلف والخفة والطيش .

/ ٤٣٥

ولما كان الفشل ربما كان معه / الظفر لفشل في العدو أكثر منه
 ٥ أو غير ذلك ، عطف ما يلزمه غالبا بالواو دون تنفاه فقال : ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ أي غلبتكم وقوتكم ، وأصله أن الريح إذا كانت في الحرب من جهة صف كانت في وجوه أعدائهم فمغتتهم بما يريدون فخذلوا فصارت كأنها قوة من أتت من عنده ، فصارت يكتن بها عنها ؛ ثم ختم هذه الأسباب بالجامع لشمليها الناظم^٢ لمقاصد أهلها فقال : ﴿ واصبروا^٣ ﴾
 ١٠ أي على ما يكون من تلك المشاق فانكم إن تكونوا تألمون فان أعداءكم كذلك ، وأتم ترجون من الله ما لا يرجون ؛ ثم علله بما يكون عنه النصر في الحقيقة فقال : ﴿ ان الله ﴾ أي المحيط بصفات الكمال ﴿ مع الصبرين ﴾ أي لأنهم لا يصبرون إلا اعتمادا عليه ، ومن كان معه عز ، وهذه الجملة جمع فيها - كما قال الإمام شمس الدين محمد بن قيم
 ١٥ الجوزية في آخر كتاب الفروسية المحمدية - تدير الحروب أحسن جمع على أتم وجه ، فأمر فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت قط في قبة إلا انتصرت وإن قلت في جنب عدوها ، وخامسها ملاك ذلك وقوامه وأساسه وهو الصبر ، فعلى هذه الدعائم الخمس تبقى قبة النصر ، ومتى زالت
 (١) في ظ : الرخاوة (٢) في ظ : يذهب. وهذه أيضا قراءة (٣) في ظ : الناظر .
 (٤) من ظ ، وفي الأصل : كتب .

أو بعضها زال من النصر بحسبه ، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضا
 وصار لها أثر عظيم ، لما اجتمعت في الصحابة رضى الله عنهم لم تقم لهم
 أمة من الأمم ، ففتحوا البلاد شرقا وغربا ودانت لهم العباد سلما
 وحربا ، ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الأمر قليلا قليلا إلى
 ما ترى - فلا قوة إلا بالله ، والجامع لذلك كله طاعة الله ورسوله فانها هـ
 موجبة لتأييد المطيع بقوة من هو في طاعته ، وذلك 'سر قول أبي الدرداء
 رضى الله عنه الذى رواه البخارى فى باب 'عمل صالح قبل القتال' :
 إنما تقاتلون الناس بأعمالكم ؛ وهو شرع قديم ، قال فى أثناء السفر
 الخامس من التوراة : [إن - ٢] أنتم سمعتم قول الله ربكم وتحفظتم^٢
 وعلمتم بكل هذه الوصية التى آمركم^٣ بها اليوم يبارك عليكم^٤ الله ربكم كما ١٠
 قال لكم^٥ ، و^٦ ترزقون إن تقرضوا شعوبا كثيرة^٧ ولا تقرضون ،
 وتسلطون على شعوب كثيرة ولا يتسلطون عليكم .

ولما ذكرهم سبحانه ما أوجب نصرهم أمرا لهم بالثبات عليه ، ذكر لهم
 حال أعدائهم الذى أوجب قهرهم ناهيا عنه تعريضا بحال المنازعة فى
 الأنفال وأنها حال من يريد الدنيا ، ويوشك - إن تبادت - أن نجر إلى مثل ١٥
 حال هؤلاء الذين محط نظرهم الدنيا فقال : ﴿ ولا تكونوا ﴾ أى يا معشر

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : من قوله صلى الله عليه وسلم (٢) زيد من ظ .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : تحفظكم (٤) فى ظ : امرهم (٥) تأخروا فى الأصل عن

« الله » والترتيب من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : او (٨) فى

ظ : كثيرا .

المؤمنين ﴿ كالذين ﴾ و صور قبج عملهم من أوله إلى آخره فقال :
 ﴿ خرجوا من ديارهم ﴾ أى كل واحد من داره وهم أهل مكة ، و كل
 من عمل مثل عملهم كان مثلهم ، و لذا عبر بالوصف ايعم ﴿ بطرا ﴾ أى
 طغيانا و تكبرا على الحق ، و مادة بطر- بأتى ترتيب انفق - تدور على
 ٥ اللين المقابل للعمل حتى ربط ، فانه لو لا الضعف ما استوثق من المربوط ،
 و منه بطر الجرح - وهو شقه - و البيطار ، و تارة يكون ذلك اللين عن
 دهش ، و منه أبطرت حله أى أدهشته عنه ، و ذهب دمه بطرا أى
 باطلا للضعف عنه للحيرة فى الأمر^٢ الموصل إليه ، و تارة يكون^٣ عن
 مجاوزة الحد فى الصلابة ، و منه بطر النعمة - إذالم يشكرها فتجاوز الحد
 ١٠ فى المرح ، فان فاعل ذلك يمكنه الحكيم من مقاتله فيأخذه و هو يرجع
 الى عدم احتمال القوى للشكر ، ففاعل ذلك ضعيف و إن ظهر منه
 خلاف ذلك كما قال عمر رضى الله عنه : العدل و إن رضى لنا أ كف
 عن الظلم من الجور و إن رضى شديدا - أو كما قال رضى الله عنه . و أقرب
 من ذلك أن تكون المادة دائرة / على الخلطة^٤ النافلة من حال
 ١٥ إلى حال .

و لما ذكر الحامل لهم على الخروج من أنفسهم ، ذكر ما أوجبه
 [لهم -^٦] من غيرها فقال : ﴿ و رثاء الناس ﴾ أى خرجوا يرون الناس

(١) من ظ ، و فى الأصل : طعنا (٢) من ظ ، و فى الأصل : بطرح (٣) فى ظ :

الأصل (٤) فى ظ : تكون (٥) من ظ ، و فى الأصل : الخليفة (٦) زيد من ظ .

خروجهم وما يتأثر عنه ليروهم ما يقولون^١ فيه ، فانهم لما قيل^٢ لهم :
 قد نبى الله غيركم فارجموا ، بطروا النعمة تبعاً لآبى جهل حيث قال^٣ : والله
 لا نرجع حتى نرد بدراً فنشرب الخمر وننحر الجزور و تعترف علينا القيان
 قسمع بنا العرب فلا تزال تهابنا أبداً ! فسقوا مكان الخمر كؤوس المنايا
 الحر ، وناحت عليهم نوائح الزمان مكان العزف والقيان .
 و لما ذكر نفس الخروج وما فيه من الفساد و ذكر ثمرته الخبيثة
 الناشئة عن ذنك الخلقين ، و عبر عنهما بالاسم إشارة إلى الثبات كما هو
 شأن الاخلاق ، و عن الثمرة بالمضارع تنبيهاً على أنهم لا يزالون يجدونها
 فقال : ﴿ ويصدون ﴾ أى يوجدون الصد وهو المنع لأنفسهم وغيرهم
 ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم فى ذلك الوجه وهم عازمون على ١٠
 تجديد ذلك فى كل وقت ، فلما كانت هذه مقاصدهم كان نسجهم لهللاً
 و بنيانهم واهياً ، فانها من عمل الشيطان ، وكل عمل لا يكون لله إذا صدم
 بما هو لله اضمحل ، بذلك سبحانه أجرى سنته و لن تجد لسنة تحويلاً ،
 فان العاملين عبيد الله ﴿ والله ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أن المحيط بكل
 شيء الذى عادوا^٤ أوليائه ﴿ بما ﴾ أو يكون ذلك معطوفاً على ما تقديره : ١٥
 فأبطل الله بجلاله و عظمت أعمالهم و هو بكل ما ﴿ يعملون محيطه ﴾ فهم
 فى قبضته ، فأوردتهم - إذ خرجوا يجادونه - بدراً فنحر مكان الجزور رقايم
 و سقام مكان الخمر كؤوس المنايا ، و أصاح عليهم مكان القيان صوائح
 [النوائح - ٦] ، ولعله قدم الجار إشارة إلى أنه لشدة إحاطته بأعمالهم كأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقولون (٢) فى ظ : فيه (٣) سقط من ظ (٤) فى

ظ : عادى (ه) فى ظ : الخمر (٦) زيد من ظ .

لا نظر له إلى غيرها فلا شاغل له عنها .

- و لما بين لهم فساد أعمالهم لفساد نياتهم تنفيرا منها ، زاد في التنفير بالإشارة إلى الأمر بدوام تذكرها بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال : ﴿ واذ ﴾ فعلم أن التقدير قطعا : اذكروا ذلك و اذكروا إذ ، و زاد في التنفير بذكر العدو المبين و التنبيه على أن كل ما يأمر به إنما هو خيال لا حقيقة ه
- له [كما - ١] كان ما سول لهم في ^٢ هذا الأمر فقال : ﴿ زين لهم الشيطان ﴾ أى العدو المحترق البعيد من الخير ﴿ أعمالهم ﴾ [التى أتقنوها بزعمهم في معاداة النبي صلى الله عليه و سلم - ١] ، و ذلك أنه تبدى لهم في صورة ^٣ سراقه بن مالك بن جعشم الكنانى حين خافوا من قومه بنى كنانة أن يخلفوهم ١٠ فى أهليهم بسوء لما كان بينهم مما يوجب ذلك ، فكاد ذلك أن يبطهم عن المسير ﴿ وقال ﴾ غارا لهم فى أنفسهم ﴿ لا غالب لكم ﴾ و الجار خبر 'لا' و إلا لا انتصب اسمها لكونه يكون إذ ذاك شيها بالضاف ﴿ اليوم من الناس ﴾ و غارا لهم فيمن خلفوه بقوله : ﴿ وانى جار لكم ج ﴾ من أن تخلفكم كنانة بشيء تكرهونه ، و سار معهم إلى بدر * ينشطهم ١٥ و * ينشدهم و يساطهم ^٦ بهذا القول الظاهر إلى [ما - ١] يوسوس لهم به فى الصدور ﴿ فلما ترآمت الفئتن ﴾ أى رأت كل فئة الأخرى و رأى جبريل عليه السلام فى ^٧ جنود الله ^٨ ﴿ نكص ﴾ أى رجع يمشى القهقرى و بطل كيد و آثار و سوسته ﴿ على عقبيه ﴾ أى إلى ورائه ^٩ ، فقالوا :
-
- (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اهله (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يشدهم و يسطهم (٧-٧) فى ظ : جنوده (٨) فى ظ : وراه .

أين أى 'سراق'؟ ولا يظنون^١ه إلا سراقه ، فر ولم يحبهم ولا عرج
 عليهم ﴿ وقال ﴾ أى بلسان الحال أو القال وهم يسمعون أو لا يسمعون
 ﴿ انى برىء منكم ﴾ ثم علل براءته منهم بقوله : ﴿ انى ارى ﴾ أى
 بعين بصرى ﴿ ما لا ترون ﴾ أى من الملائكة والغضب الذى هو^٢ نازل بكم ،
 فقال له الحارث بن هشام وكانت يده فى يده : ^٣ والله ما نرى إلا جواسيس ه
 يثرب ! فاستأنف قوله مؤكدا لإنكارهم لذلك : ﴿ انى اخاف الله ^٤ ﴾ أى
 المحيط بكل شىء قدرة وعلما أن يهلكنى معكم بالمعاجلة بالعقاب ﴿ والله ﴾
 أى الملك الأعظم ﴿ شديد العقاب ^٥ ﴾ فكانوا يقولون : انهزم / بنا
 سراقه ، فقال : بلغنى أنكم تقولون كذا ! والله ما علمت بمسيركم هذا^٦
 إلا عند ما بلغنى انهزامكم فكانوا يكذبونه حتى أسلموا فعلبوا أن الذى ١٠
 غرم الشيطان ، وذلك مشهور فى السير ، وهو أولى من أن يحمل على
 مجرد الوسوسة ، وفى الحديث « ما رأت إبليس يوما أصغر ولا أحقر
 ولا أغيب من يوم عرقة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رأت يوم بدر » .
 ولما استوفى ما كان يقطع به^٧ فى حق أولئك بما هو من أنفسهم
 وما هو من تزوين الشيطان ، أبدل منه ما كان يقطع به^٨ فى حقهم هم ١٥
 من أهل الجهل بالله وبأيامه الماضية وآثاره عند أوليائه وأعدائه فقال :
 ﴿ اذ يقول المنفقون ﴾ أى من العرب وبنى إسرائيل قولاً يحدونه كل
 وقت لما لهم فيه من الرغبة ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى من
 (١) فى ظ : ابى (٢) - قط من ظ (٣-٢) - قط ما بين الرقين من ظ (٤) من
 ظ وموطا الإمام مالك - جامع الحج ، وفى الأصل : يرى .

لم يرسخ الإيمان في قلبه ممن آمن ولم يهاجر أو من اليهود المصارحين بالكفر حين يرون الكفار وقوتهم وكثرتهم والمؤمنين وضعفهم وقتلهم ﴿ غَرْهَوْا ﴾ مشيرين إليكم ﴿ دينهم ﴾ أى فى إقدامهم على ما يقطع فيه بهلاكهم ظنا منهم أن الله ناصرهم وهم ثلاثمائة و بضعة عشر إلى ٥ زهاء ألف ملوك العرب ، فيغيظكم ذلك ، فكذبهم الله وصدق أمرهم بتوكلكم عليه وصبركم على دينكم ﴿ ومن ﴾ أى قالوا ذلك عالمين بأنكم متوكلون على من تدينون له والحال أنه من ﴿ يتوكل على الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ، فهو يفعل ما يشاء منكم ومن غيركم بشرطه من الإيمان والسعى فى الطاعة كما فعلتم فانه معز ومكرم .

١٠ ولما كان سبحانه محيطا بكل صفة كمال على الإطلاق من غير قيد توكل ولا غيره ، أظهر تعالى فقال عاطفا على ما تقديره : فان الله قادر على نصره : ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ عزيز ﴾ أى غالب لكل من يغالبه فهو جدير بنصره ﴿ حكيم ﴾ أى متقن لأفعاله فهو حقيق بأن يأخذ عدو المتوكل عليه من الموضع الذى لا ينفعه فيه حيلة .

١٥ ولما ذكر ما سرهم من حال أعدائهم المجاهرين والمسايرين فى الدنيا مرصعا ذلك بجواهر الحكم و بدائع الكلم [التى - ٤] بملازماتها تكون السعادة وبالإخلال بها تحل الشقاوة ، أتبعه ما يسرهم من حال أعدائهم عند الموت وبعده ، فقال مخاطبا لمن لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا ، حاديا بتخصيصه بالخطاب كل سامع على قوة اليقين ليؤهل لمثل هذا الخطاب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : متوكلين (٣) من ظ ، وفى الأصل : شرط .

(٤) زيد من ظ .

حكاية لحالهم في ذلك^١ الوقت ﴿ ولو ﴾ أى يقولون ذلك والحال أنك ﴿ لو ترى ﴾ يا أعلى^٢ الخلق ﴿ اذ يتوفى ﴾ أى يستوفى إخراج نفوس ﴿ الذين كفروا ﴾ أى من هؤلاء القائلين و من غيرهم من قتلتموهم بيد من غيرهم بعد ذلك وقبله ﴿ المأسكة ﴾ أى جنودنا الذين^٣ وكنام بهم حال كونهم ﴿ يضربون ﴾ .

- ولما كان ضرب الوجه والدبر أدل ما يكون على الذل والحزى ، قال :
 ﴿ وجوههم و ادبارهم ﴾ أى أعلى أجسامهم و أدناها فغيره^٤ أولى ﴿ و ﴾ حال كونهم يقولون لهم : ذوقوا ما كنتم به تكذبون ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ﴾ .
 أى لرأيتم منظرا هائلا و أمرا فظيحا ، فسرکم ذلك غاية السرور ، و ما أثر كلامهم فى غيظكم ، فانهم يعلون حينئذ من الذى غره دينه و ' لو ' ١٠
 وإن كانت تقلب المضارع^٥ ماضيا فلا يخلو التعبير بالمضارع^٥ فى حيزها من فائدة ، وهى ما ذكر من الإشارة إلى أن هذا لا يخص ميتا منهم دون ميت ، بل لافرق بين متقدمهم و متأخرهم ، من مات بيد أو غيرها ، وليس فى الكلام ما يقتضى أن يكون القائلون^٦ " غر هؤلاء [دينهم -^٧] " حضروا بدرا ، بل الظاهر أن قائله كانوا بالمدينة و تعبيرهم بـ " هؤلاء " ١٥
 التى هى أداة القرب للتحقير و استهال أخذهم كما أن أداة البعد تستعمل للتعظيم يبعد الرتبة ، و على مثل هذا يتنزل^٨ قول فرعون بعد أن سار
 (١) فى ظ : ذلك (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 نغير (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : القائلين .
 (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) فى ظ : ينزل .

بنو إسرائيل زمانا / أقله ليلة و بعض يوم كما حكاه الله عنهم^١ " أن هؤلاء
لشرذمة قليلون^٢ " على أن البغوى قد نقل في تفسير قوله تعالى " يرونها
مثلهم رأى العين^٣ " أن جماعة من اليهود حضروا قتال بدر لينظروا على
من تكون^٤ الدائرة . وإذا تأملت هذا مع قوله تعالى " كذاب
ال فرعون " علمت أن جل المقصود من هذه الآيات إلى قوله " ذلك
بانهم قوم لا يفقهون " اليهود ، وفي تعبيره بـ " لا يفقهون " تبكيت شديد
لهم كما قال تعالى في آية الحشر " لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون^٥ " .

و لما عذبوهم قولا و فعلا ، عللوا لهم ذلك بقولهم^٦ زيادة في تأسيهم :

١٠ ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الفعل العظيم الذى يفعله^٧ بكم من العذاب الاليم
﴿ بما قدمت ايديكم ﴾ أى من الجراءة على الله ﴿ وان ﴾ أى و بسبب
أن له أن يفعل ذلك و إن لم تقدموا شيئا فان ﴿ الله ﴾ أى الذى له
صفات الكمال ﴿ ليس بظلام ﴾ أى بنى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ فان ملكه
لهم تام ، و المالك التام المملك على ما يملكه المليك الذى لا شئ يخرج عن
١٥ دائرة ملكه ، و هو^٨ الذى جبلكم هذه الجبلتة الشريرة التى تأثرت عنها هذه
الأفعال القبيحة ، و هو لا يستل عما يفعل ، من الذى يسأله ! و يجوز أن
يكون المعنى : و ليس بنى ظلم لانه لا يترك الظالم يبغي على المظلوم من

(١) من ظ ، و فى الأصل : عنه (٢) سورة ٢٦ آية ٥٤ (٣) آية ٢ سورة ١٣ .

(٤) من معالم التنزيل - راجع الخازن ١ / ٢٧٣ ، و فى الأصل و ظ : يكون .

(٥) آية ١٣ (٦) من ظ ، و فى الأصل : قوله (٧) فى ظ : نفعله (٨) سقط من

ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هذا .

غير جزاء لكم على ظلمكم لأهل طاعته ، [و سياتى فى 'فصلت' حكمة التعبير بصيغة تحتمل المبالغة - '] .

ولما بين بما مضى ما يوجب الاجتماع عليه و الرجوع فى كل أمر إليه ، و بين أن من خالف ذلك هلك كائنا من كان ؛ أتبعه بما بين أن هذا من العموم و الاطراد بحيث لا يخص زمانا دون زمان و لا مكانا ه سوى^٢ مكان فقال تعالى : ﴿ كذاب ﴾ أى عادة هؤلاء الكفار و شأنهم الذى دأبوا فيه و داوموا و واظبوا فمرنوا^٣ عليه كعادة ﴿ آل فرعون ﴾ أى الذين هؤلاء اليهود من أعلم الناس بأحوالهم ﴿ و الذين ﴾ و لما كان المهلكون لأجل تكذيب الرسل بعض أهل الزمان الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ و هو مع ذلك من أدلة " فلم تقتلوهم " لأن هؤلاء ١٠ الذين أشار إليهم كان هلاكهم بغير قتال^٤ ، بل بعضهم بالريح و بعضهم بالصيحة و بعضهم بالغرق و بعضهم بالحسف الذى هو غرق فى الجامد ، فكأنه يقول : لا ينسب أحد لنفسه فعلا ، فانه لا فرق عندى فى إهلاك أعدائى بين أن يكون إهلاكهم بتسليط من قتال أو غيره ، الكل بفعل ، لو لا أنا ما وقع ، و ذلك^٥ زاجر عظيم لمن افتخر بقتل من قتله الله على ١٥ يده^٦ ، أو نازع فى النفل ، و هو راجع إلى قوله تعالى " لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " و فى ذلك حث على التمرن على عدم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : دون (٣) فى ظ : فمروا (٤) من ظ ، وفى الأصل : الذى (٥) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٦) فى ظ : هو (٧) فى ظ : يديه .

(٨) سورة ٥٧ آية ٢٣ .

الاكثر اث بشىء يكون للنفس فيه أدنى حظ ليصير ذلك خلقا كما هو دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يضيف شيئا من محاسنه إلا إلى خالقه إلا إنه كان مأمورا فيه بالتشريع ، بل يقول : قتلهم الله ، صرفهم الله ، نصرنا الله ، كفى الله ، فاذا صار ذلك للمستمسكين به خلقا أفضى بهم إلى مدح الخالق ٥ [و - ١] المخلوق لهم كما قال كعب بن زهير رضى الله عنه^٢ فى مدحهم :

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوما^٣ وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

ثم بين تعالى الحال الذى شابهوا فيه من قبلهم بقوله : ﴿ كفروا بإيت الله ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه أنوار عقولهم من دلالات الملك الأعلى و غطوها لأنهم لم يعملوا بها و صدوا عن ذلك من تبعهم ، فكان جزاؤهم ما تسبب عن ذلك من قوله : ﴿ فاخذم الله ﴾ أى الذى له مجامع الكبر و معاهد العظمة و المزم أخذ غلبة و قهر و عقوبة ﴿ بذنوبهم^٤ ﴾ كما أخذهم فانهم تجرأوا على رتبة الألوهية التى تحسأ دون شوايحها / نوافذ الأبصار ، و تظلم عند بوارق أشعتها سواطع الأنوار ، و تضمحل بالبعد عن أول مراقبها القوى ، و تنقطع بتوهم الدنو من فيافيها الأعناق ، فنزلت بهم صواعق هيبتها ، و أناخت عليهم صروف عظمتها ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ١٥ و لا تحس إلا ملاعبهم^٥ و أما كنهم .

/ ٤٣٩

ولما أخبر بأخذهم ، علله بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿ قوى ﴾ أى يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء ﴿ شديد العقاب^٥ ﴾ .
ولما كان كأنه قيل : فإله يمهلهم و لا يعاجلهم بالأخذ قبل النكابة

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عنهم (٣) من ديوان كعب ، وفى الأصل و ظ : يوما (٤) من ظ ، وفى الأصل : مل - كذا .

في أوليائه وأهل وده وأصفيائه؟ قال: ﴿ ذلك ﴾ أى الأخذ على هذه الحالة ﴿ بأن الله ﴾ أى بسبب أنهم غيروا ما في أنفسهم ، وقد كان له سبحانه أن يأخذهم قبل أن يغيروا^١ اعلمه بما في ضمائرهم ، ولكنه تعالى أجرى سنته الإلهية لتأمام علمه وكمال قدرته وإحاطته بجميع صفات الكمال بأنه ﴿ لم يك ﴾ هكذا كان الأصل ، ولكن حذف اختصارا تقريبا لبيان هـ تعميم العلة^٢ وإبعادا للسامع من مثل ذلك ، وحذف نون 'يكن' إرشادا إلى أن هذه الموعظة خليفة بأن يوجز بها غاية الإيجاز فيأدر إلى إلقتها لما في حسن تلقيها من عظيم المنفعة ، لأن من خالفها جدير بتعجيل الانتقام ﴿ مغيرا نعمة ﴾ أى قلت أو جلت ، وبين أنه لا نعمة على أحد إلا منه فقال: ﴿ انعمها على قوم ﴾ أى من أى طائفة كانوا ﴿ حتى يغيروا ﴾ أى ١٠ يدلوا ﴿ ما ﴾ يعتقدونه ﴿ بانفسهم^٣ ﴾ بغيره مما هو غريزة لهم وهو حفي عنهم ، يظنون اتصافهم بضده مما هو ظاهر لهم اتصافا غريزيا^٤ ﴿ وان ﴾ أى وبسبب أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الكمال [كله - ^٥] ﴿ سمح ﴾ أى لما يكذبون به الرسل^٦ ولاقواهم: إن ما يظهرونه وصفهم الحقيقي ﴿ علم^٧ ﴾ أى بما^٨ تكن ضمائرهم من غيره وإن جهلوه هم فيبتليهم ببلاء يظهر به ذلك ١٥ المكنون ويبرز [به - ^٩] كل سر مصون ، فإذا تعلق به العلم ظاهرا^{١٠} علق به الحكم قاهرا لتأمام قيام الحجة ، ولتأمام علمه بجاهلهم أمهلهم ، وإنما يستعجل من يخاف أن تخيب فراسته أو يتغير علمه ، وأما الذى علمه

(١) في ظ : يعتبروا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : غيروا (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : الرسول (٦) زيد في ظ : لم (٧) في ظ : ظاهر .

بالظواهر^١ والضمار على حد سواء فالخالتان عنده بيان، فهو يميل لإتمام الحكمة ولا يهمل من استحق النعمة، وذلك التغير الذى أظهره البلاء هو التكذيب باخق عنادا والبعد عما كانوا يدعونه من العدل والمشى على مناهيج العقل والاستحياء من العناد، والتزهد من طرق انفساد، هكذا كانت كل أمة

٥ أرسلت إليها الرسل تدعى وما عندها من خلاف^٢ ذلك مستور في ضمائرها مكنون في سرورها، لاتعلمه كما تشاهد أكثر من تعاشره، يظن في نفسه ما ليس فيها. وعند الامتحان يكذبه العيان. فلما جاءتهم الرسل وأوضحوا لهم الامر إيضاحا^٣ ليس معه لبس فكذبوهم، غيروا ما كان في نفوسهم مما كانوا يزعمون؛ ثم كرر قوله - : ﴿ كذاب ال فرعون لا ﴾ أى فرعون وقومه فانهم أتباعه فلا يخيل^٤ أنهم يفعلون شيئا إلا وهو قائدهم فيه ﴿ والذين من قبلهم^٥ ﴾ - لدقيقة، وهى أنه قد تقدم أنه [ما -^٦] من أمة إلا ابتليت بالضراء والسراء، فالأولى ينظر إليها مقام الإلهية الناظر إلى العظمة والكبرياء والقهر والانتقام، والثانية ثمرة مقام الربوبية الناشئ عنه التودد والرحمة والرافة والإكرام، ولذا عبر في الأولى باسم الذات

١٥ الجامع لجميع الصفات الذى لفظه - عذ من يقول باشتقاقه - موضوع لمعنى الإلهية إشارة إلى أنهم أعرضوا في حال الضراء عن التصديق وعاملوا بالتجلد والإصرار، ولذا عبر في هذه الثانية باسم الرب فقال : ﴿ كذبوا ﴾ أى

(١) من ظ، و في الأصل : بالظاهر (٢) زيدت الواو بعده في ظ، ولم تكن في الأصل لحذفناها (٣) في ظ : ايضا (٤) سقط من ظ (هـ) في ظ : يتخيل . (-) زيد من ظ .

عنادا زيادة على تغطية ما دل عليه العقل بالتكذيب / بالنقل ﴿ بآيت ربهم ﴾ ٤٤٠ /
 فأشار بذلك إلى بطرهم بالنعم و تكذيبهم أنها بسبب دعاء الرسل .
 ولما أشار بالتعبير به إلى أنه غرهم معاملته بالعطف والإحسان ،
 قال : ﴿ فاهلككنهم ﴾ أى جميعا ﴿ بذنوبهم و اغرقآ ﴾ فأتى بنون العظمة^١
 إشارة إلى أنه أتاها بما أنساهم^٢ ذلك التبر ﴿ آل فرعون ج ﴾ و إشارة إلى ٥
 أنهم نسوا أن الرب كما أنه يتصف بالرحمة فلا بد أن يتصف بالعظمة
 والنعمة وإلا لم تتم ربوبيته ، وهذا واضح مما تقدم فى الاعراف عن
 التوراة فى شرح " فارسلنا عليهم الطوفان^٣ " - إلى آخرها ، من أن فرعون
 كان يسأل^٤ موسى عليه السلام عند كل نازلة الدعاء برفعها معتلا بأن
 الرب ذو حلم وأناة [و - ٦] رحمة ، وقدم الأولى إشارة إلى أنهم بلغوا ١٠
 الغاية فى الجرأة ، والتعبير فيها بـ " كفروا " يؤيد لذلك ، أى أن مجرد
 الستر للآيات بالإعراض عنها كافٍ فى إيجاب الانتقام ولو لم يصرح
 بتكذيب لعظم المقام ، ومادة كفر - بأى ترتيبه كان^٥ - تدور على الخلطة
 المميلة المحيلة ، وبخصوص هذا الترتيب تدور على الستر ، أى غطوا^٦ التصديق
 بآيات ربهم ، ويجوز - وهو الاحسن - أن يكون دورانها - مطلقا ١٥
 لا بقيد ترتيب - على الفكر^٧ ، وهو إرسال عين البصيرة فى طلب أمر ويلزمه

(١) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) فى ظ : نساهم .

(٣) سقط من ظ (٤) آية ٣٣ (٥) من ظ ، وفى الأصل : يرسل (٦) زيد من ظ .

(٧) من ظ ، وفى الأصل : كانت (٨) فى ظ : غلطوا (٩) من ظ ، وفى

الأصل : الكفر .

الكشف و الستر، لأنه تارة يرفع أذيال الشبه ' عن ذلك الأمر فينجلى
و يتحقق ، و تارة يسلط قواطع الأدلة عليه فينعدم و يتمحق ، و ربما أرخى
أذيال الشبه ' عليه فأخفى بعد أن كان جلياً كما كان شمرها عنه فألقى و قد
كان خفياً .

٥ و لما أخبر سبحانه بهلاكهم ، أخبر بالوصف الجامع لهم بالهلاك
فقال : ﴿ و كل ﴾ أى من هؤلاء و من تقدمهم من آل فرعون و من
قبلهم ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعاً ﴿ ظلمين ﴾ أى ^٢ لأنفسهم و غيرهم
واضعين الآيات فى غير مواضعها و هم يظنون بأنفسهم العدل ؛ ثم علل
اتصافهم بالظلم أو استأنف بياناً له بقوله : ﴿ ان شر الدواب ﴾ أى ظلوا
١٠ لأنهم كفروا بإيات ربهم الذى تفرد بالإحسان إليهم و شر الدواب
﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم ^٢ الحكم العدل الذى له الأمر كله و فى عليه
﴿ الذين كفروا ﴾ أى منهم و من غيرهم ، أى حكم عليهم بلزوم الكفر
لما ركب فيهم من فساد الأمزجة لعدم الملاءمة للخير ، فكانوا بذلك
قد نزلوا عن رتبة الإنسان إلى رتبة مطلق الحيوان ، ثم إلى دركة الحشرات
١٥ و الديدان بل الجعلان ، لأن شر الناس الكفار ، و شر الكفار المضرون
منهم ، و شر المصرين الناكثون للعهود ﴿ فهم ﴾ أى بسبب ذلك
﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد منهم إيمان يستمرون عليه لما سبق من
علم الله فيهم ، فلم ينتفعوا بما أتاهم من صفة الربوبية فحققتهم صفة الإلهية ،
١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى
الأصل : حكه .

ولعله إنما خص آل فرعون تذكيرا - لأكثر من كان يقول " غر هؤلاء دينهم "، وهم اليهود - بأنهم كانوا بالنسبة إلى فرعون وآله أضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى قريش و أتباعهم، فان اليهود مع قتلهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل أعظم، ومع ذلك فانهم نصرروا عليهم^١ لما كان الله معهم، وإعلاما لهم بأنهم الآن كآل فرعون في العناد مع ما هم فيه من القلة والذلة، فقد جمعوا من كل قوم أخس صفاتهم وأردأ حالاتهم، ولذلك أبدل من عموم " الذين كفروا " : (الذين عاهدت منهم) وهم اليهود بلا شك، إما بنو قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع، فكل^٢ منهم نقض ما كان أخذ عليه صلى الله عليه وسلم من العهود، وأخلف ما كان أكده^٣ من الوعود .

ولما كان العهد جديرا^٤ بالوفاء ولا سيما من العلماء، عبر بقوله : (ثم ينقضون عهدهم) أى يحددون نقضه كلما لاح لهم خلب برق أو زور بطل يغير في وجه / الحق ؛ ثم عظم الشناعة عليهم بقوله : (في كل مرة) ٤٤١ / ثم نبه على رضاهم من^٥ رتبة الشرف العلية القدر وهدية^٦ السفه و السرف^٧ ١٥ بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله : (وهم لا يتقون هـ) أى الناس في الذم لهم على ذلك ولا الله في الدنيا بأن يمكن منهم، ولا في الآخرة بأن ينجزيهم ثم يركسهم بعد المناداة بالعار في النار .

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : فكل (٣) في ظ : جدير (٤) من ظ ، وفي الأصل : في (هـ - هـ) في ظ : السرف والسفه .

ولما آياسه^١ من تقواهم بما اشتملوا عليه من تكرير النقص الناشئ
 عن^٢ غاية الحسد و صلاحة الرقاب و قساوة القلوب و القساوة على الكفر ،
 أمره بما يؤمن قواهم و يحل عراهم من إلباس اليأس بانزال اليأس كما جرت
 عادته سبحانه أنه يوصيه^٣ بالرفق ببعض الناس لعله أن عمله يزكو لبنائه
 ٥ على أحسن^٤ أساس ، فقال مؤكدا لأجل ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم
 من محبة الرفق : ((فاما تثقفنهم)) أى تصادقنهم و تظفرن بهم ((فى الحرب))
 أى التى من شأنها أن يحرب فيها المبطل ، ويربح ويرحب^٥ المحق المجمل^٦
 ((فشرد بهم من خلفهم)) أى فتكل بهم تنكيلا يصدع و يفرق عن محاربتك
 من وراءهم^٧ ممن هو على مثل رأيهم^٨ فى المنافرة لك و لا تركنهم أصلا لأن
 ١٠ أتباعك أمهر منهم و أحذق ، فهم لذلك أثبت و أمكن ، فاذا أوقعت بهم^٩
 ذلك لم يحسر^{١٠} عليك أحد بعده اتعاظا^{١١} بهم و اعتبارا بحالهم ؛ و مادة شرد
 بكل ترتيب تدور على النفوذ ، فان كان على قصد و سنن فهو رشد
 و يلزمه الاجتماع ، و إن كان على غير سنن و جامع استقامة فهو شرد ،
 و درشة ، أى لجاجة^{١٢} و يلزمه التفرق ؛ قال ابن فارس : شرد البعير
 ١٥ شرودا و شردت به تشريدا ، فأما قوله ” فشرد بهم “ فالمراد نكل بهم

(١) من ظ : وفى الأصل : سه - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : فى (٣) من
 ظ ، وفى الأصل : يرضيه (٤) من ظ ، وفى الأصل : احق (٥) فى ظ : برحت .
 (٦) فى ظ : الجميل (٧ - ٧) سقط ما بين الرقبن من ظ (٨) سقط من ظ .
 (٩) من ظ ، وفى الأصل : لم يحسر (١٠) فى ظ : انفظاظا (١١) من القاموس ،
 وفى الأصل و ظ : حاجة .

و سَمِعَ ، قال القزاز : شردت الرجل تشريدا - إذا طردته ، و شردت به - إذا سَمَعَتْ به و ذكرت عيوبه للناس ، و قوله تعالى ” فشردهم ” أى اجعلهم مطردين - انتهى . فالمراد المبالغة فى الإيقاع بهم لأنهم إذا ضربوا ضربة تفرقوا فيها على غير وجه ولا انتظام علم من شردوا إليه بمن وراءهم أنه قد تنهى بهم الذعر فذعر هو فوق ’ فى الشرود ’ قوة أو فعلا ، فعلى ه قراءة من جعل ’ من ’ حرف جر يكون المفعول محذوفا ، و التقدير : أوقع - بما تفعل ’ بهؤلاء من الأمور الهائلة - التشريد فى المكان الذى خلفهم بشرود من فيه قوة أو فعلا بما سمعوا أو رأوا من حال هؤلاء حين واجهوك للقتال ، و على قراءة من جعلها اسما موصولا تكون هى المفعول ، فالمعنى : شرد الذين خلفهم من ’ أما كنهم إما بالفعل أو بالقوة ١٠ بأن تفرق قلوبهم بما تفعل بهؤلاء فتصير ’ - بما ترى من قبيح حالهم - قابلة للشرود ، و يكون اختلاف المعنى بالتبويض فى جعل ’ من ’ حرف جر و التعميم فى جعلها موصولا بالنظر إلى القوة أو الفعل .

ولما ذكر الحكم ، ذكر ثمرته بأداة الترجى إدارة له على الرجاء فقال :

(لعلهم) أى المشردين و المشرد بهم (يذكرون ه) ما سبق من ١٥ أيام الله فعملوا أن هذه أفعاله ، و هؤلاء رجاله ، فينفعهم ذلك فلا ينقضوا عهدا بعده و لقد فعل بهم صلى الله عليه و سلم ’ ذلك فانهم إن كانوا بنى قريظة فقد ضربهم صلى الله عليه و سلم ’ ضربة لم يفلت منهم مخبر ، بل

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يفعل (٣) فى

ظ : ما (٤) فى ظ : عن (٥) فى ظ : تفسير (٦) فى ظ : لو .

ضرب أعناقهم في حفائر في سوق المدينة وكانوا نحو سبعمائة على دم واحد
 إلا من أسلم منهم وهم يسير ، و سبي ذراريهم و نساءهم و غنم أموالهم ، و إن
 كانوا فينتقاع فقد نزل بساحتهم بعد نقضهم و إظهارهم غاية الاستخفاف
 و العناد فلم يكتبهم الله أن جعلهم في قبضته و ما بقي إلا ضرب أعناقهم
 ٥ كما وقع لبني قريظة فسأله فيهم عبد الله بن أبي المنافق و ألح عليه صلى الله
 عليه و سلم في أمرهم و كان يألفه و يتألف به فتركهم له صلى الله عليه و سلم
 و أجلاهم من المدينة ، و كانت واقعتهم أول وقائع / اليهود بالمدينة ، و إن
 كانوا بنى النضير فقد نقضوا أيضا فأحاط بهم ، و متائم المنافقون الغرور
 فخذف الله الرعب في قلوبهم فسألوه صلى الله عليه و سلم أن يحليهم و يكف
 ١٠ عن دماءهم ففعل ، ثم أتم الله له الأمر فيهم في خير و وادى القرى
 و غيرها إلى أن لم يدع منهم في جزيرة العرب فريقا إلا ضربه بالذل و أجرى
 عليه الهوان و الصغار ، و وقائعه فيهم مشهورة الخبر معروفة في السير .
 و لما أمره بما يفعل بمن تحقق نقضه ، أرشده إلى ما يفعل بمن خاف
 غدره فقال : ﴿ و اما تخافن ﴾ و أكدته إشارة إلى ' ظهور القرآن و وضوح
 ١٥ الامارات ﴾ (من قوم) أى ذوى قوة ، بينك و بينهم عهد ﴿ خيانة ﴾
 أى فى ذلك العهد ﴿ فابذ ﴾ أى اطرح طرح مستهين محتقر ﴿ اليهم ﴾
 أى ذلك العهد نبذا كائنا ﴿ على سوءاً ^١ ﴾ أى أمر مستور فى العلم بزواله
 بينكم و بينهم و عدل و نصفه و لا تتاجزوه ^٢ و هم على توهم من بقاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يتاجزوه - كذا .

العهد ، وهذا^١ إشارة إلى أن يكونوا على غاية الحذر و الفحص عن^٢ أخبار العدو بحيث لا يتركونه إلى أن ينقض بل يعلمون ميله إلى النقض فينبذون إليه عهده لأن ذلك أرفع له^٣ ، فهو أدعى إلى السلم ؛ ثم علل جواز النبذ و وجوب النصفة بقوله : (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (لا يحب الخائنين) أى لا يفعل بهم فعل المحب لا منكم و لا من غيركم . ٥
ولما كان نبذ العهد مظنة الخوف من تكثير العدو و إيقاظه ، و كان الإيقاع أولى بالخوف ، أتبع سبحانه ذلك ما^٤ يجرى عليه و يسلى عن فوت من هرب من الكفار فى غزوة بدر فلم يقتل و لم يؤسر فقال : (ولا يحسن) بالياء غيا على قراءة ابن عامر و حمزة و حفص ، أى أحد^٥ من أتباعك [فى وقت - ٦] من الأوقات ، و وجه قراءة الباقيين ١٠ بالخطاب أن أمر الرئيس و نهيه أوقع فى نفوس الأتباع و أدعى لهم إلى السماع (الذين كفروا) أى عامة من نبذ و من لم ينبذ (سبقوا) أى وقع لهم سبق^٧ ، و هو الظفر فى وقت ما ، فانهم لم يفوتوا شيئا من أوامرنا^٨ ؛ ثم علل ذلك بقوله : (انهم لا يعجزون) أى [لا - ٩] يفوتون شيئا مما يزيد تسليطه عليهم ، أى لا يغرنك^{١٠} علوهم و كثرتهم ١٥ و جرى . كثير من الأمور على مرادهم فكل ذلك بتدبيرنا ، و لا يخرج

(١) فى ظ : هذه (٢) فى ظ : على (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بما (٥) فى الأصل و ظ : لا تحسن ، و إنما حولناه إلى الغيبة لا نسجامة مع ما يتلوه من التفسير .
(٦) فى ظ : احدى (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : سبق (٩) فى ظ : مرادنا (١٠) فى ظ : لا يعجزنك .

شئ عن مرادنا ، ولا بد أن نهلكهم فانهم في قبضتنا ، لم يخرجوا منها ولا يخرجون فضلا عن أن يفوتوها فاصبر .

ولما كان هذا ربما أدى إلى ترك المناصبة والمحاربة والمغالبة اعتمادا

على الوعد الصادق المؤبد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر مع نقص العدة والعدة ، أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها ،

وليتبين الصادق في دعوى الإيمان من غيره فقال : ﴿ واعدوا لهم ﴾

أى للأعداء ﴿ ما استطعتم ﴾ أى دخل في طاعتكم وكان بقوة جهدكم تحت

مقدوركم وطاقتكم ﴿ من قوة ﴾ أى قوة كانت ، وفسرها النبي صلى الله

عليه وسلم بالرمي إشارة إلى أنه أعظم عدده على نحو الحج عرفة^٢ ،

١٠ وفى أمرهم بقوله : ﴿ ومن رباط الخيل ﴾ إيماء إلى باب من الامتتان

بالنصر فى بدر لأنهم لم يكن معهم فيه غير فرسين ، والرباط هو الخيل

التي تربط فى سبيل الله الخمس منها فما فوقها ، وخصها مع دخولها فيما قبل

إشارة إلى عظيم غنائها ، والرباط أيضا ملازمة ثغر العدو وربط الخيل

به إعدادا للعدو ؛ ثم أجاب من كأنه قال : لم نفعل ذلك وما النصر

١٥ إلا بيدك ؟ بقوله : ﴿ ترهبون ﴾ أى تخوفون تخويفا عظيما باهرا يؤدى

إلى الهرب على ما أجريت من العوائد ﴿ به ﴾ أى بذلك الذى أمرتكم

به من المستطاع أو من الرباط ﴿ عدو الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها

لأنه الملك الأعلى ﴿ وعدوكم ﴾ أى المجاهدين ، والاليق بقوله - : ﴿ واخرين ﴾

أى وترهبون بذلك آخرين ﴿ من دونهم ﴾ - أن يحمل على المنافقين

(١) من ظ ، وفى الأصل : ليؤيد (٢) فى ظ : ليبين (٣) من ظ ، وفى الأصل :

عرله (٤) فى ظ : لانه .

لوصفهم بقوله : ﴿ لا تعلمونهم ج ﴾ كما قال تعالى " ومن / حولكم من
 ٤٤٣ / الاعراب منافقون ^١ و من اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم "
 ولأنهم لا يكونون دونهم إلا إذا لم يكونوا في العداوة مثلهم ^٢ ، و كل
 من فرض غير المنافقين مظهرون [للعداوة ، و أما المنافقون فانهم مدعون
 باظهار الإسلام أنهم - ^٣] أولياء ^٤ لا أعداء ^٥ ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ٥
 قدرة وعلما ﴿ يعلمهم ^٦ ﴾ أى فهو " يكفيكم ما " يظن من أمرهم ، و ليس عليكم
 إلا الجهد بحسب ما تعلمون ، و الآية بالنسبة إلى ما ^٧ تقدمها من باب
 " اعقلها و توكل ^٨ " و المعنى لا تظنوا أن الكفار فاتونا و أفلتوا من
 عذابنا بامتناعهم منكم ^٩ فانهم فى قبضتنا أينما توجهوا و حيثما حلوا فسوف
 نهلكهم ^{١٠} و لا يعجزوننا ، و مع ذلك فلا يحملنكم الاتكال على قوتنا ^{١١} على ١٠
 ترك أسباب مغالبتهم بما أعطيناكم من القوى بل ابدلوا جهدكم و طاقتكم
 فى إعداد مكاييد الحرب و ما يتعلق بالرعى من القوة و بالخيال من الطعن
 و الضرب و الفروسية لتلقى بذلك رعبكم فى قلوب عدوكم القريب و البعيد
 من تعلمونه منهم و من لا تعلمونه .

و لما كان أغلب معانى هذه الآية الإنفاق ، لأن مبنى إعداد القوة ١٥

(١) من ظ و القرآن الكريم - سورة ٩ آية ١٠١ ، وفى الأصل : منافقين (٢) فى ظ :
 منكم (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى الأصل : الاعداء ، وفى ظ : لا عداة (٥-٥) فى
 ظ : يكفهم بما (٦) سقط من ظ (٧) والحديث بتمامه وارد فى جامع الترمذى -
 القيامة (٨) فى ظ : منك (٩) فى ظ : يهلكهم (١٠) من ظ ، وفى الأصل : قربنا .

عليه^١، رغب فيه بقوله: ﴿وما تنفقوا من شيء﴾ أى من الأشياء وإن قل ﴿فى سبيل الله﴾ أى طريق من له صفات الكمال من الجهاد وغيره ﴿يوفى اليكم﴾ أى أجره كاملا فى الدنيا والآخرة أوفى ما يكون مضاعفا أحوج ما تكونون^٢ إليه ﴿واتم لا﴾ .

٥ ولما كان المخوف مطلق النقص، بنى للفعول قوله: ﴿تظلمون﴾ أى [لا -] تنقصون شيئا منه، وأما الزيادة فلا بد منها وهى على قدر النية .

ولما كان ضمان النصر والحلف^٣ فى النفقة موجبا لدوام المصادمة والبعد من المسألة، أتبعه قوله أمرا بالاقتصاد: ﴿وان جنحوا﴾ أى ١٠ مالوا وأقبلوا فى نشاط و طلب حازم ﴿للسلم﴾ أى المصالحة، والتعبير باللام دون 'إلى' لا يخلو عن إيماء إلى التهالك على ذلك ليتحقق صدق الميل ﴿فاجنح﴾ ولما كانت السلم مذكرا يجوز تأنيثه، قال: ﴿لها﴾ أى المصالحة، أو^٤ يكون تأنيثه بتأنيث ضده الحرب، وكأنه اختير التأنيث إشارة إلى أنه يقتصر فيه على أقل ما يمكن من المدة بحسب ١٥ الحاجة، هذا إذا كان الصلاح للمسلمين فى ذلك بأن يكون بهم ضعف، وأقصى مدة الجواز عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تجوز الزيادة .

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها.
(٣) من ظ، وفى الأصل: يكون (٤) زيد بعده فى ظ: لا (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ: الحلف (٧) فى ظ «و» .

و لما كان ذلك مظنة أن يقال : إنه قد عهد منهم^١ من الخداع ما أعلم
أنهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون معه فسألتهم خطر بغير نفع ، لوح
إلى ما يتأفى ذلك بقوله : ﴿ وتوكل على الله^٢ ﴾ أى الذى له مجامع
العظمة فيما تعهده من خداعهم فانه يكفيك أمره و يجعله سببا لدمارهم
كما وقع فى صلح الحديبية فان غدرهم فيه كان سبب الفتح ، وحرف ه
الاستعلاء فى هذا وأمثاله معلوم بأنه يفعل مع المتوكل فعل الحامل لما
وكل إليه الماطيق للحمل ؛ ثم علل الأمر بالتوكل الذى معناه عدم الخوف
من عاقبة أمرهم فى ذلك بقوله : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى
البالغ السميع ، فهو يسمع كل ما أبرموه فى ذلك وغيره سرا كما يسمعه
علانية ﴿ العليم ﴾ أى البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه^٣ كما أنه ١٠
يعلم ما أعلنوه^٤ ؛ ثم صرح بالاستهانة بكيدهم فقال : ﴿ وان يريدوا^٥ ﴾ أى
الكفار ﴿ ان يخذعوك ﴾ أى بما يوقعون من الصلح أو بغيره
﴿ فان حسبك ﴾ أى كافيك ﴿ الله^٦ ﴾ أى الذى له صفات العز كلها ، ثم علل
كفايته أو استأنف بيانها بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ايدك بنصره ﴾
أى^١ إذ كنت^٢ وحدك ﴿ وبالْمُؤْمِنِينَ^٣ ﴾ أى بعد ذلك فى هذه الغزوة ١٥
التي كانت العادة قاضية فيها بأن من معك لا يقومون للكفار فواق
ناقة ، ولعل هذا تذكير بما كان من الحال^٤ فى أول الإسلام ، أى إن الذى
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : منكم (٣) ظ : العالم (٤-٤) سقط
ما بين الرقین من ظ (٥) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : يروا (٦) من
ظ ، وفى الأصل : الال - كذا .

أرسلك مع وحدتك في مكة بين جميع الكفار / وغربتك فيهم - وإن كانوا
 بنى عمك - بسبب دعوتك إلى هذا الدين وعلوك عن^١ أحوالهم البهيمية
 إلى الأخلاق المملكية ، هو الذى قواك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدرُوا
 لك على أذى يردك عن الدعاء إلى الله مع نصب جميعهم لك وملتبعيك
 ٥ شباك الغدر و مدحهم إليكم أيدى الكيد ثم سلمكم من بين أظهرهم كما تسل
 الشعرة من العجين مع اجتهدهم في منعكم من ذلك ، وأيدكم بالانصار
 و جمع بين كلمتهم بعد شديد العداوة ﴿ والف بين قلوبهم^٢ ﴾ بعد غاية
 التباغض ، فصار البعيد منهم قريباً والبغض حبيباً والعدو صديقا ، وكانوا
 على قلب واحد ؛ ثم استأنف الإخبار بما دل على تعذر ألفتهم لو لا هو فقال :
 ١٠ ﴿ لو انفقت ﴾ أى وأنت أتقن الخلق لما تصنعه^٣ ﴿ ما فى الارض جميعا ﴾
 أى فى إرادة ذلك ﴿ ما ألفت بين قلوبهم ﴾ ثم أكد ذلك بقوله :
 ﴿ ولكن الله ﴾ أى وهو الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الف بينهم^٤ ﴾
 [ثم - ٢] علل [نفوذ - ٣] فعله^٥ وأمره فيه بقوله : ﴿ انه عزيز حكيم^٦ ﴾
 أى لأنه لو لا عزته التى تغلب كل شيء ولا يغلبها شيء وحكمته التى
 ١٥ يتقن بها ما أراد بحيث لا يمكن لأحد أن يغير شيئا منه لما تألفوا بعد
 أن كان قبل^٧ كل أحد من فريقهم للآخر أشهى من لذى الحياة وصافى
 العيش لما بينهم من الإحن التى لا تزال^٨ تثار فتغلى لها الصدور حتى
 تفور بقتل الأحباب من الوالدين والأولاد والقهر بأنواع الأذى مع

(١) فى ظ : على (٢) من ظ ، وفى الأصل : يصنعه (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط

ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا تقول .

المجاورة المتقتضية لدوام التحاسد و إثارة الضغائن . و كذا فعل سبحانه
بجميع العرب بعد ما كان بينهم من 'القتل المنتشر' مع ما لهم من الحماية
و الألفة الحاملة على الانتقام ، و الذى أمدك بهذه الألفاف حتى لا يموت
باق على ما كان عليه من القدرة و القوة ، فهو الكفيل بحراستك ممن
يريد خداعك . فاذا أمركم بأمر فامتثلوه غير مفكرين فى عاقبته ، فانه قد بينه ه
بعزته و أتقنه بحكمته و ستعلمون .

و لما صرح بأن الله كافيه^٢ ، وكانت كفاية^٣ الله للعبد أعظم المقاصد ،
التفتت الأنفس إلى أنه هل يكفيه مطلقا^٤ أو هو فعل^٥ مع المؤمنين أيضا
مثل ذلك ، فاتبعها بقوله معبرا بوصف النبوة الذى^٦ معناه الرفعة و الاطلاع
من جهة الله على ما لا يعلمه العباد ، لأنه فى سياق الإخبار ببعض الغيبات ١٠
و التصرف فى الملكوت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أى العالى القدر الذى نعلمه
بعواقب أموره ﴿ حسبك ﴾ أى كافيك ﴿ الله ﴾ أى الذى بيده كل
شئ ﴿ و من ﴾ أى مع من ﴿ اتبعك من المؤمنين ﴾ يجوز أن يكون
المعية من ضميره صلى الله عليه و سلم فيكون المؤمنون مكفين ، و أن يكون
من الجلالة فيكونوا كافين ، حتى يكون المعنى : فهو كافيهم أيضا و [هم - ٦] ١٥
كافوك لأنه معهم ، و ساق سبحانه هذا هكذا تطيبا لقلوبهم و جبرا لحواظهم
و بالمعنى الثانى - لتضمنه الأول و زيادته^٧ عليه - قال ابن زيد و الشعبي :

(١ - ١) فى ظ : القفل المنشر (٢) زیده بعده فى الأصل : يكفيه مطلقا وهو ،
و لم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٣) فى ظ : الكفاية (٤ - ٤) سقط ما بين
الرقين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : التى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى
الأصل : افادته .

حسبك الله وحسبك من اتبعك ، وساقها سبحانه على وجه مكرر لكفاية
 نبيه صلى الله عليه وسلم محتمل لأن فيمن كان على اتباعه في ذلك الوقت
 كفاية لثلاثا يستقلوا بالنسبة إلى كثرة أعدائهم .

ولما بين أنهم كافون مكفيون ، وكان ذلك مشروطا بفعل الكيس
 ٥ والحزم وهو الاجتهاد بحسب الطاقة ، أمره بأن يأمرهم بما يكونون به
 كافين من الجد في القتال وعدم الهبة للأبطال في حال من الأحوال ،
 فقال 'معبرا بالوصف الناظر إلى جهة التلقى عن الله ليشتد وثوق السامع
 لما يسمعه' : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أى الرفيع المنزلة عندنا الممنوح ^٢ من إخبارنا
 بكل ما يقر عينه وعين أتباعه ﴿ حُرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى الغريقين في
 ١٠ الإيمان ﴿ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ أى بالغ في حثهم عليه وندبهم بكل سبيل إليه ،

ومادة حرض - بأى ترتيب كان - حرض ، حضر ، رخص ، رضح ،
 ٤٤٥ / ضرح ؛ ترجع إلى الحضور / ويلزمه الخفض والدعة ، ويلزم الكسل

فيلزمه الضعف فيلزمه الفساد ، ومنه الحرض الذى أشقى على الهلاك ،
 أى حضر هلاكه وحضر هو موضعه الذى هو فيه فصار لما به لا يزاله
 ١٥ ما دام حيا ، ورخص الثوب ، أى غسله ، من الدعة التى هى شأن الحضور
 غير المسافرين ، والرحضاء عرق الحمى تشبيه بالمغسول ، والمرضاح الحجر ^٢
 الذى لا يزال حاضرا لرضح النوى ، والضريح شق مستطيل يوضع فيه
 الميت فيكون حاضره لازما له دائما إلى الوقت المعلوم ، ويلزمه الرمي

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) في ظ : بإخبارنا (٣) من ظ والقاموس ،
 وفي الأصل : المحجر .

و الطول ، ومنه المضرحي للطويل الجناحين من الصقور^١ لأن كل صيد عنده حاضر لقوة طيرانه ، و الرجل الكريم لعلو همته ، و أحضرت الدابة : عدت فجعلت الغائب حاضرا ، و التحريض الحث على حضور الشيء ، فحرض على القتال : حث على الطيران إليه بتعاطى أسبابه و الاستعداد لحضوره حتى يصير المحدث كأنه حاضر ، متى قبل : يا صباحاه ! طار إلى المنادى ، ه و كان أول حاضر إلى النادى ، لأنه لا مانع^٢ له من شيء من الأشياء^٣ بل استعداده استعداد الحاضر فى الصف ؛ و قال الإمام أبو الحسن على ابن عيسى الرمانى^٤ فى تفسيره : و التحريض : الدعاء الوكيد لتحريك النفس على أمر من الأمور ، و الحث و التحريض و التحضيض نظائر ، و نقيضه التقسير ، و التحريض ترغيب فى الفعل بما يبعث على المبادرة إليه مع ١٠ الصبر عليه - انتهى . فهذه حقيقته ، لا ما قال فى الكشف و تبعه عليه البيضاوى .

و لما نذهبهم إلى القتال ، أعلمهم بأنهم منصورون فيه إن لازموا آلة النصر ، فقال استئنافا جوابا لمن قال : ما عاقبتهم إذا رغبوا فبادروا إلى ذلك ؟ : (ان يكن) و لما كانت لذة الخطاب تثير الهمم و تبعث العزائم ١٥ و توجب غاية الوثوق بالوعد ، عدل عن الغية فقال : (منكم عشرون) أى رجلا : (صبرون) أى الصبر المتقدم (يغلبوا مائتين ع) أى من (١) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ ، و لا تنجم بالسياق فحذفناها (٢-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) من ظ و معجم المؤلفين ، و فى الأصل : الرمانى - كذا ، و اسم تفسيره : الجامع الكبير (٤) فى ظ : لان .

الكفار، والآية من الوعد الصادق الذى حققه وقائع الصحابة رضى الله عنهم ﴿وان يكن منكم مائة﴾ أى صابرة ﴿يغلبوا الفا﴾ أى كائنين ﴿من الذين كفروا﴾ فالآية^١ من الاحتباك : أثبت فى الأول وصف الصبر دليلا على حذفه ثانيا، وفى^٢ اثثنى الكفر دليلا على حذفه أولا؛ ولعل^٣ ما أوجبه عليهم من هذه المصاهرة علة للأمر بالتحريض، أى حرصهم لأننى أغنت كلا منهم على عشرة . فلا عذر لهم فى التواني؛ وعلل علومهم عليهم^٤ وغلبتهم لهم على هذا الوجه بقوله: ﴿بانهم﴾ أى هذا الذى أوجبه و وعدت بالنصر عنده بسبب انهم، أى الكفار ﴿قوم لا يفقهون﴾ أى ليس لهم فقه يعلمون به علم الحرب الذى دربه أهل الإيمان وإن كنتم ترونهم أقوىاء الأبدان فيهم كفاية للقيام بما ينوبهم من أمر الدنيا لأنهم أبدان بغير معان، كما أن الدنيا كذلك صورة بلا روح، لأنهم لم يبنوا مصادمتهم على تلك الدعائم الخمس التى قدمتها لكم وألهمتكم إياها فى بدر، فمن لم يجمعها لم يفقه الحرب، لأن الجيش إن لم يكن له رئيس يرجع إليه لم يفلح، وذلك الرئيس إن لم يكن أمره مستندا إلى ملك الملوك كان قلبه ضعيفا، وعزمه - وإن كثرت جموعه - مضطربا، فانهم يكتنون صورا لا معانى لها، والصور منفصلة لا فعالة، والمعانى هى الفعالة، والمعتمد على الله صورته مقترنة بالمعنى. فأقل ما يكون فى مقابلة اثنين من أعدائه كما حط^٥ عليه الأمر

(١) فى ظ : والآية (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لعله (٤) فى ظ : عليه (٥) فى ظ : حظ .

في الجهاد ، و اهل هذا هو السر في انتصار الخوارج - من أتباع شيب^١
و أنظاره^٢ على قلتهم - على الجيوش التي كانوا يلقونها عن ملوك زمانهم على
كثرتها ، فان الخوارج معتقدون أن قتالهم لله مستدين في هذا الاعتقاد
إلى ظلم أولئك الملوك و خروجهم عن أمر الله ، و الذين يلقونهم عن أولئك
الملوك و إن اعتقدوا أنهم أهل طاعة لطاعتهم الإمام الواجب طاعته^٣ ، ه
لكنهم يعلمون أن استناد إمامهم إلى الله ضعيف لمخالفته لمنهاج الاستقامة ،
و ذلك الرئيس نفسه معتقد ذلك و أن ولايته / مفسدة^٤ ، و أن تحريم
النبي صلى الله عليه و سلم لقتاله إنما هو^٥ درء لأعظم المفسدين ، فصار استناد
الخوارج إلى ملك الملوك أعظم من استناد أولئك ،^٦ و لهذا نشأ عن استناد
الخوارج الزهد الذي هو أعظم أسباب النصر ، و نشأ عن استناد أولئك^٧ الملوك ١٠
الإخلاد إلى الدنيا الذي هو أعظم الموجبات للخذلان ، مصداق ذلك
أنهم لما خرجوا على علي رضي الله عنه فسار فيهم بسنة الله من اللطف بهم
و تقديم وعظهم و الإعذار إليهم و ردهم إلى الله فلما لم يقبلوا قصدتهم في
ساعة ، قال له بعض من كان يعتنى بالنجوم : إنها ساعة نحس ، إن سار فيها
خذل ، فقال : سيروا فيها فانه ما كان للنبي صلى الله عليه و سلم منجمون ، ١٥
فلما لقي الخوارج [لم - ٧] يواقفوه حلب ناقة و لا أفلت منهم أحد
و لا قتل من جماعته إنسان ؛ و فهم الإيجاب في قوله تعالى " ان يكن منكم
عشرون " - الآية و أن الخبر فيه بمعنى الأمر من قوله : (الثن خفف الله)
أي [الملك - ٧] الذي له الغنى المطلق و جميع صفات الكمال (عكم) أي

(١) هو ابن بجرة الأشجعي - راجع تاريخ الإسلام للذهبي (٢) في ظ : : انتظاره .

(٣) في ظ : طاعتهم (٤) في ظ : مفسد (٥) سقط من ظ (٦) - : سقط ما بين

الرقين من ظ (٧) زيد من ظ .

رحمة لكم ورفقا بكم (وعلم) أى قبل التخفيف وبعده (ان فيكم ضعفا) أى فى العدد و العدد، ولكنه أوجب عليكم ذلك ابتلاء، فبعد التخفيف علم ضعفهم واقعا 'وقبله' علم أنه سيقع، وتصديره هذه الجملة بـ "الشن" يشير^٢ إلى أن^٣ النسخ كان قبل أن تمضى مدة يمكن فيها غزو، وفائدة الأمر المعقب بالنسخ حيازة الأجر بقبوله والعزم على امثاله، وقيل: ما كان النسخ إلا بعد مدة بعد أن سألوا فى التخفيف؛ وروى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت "ان يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين" شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر^٤ واحد من عشرة، فجاء التخفيف [فقال - °] "الشن خفف الله عنكم" - الآية؛ فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم ° والمعنى أنه كان كتب^٥ مقدارا من^٦ الصبر لكل مؤمن، فلما خفف أزال ذلك بالنسبة إلى المجموع، وهذا لا يمنع استمرار البعض على ما كان كما فعل سبحانه بالصحابه رضوان الله عليهم فى غير موضع منها غزوة مؤتة، فقد كانوا فيها ثلاثة آلاف، وكان من لقوا من جموع هرقل مائتى ألف: مائة من الروم ومائة من العرب المستنصرة، فصبروا لهم ونصروا عليهم كما فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مخبرا عنهم فى هذه الغزوة "ثم أخذ الراية عن غير إمرة سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه" ° ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتد عامة الناس

(١-١) فى ظ: بعده (٢) من ظ، وفى الأصل: تشير (٣) سقط من ظ (٤) من ظ والصحيح، وفى الأصل: الايضير (٥) زيد من الصحيح.

حتى لم يثبت على الإسلام عشر العشر فصبر الصحابة رضوان الله عليهم
 لهم و نصرُوا عليهم . بل الذى صبر فى الحقيقة أبو بكر رضى الله عنه وحده ،
 ثم أفاض الله من صبره و نوره على جميع الصحابة رضى الله عنهم فصبروا ،
 ثم جهز^١ الجيش و أميرهم الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله ،
 فأخذ الله به نار الشرك و قطع بصبره و حسن نيته جاذرة الكفر فلم تمض ٥
 سنة و فى بلاد العرب مشرك . فلما جمع الله العرب بهذا الدين على قلب
 رجل واحد قصدوا الأعاجم من الفرس و الروم و القبط ، فقاتلوا أهل
 فارس فى عدة وقائع منها القادسية ، و كان الصحابة رضى الله عنهم فيها
 دون أربعين ألفا ،^٢ و كان المجوس أكثر من أربعائة ألف ، و قاتلوا الروم
 كذلك فكانوا فى اليرموك دون أربعين ألفا^٣ و كان الروم نحو أربعائة ١٠
 ألف - إلى غير ذلك من الوقائع و قد صبروا فى أكثرها و نصرُوا ،
 ثم كانت لهم العاقبة فطردوا الشرك و أهله ، و أظهر الله لهم دينه كما وعد به
 سبحانه ، و ما اجتمع أهل الإسلام و أهل الضلال قط فى معركة إلا كانت
 قتل الكفار أضعاف قتل المسلمين غير أن الله / تعالى جده و تبارك اسمه ٤٤٧ /
 و تمت - كلمته ألطف^٤ بالعرب علما منه بأنهم خلاصة الناس بما طبعهم ١٥
 سبحانه عليه من الخصال الحميدة و الأخلاق السديدة فأسلم كل من اشتغلت
 عليه جزيرتهم بعد وقائع كثيرة فى زمان النبي صلى الله عليه وسلم و زمان
 الردة ، و لم تبلغ قتلاهم فيما أظن عشرة آلاف إنسان ، ثم [لا]

(١) فظ : جهزوا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) فظ : لطف (٤) زيد

من ظ .

جاهدوا الأعاجم من فارس و الروم و غيرهم كانت قتلى الكفار تبلغ في
 المعركة الواحدة مائة ألف و مائتى ألف - كما هو مشهور في كتب الفتوح
 للدائنى و سيف و ابن عبد الحكم و البلاذرى و غيرهم ، و قد جمع أشات
 ذلك الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى و شيخه ابن حبيش ؛ و اعلم حذف
 ٥ في الثانية التقيد بالكفار ليشمل كل من استحق القتال من البغاة و غيرهم ،
 فقال تعالى مسيبا عن التخفيف المذكور رادا^١ الأمر من إيجاب مصابة
 عشرة إلى الأمر بمصابة الضعف ، فان زاد العدد على الضعف^٢ جاز الفرار
 و الصبر أحسن : ﴿ فان يكن منكم مائة صابرة ﴾ أى الصبر الذى تقدم
 التنبيه عليه ﴿ يغلبوا مائتين ج ﴾ أى من غيركم باذن الله ﴿ وان يكن منكم ألف ﴾
 ١٠ [أى - ٣] على النعت المذكور و هو الصبر ﴿ يغلبوا الفين ﴾ ثم أرشد
 إلى أن المراد بالصبر هو كل المأمور به فى آية " اذا لقيتم فئة فاثبتوا "
 فقال : ﴿ باذن الله ه ﴾ أى بارادة الذى له جميع الأمر ، ذلك و بإباحته
 لكم و تمكينه ، فان لم يقع الإذن^٤ لم يقع الظفر ، فالآية من الاحتباك :
 ذكر فى الأول صابرة دلالة على حذفه ثانيا ، و ذكر ثانيا الإذن دليلا
 ١٥ على حذفه أولا ؛ ثم نبه على عموم الحكم بقوله : ﴿ والله ﴾ أى المحيط
 بصفات الكمال ﴿ مع الصبرين ه ﴾ أى بنصره و معوته ، و من ثم قال ابن
 شبرمة : و أنا أرى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كذلك . و مادة ' اذن '
 - مهموزة و غير مهموزة و واوية و يائية بتقاليها الأربعة : إذن ذان ذون ذين -

(١) فى ظ : ردا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى
 ظ : الامن (ه) من ظ ، و فى الأصل : اذان .

ترجع إلى العلم الناشئ عن حاسة السمع المتعلق بجراحة الأذن ، وتارة
يشعر الإباحة وتارة المنع ، فأذن بالشئ - كسمع : علم به " فاذنوا بحرب "
أى كونوا على علم من أن حربكم أبيض ، وأذن له بالشئ - كسمع أيضا :
أباحه له ، وأذنه الأمر وبه : أعلمه - وزنا ومعنى ، فجعله مباحا له أو ممنوعا
منه ، وأذن فلانا تأذينا : عرك أذنه ، وأذنه : رده عن الشرب فلم يسقه ، ه
كأن التفعيل فيه للإزالة ، وأذن النعل وغيرها : جعل لها أذنا ، وفعله
بأذن : بعلمى وتمكينى ، وأذن إليه وله - كفرح : استمع بأذنه ، أى أباح
ذلك سمعه وقلبه ، وأذن لراحة الطعام : اشتهاه كأنه أباحه لنفسه ، وأذنه
إيذانا : أعجبه ، مثل ذلك سواء . وأذنه أيضا : منعه ، كأن الهمزة للإزالة ،
والأذن : الجراحة المعروفة - بضمة وبضميتين - والمقبض والعروة من ١٠
كل شئ وجبل ، لأن كلا من ذلك سبب للتمكن من حمل ما هو فيه ،
والأذن : الرجل المستمع القابل كل ما يقال له كأنه لما قبله أباحه قلبه ،
ومكنه منه ، والأذان : النداء إلى الصلاة لأنه إعلام باباحتها والمكنة منها ،
وتأذن : أقسم وأعلم ، وتارة يتأثر عنه إباحة ومكنة من الشئ وتارة
منع وحرمة ، فيكون من الإزالة ، وأذن العشب : بدأ يحف فبعضه رطب ١٥
وبعضه يابس كأنه أمكن من جره وجمعه بيدو صلاحه ، والأذن :
الحاجب ، لأنه للتمكن والمنع ، والأذنة محركة : صغار الإبل والغنم كأنها
تبيح كل أحد ما يريد منها ، وطعام لا أذنة له : لا شهوة لريحه ، فكأنه

(١) فى ظ : بشمرة (٢) فى ظ : علمه (٣) فى ظ : بسبب (٤) من ظ ، وفى
الأصل : قبله (٥) فى ظ : يتاجر (٦) فى ظ : لانه (٧) من ظ ، وفى الأصل : حله .

ممنوع منه لعدم اشتهاه، و تأذن الأمير في الناس : نادى فيهم بتهدد، فهو يرجع إلى المنع و الزجر عن شيء تعزيراً، و الذين - بالكسر و الياء : العنب، و كذا الذان - بالآلف منقلبة عن واو : العنب، كأنه لسهولة تناوله و لذة مطعمه أمكن من نفسه، و التذوّن - بالواو مشددة : الغنى و النعمة، كأنهما سبب للامكان / مما يشتهى، و الذؤنون - مهموزاً^٢ كزنبور : نبت

/ ٤٤٨

من نبات الأرض ؛ و المعنى أنه إما أذن لكم في ذلك إذا فعلتم الشرط المذكور لأنكم فقهتم علم الحرب و بنيتم أمركم فيه على دعائهم^٣ الخمس التي ملاكها و الداخلة في كل منها الصبر، فكان الله معكم، و هو مع كل صابر هذا الصبر المثبت في الدعائم^٤ الخمس في كل أوان، و مما يسأل عنه^٥ في الآية أنه ابتدئ في العشرات بثاني عقودها، و في^٦ المئات و الآلاف بأولها، سألت شيخنا الإمام الراسخ محقق زمانه شمس الدين محمد بن علي القاياني^٧ قاضي الشافعية بالديار المصرية : ما حكمته ؟ فقال : الأصل الابتداء بأول العقود، لكن لو قيل : إن يكن^٨ منكم عشرة صابرة يغلبوا مائة، لربما توهم أنه لا يجب مصابرة الواحد للعشرة إلا عند بلوغ المؤمنين هذا العقد، فعدل إلى الابتداء بثاني عقود هذه المرتبة ليتفق هذا المحذور، فلما اتفق و علم أنه يجب مصابرة كل واحد لعشرة، ذكر باقي المراتب في الباقي

(١) و أما جميع المعاجم فتتفق على أن معنى الذين و الذان : العيب (٢) من ظ، و في الأصل : لأنها (٣) في ظ : مهوز (٤) في ظ : دعائهم (٥) من ظ، و في الأصل : النظم (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و معظم المؤلفين، و في الأصل : القاياني (٨) في ظ : تكن .

على الأصل المعتاد ، وأما تكرير المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين : قبل التخفيف ، وبعده فللدلالة - كما قال في الكشف - على أن الحال مع القلة والكثرة [واحدة - ١] لا تفاوت وإن كان قد يظن تفاوته ، وكأنه لم يذكر الآحاد بشارة بكثرة هذه الأمة واجتماعها . وبدأ بالعشرات وختم بالآلوف ليستوفي مراتب الأعداد الأصلية - ٥ والله أعلم .

ولما تقدم الأمر بالإثخان في " فشرذ بهم " ثم بأعداد القوة ، ثم التحريض على القتال بعد الإعلام بالكفاية ثم بإيجاب ثبات الواحد لشدة ثم إزال التخفيف إلى اثنين ؛ كان ذلك مقتضيا للامعان في الإثخان ، فحسن عتاب الأجاب [في اختيار - ١] غير ما أفهمه هذا الخطاب ، ١٠ لكون ذلك أقعد في الامتحان عليهم بالعفو والغفران بسبب أن أكثرهم مال إلى فداء الأسارى فإن النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم فيهم فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالمقادة و مال معه الأكثر ، وأشار عمر رضي الله عنه بضرب أعناقهم ، وروى أنه قال صلى الله عليه وسلم : لو نزل من السماء عذاب - أي في هذا - ما نجاه من غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله ١٥ عنهما . فقال تعالى استنفا واستنجا : ﴿ ما كان ﴾ أي ما صح وما استقام ﴿ لنبي ﴾ أي في شرع نبي من الأنبياء مستقل ولا مقرر ، ولله عبرة

(١) في ظ : التحقيق (٢) زيد من الكشف (٣) في ظ : بالتحريض (٤) زيد من ظ (٥) وعلل في روح المعاني نجاء بأنها لقوله : الإثخان في القتل أحب إلى . (٦) في الأصل : للنبي ، وأما ما أئبناه من ظ فهو قراءة الجمهور وقد يفهم مع ما يتلوه من التفسير (٧) في ظ : عبره .

بوصف النبوة ليفيد مع العموم أن كلا من رفعة القدر والإخبار من الله يمنع من ' الإقدام على فعل بدون إذن خاص » (ان يكون له - اسرى) أى أن يباح له أسر العدو (حتى يشحن في الارض ') أى يبالغ في قتل أعدائه ، فهو عتاب لمن أسر من الصحابة غير من نهى نبي صلى الله عليه وسلم عن قتله من المشركين أو رضى بذلك ، وإنما أسند إلى نبي - و قرئ شاذاً ه بالتعريف - ولم يقل : ما كان في شرع نبي ، تهويلاً [للأسر - ٢] تعظيماً للعفو للبالغة في القيام بالشكر ، وهذا كان يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه و تعالى " فاما منا بعد واما فداء ٣ " - قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، ومادة ثخن تدور على الضخامة ، ١٠ وتارة يلزمها اللين والضعف ، وتارة الصلابة والقوة ، فحقيقته : يبالغ في القتل فيغلظ أمره فيقوى ٤ ، ويلين له أعداؤه ويضعفوا ؛ ثم بين لهم أن الميل عن ذلك إنما هو لإرادة ٥ الاعراض الدنيوية المبكت به اليهود في آخر التي قبلها بقوله تعالى " ياخذون عرض هذا الأدنى ٦ " كما أن النزاع في الأنفال [ميل - ٢] إلى الدنيا ، وكل ذلك ٧ بمعزل عن معالي ١٥ الأخلاق و كرائم السجايا ، معللاً لعدم الكون المذكور بما تقديره : لأن الأسر إنما يراد به الدنيا ، هكذا الأصل ولكنه أبرز في أسلوب الخطاب لأنه أوقع في النفس فقال ٨ : » تريدون « أى أيها المؤمنون المرغبون في

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٤٧ آية ٤ (٤) في ظ : ويقوى .
(٥) في ظ : رادة (٦) آية ١٦٩ (٧) في ظ : ذلكم (٨) زيد بعده في الأصل : ثم ،
ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .

الإتفاق / لا في الجمع ، باستبقائهم ﴿ عرض الدنيا ﴾ قال الراغب : العرض
 ٤٤٩ / ما لا ثبات له ، ومنه استعاره المتكلمون لما لا ثبات له إلا بالجواهر كاللون ،
 وقال ابن هشام في تهذيب السيرة : أى المتاع الفداء بأخذ الرجال ﴿ والله ﴾
 أى الذى له الكمال كله ﴿ يريد ﴾ أى لكم ﴿ الآخرة ١ ﴾ أى جوهرها
 'لأنه يأمر بذلك أمرا' هو فى تأكيده ليعتدل كالإرادة التى لا يتخلف ه
 مرادها ، وذلك بالإثخان فى قتلهم لظهور الدين الذى تريدون إظهاره و الذى
 به تدرك الآخرة ٢ ، ولا ينبغي للحب أن يريد إلا ما يريد حبيبه ﴿ والله ﴾
 أى الملك الأعظم ﴿ عزيز ﴾ أى مزه جنابه العلى عن لحاق شئ بما فيه
 أدنى سفول ﴿ حكيم ﴾ أى لا يصدر عنه فعل إلا وهو فى غاية الإتقان
 فهو يأمر بالإثخان عند ظهور قوة المشركين ، فاذا ضعفت وقوى المسلمون ١٠
 فأتتم بالخيار ، ولا يصح ادعاء ولايته إلا لمن ترقى فى معارج صفاته ،
 فيكون عزيزا فى نفسه فلا يدينسها بالأطماع الفانية ، و فعله فلا يحطه عن
 أوج المعالى إلى حضيض المهاوى ، و حكيم فلا ينشأ عنه [فعل - ٢] إلا
 وهو فى غاية الإتقان .

و لما علم من الآية ما أشرت إليه ، فكان كأنهم قالوا رضى الله عنهم : ١٥
 فما تقتضى عزته و حكمته سبحانه من تطهيرنا عما تدنسنا به ؟ استأنف
 تعالى الجواب عن ذلك بممتا غاية الامتان و محذرا من التعرض لمواقع
 الخسران فقال : ﴿ لو لا كذب ﴾ أى قضاء حتم ثابت مبرم ﴿ من الله ﴾

(١ - ١) فى ظ : ثابت ظاهره (٢) زيد فى ظ : انتهى (٣) زيد من ظ (٤) من
 ظ ، وفي الأصل : اشارت .

أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء قدرة و علما ﴿ سبق ﴾ أى فى أم الكتاب من الحكم بأسعادم ، و من أنه لا يعذب أحدا إلا بعد التقدم إليه بالنهى ، و من أنه سيحل لكم الفداء و الغنائم التى كانت حراما على من قبلكم تشريفا لكم - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ لمسكم فيما أخذتم ﴾ ه أى من الأسرى المراد بهم الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ و لكن سبق حكى بأن المغنم - و لو بالفداء - لكم حل و إن تعجلتم فيه أمرى .

ولما ساق سبحانه هذه البشارة فى النذارة ، سبب عنها قوله : ﴿ فكلوا مما غنمتم ﴾ أى من الفدية و غيرها حال كونه ﴿ حللا ﴾ أى لا درك و لا تبعة فيه من جهتي ﴿ طيبا ﴾ أى شهيا لكم ملائما لطباعكم ، ١٠ و هذا إذا كان مع الشروط التى أقتتها لكم من عدم الغلول و الخيانة بوجه من الوجوه و الاستتار و شديد الرغبة السائقة إلى ما لا يليق من التنازع و غيره ، ذلك فيما تقدمت فيه إليكم ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى الذى له جميع صفات السكال فى جميع ذلك فلا تغلوا و لا تنازعوا و لا تقدموا إلا على ما يبيحه لكم الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ ان الله ﴾ أى المتصف بالجلال ١٥ و الإكرام ﴿ غفور ﴾ أى لمن يعلم من قلبه أنه من أهل التقوى ﴿ رحيم ﴾ أى له ، فلاجل ما علم فى قلوبكم من الخير غفر لكم فلم يعذبكم بتسرعكم * إلى إيسار من لم يأمركم به الرسول صلى الله عليه و سلم للفائدة دون توقف على إذنه ، و رحمكم فأحسن إليكم فأحل لكم الغنائم ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : حكم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (٣) فى ظ : قبله (٤) فى ظ : فلا (٥) من ظ ، و فى الأصل : بسرعتكم .

انظر إلى قوله تعالى " ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا و يكفر عنكم سيئاتكم و يغفر لكم " تعرف حسن تعليل الأمر بالتقوى بالمغفرة و الرحمة ، و يجوز أن يكون علة للأكل ، أى كلوا فان الله قد غفر لكم ما عاتبكم عليه ، و فائدة الأمر بالتقوى التحذير من العود اعتمادا على سعة الحلم ، و أيضا فقد تقدم تهديد و مغفرة فناسب أن يدلهم على أن علة المغفرة ه التقوى ، فكان ترجمة ذلك أنه لما رهبهم بمس العذاب عند أخذ الفداء لولا سبق الكتاب ، رغبهم بأنه كلما صدم عن جناحه^١ صارف ذنب فردهم إليه عاطف تقوى ، أسبل عليهم ذيل المغفرة و الرحمة ، ولما علم من هذا إباحة [ما - ٢] يؤخذ^٢ من الأسر من الفداء ، و كان ما يؤخذ منهم^٣ تعظم مشقته عليهم ، أقبل عليهم مستعطفا لهم ترغيا في الإسلام ، ١٠ فأقبل على نبيه صلى الله عليه وسلم / بالأمر بمخاطبتهم تنبيها على أنهم ليسوا بأهل لخطابه سبحانه بما أبدوا أنفسهم عنه من^٤ اختيارهم الكون^٥ في زمرة الأعداء على الكون في عداد الأولياء ، فقال^٦ معبرا بالوصف الناظر إلى تلقى العلم ترغيا في التلقى منه صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أى الذى أنبئه بكل معنى جليل ، يظهر دينه و يركى أمته مع رفع ١٥ مقداره و إتمام أنواره ﴿ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ ﴾ أى فى أيدى أصحابك و أهل دينك ، فان العبرة بعموم اللفظ لا^٧ بخصوص السبب ﴿ مِنَ الْأَسَارَى^٨ ﴾ ترغيا لهم فيما عند الله ﴿ اِنَّ يَعْلَمُ اللَّهُ ﴾ بما له من (١) فى ظ ، خيانة (٢) زيد من ظ (٣-٢) -قط ما بين الرقین من ظ (٤) فى ظ : عن (ه) فى الأصل : لا كون ، وفى ظ : لكون (٦) -قط من ظ (٧) هذه قراءة أبى عمرو ، وقرأ الباقون : الاسرى .

صفات 'الجلال و الجلال' ﴿ في قلوبكم خيرا ﴾ أى شيئا من تقواه الحاملة
 [على - ٢] الإيمان الذى هو^٢ رأس الخير و على كل خير ﴿ يؤتكم خيرا
 مما اخذ منكم ﴾ أى مما^٣ يفتح به عليكم من المغنم فى الدنيا و يدخره لكم
 من الثواب فى الآخرة ﴿ و يغفر لكم^٤ ﴾ أى ما سلف من ذنوبكم ﴿ و الله ﴾
 ٥ أى الذى بيده كل شئ. ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى من شأنه ذلك ، و المعنى على
 ما علم من قصة العباس الآتية رضى الله عنه أنه سبحانه يعاملكم و أمثالكم
 فى غير ما يأخذ منكم جنده^٥ بالكرم ، و أما إنه يحكم باسقاط الفداء عنكم
 و يأمرهم بتركه و إطلاقكم مجانا بما يعلم فى قلوبكم من خير و إيمان كنتم
 تكتمونه فلا تطعموا فيه لأن ذلك يفتح باب الدعاوى الباطلة المانعة من
 ١٠ الغنائم الموهنة للدين ؛ قال الحافظ أبو عمرو^٦ ابن عبد البر فى سيرته : قال
 ابن عباس^٢ و سعيد بن المسيب : كان العباس رضى الله عنه فى الأسرى
 فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : اقد نفسك و ابني أخيك عقيلا
 و نوفلا و خليتك^٧ فانك ذو مال ، فقال : يا رسول الله ! إني كنت مسلما
 و لكن القوم استكروهني ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [الله - ٢]
 ١٥ أعلم باسلامك ، إن كان حقا ما تقول فالله يحجزك به ، و أما ظاهر أمرك
 فقد كان علينا ، قال : ليس لى مال ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم :
 و أين المال الذى وضعت عند أم الفضل حين خرجت و ليس معك أحد ؟

(١-١) فى ظ : الكمال و الجلال (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ :
 فيما (٥) من ظ ، و فى الأصل : جفوه (٦) من ظ و معجم المؤلفين ، و فى
 الأصل : ابو عمرو (٧) فى ظ : خليتك .

ثم قلت : إن أصبت في سفرى هذا فأعطى الفضل كذا و عبد الله كذا ١
 فقال : والذى بعثك بالحق ! ما علم بهذا ١ أحد غيرى وغيرها ، فقدى نفسه
 بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية وقال : تركتني ٢ أسأل الناس ،
 ٣ وأسلم ٣ وأمر عقيلًا [فأسلم ، ولم يسلم من الأسارى غيرهما .
 ولما كان التقدير : فان صدقوك وقلوا - ٤] بشرى الله ، وفى الله ٥
 لهم ؛ عطف عليه قوله : ﴿ وان يريدوا ﴾ أى الأسرى و ٥ الكفار
 كلهم أو واحد منهم كآبى عزة ﴿ خيانتك ﴾ أى وأنت أعلى الخلق
 فى عهد من إسلام أو غيره يوثقونه لك ترضى به فى المن على أحد منهم
 بغير فداء ، برد الله أن يكون وبال ذلك راجعا إليهم فيمكن منهم ،
 فلا تخش من أمرهم ﴿ فقد خانوا الله ﴾ ٢ أى الملك الأعظم ؛ ١٠
 ولما كانت خيانتهم غير مستغرقة للزمن ، أدخل الجار فقال ٣ :
 ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هذا الوقت ٧ بالكفر وغيره من أنواع
 الفسق ٧ ﴿ فامكن ﴾ أى فأوجد الإمكان منهم ، وقصره ليدل على
 أنهم صاروا سلما لكل أحد ﴿ منهم ٨ ﴾ أى يوم بدر [بسبب - ٢]
 خيانتهم ، فمثل ما أمكن منهم عند وقوع الخيانة سيمكنك منهم إذا أرادوا ١٥
 الخيانة ، فان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ والله ﴾ أى الذى له
 الإحاطة بكل شئ ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الأشياء كلها

(١) فى ظ : به (٢) فى ظ : تركنى (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد
 ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : او (٦) من ظ ، وفى الأصل :
 احد (٧-٧) تقدم ما بين الرقيين فى الأصل على « إليهم فيمكن » والترتيب من ظ .

التي منها أحوالهم ﴿حكيم﴾ أي بالغ الحكمة فهو يتقن كل ما يريد
 فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة، وكذا فعل
 سبحانه في أبي عزة الجحى فانه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في المن عليه
 بغير شيء لفقره وعياله وعاهده على أن لا يظهر عليه أحدا ومدحه
 ٥ ثم خان فضفر به^٢ في غزوة حراء الأسد عقب يوم أحد أسيرا، فاعتذر
 له وسأله في العفو عنه فقال: ^٣ «ألا تسمع» عارضيك بمكة وتقول: سخرت
 بمحمد مرتين، لا بلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، وأمر به فضربت
 عنقه؛ وقال أبو حيان^٤ في الخيانة: هي كونهم / أظهر بعضهم الإسلام
 ثم رجعوا إلى دينهم.

/ ٤٥١

١٠ ولما بين الأسرى أن الخير الذي لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله
 لا ينفعهم في إسقاط الفداء عنهم لأنه لا دليل عليه، وكل ما لا دليل
 عليه فحكمه حكم عدم، لأن مبنى الشرع^٥ على ما^٦ يمكن المكلف معرفته
 وهو الظواهر، وختم بصفى العلم والحكمة، شرع يبين الخبر الذي يفيد
 التقرب الذي تنبئ عليه المناصرة وكل خير، فقال مقسما أصحاب النبي
 ١٥ صلى الله عليه وسلم أربعة أقسام: قسم جمع الإيمان والهجرة أولا
 والجهاد، وقسم آوى، وقسم آمن ولم يهاجر، وقسم هاجر من بعد:
 ﴿ان الذين آمنوا﴾ أي بالله ورسوله ﴿وهاجروا﴾ أي واقعوا الهجرة

(١) من ظ، وفي الأصل: يتق (٢) من ظ، وفي الأصل: عليه (٣-٢) في ظ:
 لا تسمع (٤) في ظ: أبو حيازة (٥) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في
 ظ والبحر المحيط ٢١/٤ هـ فحذفناها (٦) من ظ، وفي الأصل: الشيء (٧) سقط
 من ظ.

من بلاد الشرك ، و هم المهاجرون الاولون ، هجروا أوطانهم و عشائرهم
و أحبابهم حب الله و رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿ و جهدوا ﴾ أى واقعوا^١
الجهاد ، و هو بذل الجهد فى توهين الكفر و أهله .

و لما كانت الآيات المتقدمة فى آلات^٢ الجهاد من النفس و المال تارة
بالحث على إنفاقه و أخرى بالنهى عن حبه و تارة بالتسليّة للأمرى عند^٣
فقدته ، كان الأنسب تقديم قوله : ﴿ باموالهم ﴾ أى بانفاقهم لها فى الجهاد
و تضييع بعضها بالمهجرة من الديار و النخيل و غيرها ﴿ و انفسهم ﴾ باقدامهم
على القتال مع شدة الأعداء و كثرتهم ؛ و قدم المال لأنه سبب قيام النفس ،
و كان فى غاية العزة فى أول الأمر ، و آخر قوله : ﴿ فى سبيل الله ﴾
أى الملك الأعظم لذلك ، و " فى " سببية^٤ ، أى جاهدوا بسببه حتى لا يصد^٥
عنه صاد فظهر محاسنه و يسهل المرور فيه من غير قاطع ، و لعله عبر
بـ " فى " إعلاماً^٦ بأنه ينبغى أن يكون متمكناً من السبيل تمكن المظروف
من ظرفه حتى يكون الدين غالباً عليه لا يخرج عنه بوجه من الوجوه ،
و أما فى سورة براءة^٧ فلما كان السياق فى بعض الأماكن بها للسبيل قدم -
كما سيأتى ، و أيضاً فان هذه السورة نزلت فى أوائل الأمر بعد وقعة بدر^٨
فى السنة الثانية من الهجرة ، و كان الحال إذ ذاك شديداً جداً ، و الأموال
فى غاية القلة ، و الأعداء لا يحصون ، فناسب الاهتمام بشأن المال و النفس
(١) فى ظ : اوقعوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الآيات (٣) من ظ ، و فى
الأصل : عن (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى ظ : سببيه (٦) من ظ ، و فى
الأصل : اعلام (٧) راجع آية ٢٠ .

قدما ترغيا في بذلها، وأما براءة فزلت في غزوة تبوك في أواخر سنة
تسع، فكان المال قد اتسع، والدين قد عز وضح وقوى وعظم، وأسلم
غالب الناس، فبعدت مواضع الجهاد فعظمت المشقة، وتواكل الناس
بعضهم على بعض ورغبوا في الإقبال على إصلاح الأموال، فناسب البداءة
هناك بالسبيل .

ولما ذكر أهل الهجرة الأولى، أتبعهم أهل النصرة، وهم القسم
الثاني من المؤمنين الذين كانوا على زمنه صلى الله عليه وسلم فقال :
(والذين أووا) أي [من - ٢] هاجر إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضى الله عنهم فأسكنوهم في ديارهم، وقسموا لهم من أموالهم،
١٠ وعرضوا عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم ليتزوجوهن، وإنما قصر
الفعل إشارة إلى تعظيم فعلهم بحيث كأنه لا إيواء في الوجود غير
ما فعلوا، وكذا قوله : (ونصروا) أي الله ورسوله والمؤمنين، وهم
الانصار رضى الله عنهم، حازوا هذين الوصفين الشريفين فكانوا في الذروة
من كلتي الحسينين^١، ولولا إيواؤهم [ونصرهم - ٢] لما تم المقصود،
١٥ والمهاجرون الأولون أعلى منهم لسبقهم في الإيمان الذي هو رئيس
الفضائل ولحملهم الأذى من الكفار زمانا طويلا وصبرهم على فرقة
الأوطان والعشائر، وأشار إلى القسمين بأداة البعد لعلو مقامهم وعز
مراهم فقال : (اولئك) / أي العالو الرتبة (بعضهم أولياء بعض^٢)
أي في الميراث دون القرب العارى عن ذلك، فين أن الإيمان

/ ٤٥٢

(١) فظ : وكان (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وفي الأصل : هاجروا (٤) من
ظ، وفي الأصل : كان (٥) زيد في ظ : وأشار إلى القسمين (٦) فظ : علو.

إن

إن لم يقتن^١ بشهيدين هما الهجرة و الجهاد من الغرب^٢ عن المدينة
 وشهيدين هما الإيواء و النصره من أهل المدينة ، كان عائقا عن مطلق القرب
 بل مانعا من نفوذ لحمه النسب كل النفوذ^٣ ، فكأن من آمن ولم يهاجر
 لم يرث من هاجر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، و مادة ولى بجميع
 تصاريفها ترجع إلى الميل ، و يلزم منه القرب [و البعد - ٤] ، و ربما نشأ
 عن كل منهما الشدة ، و ترتيب ولى بخصوصه يدور على القرب ، و من
 لوازمه النصره ، فالمعنى بعضهم أقرباء بعض ، يلزم كلا منهم فى حق الآخر
 من المناصرة و غيرها ما يلزم القريب لقريبه ، ففى جمعهم وصف جعلهم
 شركاء فيما يشمره ، فوصف الحضور فى غزوة يشرك بينهم فى الغنائم ،
 لأن أنواع الجهاد كثيرة ، و كل واحد منهم باشر بعضها ، فعن حضور الكل ١٠
 نشأت النصره ، و المهاجر فى الأصل من فارق الكفار بقلبه و لا واهم ،
 و رافق المؤمنين بحبه و ليه و والاهم ، لكن لما كان هذا قد يخفى ، نيط
 الأمر بالمظنة و هى الدار ، لأنها أمر ظاهر ، فصار المهاجر من باعد دار
 المشركين فرارا بدينه ، ثم صار شرط ذلك بعد هجرة النبي صلى الله عليه
 و سلم أن تكون النقلة إلى دار هجرته : المدينة الشريفة ، هذا حكم كل ١٥
 مهاجر إلا [ما - ٤] كان من خزاعة ، فان النبي صلى الله عليه و سلم
 كان قد علم من مؤمنهم و كافرهم حبه و نصحه و بغض عدوه فلم يلزم
 مؤمنهم النقلة ؛ قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر فى كتاب المدخل إلى
 (١) من ظ ، و فى الأصل : لم يقترون (٢) من ظ ، و فى الأصل : القريب .
 (٣) فى ظ : النفوذ (٤) زيد من ظ .

الاستيعاب: ويقال لخزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم 'لأنهم حلفاء
بنى هاشم وقد أدخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم' في كتاب القضية
عام الحديبية - إلى أن قال: وأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم منزلة
لم يعطها أحدا من الناس أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك
ه كتابا - انتهى . وقال شاعرهم نجيد^٢ بن عمران الخزاعي يفخر^٢ بذلك وغيره
بما خصهم الله به على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد أنشأ [الله - °] السحاب بنصرنا^١ ركام^١ صحاب^١ الهيدب المتراكب
وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب^١ أتى من خير عمل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لنذكر^١ ثارا بالسيوف القواضب
١٠ ذكر ذلك الحافظ أبو الريع ابن سالم الكلاعي في غزوة الفتح من سيرته ،
والذي تولى حلفهم أولا هو عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛
قال الواقدي في أول غزوة الفتح : وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب ،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عارفا ، لقد جاءته يومئذ -
يعني يوم الحديبية - خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه وهو باسمك اللهم
١٥ هذا حلف عبد المطلب بن هاشم^١ لخزاعة^٢ إذ قدم عليه^٣ وسرااتهم^٤

(١-١) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من سيرة ابن هشام ١/٣ ، وفي الأصل :
عبيد ، وفي ظ : مجيد - كذا (٣) من ظ ، وفي الأصل : يعجز (٤) في ظ : يدي .
(٥) زيد من ظ والسيرة (٦ - ٦) من ظ والسيرة ، وفي الأصل : صحاب ركام .
(٧) من ظ وكتاب المغازي ٢ / ٧٨١ ، وفي الأصل : الخزاعة (٨) من ظ
والمغازي ، وفي الأصل : عليهم (٩) في ظ : سراتهم .

وأهل الرأي، غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم، إن بيننا وبينكم عهد الله
وعقوده، ما لا ينسى أبدا، اليد واحدة والنصر واحد، ما أشرف^٢
ثبير وثبت حراء، وما بلّ بحر صوفة، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجردا
أبدا أبدا، الدهر سرمداء، فقرأه عليه أبي بن كعب رضى الله عنه فقال: ما أعرقى
بحلفكم وأتم على^٣ ما أسلتم عليه من الحلف، وكل حلف كان في الجاهلية ه
فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام؛ قال الواقدي:
وجاءته أسلم وهو بغدير الأشطاط^٤ جاء بهم بريدة بن الحصيب فقال:
يا رسول الله! هذه أسلم وهذه محالها وقد [هاجر إليك من -] هاجر
منها و [بقي -] قوم منهم في مواشيهم ومعاشهم، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: أنتم مهاجرون حيث كنتم؛ ودعا العلاء بن الحضرمي ١٠
فأمره أن يكتب لهم كتابا فكتب: «هذا كتاب من محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأسلم لمن آمن منهم بالله وشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا عبده ورسوله، فانه آمن بأمان الله، وله ذمة الله وذمة
رسوله، وإن أمرنا وأمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم، اليد
واحدة والنصر واحد، ولأهل باديتهم [مثل -] ما لأهل قرارهم» ١٥

٤٥٣ /

(١) في ظ: واحد (٢) من المغازي، وفي الأصل: اشرق، وفي ظ: اشر - كذا.
(٣) من ظ والمغازي، وفي الأصل: عا - كذا (٣) من المغازي، وفي الأصل
وظ: الاشطاط، وقال في المغازي: هلا عن وفاة الوفاء: غدير الأشطاط: على
ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة (٥) زيد من ظ والمغازي (٦) زيد بعده في
الأصل: لقي، ولم تكن الزيادة في ظ والمغازي فخذناها (٧) زيد من المغازي.
(٨) في ظ: قراهم.

[وهم :-] مهاجرون حيث كانوا ، وكتب العلاء بن الحضرمي فقال
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ! نعم الرجل بريدة بن
 الحصيب تقومه عظيم البركة عليهم ، مررنا به ليلة مررنا ونحن مهاجرون
 إلى المدينة ، فأسلم وأسلم معه من قومه من أسلم ، فقال رسول الله
 ﷺ : نعم الرجل بريدة لقومه ، غير قومه يا أبا بكر ! إن
 خير قوم من كان مدافعا عن قومه ما لم يأثم ، فان الإثم لا خير فيه -
 انتهى . - وأسلم شعب من أربعة شعوب من خزاعة . ولما فتحت مكة ،
 انقطعت الهجرة لظهور الدين وضعفت المشركين ، وقام مقام الهجرة النية
 الخالصة للدلولي عليها بالجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد
 الفتح ولكن جهاد ونية . وقال صلى الله عليه وسلم : المهاجر من
 هجر ما نهى الله عنه ، فان كان المؤمن لا يتمكن من إظهار دينه وجبت
 عليه البتلة .

ولما بين سبحانه أمر من جمع الشروط ، شرع بين حكم من قعد
 عن بعضها وهو القسم الثالث فقال : (والذين آمنوا) أى اشتبه إيمانهم
 ٥ (ولم يهاجروا) أى قبل الفتح بل استمروا في بلادهم (ما لكم من ولايتهم)
 و الخرق في الشيء قال : (من شيء) أى في التوارث ولا في غيره ، ورغبهم
 في الهجرة بقوله : (حتى يهاجروا) أى يوافقوا الهجرة لدار الشرك
 و من فيها (وإن استصروكم) أى طلبوا نصركم (في الدين) أى
 (وما زينا من ظ و الفازي . (د) في ظ : وجب (م) من ظ ، وفي الأصل : جميع .
 (ع) في الأصل : نقد ، وفي ظ : عقد (ه) سقط من ظ (و) في ظ : يوقعوا .

بسبب أمر من أموره وهم متمكنون من الدين تمكن المظروف من الظرف
 ﴿ فعليكم النصر ﴾ أى واجب عليكم أن تنصروهم^١ على المشركين ، فالمعنى
 أنه ليس لهم عليكم حق القريب إلا فى الاستنصار فى الدين . فان
 ترك نصرهم يجر إلى مفسدة كما أن موالاتهم تجر إلى مفسد^٢ ؛ ثم استثنى
 من الوجوب فقال : ﴿ الا على قوم ﴾ وقع وكان ﴿ بينكم وبينهم ميثاق^٣ ﴾ هـ
 أى لأن استنصارهم يوقع بين مفسدتين : ترك^٤ نصره المؤمن و نقض العهد
 وهو أعظمهما فقدمت^٥ مراعاته وترك نصرتهم^٦ ، فان نصرهم الله
 على الكفار فهو المراد من غير أن تدنسوا بنقض ، وإن نصر الكفار
 حصل لمن قتل من إخوانكم الشهادة ولمن بقى الضمان بالكفاية ، وكان
 ذلك داعياً لهم إلى الهجرة^٧ ، ومن ارتد منهم أبده الله ولن يضر إلا ١٠
 نفسه والله غنى حميد ، فقد وقع - كما ترى - تقسيم المؤمنين إلى ثلاثة
 أقسام : أعلاها المهاجر ، يليه الناصر ، وأدناها القاعد القاصر ، وبقى
 قسم رابع يأتى^٨ ؛ قال أبو حيان : فبدأ بالمهاجرين - أى^٩ الأولين - لأنهم
 أصل الإسلام وأول من استجاب لله تعالى ، فهاجر قوم إلى المدينة ، وقوم
 إلى الحبشة ، وقوم إلى ابن ذى يزن ، ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا ١٥
 قدوة لغيرهم فى الإيمان وسبب تقوية الدين « من سن سنة حسنة فله
 أجرها وأجر من عمل^{١٠} بها إلى يوم القيامة » وثنى بالأنصار لأنهم ساوهم

(١) من ظ ، وفى الأصل : ينصروهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : يرمى - كذا .
 (٣) فى ظ : فتقدمت (٤) فى ظ : تركتهم (٥) فى ظ : الهجر (٦) سقط من
 ظ (٧) فى ظ : يعمل .

في الإيمان و في الجهاد بالنفس و المال ، لكنه عادل بالهجرة^١ الإيواء
و النصره ، و انفرد المهاجرون بالسبق ، و ذكر ثالثا من آمن و لم يهاجر
و لم ينصر ، فقائهم هاتان الفضيلتان و حرموا الولاية حتى يهاجروا ، ثم قال :
آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين و الأنصار ، فكان المهاجري
يرثه أخوه الأنصاري إذا لم يكن له بالمدينة ولي مهاجري ، و لا توارث
بينه و بين قريبه المسلم غير المهاجري^٢ ، قال ابن زيد : و استمر أمرهم
كذلك إلى^٣ فتح مكة - انتهى . لكن ما ذكر ابن عبد البر - كما سيأتي -
من أن حكم ذلك زال / بوقعة بدر أولى للآية الآتية^٤ آخر السورة مع
ما يؤيد ذلك من آية الأحزاب^٥ .

/ ٤٥٤

١٠. و لما كان التقدير : فالله بمصالحكم خير ، و كان^٦ للنفوس دواع
إلى مناصرة الأقارب و الأجباب و معاداة غيرهم خفية ، و لها دسائس^٧
تدرك ، حذر من ذلك بقوله عاطفا على هذا المقدر : (و الله) أى
المحيط علما و قدرة ؛ و لما كان السياق لبيان المصالح التى تنظم الدين
و تهدم ما عداه ، و كان للنفوس - كما تقدم - أحوال ، اقتضى تأكيد العلم
١٥ بالحقايا فقدم الجار الدال على الاختصاص الذى هو هنا كناية عن إحاطة
العلم فقط فقال مرها : (بما تعملون بصيره) و في ذلك أيضا ترغيب
في العمل بما حث عليه من الإيمان و الهجرة و النصره و الإنفاق و التحرى

(١) في البحر المحيط ٤/ ٥٢١ : الهجرة (٢) من البحر ، و في الأصل و ظ :
المهاجر (٣) زيد بعده في ظ : ان (٤) من ظ ، و في الأصل : الثانية (٥) راجع
آية ٦ منها (٦) في ظ : كانت (٧) من ظ ، و في الأصل : اساس .

في جميع من^١ ذلك و ترهيب من العمل بأضدادها ، وفي " البصير " إشارة إلى العلم بما يكون من ذلك خالصا أو مشوبا ، ففيه مزيد حث على الإخلاص .

ولما بين شرط موالاته المسلم ، بين موالاته الكافر وما يجب من مناظرتهم^٢ و مباراتهم فيها ، وأنه لا شرط لها غير مطلق الكفر فانه هـ - ' وإن اختلفت أنواعه و تباعدت أنحاؤه - يجمعه عداوة الله [و-^٢] ولاية الشيطان فقال : ﴿ والذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف على أى حال كانوا فيه ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ أى فى الميراث والنصرة وغيرهما ، وهو خبر محض مشير إلى نهى المسلم عن موالاتهم ، وأما الذى مضى فى حق المؤمنين فهو أمر فى صورة الخبر وصيغته ، يعنى أن فى كل من ١٠ الكفار قوة الموالاته الآخر عليكم و الميل العظيم الحاث لهم على المسارعة فى ذلك وإن اشتدت عداوة بعضهم لبعض لأنكم حزب وهم حزب ، يجمعهم داعى الشيطان بوصف الكفران كما يجمعكم داعى الرحمن بوصف الإيمان ، قال أبو حيان : كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يعادى أهل الكتاب منهم قريشا و يتربصون بهم الدوائر ، فصاروا بعد بعثة صلى الله ١٥ عليه وسلم يوالى بعضهم بعضا [و-^٣] إلبا واحدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. انتهى . وما ذكره مذكور فى السير مشهور عند أهل الأثر ﴿ الا تفعلوه ﴾ أى مثله من تولى المؤمنين ومعاداة الكافرين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تناظرهم (٣) زيد من ظ (٤) زيد

من البحر المحيط ٥٢٢/٤ .

كما يفعل الكفار بالتعاضد والتعاون بالنفس والمال كما أرسدوا مال
العير الذى فاتكم حتى استعانوا به على قتالكم فى أحد ، فاللاتق بكم أن
تكونوا أعظم منهم فى ذلك ، لأنهم يريدون بذلك رم واهى دنياهم الفانية
وأنتم تبون آخرتكم الباقية ، وداعيكم ولى غنى وداعيهم عدو دنى فضلا
ه عن أن تنزلوا إلى حضيض التاراع فى الغنائم (تكن فتنة) أى عظيمة
(فى الارض) أى خلطة عميلة للقاصد عن وجوها (و فساد كبير ط)
أى ' بنشأ عن تلك الفتنة ، والكبير ناظر إلى العظم ، وقرئ شاذا بالثالثة
فيكون عظمه حيثئذ خصوصا بالأنواع ، و بيان الفساد أنه إذا قارب
المؤمن الكافر والكافر المؤمن وتناصروا أو ترك المؤمنون التناصر فيما
١٠ بينهم انخل النظام فاختل كل من النقض والإبرام ، فاختلف الكلام
فباعدت القلوب ، فزايدت الكروب ، فالواجب عليكم أن تكونوا إلبا^٢
واحدا ويذا واحدة فى الموالاتة وتقاطعوا^٣ الكفار بكل اعتبار ليقوم
أمركم وتطيب حياتكم ، وتصلح غاية الصلاح دنياكم وآخرتكم ، والآية
شاملة لكل ما يسمى توليا^٤ حتى فى الإرث وقال الكفا ومدافعة المسلمين
١٥ بالآمر والإنكار ، ولما ترك بعض العلماء إعانة بعض فتنة حصل ما خوف
الله تعالى منه من الفتنة والفساد حتى صار الأمر إلى ما ترى من علو المفسدين
وضعف أهل الدين ، فالآمر بالمعروف فيهم^٥ فى غاية الذل والغربة ،
يرد عليه أدنى الناس فلا يجد له ناصرا ، ويجد ذلك الآخر له على
(١) فى ظ : به (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : تقاطعوا (٤) فى ظ : تواليا (٥) من
ظ ، وفى الأصل : فلا يجد .

الرد أعوانا كثيرة^١، و صار أحسن الناس حالا مع الأمراء وأعظمهم
له محبة من يقنع بلومه على فعله ظنا منه أن ذلك شفقة عليه - والله المستعان .
ولما تقدمت أنواع المؤمنين : المهاجر والناصر والقاعد ، وذكر
أحكام موالاتهم^٢، أخذ بين تفاوتهم في الفضل فقال : ﴿ والذين آمنوا ﴾
أى بالله وما أتى^٣ منه ﴿ وهاجروا ﴾ أى فيه من يعاديه سابقين مع نبيه ه
صلى الله عليه وسلم ﴿ وجاهدوا ﴾ أى بما تقدم من المال والنفس أو
بأحدهما ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فبدلوا الجهد فى
إذلالهم كما بذل الأعداء الجهد فى إذلالهم ، ولم يذكر آلة الجهاد لأنها -
مع تقدم ذكرها - لازمة ﴿ والذين أؤوا ﴾ أى من هاجر إليهم
﴿ ونصروا ﴾ أى حزب الله ؛ وأعلم بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى الصنفين ١٠
الأولين خاصة ﴿ هم المؤمنون حقا^٤ ﴾ أى حق الإيمان ، لأنهم حققوا
إيمانهم : المهاجر بالانسلاخ من كل ما يحبه من الأمور الدنيوية ، والناصر
من جميع أهل الكفر بأيواء أهل الله ونصرتهم .
ولما بين وصفهم ، بين ما جباهم به بقوله دالا على أن الإنسان
محل التقصيان ، فهو - وإن اجتهد حتى كان من القسم الأعلى - لا ينفك ١٥
عن مواجهة ما يحتاج فيه إلى الغفران : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لزلاتهم
وهفواتهم ، لأن مبنى الآدمى على العجز اللازم عنه التقصير وإن اجتهد ،
والدين متين فلن يشاده أحد إلا غلبه ؛ ولما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ، ذكر
(١) فى ظ : كثيرا (٢) فى ظ : موالاتهم (٣) فى ظ : أوتى (٤) من ظ ، وفى
الأصل : حبيهم .

تزكيتهم بالرحمة فقال : ﴿ ورزق ﴾ أى من الغنائم وغيرها فى الدنيا
و الآخرة ﴿ كريم ﴾ أى لا كدر فيه [بوجه - ١] ، لا فى قطعه ولا
فى نقصانه ولا فى شيء من شأنه .

ولما حصر المؤمنين حقا فى الموصوفين ، بين أن من ترك ما هو عليه
ه من لزوم دار الكفر و القعود عن الجهاد ، لحق بمطلق درجتهم وإن
كانوا فيها أعلى منه فقال ذاكرا القسم الرابع : ﴿ والذين امنوا ﴾^٢ ولما
كانوا قد تأخروا عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، أدخل الجار
فقال : ﴿ من بعد ﴾ أى من^٢ بعد تأخر إيمانهم عن السابقين ﴿ وهاجروا ﴾
أى لاحقين للسابقين ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم من^٣ هاجر
١٠ بعد الحديبية ، قال : وهى الهجرة^٤ الثانية ﴿ وجهدوا معكم ﴾ أى من
تجاهدونه من حزب الشيطان ﴿ فاولئك منكم^٥ ﴾ أى لهم مالكم وعليهم
ما عليكم من الموارث و المغنم وغيرها^٦ ، لأن الوصف الجامع هو المدار
للاحكام وإن تأخرت رتبته عنكم كما^٧ أنهمت أداة البعد .

ولما بين أنهم منهم ، بين أنه متى جمعهم^٢ الوصف المحصل للولاية ،
١٥ كان القرب فى الرحم أولى من غيره فقال : ﴿ واولوا الارحام ﴾ أى
[من - ١] المؤمنين الموصوفين ﴿ بعضهم اولى ببعض ﴾ أى فى الإرث
و غيره من المتصفين بولاية الدين الخالية عن الرحم ﴿ فى كتب الله^١ ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : اى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى
الأصل : ما (هـ) فى ظ : الحديبية (٦) من ظ ، وفى الأصل : غيرهم (٧) من ظ ،
وفى الأصل : بما (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ .

أى القرآن أو فى حكمه وقسمه الذى أنزله إليكم الملك الأعظم فى آيات الإرث، وهى مقيدة بالعصبات [قنسخت الولاية - '] 'فلا دلالة' على توريث غيرهم، وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة المنذر بن عمرو أن بدرًا قطعت المواخاة بين الصحابة رضى الله عنهم، يعنى فتكون^٢ هذه الآية ناسخة آية "بعضهم أولياء بعض" وتكون تلك حيثئذ مبنية أمر^٣ ما كان قبل غزوة بدر - وهو حسن، والآية التى فى سورة الأحزاب مؤيدة له؛ ثم علل سبحانه ما ذكر بما يرغب فيه فقال: ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات الكمال كلها ﴿بكل شىء عليم﴾ فهو يعلم أن هذا هو الذى تدور عليه المصلحة وتدوم به الألفة كما علم فى أول الأمر أن نوط الإرث وغيره من لوازم القرب بالأخوة الإسلامية^٤ أولى / لما فى ذلك ١٠ / ٤٥٦ من تكثير قلتكم ونصر ذلتكم وجمع شتاتكم وجعل ما بينكم من الأخوة كلحمة النسب، فأما الآن فقد ضرب الدين بجراحه^٥، وثبت بقواعده وأركانها، وولى^٦ الكفر بسلطانه^٧، ونكص مدبرًا بأعوانه، فتوارثوا بالإسلام والقرابة وتقاطعوا^٨ الكفار، وقربوا وبعدوا، وانحازوا عنهم كما انحازوا عنكم، وتبرأوا منهم كما تبرأوا منكم، فقد انطبق آخر السورة ١٥ - بالإعراض عن الدنيا وإصلاح ذات البين وبيان المؤمنين حقًا وتقليد العليم فى جميع الأعمال من غير اعتراض - على أولها^٩، وبيان من يوالى^{١٠} ومن يعادى على أول برائة - والله الموفق .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ : فيكون (٤) فى ظ : الإسلام (٥) الضرب بالجران كناية عن الثبات والاستقرار (٦-٦) من ظ، وقد الأصل : الشيطان (٧) من ظ، وفى الأصل : قاطعوا (٨) سقط من ظ. (٩) فى ظ : أولها (١٠) فى ظ : توالى .

سورة براءة

مقصودها معادة من أعرض عما دعت إليه السورة الماضية من اتباع
 الداعى إلى الله فى توحيده و اتباع ما يرضيه ، و موالاته من أقبل عليه ،
 و أدل^١ ما فيها على الإبلاغ فى هذا المقصد قصة المخلفين فانهم - لاعترافهم
 بالتخلف عن الداعى بغير عذر فى غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد
 منهم رضى الله عنهم للاعراض بالقلب - هجروا ، و أعرض عنهم بكل
 اعتبار حتى بالكلام ، فذلك معنى تسميتها^٢ بالتوبة ، و هو^٣ يدل على البراءة
 لأن البراءة منهم - بهجرانهم^٤ حتى فى رد السلام - كان سبب التوبة ،
 فهو من إطلاق المسبب على السبب ، و تسميتها ببراءة^٥ واضح أيضا
 ١٠ فيما ذكر من مقصودها ، وكذا الفاضحة لأن من اقتضح كان أهلا للبراءة
 منه ، و البحوث لأنه لا يبحث^٦ إلا عن حال البغيض ، و المبعثرة هو المنفرة
 و المثيرة و الحافرة و الحفارة و المخزية و المهلكة و المتردة و المدممة
 و المنكلة ، لأنه لا يبعثر إلا حال العدو و كذا ما بعده ، و المشردة عظيمة
 المناسبة مع ذلك لما أشارت إليه الأنفال فى "فتردهم من خلفهم"^٧ و سورة
 ١٥ العذاب أيضا واضحة فى مقصودها ، وكذا المقتشفة لأنهم قالوا : إن معناه

(١) مدينة سوى آيتين فى آخرها - كما قال ابن الجوزى ، وهى مائة و تسع
 وعشرون آية ، وقيل : مائة و ثلاثون آية (٢) فى ظ : ابدل (٣) فى ظ : بتويتها .
 (٤) فى ظ : هذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : بهجرانهم (٦) فى ظ : براءة (٧) فى
 ظ : لا يبحث (٨) آية ٥٧ .

المبرئة من النفاق، من تشقشقت قروحه - إذا^١ تقشرت للبرء، و توجيهه أن
 من عرف أن الله برىء منه و رسوله و المؤمنون لأمر فهو جدير بأن
 يرجع عن ذلك الأمر، و عندى [أيضا - ٢] أنه مضاعف القش الذى
 معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين و أحوالهم و عليه خرج قاسم^٣
 ما فى وصف أبى جهنم بن حذيفة لمن أراد نكاحها: أخاف عليك قشقاشته^٤، ه
 أى تتبعه لمذاق الأمور، أخذنا من القش الذى هو تطلب المأكل من ههنا
 و ههنا، أو عصاه التى هى غاية ذلك، و مادة قش و مقلوبها شق و مضاعفها
 قششق و شقشق^٥ تدور على الجمع و تلازمه^٦ الفرقة فانه لا يجتمع^٧
 إلا ما كان مفترقا^٨ و لا يفرق إلا ما كان مجتمعا، و قد اقتسم هذان^٩
 المثالان المعنيين إلا قليلا، قشش القوم: صلحوا و أحيوا بعد الهزال بجمع ١٠
 اللحم، و الرجل: أكل من ههنا و ههنا ولف ما قدر عليه مما على الخوان،
 واضح فى ذلك، و أقشوا و انقشوا - إذا انطلقوا فجفوا و مروا^{١١} ذاهبين -
 و قد انقشوا - إذا مروا و ذهبوا مسرعين لاجتماعهم فى^{١٢} ذلك و جمعهم
 ما قدروا عليه من متاعهم، و القش و الإمقشاش: طلب المأكل من ههنا
 و ههنا لجمعه^{١٣}، و القشة - بالكسر: القردة كأنها لجمعها ما رأت مما يؤكل ١٥
 فى فيها، و الصية الصغيرة الجثة [التى - ١٤] لا تكاد تثبت كأنها^{١٥}

(١) فى ظ: اى (٢) زيد من ظ (٣) أى ابن سلام أبو عبيد الهروى (٤) فى جميع
 المراجع: قشقاشته - باهمال السين (٥) من ظ، و فى الأصل: شقشقا (٦) من
 ظ، و فى الأصل: تلازم (٧) من ظ، و فى الأصل: لا يجمع (٨) فى ظ: مفروقا .
 (٩) فى ظ: هذا (١٠) فى ظ: مردوا (١١) فى ظ: على (١٢) فى الأصل و ظ:
 لجمعها (١٣) زيد من تاج العروس (١٤) من ظ، و فى الأصل: كانه .

لا اجتماعها في نفسها،^١ وكذا الفشيس: الصغير من الصيان، ودوية
 كالجعل إما لاجتماعها في نفسها^٢ أو لجمعها القاذورات، والقشيش كأمر:
 اللقطة لأنها يجمعها اللقاطون، وصوت جلد الحية يحك بعضها ببعض،
 لأنه لا يكون إلا عند الثني والتجمع، وأش من الجدرى: برئ منه
 ٥ كتنقش^٣ يصلح أن يكون من الفرقة لأنه فارقه، ومن الجمع لأن البره
 جمعه كله فأزاله، ويمكن أن تكون^٤ همزته للازالة، وتنقشت القروح
 وتنقشت - إذا تنقشت للبره، إما من الجمع لاجتماع القوى للصحة،
 وإما من الفرقة والزوال، وكذا تنقش البعير - إذا برئ من الجرب،
 ٤٥٧ / ويقال: نقشهم بكلامه^٥ - إذا تكلم بقيح وآذام، أى لجمعه همومهم على
 ١٠ بغضه أو معائبهم، وكذا نقش الشيء: جمعه، والناقة: أسرع حلبها،
 أى جمع الزمان الطويل بجمع ما في ضرعها، والشيء: حكه بيده حتى
 يتحات، أى قشره جميعه، فهو يصلح للفرقة والجمع، ونقش: مشى مشى
 المهزول أى اضطرب، وهو يوجب [الإسراع و-^٦] الثني فيصلح
 للجمع والفرقة، ونقش: أكل مما يلقيه الناس على المزابل أو أكل كسر
 ١٥ الصدقة، لأن ذلك غاية في الجمع، ونقش النبات: يبس، فاستحق أن
 يجمع، والنقش: ردى التمر^٧ كالدقل ونحوه لأنه، يجمع^٨ في نفسه، والدلو
 (١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) في ظ كتنقش (٣) من ظ، وفي
 الأصل: يكون (٤) من القاموس، وفي الأصل وظ: بكلام (٥) زيد في ظ:
 أى (٦) زيد من ظ (٧) من القاموس، وفي الأصل وظ: النخل (٨) في
 ظ: تجمع.

الضخم^١ لكثرة ما يجمع، وفي الحديث: "قل يا أيها الكفرون" و"قل هو الله أحد" المقشقة^٢، أي المبرئتان من الشرك لما في الحديث: اقرأ "قل يا أيها الكفرون" عند منامك فانها براءة من الشرك، فالمعنى أنهما تجمعان كل شرك ونفاق [دقيق -^٣] أو جليل قزبلانه، والقشقة يحكى بها الصوت قبل الهدير في محض الشفقة^٤ قبل أن ترعد بالهدير، لأن مبادئ^٥ صوت الهدير زائد الضخامة، فكأنه جامع، فكذا ما يحكيه؛ والقشقة: العصا، لجمعها ما يراد بها أو لأنها يقشر عنها لحاؤها كما يقشر جلد الحية، وأما مقلوبه فيقال فيه^٦: شقه: صدعه أي فرقه، وقال الخليل: الصدع ربما كان في أحد الوجهين غير نافذ، والشق لا يكون إلا نافذاً، وشق ناب البعير: طلع، لأنه فرق اللحم، وشق العصا: فرقها باثنتين و فرق^{١٠} بين الجماعة، وشق عليه الأمر: صعب ففرق نفسه، وشق عليه: أوقعه في مشقة، وشق بصر المحتضر: نظر إلى شيء لا يرتد إليه^٧ طرفه، لأنه لتصويبه إلى جهة واحدة مفترق^٨ من بقية الجهات، والشق واحد الشقوق، والصبح^٩ لأنه يفرق جيش الظلام، وجوبة^{١١} ما بين الشفرين من جهاز المرأة، والتفريق ومنه شق عصا المسلمين، واستطالة البرق^{١٢} إلى وسط^{١٥} السماء من غير أن يأخذ يمينا وشمالا، لأنه يشق السحاب مستقيما كما يشق اللوح والعصا، والشق - بالكسر: الجانب لأنه مفارق للجانب الآخر^{١٦}،

(١) وفي تاج العروس: الصواب: الضخمة كما في التكلة وغيرها (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: القشقة (٤) في ظ: فيها (٥) في ظ: عليه (٦) من ظ، وفي الأصل: معترضة (٧) من ظ والقاموس، وفي الأصل: الصفح (٨) في ظ: جرت. (٩) من ظ والقاموس، وفي الأصل: البراق (١٠) في ظ: الا - كذا.

- و اسم لما نظرت إليه لانه في جانب واحد، و جنس من أجناس الجن لانه
فرقة منهم، و من كل شيء نصفه - و يفتح، [و -'] المال بيني و بينك شق
الشجرة - و يفتح : نصفان سواء، و الشقة - بالكسر: شظية من لوح، و من
العصا و الثوب و غيره ما شق مستطيلا، و الشقية: ضرب من الجماع^١ كأنه
٥ على شق واحد، و الشقة - بالضم و الكسر: البعد و الناحية يقصدها المسافر،
و السفر البعيد، و كله واضح في الفرقة. و المشقة أيضا لانها تأخذ أحد شق
النفس، و الفرس الأشق: البعيد ما بين الفروج و الطويل. كأن أجزاءه
تفرقت فطال ضد ما تقدم في الصية الصغيرة، و الأشق أيضا: العجل
إذا استحكم كأنه^٢ لما تأهل من شق الأرض بالحراثة، و كل ما اشتق
١٠ نصفين، و الشقيقة كسفينة: الفرجة بين الجبلين: تبت العشب، لانها
فرقت بين الجبلين و فرقت^٣ عشبها بين ملتئم أرضها، و المطر الوابل المتسع
لأن الغيم تشقق عنه، و من البرق ما انتشر من الأفق لانه يشق السحاب،
و وجع يأخذ نصف الرأس و الوجه، و شقائق النعمان معروف سميت
لحمرتها تشبيها بشقيقة البرق - كذا قالوا، و عندي أنها سميت لتفرق
١٥ أوراقها و تصفقها فكأنها مشققة^٤ مع التجمع، و الشقاق كغراب: تشقق
يصيب أرساغ الدواب، و الشقشقة - بالكسر: شيء كالرثة يخرج البعير
من فيه إذا هاج، كأنه يشق حلقة فيخرج و يوجب هديره الذي يشق
(١) زيد من ظ و القاموس (٢) من ظ و القاموس، و في الأصل: الجماعة.
(٣) في ظ: لانه (٤) في اللسان: الجبلين (٥) من ظ، و في الأصل: فرق (٦) في
ظ: مشقة.

انطباق تجويفه ليصوت ، ومنه شقق^١ الفحل : هدر ، والعصفور :
صوت ، وشقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج ، وشقق الخطب : فرق
كل واحدة باثنتين أو أكثر ، وانشقت العصا : تفرق الأمر ، والاشتقاق :
أخذ شق الشيء ، والأخذ في الكلام / وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك
القصد ، لأنه يشق^٢ جهات المعاني ، وهو أيضا أخذ الكلمة من الكلمة ، ه
فكانه فرق بين أجزائها ، وهذا أخى وشق نفسى وشقيقى ، كأنه^٣ يشق
[نسه - ٤] من نسه^٥ أو كأنه شقه منه . وهذه السورة آخر سورة نزلت ،
روى^٦ البخارى فى التفسير وغيره من صحيحه عن البراء رضى الله عنه قال :
آخر آية نزلت " يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلفة " و آخر سورة
نزلت لبرء .

١٠

ولما كانت مناسبة أولها - الداعى إلى البراءة من يخشى نقضه^٧ -
لآخر الانتقال المبين لمن^٨ يصلح للولاية المحتتم بشمول العلم فى حد عظيم
من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الأعراف لأول الانتقال ،
قدمت الانتقال مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه أمرها على^٩
الصحابة فى كونها سورة مستقلة أو بعض سورة كما قدمت آل عمران ١٥

(١) من القاموس ، وفى الأصل : شقيق ، وفى ظ : شقق (٢) من ظ ، وفى
الأصل : يشقق (٣) فى ظ : لانه (٤) زيد من ظ والقاموس (٥) من القاموس ،
وفى الأصل و ظ : نفسه (٦) من ظ ، وفى الأصل : وفى - كذا (٧) من ظ ،
وفى الأصل : بغضة (٨) من ظ ، وفى الأصل : لم - كذا (٩) من ظ ،
وفى الأصل : عن .

'مع قصرها' على النساء لمثل ذلك من المناسبة، فكان ما ذكر في براءة من
 البراءة والتولى شرحا لآخر الأتقال؛ روى الإمام أحمد في المسند وأبو داود
 في السنن والترمذى في الجامع وحسنه و^٢ ابن ماجه وابن حبان في^٣ صحيحه
 وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى والبزار والبيهقى والإمام أبو محمد إسحاق بن
 إبراهيم البستي^٤ القاضى فى تفسيره - بسند الترمذى والبيهقى - والإمام أبو جعفر
 النحاس بغير سند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان
 رضى الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأتقال وهى من المثنى وإلى براءة
 وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم
 ووضعتوها فى السبع الطول؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان رضى الله عنه:
 ١٠ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مم^٥ - وقال البستي: ربما - يأتى عليه
 الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء
 دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات فى السورة
 التى يذكر فيها كذا وكذا، وكانت^٦ الأتقال من أوائل ما نزل بالمدينة،
 وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها،
 ١٥ فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها،
 - قال النحاس: وذهب عني أن أسأله عنها - فمن أجل ذلك قرنت بينهما
 (١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) ذكره فى معجم
 البلدان - راجع «البست» (٤) فى ظ: الى (٥) من جامع الترمذى - التفسير،
 و مسند الإمام أحمد ٥٧/١، وفى الأصل وظ: بما (٦) فى ظ: كان .
 ولم (٨٩) ٣٥٦

ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" فوضعتها في السبع الطول -
 زاد ابن راهويه : وكاتا تدعيان القريبتين - انتهى . فبين أنهما اشتبهتا عليه
 وأنه وضعهما في الطول لمناسبتهما لها على تقدير كونها سورة واحدة ؛ قال في
 القاموس : والسبع الطول - كصرد - من البقرة إلى الأعراف ، والسابعة سورة
 يونس أو الأنفال وبراءة جميعا لأنهما سورة واحدة - انتهى . وقال في ه
 الكشف : وقيل : سورة الأنفال و التوبة سورة واحدة كلتاها نزلت في
 القتال تعدان السابعة^١ من الطول وهي سبع وما بعدها المئون ، وهذا قول ظاهر
 لأنها معاً مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول ، وقد اختلف أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : الأنفال وبراءة سورة واحدة ، وقال
 بعضهم : هما سورتان فتركت^٢ بينهما فرجة لقول من يقول : هما سورتان ، ١٠
 وتركت « بسم » لقول من يقول : هما سورة واحدة - انتهى . وعن أبي
 ابن كعب رضى الله عنه أنه قال : إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر
 العهود ، وفي براءة نذ العهود ، و وضعت إحداهما بجانب الأخرى .
 والمراد بالمثنى هنا ما دون المئين^٣ و فوق المفصل ؛ قال أبو عبيد الهروى :
 قيل لها مثنى لأن المئين جعلت مبادئ ، والتي تليها مثنى - انتهى . ١٥
 والاحسن كون ذلك بالنسبة إلى المفصل من وجهين : الأول أن المفصل
 أول لقب جامع للسور باعتبار القصر وفوقه المثنى ثم المئون ثم الطول ،
 فالمثنى / ثانية له حقيقة ، وما هي ثانية للمئين^٤ إلا أن ألقينا البداءة بالطول
 ٤٥٩ /

(١) من ظ والكشاف ١/ ٣٨٤ ، وفي الأصل السابقة (٢) من ظ والكشاف ،
 وفي الأصل : فتركب (٣) من ظ ، وفي الأصل : اللاتين (٤) من ظ ، وفي
 الأصل : اللتين .

من الطرف الآخر ، الثاني أنها لما زادت على المفصل كانت قسمة ' السورة
منها في ركعتين من الصلاة كقراءة سورتين من المفصل فكانت مثاني
لثنيتهما في مجموع الصلاة باعتبار قراءة بعضها في كل من الركعتين ؛ قال
أبو جعفر النحاس : قال أبو إسحاق : حدثني بعض أصحابنا عن صاحبنا محمد
٥ ابن يزيد أنه قال : لم تكتب في أول سورة براءة "بسم الله الرحمن الرحيم"
لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" افتتاح خير ، وبراءة أولها وعيد ونقض
للهود فلذلك لم تكتب في أولها بسم [الله - ٢] ؛ وعن ابن عباس رضى الله
عنهما قال : سألت عليا رضى الله عنه : لم لم تكتب "بسم الله الرحمن الرحيم"
ههنا ؟ قال : لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" أمان ، وهذه السورة نزلت بالسيف
١٠ ونبذ العهد و ليس فيها أمان - انتهى . وبهذا أخذ الإمام أبو القاسم الشاطبي
في قصيدته حيث قال :

و مهما تصلها^٢ أو بدأت براءة^٣ تنزيلها بالسيف لست * مبسلا
و قال في الكشف : وسئل ابن عينة فقال : اسم الله سلام وأمان ،
فلا يكتب في التنبذ والمخاربة ، قال الله تعالى "ولا تقولوا لمن اتقى اليكم
١٥ السلم لست مؤمنا"^٤ قيل : فان النبي صلى الله عليه وسلم [قد - ٧] كتب
إلى أهل الحرب "بسم الله الرحمن الرحيم" ! قال^٥ : إنما ذلك ابتداء ، يدعوهم
١ من ظ ، وفي الأصل : قسم (٢) زيد من ظ (٣) من حرز الأمانى ٣٠ ، وفي
الأصل : فصلها ، وفي ظ : فصلها (٤) من ظ والحرز ، وفي الأصل : بقراءة .
(٥) من الحرز ، وفي الأصل و ظ : ليست (٦) سورة ٤ آية ٩٤ (٧) زيد من
الكشاف ١ / ٣٨٤ (٨) سقط من ظ .

ولم ينبذ إليهم ، ألا تراه يقول ” سلم على من اتبع الهدى “^١ فن
دعى إلى الله فأجاب ودعى إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى ، وأما
النبذ فأنما هو البراءة و اللعنة - انتهى . ولا يعارض هذا خبر ابن عباس
عن عثمان رضى الله عنهما^٢ ، بل هو شبيه لما نزلت من غير بسملة للحنى
المذكور ، اشتبه^٣ أمرها على الصحابة رضوان الله عليهم ولم يقع السؤال عنها ه
حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت موافقتها للسور في
تسميتها باسم يخصها دليلا على أنها سورة برأسها ، ومخالفتها في ترك
إنزال البسملة في أولها مع احتمال أنها تركت للحنى المذكور أو لغيره
دليلا على أنها بعض سورة ، فقد روى أبو داود والحاكم في المستدرک
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف ١٠
فصل السورة - وفي رواية : لا يعلم^٤ انقضاء السورة - حتى ينزل عليه
” بسم الله الرحمن الرحيم “ . قال الحافظ أبو شامة : هذا حديث حسن ، وللحاكم
في المستدرک أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المسلمون
لا يعلمون انقضاء السورة حتى ينزل ” بسم الله الرحمن الرحيم “ فاذا نزل^٥ علم
أن السورة قد انقضت . فلما اشتبه أمرها تركوا كتابة البسملة في أولها ١٥
و^٦ فصلوها عن^٧ الانتقال قليلا - والله الموفق . هذا وقد مضى بيان تشابه
قصتيهما في أول الانتقال وأثناء الأعراف إجمالا ، وأما تفصيلا فلما

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ : تنهم (٣) من ظ ، وفي الأصل :
المشتبه (٤) من ظ ، وفي الأصل : عليه (٥) في ظ : لا يعرف (٦) في ظ : نزلت .
(٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : فصلوها على .

في كل منهما من نبذ العهد إلى من خيف نقضه ، وأن المسجد الحرام لا يصلح لولايته إلا المتقون ، وأن المشركين نجس لا صلاحية فيهم لقربانه ، وأن قلة حزب الله لا تضرهم إذا لموا دعائم النصر المحس وكثرتهم لا تغنيهم إذا حصل في ثباتهم^١ لبس ، والحث على الجهاد في غير موضع ، و ضمان الغنى ٥ كما أشار إليه في الأتقال بقوله ” لهم [درجت عند ربهم و-] مغفرة و رزق كريم^٢ “ و ذكر أحكام الصدقات التي هي من وادي الغنائم ، و عد أصناف كل ، و الأمر بالإتفاق المشار إليه في الأتقال بقوله ” و الذين كفروا بعضهم اولياء بعض^٣ “ أي بالتناصر في الإتفاق وغيره كما فعلوا في مال التجارة الذي أرسدوه حتى استعانوا به على غزوة أحد المشار إليه بآية ” ان الذين كفروا ينفقون اموالهم^٤ “ مع آية / ” الاتقلوه^٥ “ و يسان ١٠

/ ٤٦٠

أحوال المناقنين المشار إليهم في الأتقال بقوله ” اذ يقول المنفقون^٦ “ - الآية ، و الأمر الجامع لكل أنهما معا في بيان حال النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره و أثنائه و منتهاه ؛ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في كتابه : إتصالها بالأتقال أوضح من أن يتكلف بتوجيه^٧ حتى أن ١٥ شدة^٨ المشابهة و الالتئام - مع أن الشارع عليه السلام لم يكن بين انفصالها - أوجب أن لا يفصل بينهما ب ” بسم الله الرحمن الرحيم “ ، و ذلك أن الأتقال قد تضمنت الأمر بالقتال ” و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة^٩ “ و بين أحكام الفرار من الزحف و حكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت و لحوق التأثيم للفار

(١) في ظ : نياتهم (٢) زيد من القرآن سورة ٨ آية ٤ (٣) آية ٧٣ (٤) آية ٣٦

(٥) آية ٧٣ (٦) آية ٤٩ (٧) من ظ ، و في الأصل : توجيهه (٨) من ظ ، و في

الأصل : اشد (٩) آية ٣٩ .

وأنها على [حكم - ١] الضعيف و حكم الأسرى و حكم ولاية المؤمنين
وما يدخل تحت هذه الولاية ومن يخرج عنها، ثم ذكر في السورة
الأخرى حكم من عهد إليه من المشركين و البراءة منهم إذا لم يوفوا،
و حكم من استجار منهم إلى ما يتعلق بهذا، وكله باب واحد، وأحكام
متواردة^٢ على قصة^٣ واحدة، وهو تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان ٥
أعظم التجام، ثم عاد الكلام إلى حكم المنافقين و هتك أبتارهم - انتهى .
وأما تطابق آخر الاقوال مع أولها فقد ظهر بما مضى، وأيضاً فلما
ذكر في آخر التي قبلها أمر المهد تارة بينده إلى من خيفت خيافته كائناً
من كان في قوله " فانذ إليهم على سواء " و تارة بالتمسك به عند
الامن من ذلك في قوله " الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق " و بين ١٠
من يصلح للموالة و من لا يصلح، و ختمت بالإخبار يشمول عليه،
ابتدئت هذه السورة بالأمر بالنيذ إلى ناس بأعيانهم يقضوا أو يخيف منهم
ذلك، و ذلك تصرّح بما أفهمته آيات الموالة في التي قبلها من أن
إحدى الفرقين لا تصلح للموالة الأخرى فقال تعالى: (برآة) أى
عظيمة، ثم وصفها بقوله: (من) أى حاصلة واصلية من (الله) ١٥
أى المحيط بصفات الكمال، فهو العالم بمن يستحق الولاية و من يستحق
البراءة (ورسولة) أى المتابع لأمره لعله به .
ولما كانوا قد توقفوا في الحديبية [كلهم - ١] أو كثير منهم تارة في

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : متواترة (٣) في ظ : قضية (٤) آية ٥٨ (٥) آية ٥٧.

(٦) زيد لاستقامة العبارة .

نفس العهد وتارة في التأخر عن الأمر بالخلق ، ثم تابعوا في كل منهما ، وكان الكفار بمحل البعد عن كل خير ، أشار إلى ذلك بأداة الغاية ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله إشارة إلى أنه لا يخالفه أصلاً ، وأسندت المعاهدة إليهم إشارة إلى ذلك التوقف تحذيراً من أن يقع مثله ، ه فقال مخبراً عن النبذ^٢ الموصوف : ﴿ إلى الذين عهدتم ﴾ أى أوقعتم العهد بينكم وبينهم ﴿ من المشركين ط ﴾ أى وإن كانت معاهدتكم لهم^٢ إنما كانت باذن من الله ورسوله ، فكما فعلتم المعاهدة باذنها فافعلوا النقص تبعاً لها ، ودل سياق الكلام وما حواه من بديع الانتظام أن العهد إنما هو لأجل المؤمنين ، وأما الله ورسوله فغنيان عن ذلك ، أما الله فبالغنى المطلق ، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذى اختاره للرسالة لأنه ما فعل ذلك به إلا وهو قادر على نصره بسبب وبغير سبب ، وعلم أن ذلك فيمن نقض أو قارب من قوله بعد ” إلا الذين عهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً “ - الآية ؛ قال البغوى : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك^٤ كان المنافقون يرجفون الأراجيف ، وجعل المشركون ينقضون^٥ عهودا كانت^٦ بينهم ١٥ وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الله بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى ” وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم^٧ “ الآية - انتهى . وذكر ذلك ابن إسحاق وغيره ، [ولعله أطلق هنا ولم يقيد عن خيف

(١) من ظ ، وفي الأصل : اجلا (٢) من ظ ، وفي الأصل : المبتدا (٣) من ظ ، وفي الأصل : لها (٤) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ ومعلم التنزيل لحدفناهما (٥) في ظ : يبتغون (٦) في ظ : وكان (٧) آية ٥٨ .

نقضه ليكون ذلك أول السورة مؤذنا بأن الحياة و الهمة بالنقض شأن أكثرهم ولا سيما مشركو قريش ، و هم - لكون قريش رؤس الناس والناس تبع لهم في الخير و الشر - يستحقون أن يعبر عنهم بما يفهم الكل - '] ، وبنى هذه السورة على البراءة من المشركين و الموالاة للؤمنين الدال على إيمانهم طاعة الله بالصلاة و الزكاة و الجهاد لمن أمر بالبراءة ه منه قل أو أكثر قرب أو بعد في المنشط و المكروه و العسر و اليسر .

و لما كان ظاهر الحال وقت تكامل نزولها - وهو شوال أو ذو القعدة أو ذو الحجة سنة تسع بعد مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من تبوك -

/ أن الحرب قد وضعت أوزارها و أطفئت نارها بتبسط الإسلام في الخاص ٤٦١ / و العام ، ما بين اليمن و الشام ، و انتشار ألبتة و أعلامه ، و تأيد رئيسه ١٠ و إمامه بقهر جيوش الكفار ، و قصد الناس له بالمبايعة من جميع الأمصار ، أكد أمر الجهاد و مصادمة الأنداد في هذه السورة تأكيداً لم يؤكد في غيرها ؛ ذكر الواقدي في أواخر غزوة تبوك كلاماً ثم قال : قالوا : و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة - يعنى من غزوة تبوك -

في رمضان سنة تسع ثم قال : و جعل المسلمون يبيعون^٢ أسلحتهم و يقولون : ١٥ قد انقطع الجهاد ، فجعل القوى منهم يشترها لفضل قوته ، فبلغ ذلك رسول^٣ الله صلى الله عليه و سلم فنهاهم عن ذلك و قال : لا تزال^٤ عصاة

(١) زيد ما بين الحازنين من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : بالمتابعة (٣) من ظ و المغازى ١٠٥٧/٣ و في الأصل : يتبعون (٤) -قط من ظ (٥) من ظ و المغازى ، و في الأصل : لا يزال .

من أمتي بمجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال . وإنما قلت : إن تكامل
نزولها كان في شوال أو في ذي القعدة أو في ذي الحجة لأن البغوى نقل
عن الزهرى أن أولها نزل في شوال ، وقال ابن إسحاق - ونقله عنه البيهقي
في دلائل النبوة - : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من
تبوك بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر رضى الله عنه
أميرا على الحج في سنة تسع لقيم للمؤمنين حجهم والناس من أهل
الشرك على منازلهم^١ من حجهم - وأيسد البيهقي في دلائله إلى عروة
قال : فلما أنشأ الناس الحج تمام سنة^٢ تسع بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبا بكر أميرا على الناس وكتب له سنن الحج - انتهى . فخرج
١٠ أبو بكر والمؤمنون رضى الله عنهم ونزلت براءة في تقض ما بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم و [بين - ٢] المشركين من العهد الذى كانوا عليه
فيما بينهم وبينه أن لا يصد عن البيت أحدا جاءه ولا يخاف أحدا في
الشهر الحرام ، وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك ،
ونقل أبو محمد البستى عنه أنه قال : فكانت هذه المدة والعهد الذى كان
١٥ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين العرب أنه لا يصد أحدا عن البيت
ولا يتعرض لحاج ولا معتبر ، ولا يقاتل في الشهر الحرام ، وكان
أبانا مستفيضا من بعضهم لبعض على غير مدّة معلومة ؛ رجّع إلى ما رأيته
أنا في سيرته : وكانت بين ذلك عهود بين رسوله صلى الله عليه وسلم وبين

(١) من ظ وسيرة ابن هشام ٣/ ٤٥ ، وفي الأصل : منازلهم (٢) من ظ ؛
وفي الأصل : السنة (٣) زيد من السيرة (٤) في ظ : احدا (٥) في ظ : انه .

قبائل من العرب خصائص إلى آجال مساة قزلت فيه و فيمن^١ تخلف
من المناقين [عنه - ^٢] في تبوك و في قول من قال منهم ، فكشف الله
فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ؛ ثم قال ابن هشام :
قال ابن إسحاق : و حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر
محمد بن علي أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
و قد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم للناس الحج قيل له :
يا رسول الله ! لو بعثت بها إلى أبي بكر ! فقال : لا يؤدي عني إلا رجل
من أهل بيتي^٣ ، ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال [له - ^٤] :
أخرج بهذه القصة من صدر براءة فأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا
بمني أنه لا يدخل الجنة كافر ، و لا يمحج بعد العام مشرك ، و لا يطوف^٥ ١٠

بالبيت عريان ، و من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو
له إلى مدته . فهذا فيه أنها ؛ نزلت بعد سفر أبي بكر رضي الله عنه ، و إنما
قيدت أنا بتكامل نزولها لأنه ورد أن الذي في النقض فبعث به عليا
رضي الله عنه^٦ . إنما هو عشر آيات أو سبع ، و في بعض الروايات التصريح
بنزولها قبل سفر أبي بكر رضي الله عنه ، ففي زيادات مسند الإمام أحمد^٧ ١٥
عن علي رضي الله عنه قال : لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلى الله
عليه وسلم دعا أبا بكر رضي الله عنه فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ،
ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال^٨ : أدرك أبا بكر ، فحيث ما لحقته

(١) من ظ و السيرة ، و في الأصل : في (٢) زيد من السيرة (٣) من ظ
و السيرة ٣/ ٥٠ ، و في الأصل : بين (٤) في ظ : إنما (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين
من ظ (٦) في الأصل و ظ : أبي بكر - كذا (٧) سقط من ظ .

فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم - فذكره ، وفيه
 أن / أبا بكر رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما رجع : أنزل
 في شيء ؟ قال : لا ، ولكن جبريل عليه السلام جاءني فقال : لن يؤدي عنك
 إلا أنت أو رجل منك ، ونقل البغوى عن ابن إسحاق أنه صلى الله عليه
 وسلم بعث مع أبي بكر بأربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على
 أهل الموسم ، ثم بعث بعده عليا على ناقته المضياء ليقرأ على الناس [صدر-^١]
 براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة^٢ . وفيه أن أبا بكر رضى الله
 عنه قال : يا رسول الله ! أنزل في [شأنى-^١] شيء ؟ قال : لا ، ولكن
 لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الأمر^٣ إلا رجل من أهلى . فتبين أن الأول
 ١٠ من إطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الذى فيه البراءة ، وما سميت
 "سورة براءة" إلا به ، وأن المعنى : لا يؤدي عنى^٤ فى اليهود ، لا مطلقا ،
 فقد أرسل رسلا^٥ للأداء عنه من غير أهل بيته ؛ وقال المهدوى^٦ فى تفسير
 "فسيحوا فى الارض" : وروى أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله
 عليه وسلم بعد خروج^٧ أبى بكر بالناس ليحج بهم سنة تسع ، فبعث
 ١٥ بها النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ليتلوها على الناس بالموضع
 الذى يجتمع فيه الفريقان وهو منى ، وأمره أن ينادى أن لا يحج بعد
 (١) زيد من العالم - راجع لباب التأويل ٤٩/٣ (٢) زيد فى العالم : أن قد برئت
 ذمة الله وخدمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت
 عريان (٣) فى ظ : الخبر ، وسقط من العالم (٤) زيد فى ظ : الا (٥) فى ظ :
 رسول (٦) فى ظ : المهدى (٧) منى ، وفى الأصل : خروجه .

العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فنادى على وأعانه أبو هريرة وغيره رضى الله عنهم، وكان على مكة حينئذ عتاب بن أسيد رضى الله عنه، استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو عام ثمان، وكان حج عتاب وأبي بكر سنة تسع في ذي القعدة - كذا قال وسيأتي بيان بطلانه^٢، وتقدم خلافه عن ابن إسحاق في^٣ دلائل النبوة؛ وقال الإمام ه أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي في تفسيره: حدثنا قتيبة عن^٤ الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من تبوك فأراد الحج فقال: إنه يحضر البيت المشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، فأرسل أبا بكر وعلياً رضى الله عنهما، قطافاً في الناس بنى الحجاز وبأمكنهم التي ١٠ كانوا يتبايعون بها كلها وبالموسم كله، وأذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر - يعنى أشهر الحرم المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون^٥ من ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم، فأذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا، فأمن الناس^٦ أجمعون. وفي سيرة ابن إسحاق: حدثنا يونس - يعنى ابن بكير - عن أسباط [بن -]^٧ ١٥ نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي " فسيحوا في الأرض

(١) في ظ: أبو بكر (٢) في ظ: بطلانه (٣) في الأصل و ظ « و » (٤) في ظ: حدثنا (٥) والعبارة من هنا إلى « إلى عشر » ساقطة من ظ (٦) وفي رواية الطبري بهذا الطريق: نهى - راجع جامع البيان (٧) من جامع البيان، وفي الأصل: تخلو، وفي ظ: تخلو (٨) زيد في ظ: كلهم (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من تهذيب التهذيب.

اربعة اشهر" قال : عشرين من ذى الحجة إلى عشر من ربيع الآخر ثم لا أمان لأحد ولا عهد إلا السيف أو الإسلام ؛ وقال ابن هشام : حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيههم ليرجع كل قوم إلى مآمنهم ؛ وللترمذى عن زيد بن أئبع^٢ قال : سألت عليا رضى الله عنه : بأى شىء بعثت ؟ قال : بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعده إلى مدته ومن لا مدة له فأربعة أشهر^٣ . ونقل ابن سيد الناس ١٠ عن ابن عائذ أنه لما ضرب للمشركين هذا الأجل قالوا : بل الآن لا نبتغى تلك المدة ، نبرأ منك ومن ابن عمك إلا بالضرب* والظعن ؛ فخرج الناس عامهم ذلك ، فلما رجعوا رغب الله المشركين فدخلوا فى الإسلام طوعا وكرها ، وصدق الله ورسوله فلم يحج بعد ذلك [العام - ٦] مشرك ولم يطف بالبيت عريان . وقد وردت نصوص وظواهر فى كثير ١٥ من سورة براءة أنه نزل قبل الرجوع عن تبوك أو قبل الاعتذار ، فمن النصوص قوله تعالى " لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك

(١) من السيرة ٣/ ٥٠ ، وفى الأصل وظ : امر (٢) وفى تهذيب التهذيب : زيد ابن أئبع ، ويقال : أئبع (٣) ساقه الترمذى فى أبواب التفسير مع تقديم وتأخير بالنسبة إلى هنا (٤) من ظ ، وفى الأصل : عائذ ؛ وابن عائذ هو محمد الكاتب الدمشقى له مغازى النبي صلى الله عليه وسلم (٥) من ظ ، وفى الأصل : من الضرب (٦) زيد من ظ .

٦٤٣ /

ولكن / بعدت عليهم الشقة و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم“ وقوله
 ” فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
 معي ابدا“ - الآيات ، ” يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا
 لن تؤمن لكم قد بانا الله من اخباركم - إلى أن قال : سيحلفون بالله لكم
 اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم“ - الآيات ، وأما الظواهر فان الواقدي ه
 قال في سيرته : [فأنزل من القرآن في غزوة تبوك ، ثم ذكر أكثر سورة -^١]
 براءة وقال هو وغيره من أصحاب السير : وكان رهط من المنافقين
 يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك منهم ودبة بن ثابت -
 فذكر القصة التي فيها أن بعضهم قال ترهيبا للمؤمنين : أتخسبون قتال
 بني الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكانا^٢ بكم غدا مقرنين في الجبال ، وقال ١٠
 كل منهم شيئا إلى أن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبار بن
 ياسر : أدرك القوم فانهم قد احترقوا^٣ فسلهم عما قالوا ، فان أنكروا فقل :
 بلى^٤ ، قلت كذا وكذا - إلى أن قال : إن بعضهم قال : إنما كنا نخوض
 ونلعب فأنزل الله فيه ” ولئن سألتهم ليقولن^٥ إنما كنا نخوض ونلعب -
 إلى قوله - بانهم كانوا مجرمين “ ثم قال : وجاء الجلاس إلى رسول الله ١٥
 صلى الله عليه وسلم فخلف ما قال من ذلك شيئا ، وكان قد قال : إن
 كان محمد صادقا فتحن شر من الخير ، فأنزل الله عز وجل فيه^٦ ” يحلفون بالله
 ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر “ - إلى آخرها ، فاعترف الجلاس حينئذ

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : لكننا (٣) من ظ والغزى ٣ / ١٠٠٤ ، وفي
 الأصل : احترقوا (٤) من المغزى ، وفي الأصل و ظ : بل (٥) في ظ : نقولن .
 (٦) سقط من ظ .

و تاب و حسنت توبته ، و ذكر مسجد الضرار و أن أهله كانوا سألوا
النبي صلى الله عليه وسلم و هو متجهز إلى تبوك أن يصلى لهم فيه فاعتذر
إليهم بشغله بالسفر و وعدهم أن يصلى فيه إذا رجع ، فلما نزل صلى الله
عليه وسلم بذي أوان - قال ابن هشام : بلد^١ بينه وبين المدينة ساعة
من نهار - أتاه خبره و خبر أهله من السماء ، فدعا^٢ اثنين^٣ من أصحابه
فأمرهما [به - ^٤] فأحرقاه ، و تفرق أهله و نزل فيه من القرآن ما نزل
” و الذين اتخذوا مسجدا ضارا و كفرا “ - إلى آخر القصة ؛ قال الواقدي :
وكان عاصم بن عدى يقول : كنا نتجهز إلى تبوك مع النبي صلى الله
عليه وسلم فرأيت عبدالله بن نبتل^٥ و ثعلبة بن جاطب قائمين على مسجد
الضرار - إلى أن قال : فوالله ما رجعنا من سفرنا^٦ حتى نزل القرآن
بذمه و ذم أهله ” و الذين اتخذوا مسجدا ضارا “ - إلى آخرها ، و من
ذلك تسميتها بالفاضة ، فلو لا نزولها قبل معرفة أخبارهم لم تكن فاضحة ،
و هى فى الظاهر للعاهدين و فى الباطن مشيرة^٧ إلى أهل الردة و أن لا يقبل
منهم إيمان ما لم يجمعوا بين الصلاة و الزكاة كما^٨ فهم أبو بكر رضى الله عنه ،
و أقيمت على ذلك قرائن منها تكرير الجمع بين الصلاة و الزكاة فى سياق
الإيمان تكريرا لم يكن فى غيرها من السور ، فهى من أعلام النبوة ؛
(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فندب (٣) و هما مالك بن الدخشم و عاصم بن
عدى - كما فى المغازى و السيرة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و المغازى ٣/١٠٤٨ ،
و فى الأصل : نبيل (٦) من ظ و المغازى ، و فى الأصل : سورنا (٧) فى ظ :
بشيرة (٨) من ظ ، و فى الأصل : لا .

و روى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم القاضي البستي في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهما : عشر منها في براءة ، وعشر في الأحزاب ، وعشر في المؤمنين^١ و سال سائل .

ولما أعلمهم سبحانه بأنه رد إليهم عهدهم ، وكانوا مختلطين مع أهل الإسلام ، جعل لهم مخلصا إن آثروا البقاء على الشرك مع إعلامهم^٥ بأنه لا خلاص لهم لأنهم^٢ في قبضته ، فقال مخاطبا لهم ولكل مشرك مسييا عن البراءة : ﴿ فسيجوا ﴾ و السياحة : الاتساع في السير و البعد عن المدن و العماره مع الإقلال من الطعام و الشراب ، ولذلك يقال للصائم : سآخ ، و المراد هنا مطلق السير .

ولما كانت السياحة تطلق على غيره ، حقق المعنى بقوله : ١٠ ﴿ في الارض ﴾ أى في أى جهة شتّم ﴿ اربعة اشهر ﴾ أى [من - ٢] أيام الحج ، فيكون آخرها عاشر شهر ربيع الآخر ، تأمنون^٣ فيها منا ، لا نعرض لكم بسوء ، بل تذهبون فيها حيث شتّم ، أو ترمون حصونكم و تهيئون سلاحكم و تلبون شعثكم لا تقدركم^٤ ، لأن ديننا مبني على المحاسن ، و لو لا أن الأمر يتعلق / بنفوسنا ما نبذنا عهدكم و لا نقضنا عقدكم ، ١٥ / ٤٦٤ ولكن الخطر في النفس و قد ظهرت منكم أمارات الغدر و لوأنح الشر و عن أى نفس بعد قسى أقاتل ، فإذا انقضت الأربعة الأشهر فتهيؤوا لقتالنا و تدرعوا لنزالنا .

ولما كان الإسلام قد ظهر بعد أن كان خفيا ، و قوى بعد أن كان

(١) في ظ : الومنون (٢) في ظ : بانهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : يأمنون (٥) في ظ : لا تقدركم .

ضعيفا ، افتتح وعظهم بالكلمة التي تقال أولا لمن يراد تقريع سماعه وإيقاظ قلبه و تنبيهه على أن ما بعدها أمر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به فقال :
 ﴿واعلموا انكم﴾ أى^١ أيها الكفرة وإن كثرتم ﴿غير معجزى الله لا﴾
 لأن علمه محيط بكل شيء فهو قادر على كل ممكن ﴿وان الله﴾ أى
 ٥ لما له من الإحاطة بالجلال والإكرام ﴿مخزى الكافرين﴾ أى كلهم
 منكم ومن غيركم فى الدنيا والآخرة لأن قوله قد سبق بذلك ، ولا يبدل
 القول لديه ، [والإخزاء : الإذلال مع إظهار الفضيحة والعار - ٢] ،
 وأظهر الوصف موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم به ، ولعل الالتفات
 إلى الخطاب إشارة إلى أن من ترك أمر الله حذبا على قريب أو عشير
 ١٠ فهو منهم ، وقد برئت منه الذمة ، فلينج بنفسه ولا نجاه له ، أو^٢ يكون
 لاستعطاف الكفار لتلذذ الخطاب وترهيبهم بزواجر العقاب .

ولما أنزل البراءة ، أمر بالإعلام^٣ بها فى الجمع الأعظم ليقطع
 الحجب ، فقال عاطفا ظهرة الجملة إلى مضمونها : الإخبار بوجوب الإعلام^٤
 بما ثبت بالجملة الأولى المعطوفة عليها من البراءة : ﴿واذان﴾ أى وهذا
 ١٥ إعلام وإعلان واقع واصل ﴿من الله﴾ أى المحيط بجميع صفات
 العظمة ﴿ورسوله﴾ أى الذى عظمت من عظمت ، فلا يوجهه إلى شيء
 إلا أعلاه عليه ؛ ولما كان المقصود الإبلاغ الذى هو وظيفة الرسول ،
 عداه بحرف الانتهاء فقال : ﴿الى الناس﴾ أى كلهم من أهل البراءة
 (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ « و » (٤-٤) سقط ما بين
 الرقمين من ظ .

وغيرهم ﴿يوم الحج الأكبر﴾ قيده لأن العمرة تسمى الحج الأصغر .
ولما كان كأنه قيل : ما هذا الإعلام ؟ قال مفسرا له مصرحا بما
هو المقصود اثلا يقع فيه نوع لبس حاذفا الصلة إعلاما بأن هذا مستأنف
على تقدير سؤال سائل ، لا معمول لأذان : ﴿ان الله﴾ أى الذى له الغنى
المطلق والقوة الباهرة ﴿برىء من المشركين﴾ أى الذين لا عهد لهم^٥
خاص فلا مانع من قتالهم ، [قيل : والذين وقعت البراءة منهم صنفان :
أحدهما كانت مدته دون أربعة أشهر فرفع إليها ، والآخر مدته بغير حد
فقصر عليها ، ومن لم يكن له عهد فهو أولى ، ومن كان عهده محدودا
بأكثر من أربعة أشهر ولم يحدث شرا أمر بآتمام عهده إلى مدته -^٢]
﴿ورسوله﴾ أى برىء منهم ، فهو مرفوع عطفا على المنوى فى " برىء " ١٠
أو على محل " ان " المكسورة واسمها عند من كسرهما ، وقرئ بالنصب
عطفا على اسم " ان " أو لأن^٢ الواو بمعنى مع ، وبالجر على الجوار ،
وقيل : على القسم - قاله فى الكشف ، قال : ويحكى أن أعرابيا سمع
رجلا يقرأها فقال : إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه برىء ، فلبيه
الرجل إلى عمر رضى الله عنه فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر ١٥
رضى الله عنه بتعلم العربية ؛ وروى الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن
بشار الأنبارى فى مقدمة كتاب الوقف والابتداء بسنده عن ابن أبي
مليكه قال : قدم أعرابي فى زمان^٥ عمر رضى الله عنه فقال : من يقرئنى

(١) من ظ ، وفى الأصل : لكم (٢) زيد من ظ (٣) من الكشف ١ / ٢٨٥ ،

وفى الأصل : لا ، وفى ظ : ان (٤) فى ظ : بتعليم (٥) فى ظ : زمن .

بما أنزل الله^١ على محمد صلى الله عليه وسلم؟ فأقرأه رجل [براءة - ٢] فقال: "ان الله برئ من المشركين ورسوله" - بالجر، فقال: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر رضى الله عنه مقالة الاعرابي فدعاه - يعنى فسأله فأخبره - فقال عمر رضى الله عنه: ليس هكذا يا أعرابي! قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال "ان الله برئ من المشركين ورسوله" فقال الاعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه، فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحو؛ ونحو ذلك في الاهتمام بشأن العربية ما حكاه الشريف محمد بن أسعد الجواني؛ النسابة في كتابه في الأنساب في ١٠ ترجمة أبي الأسود الدؤلى بسنده إليه أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين على رضى الله عنه فرأيت مطرقاً مفكراً فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني سمعت يلدكم^٢ هذا الحنا، فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية، فقلت [له - ٣]: إن فعلت / هذا بقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيت بعد أيام فأتني إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم ١٥ وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة

/ ٤٦٥

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و هامش المحكم في نقط المصاحف ٤ ، وقد ذكر هذا الحديث ها - إحالة على كتاب الوقف والابتداء - بأطول مما ها . (٣) من هامش المحكم، وفي الأصل وظ: الا يقرأ (٤) من ظ ومعجم المؤلفين ٩/٤٩ ، وفي الأصل: الجوالى - كذا (ه - ه) سقط ما بين الرقين من ظ . (٦) في ظ: يبدلكم - كذا (٧) زيد من ظ .

المسمى ، و الحرف ما أنبأ عن معنى ايس باسم ولا فعل ، ثم قال : تتبعه
 وزد فيه ما وقع لك ، و اعلم أن الأشياء ثلاثة : ظاهر و مضمّر و شيء
 ليس بظاهر ولا مضمّر . وإنما يتفاضل الناس في معرفة ما ليس بمضمّر^١
 و لا ظاهر ، قال أبو الأسود الدؤلى : فجُمعت أشياء فعرضتها عليه ، فكان
 من ذلك حروف النصب ، فذكرت منها إن و أن و ليت و لعل و كأن ، ه
 و لم أذكر لكن ، فقال لى : لم تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها فيها ، فقال : بل^٢
 هى منها فزدها فيها^٣ ، و قال أبو بكر محمد بن الحسن الزيدى فى طبقات
 الثوريين : و قال أبو العباس محمد بن يزيد : سئل أبو الاسود الدؤلى عن
 فتح له^٤ الطريق إلى الوضع فى النحو و أرشده إليه ، فقال : تلقته^٥ من على
 ابن أبى طالب ، و فى حديث آخر : ألقى إلى أصولا احتذيت عليها ، ١٠
 و فى مختصر طبقاتهم للحافظ محمد بن عمران المرزبانى : كان على بن
 أبى طالب رضى الله عنه قد رسم لأبى الاسود الدؤلى حروفا يعلمها الناس
 لا فسدت ألتهم فكان لا يجب أن يظهر ذلك ضنا به بعد على رضى الله
 عنه ، فلما كان زياد وجه إليه أن اعمل شيئا تكون فيه إماما و ينفع
 به الناس فقد كنت شرعت فيه لتصلح ألسنة الناس ، فدافع بذلك حتى ١٥
 مر يوما بكلا البصرة و إذا قارئ يقرأ ” ان الله برىء من المشركين
 و رسوله “ و حتى سمع رجلا قال : سقطت عصاتى ، فقال : لا يحل لى
 بعد هذا أن أترك الناس ! فجاء إلى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به الأمير

(١) فى ظ : ضمير (٢) فى ظ : بلى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 لقيته ، و فى الإصابة : لقنته .

فليتغ [لى - ١] كتابا^٢ حصيفا ذكيا يعقل ما أقول ، فأنى بكاتب من عبد القيس ظم يرضه ، فأنى بآخر [من - ١] ثقيف ؛ وقال ابن الأنبارى فى كتاب الوقف : حدثنى أبى^٣ قال : حدثنا^٤ أبو عكرمة قال : قال العتبى^٥ : كتب معاوية إلى زياد^٥ يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن ، فرده إلى زياد^٥ وكتب إليه كتابا يلومه فيه ويقول : أمثل عبيد الله بضيع ؟ فبعث زياد إلى أبى الأسود فقال : يا أبا الأسود ! إن هذه الحمرأ قد كثرت و أفست من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعربون [به - ٦] كتاب الله ، فأنى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل ، فوجه زياد رجلا فقال^٧ له : اقعد فى طريق أبى ١٠ الأسود ، فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن و تعمد اللحن فيه ، ففعل ذلك ، فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأ^٨ ” ان الله برىء من المشركين ورسوله “ فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال : يا هذا . قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيت أن أبدا بأعراب القرآن ، فابعث إلى ثلاثين رجلا ، ١٥ فأحضرهم زياد فاختر منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس ، فقال : خذ المصحف و صبغا يخالف

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : كتابا (٣-٢) فى ظ : نا (٤) من ظ و المحكم فى نقط المصاحف ٢ ، وفى الأصل : العبنى (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد من ظ و المحكم (٧) من ظ و المحكم ، وفى الأصل : وقال (٨) فى المحكم : فقال . (٩) فى المحكم : يختار منهم .

لون المداد، فاذا فتحت شفتي^١ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها^٢ فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما^٣ فاجعل النقطة في^٤ أسفله، فإن أتبت شيئا من هذه الحركات غنة^٥ فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى / على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ٤٦٦/ ذلك - انتهى . و يوم الحج المذكور هنا للجنس، أى في جميع أيام الحج - ٥
قاله^٦ سفيان الثوري - كيوم صفين و الجمل و جاث^٧ يراد به الحين و الزمان الذى كان فيه ذلك، ولذلك^٨ نادى على^٩ رضى الله عنه بنفسه و من ندبه لذلك في جميع تلك الأيام؛ و قال أبو حيان : الظاهر أنه يوم واحد فقال عمر رضى الله عنه و جماعة : هو يوم عرفة، و دوى مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قال أبو موسى رضى الله عنه و جماعة : هو يوم النحر، ١٠
و قيل : أيام الحج كلها - قاله^{١١} سفيان بن عيينة . [قال ابن عطية - "] : و الذى تظاهرت^{١٢} به الأحاديث أن عليا رضى الله عنه أذن بتلك الآيات^{١٣} يوم عرفة إثر خطبة أبي بكر رضى الله عنه، ثم رأى أنه لم يعم الناس بالإسماع

(١) من المحكم ٤، و فى الأصل و ظ : ضممتها (٢) من المحكم، و فى الأصل و ظ : كسرتها (٣) من المحكم، و فى الأصل و ظ : الى (٤) من المحكم، و فى الأصل و ظ : عنه، و المراد بالغنة التنوين (٥) فى ظ : قال (٦) فى ظ : بغاث، و قول سفيان هذا مذكور فى معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ٣ / ٤٩ (٧) فى ظ : لهذا (٨) سقط من ظ (٩) من البحر المحيط ٥ / ٧، و فى الأصل : قال، و فى ظ : قال ابو (١٠) زيد من البحر (١١) من البحر، و فى الأصل و ظ : تظاهرت (١٢) فى ظ : الايام .

فتقبهم بالأذان بها [أيضا - '] يوم النحر ، وفي ذلك اليوم بعث
أبو بكر رضى الله عنه من يعينه بها كأبى هريرة وغيره رضى الله عنهم
ويتبعوا^٢ أيضا أسواق العرب كذى المجاز وغيره ؛ وبهذا يرجع قول
سفيان - انتهى . وروى عبد الرزاق عن علي رضى الله عنه أنه يوم النحر ،
ه وقال في تفسيره أيضا : أخبرنا معمر عن الحسن قال : إنما سمي الحجج
الأكبر لأنه حجج أبو بكر رضى الله عنه الحجة التي حجها ، واجتمع فيها^٣
المسلمون والمشركون ، ووافق [أيضا - ٤] ذلك^٤ [عيد اليهود
و النصرى - ٤] .

[ولما أعلم سبحانه بالبراءة عنها ، سبب عنها - ٦] مرغبا مرها قوله
١٠ التفانا إلى الخطاب : (فان تقيم) أى عن الكفر والغدر (فهو)
أى ذلك الأمر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أى لأنكم تفوزون في
الوفاء بالأمان في الدنيا ، وفي الإسلام بالسلامة في الدارين .

ولما كانت التوبة محبوبة بالطبع لما لها من النفع قال : (وان توليتم)
أى كلقتم أنفسكم خلاف ما تشتهى من التوبة موافقة للفطرة الأولى ،
١٥ وأصررتهم على الكفر والغدر اتباعا للهوى المكتسب من خيانة^٥ الجيلة
ورداة الاخلاط التي قعدت بالروح عن أوجهها الأول إلى الحضيض
الأسفل (فاعلموا) أى علما لا شبهة فيه^٦ (انكم غير معجزى الله^٧)

(١) زيد من البحر (٢) في ظ : تتبعوا (٣) من جامع البيان تفسير آية ٣ ، وفي
الأصل و ظ : فيه (٤) زيد من ظ و جامع البيان (٥) ليس في الجامع (٦) زيد
من ظ (٧) في ظ : خيالة (٨) سقط من ظ .

أى لأن له صفات الكمال من الجلال والجمال ، والاتلفات هنا مثله^١
فى " فسيحوا " والإشارة به إلى ما ذكر فى ذلك .

ولما واجههم بالتهديد ، أعرض عنهم وجه الخطاب تحقيرا لهم
مخاطبا لأعلى خلقه مبشرا^٢ له فى أسلوب التهمك بهم ، فقال عاطفا على
ما تقديره : فبشر الغادرين بالخذلان ، أو فبشر التائبين بنعيم مقيم : هـ
(وبشر الذين كفروا) أى أوقعوا هذا الوصف (بعذاب اليم لا)
أى فى الدنيا والآخرة أو فيها .

ولما أعلمهم بالبراءة وبالوقت الذى يؤذن بها فيه ، وكان معنى البراءة^٣
منهم أنه لا عهد لهم ، استثنى بعض المعاهدين فقال : (الا الذين عهدتم)
أى أوقعتم بينكم وبينهم عهدا (من المشركين ثم) أى بعد طول المدة ١٠
اتصفوا بأنهم (لم ينقصوكم شيئا) أى من الامارات الدالة على الوفاء
فى أنفسهم كما نقض بنو الديل من بنى بكر فى قتالهم لخزاعة حلفاء التى
صلى الله عليه وسلم (ولم يظاهروا) أى يعاونوا معاونة تظهر (عليكم احدا)
أى من أعدائكم كما ظهرت قريش حلفاءهم من بنى الديل على حلفائكم
من خزاعة (فاتبوا) وأشار إلى بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال : ١٥
(اليهم عهدهم الى مدتهم^٤) أى وإن طالت ، قالى البغوى : وهم بنو ضمرة

(١) من ظ ، وفى الأصل : قبله (٢) من ظ ، وفى الأصل : مشيرا (٣) زيد بعده
فى الأصل : مفهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٤) من ظ ، وفى
الأصل : قال :

حتى من كئانه ، و كان قد بقي من عهدهم تسعة أشهر ، و كان السبب فيه أنهم لم ينقضوا ؛ و قال النحاس : و يقال : إن هذا مخصوص براد به بنو ضمرة خاصة ؛ و قال أبو محمد البستي : حدثنا قتيبة [قال - ٢] : ثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : كان بين بني مدلج و خزاعة عهد ، و هم الذين قال الله " فآتموا اليهم عهدهم الى مدتهم " .

و لما كانت محافظتهم على عهدهم من أفراد التقوى ، و كان الأمر بالإحسان إلى شخص من أفعال الحب ، قال / تعالى معللا : (ان الله)
 أي الذي له صفات الكمال (يحب المتقين) أي يفعل بهم و بكم أفعال الحب ، فهو قول حاث للكل على التقوى ، و كل ينزله على ما يفهم ، فهو
 ١٠ من الإعجاز الباهر .

و لما قرر أمر البراءة إثباتا و نفيا ، أمر بما يصنع بعد ما ضربه لهم من الأجل فقال : (فاذا) أي قسب عن ذلك أنه إذا (انسلخ) أي انقضى و انجرد و خرج و مضى (الأشهر الحرم) أي التي حرمت عليكم فيها قتالهم^٢ و ضربتها أجلا لسياحتهم ، و التعريف فيها مثله " فارسلنا الى
 ١٥ فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول " (فاقتلوا المشركين) أي الناكثين الذين ضربتم لهم هذا الأجل إحسانا و كرما ؛ قال البغوي : قال الحسن بن الفضل : هذه الآية تنسخ كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض و الصبر على

(١) في معالم التنزيل : مدتهم - راجع لباب التأويل ٣ / ٥٠ (٢) زيد لاستقامة العبارة (٣) في ظ : قتالكم (٤) سورة ٧٣ آية ١٦ (٥) من ظ . وفي الأصل : ينسخ ، وفي معالم التنزيل : نسخت - راجع لباب التأويل ٣ / ٥١ .

أذى الأعداء - انتهى . ومعنى (حيث وجدتموه) أى فى حل أو حرم فى شهر
 حرام أو غيره (و خذوهم) أى بالأسر (واحصوهم) أى بالحبس عن إتيان
 المسجد والتصرف فى بلاد الإسلام وكل مقصد (واقعدوا لهم) أى لآجلهم
 خاصة فان ذلك^١ من أفضل العبادات (كل مرصد ج) أى ارصدوهم
 و خذوهم بكل طريق يمكن ولو على غرة . [أو -^٢] اغتيالاً من غير دعوة ، ه
 واتصابه على الظرف لأن^٣ معنى اقعدوا لهم : ارصدوهم ، ومتى كان العامل
 فى الظرف المختص [عاملاً -^٤] من لفظه أو من معناه جاز أن يصل
 إليه بغير واسطة^٥ ' فى ' فكما^٦ يتعدى الفعل إلى المصدر من غير لفظه إذا كان
 بمعناه فكذلك إلى الظرف - ذكره أبو حيان ، والتعبير بالقعود للإرشاد
 إلى التأنى ، وفى الترصد والاستقرار^٧ والتمكن وإيصال الفعل إلى الظرف ١٠
 إشارة إلى أن يشغلوا فى الترصد كل جزء من أجزاء كل مرصد إن
 قدروا على ذلك بخلاف ما لو عبر بـ ' فى ' فانه إنما يدل على شغل كل مرصد
 الصادق بالكون فى موضع واحد منه أى موضع كان .

ولما أمر تعالى بالتضييق عليهم ، بين ما يوجب الكف^٨ عنهم فقال :

(فان تابوا) أى عن الكفر (واقاموا) أى وصدقوا دعواهم التوبة ١٥
 بالبينة العادلة بأن أقاموا (الصلوة واتوا الزكاة) أى فوصلوا^٩

(١) فى ظ : ذاك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ؛ وفى الأصل : لأنه (٤) زيد من
 البحر المحيط ه . / (٥) من ظ و البحر ، وفى الأصل : واسطة (٦) من ظ
 والبحر ، وفى الأصل : وكما (٧) فى ظ : الاستغراق (٨) من ظ ، وفى الأصل :
 الكفر (٩) فى ظ : توصلوا .

ما بينهم وبين الخالق و ما بينهم وبين الخلاق خضوعا لله تعالى وتركاً
للفساد ومباشرة للصالح على الوجه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فاذا وجد هذان الشاهدان العدلان ﴿ غفلوا ﴾ [أى - '] بسبب
ذلك ﴿ سيلهم ^١ ﴾ أى بأن لا تعرضوا لشيء مما تقدم لأن الله يقبل ذلك
٥ [منهم - '] و يغفر لهم ما سلف ﴿ ان ﴾ أى لأن ﴿ الله ﴾ أى الذى له
الجلال والإكرام ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى يبلغ المحو للذنوب التى تاب
صاحبها عنها و الاتباع له بالإكرام .

ولما سد عليهم طريق مخالطتهم ما لم يتصفوا بالتوبة المدلول عليها
بالشهيدين المذكورين ^٢ سدا مطلقا ، و فتحه عند الاتصاف بها فتحا مطلقا ،
١٠ عطف على ذلك طريقا آخر وسطا مقيدا فقال : ﴿ وان احد من المشركين ﴾
أى الذين ^٣ أمرناكم بقتالهم ﴿ استجارك ﴾ أى طلب أن تعامله فى الإكرام
معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة ﴿ فاجره ﴾ أى فآمنه [و - ']
دافع عنه من يقصده بسوء ﴿ حتى يسمع كلم الله ﴾ أى الملك الأعظم
بسماع التلاوة الدالة عليه ، فيعلم بذلك ما يدعو إليه من المحامين و يتحقق
١٥ أنه ليس من كلام الخلق . ولما ذكر إجارتها ، وكان له بعدها توبة
وإصرار ، وكان حال التائب قد ذكر ، بين ما يفعل به إن أصر فقال :
﴿ ثم المبلغ ﴾ [أى - '] إن أراد الانصراف و لم يسلم ﴿ مآمنه ^٤ ﴾
أى الموضع الذى يأمن فيه ثم قاتله بعد بلوغه المآمن ^٥ إن شئت من غير
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : المذكورة (٣) من ظ ، وفى الأصل : الذى .
(٤) سقط من ظ .

غدر ولا خيانة ؛ قال الحسن : هي محكمة إلى يوم القيامة^١ ؛ ثم^٢ علل ذلك بما بين غدرهم بقوله : (ذلك بانهم) أى الامر بالإجارة^٣ للغرض المذكور / بسبب أنهم (قوم لا يعلمون) أى لا علم لهم لانه لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة ولا كتاب ، فاذا علموا أوشك أن ينفعهم العلم .

ولما كان الامر بالنبد مظنة لأن يعجب منه ، عجب فقال : فن ه يتعجب منه ؟ وأنكر عليه فقال : (كيف يكون للشركين) أى أهل العرافة فى الشرك الذين توجب عرافتهم فيه و محبتهم لظهوره نكت العهد الذى لا أقبح منه عند العرب ولا أشنع (عهد عند الله) أى المستجمع لصفات الكمال ، فهو لا يجب النقض من أوليائه^٤ فكيف به من أعدائه (وعند رسوله) أى الذى هو أكمل الخلق وأوفاهم^٥ وأحفظهم للعهود وأرعاهم فهم أضداده^٦ فأعمالهم أضداد أعماله ، وقد بدا منهم الغدر .

ولما كان استفهام الإنكار فى معنى النفي ، [صح - ٦] الاستثناء منه ، فكأنه قيل : لا يكون للشركين عهد (الا الذين عهدتيم) أى منهم كما تقدم (عند المسجد الحرام ج) أى الحرم يوم الحديبية ، وهذا مما ١٥ يدل على أن^٧ الاستثناء المتقدم من ” الذين ” فى قوله ” براءة من الله

(١) و قال الضحاك والسدى : هي منسوخة بآية الأمر بقتل المشركين - راجع البحر المحيط ١١ / ٥ (٢) يقط من ظ (٣) فى ظ : الاجارة (٤) من ظ ، وفى الأصل : اولياء (ه) من ظ ، وفى الأصل : أضداد (٦) زيد من ظ (٧) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .

ورسوله الى الذين عهدتم من المشركين“؛ قال البغوى: قال السدى والكلى
 وابن إسحاق: [هم - ١] من قبائل بكر: بنو خزيمه وبنو مدلج وبنو
 ضمرة وبنو الدليل [وهم - ١] الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش
 يوم الحديبية، فلم يكن نقض [العهد - ١] إلا قريش وبنو الدليل من
 ٥ بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض. ولما استثنى، بين حكم المستثنى
 فقال: ﴿فما استقاموا لكم﴾ أى ركبوا^١ الطريق الأقوم فى الوفاء بعهدهم
 ﴿فاستقيموا لهم^٢﴾ والقول [فى - ٢] ﴿ان الله﴾ أى المحيط بالجلال
 والجمال ﴿يحب المتقين﴾ كما سبق^٣.

ولما أنكر سبحانه أن يكون للمشركين غير المستثنى عهد، بين السبب
 ١٠ الموجب للانكار مكررا أداة الإنكار تأكيداً للغنى فقال: ﴿كيف﴾
 أى يكون لهم عهد ثابت ﴿وان﴾ أى و الحال أنهم مضرون لكم
 القدر والحياة فهم إن ﴿يظهروا عليكم﴾ أى إن يعل^٤ أمرهم على أمركم^٥
 بأن يظفروا بكم بعد العهد والميثاق ﴿لا يرقبوا﴾ أى لا ينظروا ويرعوا
 ﴿فيكم﴾ أى فى أذاكم بكل جليل وحقير ﴿الا﴾ أى قرابة محققة
 ١٥ ﴿ولا ذمة^٦﴾ أى عهدا، يعنى أن الأمر المسيح للنبد خوف الحياة،
 وعلام الغيوب يخبركم أنهم فى غاية الخيانة لكم، والإل^٧ هذا: القرابة -
 وهو قول ابن عباس، والمادة تدور على الآلة وهى حربة^٨ فى نصلها

(١) زيد من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/ ٥١ (٢) فى ظ: اركبوا.
 (٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٤ (٥) زيد بعده فى ظ: بان (٦) فى الأصل
 و ظ: يعلو (٧) فى ظ: امرهم (٨) من ظ، وفى الأصل: الاهلال - كذا.
 (٩) من ظ و القاموس، وفى الأصل: حرمة.

عرض ، ويلزمها الصفاء والرقّة والعريق ، ويشبه به الإسراع في العدو ،
والثبات في نفسها ، ومنه القرابة والعهد والتغير في وصفها ، ومنه تغير رائحة
الإناء وفساد الأسنان والصوت ، [ومنه الانين والجوار في الدعاء مع
البكاء و'خبر الماء' والطعن والقهر - ٢] ، ومنه : إن هذا - أى كلام^٢
مسيّلة - ما يخرج من إل ، أى من ربوبية ، وفي إل الله ، أى قدرته وإلهيته . ه
ولما كان ذلك مظنة لأن يقال : قد أكدوا لنا الإيمان وأوثقوا
المهود ، ولم يدعوا بابا من أبواب الاستعطاف ، قال معللا لما مضى مجيبا
لمن استبعده : ﴿ يرضونكم ﴾ وعبر بأقصى ما يمكن الكلام به من القلوب
تحقيقا لأنهم ليس في قلوبهم شيء منه فقال : ﴿ بافواهم ﴾ أى بذلك
التأكيد ، وصرح بالمقصود بقوله : ﴿ وتابى قلوبهم ج ﴾ أى العمل بما أبدته ١٠
الستهم ، وقليل منهم من يحمله الخوف ونحوه على الثبات أو يرجع
عن هذا الفسق ويؤمن ﴿ واكثرهم فسقون ه ﴾ أى راسخون الأقدام
في الفسق خارجون - لمخالفة الفعل للقول - عما تريدونه ، وإذا نقض
الأكثر اضطر الأقل إلى موافقتهم .

ولما قدم ما ترى من كشف سرائرهم ، شرع سبحانه يقيم لهم الدليل ١٥
على فسقهم وخيانتهم بتذكيرهم ما بدا من بعضهم من النقض بعد أن
أثبت فيما مضى أنهم شرع واحد بعضهم أولياء بعض ، وفيما يأتي أنهم
بعضهم من بعض ، فقال معبرا بما يفيد أنهم تمسكوا من [ضد - ١]

(١-١) من القاموس ، وفي ظ : حزر الماء - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ :
الكلام (٤) في ظ : أى (٥) من ظ ، وفي الأصل : لاكثر (٦) زيد لاستقامة
العبارة .

الإيمان تمكننا صار به كأنه في حوزتهم : ﴿ اشتروا ﴾ أى لجوا في أهويتهم
 بعد قيام الدليل / الذى لا يشكون فيه فأخذوا^١ ﴿ بايأت الله ﴾ أى الذى
 لا شئ مثله فى جلال ولا جمال على ما لها من العظم^٢ فى أنفسها وباضافتها
 إليه ﴿ تمنا قليلا ﴾ من أعراض الدنيا فرضوا بها مع مصاحبة الكفر،
 ه وذلك أن أباسفيان أطعمهم أكلة فنقضوا بها عهودهم ﴿ فصدوا ﴾ أى
 فسبب^٣ لهم ذلك وأدام إلى أن صدوا ﴿ عن سبيله^٤ ﴾ أى من يريد
 السير عليه و منعوا من الدخول فى الدين أنفسهم ومن قدروا على منعه .
 ولما دل على^٥ ما أخبر به من فساد قلوبهم ، استأنف بيان
 ما استحقوه من عظيم الذم بقوله معجبا منهم : ﴿ انهم ساء ما ﴾ وبين
 ١٠ عراقتهم فى القبائح وأنها فى جبلتهم بذكر الكون فقال : ﴿ كانوا يعملون ﴾
 أى يحددون عمله فى كل وقت ، وكأنه سبحانه يشير بهذا^٦ إلى ما فعلت
 عضل والقارة^٧ بعاصم بن ثابت و خبيب بن عدى ؛ ذكر ابن إسحاق فى
 السيرة [عن عاصم بن عمر رضى الله عنه - ^٨] و البخارى فى الصحيح
 [عن أبى هريرة رضى الله عنه - ^٩] ، كل يزيد على صاحبه وقد جمعت بين
 ١٥ حديثيهما أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من
 عضل و القارة فقالوا^{١٠} : يا رسول الله ! إن فىنا إسلاما فابعث معنا نفرا
 من أصحابك يفقهوننا فى الدين و يقرؤننا القرآن و يعلموننا شرائع الإسلام^{١١} ،
 (١) فى ظ : فاحذروا (٢) فى ظ : العظمة (٣) فى ظ : تنسب (٤) زيد فى ظ :
 عن (٥) سقط من ظ (٦) هما من الهون بن خزيمه بن مدركة - كما فى سيرة ابن
 هشام ٢ / ١٢٠ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : فقال (٩) من ظ و السيرة ، وفى
 الأصل : السلام .

فبعث معهم نفرأسته - وقال البخارى : عشرة - وأمر عليهم عاصم بن ثابت فخرج^٢ معهم ، حتى إذا كانوا بالرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً ، فلما أتوهم أخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتل منكم أحداً ، فأما عاصم فلم يقبل وقاتل حتى قتل ٥ هو وناس من أصحابه ، ونزل منهم ثلاثة^٣ نفر على العهد والميثاق ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال رجل منهم : هذا أول الغدر ، والله لا أصبحكم ، إن لى بهؤلاء أسوة - يريد القتل ، فجرروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه ؛ فانطلقوا بخبيب^٤ وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فقتلوهما . وقصة العرينين الذين^٥ قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهروا الإسلام ثم خرجوا إلى لقاح النبی صلى الله عليه وسلم فقتلوا الراعى واستاقوا اللقاح بعد ما رأوا من الآيات ، فبعث النبی صلى الله عليه وسلم فى آثارهم فقتلهم ؛ وفى تاريخ ابن الفرات^٦ عن القتي أن النبی صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن عوسجة البجلي إلى بنى حارثة بن عمرو بن قرط بكتاب فرقعوا دلوهم بالكتاب فقال النبی ١٥ صلى الله عليه وسلم : ما لهم ! أذهب الله عقولهم ، فهم أهل رعدة وكلام مختلط ؛ ولما خرج أهل مكة بعد أن عاملهم صلى الله عليه وسلم بغاية

(١) راجع باب هل يستأسر الرجل - الجهاد ، وغزوة الرجيع - المغازى (٢) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : فخرجوا (٣) فى ظ : ثلاث (٤ - ٤) من ظ و الصحيح - الجهاد ، وفى الأصل : فانطلق خبيب (٥) فى ظ : الذى (٦) هو محمد ابن عبد الرحيم المصرى - راجع حسن المحاضرة ١ / ٢٢٠ (٧) من ظ ، وفى الأصل : ابن .

الإحسان أعتقهم و عفا عنهم بعد تلك الحروب و الأذى في المبالغة في
النكيات التي لا يعفو عن مثلها إلا الأنبياء ، خرجوا معه إلى حنين غير
مريدين لنصره ولا محبين لعلو أمره ، بل هم^١ الذين انهزموا بالناس - كما
نقله البغوي عن قتادة^٢ ؛ و قال أبو حيان^٣ : و يقال : إن الطلقاء من أهل
مكة فروا و قصدوا إلقاء الهزيمة في المسلمين و بلغ فلهم مكة - انتهى .
و قال الواقدي : و خرج رجال مكة مع النبي صلى الله عليه و سلم فلم يتغادر
منهم أحد على غير دين ركبانا و مشاة ، ينظرون لمن تكون الدائرة^٤ .
فيصيبون من الغنائم ، و لا يكرهون أن تكون الصدمة بمحمد^٥ و أصحابه ،
و قال هو و غيره : فلما كانت الهزيمة حيث كانت و الدائرة^٦ على المسلمين
١٠ تكلم قوم بما في أنفسهم من الكفر و الضغن و الغش ، و ذكروا أنه
عزم ناس منهم على قتل النبي صلى الله عليه و سلم و لكن الله / منعه منهم .
/ ٤٧٠
هذا بعض ما غدر فيه^٧ كفار العرب ، و أما اليهود فكلهم نقض : بنو
قينقاع ثم النضير ثم قريظة ثم أهل خيبر ، حتى كان ذلك سبب إخراجهم
منها و إجلائهم إلى بلاد الشام ، و يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى أنهم
١٥ قد تبين لهم مثل الصبح جميع ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه و سلم ،
فلما لم يرجعوا^٨ لمجرد أهوائهم كانوا قد اشتروا بذلك تمنا قليلا ، و هو

(١) سقط من ظ (٢) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٥٩/٣ .
(٣) راجع البحر المحيط ٢٤/٥ (٤) في ظ : لقاء (٥) من كتاب المغازي ٣/٨٩٤
و في الأصل و ظ : الدبرة (٦) في المغازي : لمحمد (٧) من المغازي ٣/٩١٠
و في الأصل و ظ : الدبرة (٨) في ظ : به (٩) من ظ ، و في الأصل : لم يرجعوا .
التمتع (٩٧) ٣٨٨

التمتع بما هم فيه مدة حياتهم على ما صاروا إليه من سفول الكلمة وإدبار الامر ، فمن قاده هواه إلى ترك السعادة العظمى لهذا العرض الزائل اليسير كان غير مأمون على شيء لأنه رهينة داعي الهوى وأمر الشيطان ، لأنه أول ما بدأ بنفسه فغدر بها وغشها غير ناظر في مصلحة ولا مفكر في عاقبة .

٥

ولما أخبر تعالى بعراقتهم في الفسق ، دل عليه بأن خيانتهم ليست خاصة بالمخاطبين ، بل هي عامة لكل من اتصف بصفته من الإيمان ، فدار خيانتهم على الوصف ، فقال : ﴿ لا يرقبون في مؤمن الا ﴾ أى قرابة وأصلا جيدا ثابتا ﴿ ولا ذمة ﴾ أى عهدا أكيدا ﴿ واولئك ﴾ أى البعداء من كل خير ﴿ هم ﴾ أى خاصة لتناهى عدوانهم ^١ ﴿ المعتدون هـ ﴾ ١٠ أى عادتهم المبالغة في حمل أنفسهم على أن يعدوا الحدود لعدم ما يردهم عن ذلك من وازع إلهى ورادع شرعى كما فعل عامر بن الطفيل بأهل بئر معونة مع أنهم فى جوار عمه ^٢ وكان من خبرهم أن عمه ^٣ أبا براء عامر ابن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لو بعثت ^٤ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر ابن عمرو ^٥ أخا بنى ساعدة المنعق ليموت ^٦ فى سبعين ^٧ رجلا من أصحابه

(١) فى ظ : عداوتهم (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ : بعث .

(٤-٤) فى ظ : العمرو بن منذر (٥) من ظ وسيرة ابن هشام ١٢٦/٢ ، وفى

الأصل : لمون - كذا (٦) فى السيرة : اربعين .

من خيار المسلمين ، فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه وعدا عليه فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى^١ عامر فأبوا وقالوا : لن نخفر أبا براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى - ^٢] سليم : عصبية ورعلا ٥ وذكوان فقتلوهم فلم يفلت منهم إلا ثلاثة نفر عمرو بن أمية الضمري أحدهم ، فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا على قتلهم^٣ شهرا ؛ قال البغوى : وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إن أهل الطائف أمدوهم - يعنى قريشا - بالأموال ليقوؤهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذا الذى أحكمه تعالى من نبد العهد إليهم نظر للدين ، لانه نظر لجميع ١٠ أهله الذين لا يوجد إلا بهم .

ولما بين ما أوجب بعدهم منهم ومعاداتهم لهم ، بين ما يصيرون به أهلا فقال : ﴿ فان تابوا ﴾ أى بالإيمان بسبب ما أبديتهم لهم^٤ من الغلظة ﴿ واقاموا ﴾ أى أيدوا ذلك بأن أقاموا ﴿ الصلوة ﴾ أى بجميع حدودها ﴿ واتوا الزكوة ﴾ أى كما حده رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥ ﴿ فإخوانكم ﴾ أى هم ، وبين أنها ليست أخوة النسب فقال : ﴿ فى الدين^٥ ﴾ لهم مالكم وعليهم ما عليكم ، فلا تعرضوا لهم بما يكرهونه .

ولما كان كأنه قيل بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل : قد فصلنا لكم

(١) من السيرة ، وفى الأصل : ابن ، وفى ظ : بنوا (٢) زيد من السيرة (٣) من

ظ ، وفى الأصل : قتلهم (٤) فى ظ : إليهم .

أمرهم في هذه الآيات تفصيلا ، عطف عليه قوله : ﴿ و نفصل ﴾ أى
 فى كل أمر يحتاجون جميع ﴿ الأيت ﴾ وعظم هذه الآيات و حثهم
 على تدبرها بقوله - ١ : ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى صار العلم لهم صفة ،
 فلهم ملكة يتصرفون بها فى أصوله وفروعه ، لا يغترون بمجرد كلام
 من شأنه الرداءة و المخالفة بين القول و العمل ، و الاعتراض بهذا بين ه
 هذه الجمل المتلاحمة إشارة إلى عظم الأمر الذى نبه عليه و تحريض على
 إتمام النظر فيه ليعلم أن مدخوله جليل الأمر عظيم القدر لثلا يظن
 أنه تكرار .

و لما بين السبب الموجب لمجازاتهم بنحس عملهم ، و هو البراءة منهم
 و ما / يتبع ذلك إلى أن ختم بتقدير توبتهم ، رجع إلى قسم قوله " فا ١٠ / ٤٧١
 استقاموا لكم " فقال : ﴿ وان نكثوا أيمانهم ﴾ أى التى حلفوها لكم ،
 و لما كان النقض ضارا و إن قصر زمنه ، أتى بالجاء فقال : ﴿ من بعد عهدهم ﴾
 أى الذى عقدوه ﴿ و طعنوا ﴾ [أى - ١] أوقعوا الطعن ﴿ فى دينكم ﴾
 أى بقول أو فعل .

و لما كان هذا الفعل لا يستقل به فى الأغلب إلا الرؤساء ، أشار ١٥
 إلى ذلك بقوله : ﴿ فقاتلوا ﴾ و وضع موضع ضميرهم تحريضا على قتالهم
 و إشارة إلى أنهم ما نكثوا و أقدموا على هجنة الكذب و لم يستهجنوا
 الخروج عن عادات الكرام إلا و قد رسخوا فى الكفر فقال : ﴿ أئمة الكفر ﴾
 ثم أشار - بقوله معللا لجواز المقاتلة : ﴿ انهم لا ايمان لهم ﴾ - إلى أن

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فظ : التى .

ذلك ولو فعله الاتباع ولم يكفهم الرؤساء فهو عن تمال منهم
فابدأوا بالرؤس فاقطعوها تنقطع الأذنان ، وقراءة ابن عامر بالكسر
معناها : لا أمان لهم لأنهم قد نقضوا العهد^١ الموجب له بما وقع منهم ،
ومن طعن من أهل الذمة في الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله ، فإن العهد
هـ مأخوذ عليه أن لا يطعن ؛ ثم علل المقاتلة بقوله : ﴿ لعلهم ينتهون هـ ﴾
أى اجعلوا^٢ قصدكم لقتالهم أن يكون حالهم حال من ينتهى عن غيه
بما يرى^٣ منكم من صادق الجذ بماضى الحد ، [روى - ٢] البخارى فى
التفسير عن حذيفة رضى الله عنه قال : ما بقى من أصحاب هذه الآية
إلا ثلاثة ولا من المنافقين إلا أربعة^٤ أحدهم^٥ شيخ كبير لو شرب الماء
١٠ البارد لما وجد برده .

ولما نفي أيمانهم بنفى إيمانهم ، شرع يقيم الدليل على ذلك بأمر
ارتكبوها ، كل منها^٦ بسبب باعث على الإقدام عليهم ، ويحث على قتالهم
فى صورة تعجيب من^٧ يتوانى فيه فقال : ﴿ الا ﴾ وهو حرف عرض ،
ومعناه هنا الحض لدخول همزة الإنكار على النافى فنفته فصار مدخوله
١٥ مثبتا على سبيل الحث عليه فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب
﴿ تقاتلون قوما ﴾ أى وإن كانوا ذوى منعة عظيمة ﴿ نكثوا إيمانهم ﴾
أى فى قصة عاصم وأصحابه والمندر وأصحابه والإعانة على خزاعة^٨ وغير ذلك ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : اليهود (٢) فى ظ : جعلوا (٣) فى ظ : ينتهى .
(٤) زيد من ظ (هـ) فى الحديث هنا اختصار ، وراجع الصحيح للتفصيل (٦) سقط
من ظ (٧) فى ظ : منها (٨) فى ظ : من (٩) من ظ ، وفى الأصل : الخزاعة .

فكان النكث لهم عادة وخلقاً، وهذا يدل على أن قتال الناكثين
أولى من قتال غيرهم ليكون ذلك زاجراً^٢ عن النقض، وكانت قصة
خزاعة أنه^٣ كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن* كنانة قتل في
الجاهلية، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
بالحديبية لما كان لهم فيه من المحبة من مسلمهم وكافرهم لما بينهم من الحلف - ٥
كما تقدم آخر الانتقال، ودخلت بنو بكر في عهد قريش فمرت على
ذلك مدة، ثم إن أنس بن زعيم الدليل هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشججه فخرج إلى قومه فأراهم شجته^٦ فثار
الشريمع ما كان بينهم، وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها، فكلمت
بنو نفاثة من بني بكر أشراف^٧ قريش فوجدوا القوم إلى ذلك سراعا^٨ ١٠
فأعانوهم بالسلاح والكراع والرجال، فخرج نوفل بن معاوية الديلي
وهو يومئذ قائدهم؛ قال ابن اسحاق: وليس كل بني بكر بايعه^٩ - وقال
الواقدي: واعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد - حتى بيت خزاعة وهم^{١٠}
على الوتير ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً وتجاوزوا واقتلوا^{١١} وقاتل معهم
(١) زيد في ظ: في (٢) في ظ: زاجر (٣) في ظ: انهم (٤) في ظ: ابى (٥) من
ظ وجمهرة أنساب العرب ١٧٠، وفي الأصل: من (٦) من كتاب المغازي
٧٨٣/٢، وفي الأصل: سحبه، وفي ظ: شججه - كذا (٧) زيدت الواو بعده في
الأصل، ولم تكن في ظ ولا المغازي فحذفناها (٨) في ظ: سراعى (٩) من سيرة
ابن هشام ٢٠٩/٢، وفي الأصل: تابعه، وفي ظ: تابعة (١٠) في ظ: هو (١١) من
ظ والسيرة، وفي الأصل: اقبلوا .

من قريش من قاتل بالليل مستخفيا متسكرين متقبين : صفوان بن أمية
ومكرز بن حفص بن الأخيف^١ وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن
أبي جهل وأجلبوا معهم أرفاههم ، وكانت خزاعة آمنة لمكان العهد
والموادة .

٥ ولما ذكروهم بمطلق نكثهم في حقهم عامة ، وذكرهم بما خصوا به
-سيدهم بل سيد الخلق كلهم فقال : ﴿ وهما باخراج الرسول ﴾ أى من
مكة في عمرة القضاء ، بل أمروه بالخروج عند انقضاء الثلاثة الأيام^٢
والحوا في ذلك وهو وإن كان قاضاهم على ذلك ، لكن قد نقل ابن
إسحاق وغيره في قصة النداء بسورة براءة^٣ أنه كان في القضية والعهد الذى
١٠ كان بينه وبينهم أن لا يمنع من البيت أحد جاءه زائرا ، وألهمهم هموا
باخراجه قبل الثلاثة الأيام^٤ لما داخلهم من الحسد عند ما عابوا من نشاط
أصحابه وكثرتهم وحسن حالهم ، وذلك غير بعيد من أفعالهم ،
وإظهارهم^٥ التبر به صلى الله عليه وسلم حتى اجتروا - وهو أعلى الخلق
مقدارا ، و^٦ أظهرهم هيئة^٦ وأنوارا ، وأظهرهم رسوما وآثارا - على الإلحاح
١٥ عليه في الخروج من بلد آبائهم وأجداده الذين هم أحقهم بها ومسقط
رأسه وموضع مرباه ، ولكن لم أراه مصرحاه ، وهو عندى على ما فيه
أولى بما ذكروه من الهم باخراجه عند الهجرة على ما لا يخفى ، أو يكون

(١) من ظ و المغازى ، وفي الأصل : الاحنف (٢) في ظ : أيام (٣) راجع سيرة
ابن هشام ٤٩/٣ (٤) في ظ : لا يمتنع (٥) العبارة من هنا إلى « أظهرهم » - ساقطة
من ظ (٦-٦) في الأصل : اظهارهم هيئة - كذا .

المراد^١ ما هم به ابن أبي المنافق و من تابعه من أصحابه من إخراج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة حيث قال في غزوة المريسيع : ["لئن -^٢] رجعنا الى المدينة لخرجن الاعز منها الاذل " بعد إعطائهم العهود على الإيواء والنصرة والإسلام ، و ذلك لتذكير المؤمنين بمسارعتهم إلى النقص بعد أن أثبت^٣ أنهم في الالتحام في كيد الإسلام كالجسد الواحد ، هـ فكأنه يقول : إذا ترك هؤلاء إيمانهم فأولئك أخرى أن ينقضوا أيمانهم ، وهو بحث للمؤمنين على التبرئ من الكافرين منافقين كانوا أو مجاهرين مقاريين أو مباعدين .

ولما ذكرهم بالحياة عامة وخاصة ، أتبعها ما حققها بالقتال فقال :

﴿ وهم بدؤكم ﴾ أى بتطابق من ضماهم وظواهرهم ﴿ اول مرة^٤ ﴾ أى ١٠ بالقتال والصد في الحديبية بعد إخباركم^٥ إياهم بأنكم لم تجهزوا للقتال وأنكم ما جئتم إلا زوارا للبيت الحرام الذى الناس فيه سواء وأنتم أحق به منهم ، و ذلك أول بالنسبة إلى هذا الثانى مثل قوله " أنكم رضيتم بالعود اول مرة " وقال بعض المفسرين : المراد بأول مرة^٦ قتالهم خزاعة ،

وهو واضح لأنه بعد عقد الصلح ، وقيل : فى بدر بعد ما سلمت غيرهم ١٥ وقالوا : لا نرجع حتى نستأصل محمدًا^٧ وأصحابه ، وقيل : المراد^٨ به مطلق القتال لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم بالكتاب المنير ودعاهم بغاية اللين ، وتحداهم به عند التكذيب ، فعدلوا عن ذلك إلى القتال فهم

(١) زيد في الأصل : منهم ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
(٣) في ظ : ثبت (٤) في ظ : اخبارهم (٥) في ظ : من (٦) في ظ : مجد (٧-٧) في الأصل و ظ : بمطلق .

البادئون و البادئ أظلم .

و لما أمرهم بالقتال و كان مكرها [إلى النفوس -^١] على كل حال .
 شرع بين الأسباب الحاملة على التواني عن قتالهم ، و حصرها في الخشية
 و العاطفة ، و قسم العاطفة إلى ما سيبه^٢ القرب في محاسن الأفعال و إلى
 ه ما سيبه القرب في النسب و الصهر ، و نقض الكل و بين أنه لا شيء
 منها يصلح للسبية . فقال بادئا بالخشية لأنها اسبب الأعظم في ترك
 المصادمة منكرا عليهم موبخا لهم ليكون أبلغ في الحث على قتالهم منها على
 أن التواني عنهم مصحح للوصف بالجبن^٣ و رقة الدين : ﴿ اتخشونهم ع ﴾
 أى أتخافون أن يظفروا بكم في القتال بأن يكونوا على باطلهم أشد منكم
 ١٠ على حقمكم ﴿ فالله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة ﴿ احق ﴾ أى منهم
 ﴿ ان تخشوه ﴾ أى بأن يكون مخشيا^٤ لكم لما تعلمون من قدرته فى أخذه
 لمن خالفه ولو بعد طول الاناة ﴿ ان كنتم / مؤمنين ه ﴾ أى فان من
 صدق بأنه^٥ الواحد الذى تفرد بصفات العظمة لم ينظر إلى غير هيئته .

٤٧٣ /

و لما بكى فى التواني عنهم ، و عدهم بما يزيل خشيتهم منهم ، بل
 ١٥ يوجب إقدامهم عليهم و رغبهم فيهم . فقال مصرحا بما تضمنه الاستفهام
 الإنكارى^٦ فى " الاتقاتلون " من الأمر : ﴿ قاتلوهم ﴾ أى لله^٧ لا لغرض
 غيره ﴿ يعذبهم الله ﴾ أى الذى أتم مؤمنون بأنه المتفرد بصفات الجلال

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : سبية (٣) فى ظ " و " (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 بالخير - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : محتسبا (٦) فى ظ : انه (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : الإنكار (٨) من ظ ، وفى الأصل : الله .

والجمال ﴿بايديكم﴾ أى بأن تقتلوهم و تأسروهم و تهزموهم ﴿ويخزم﴾
أى بالذل فى الدنيا والفضيحة والعذاب فى الأخرى .

ولما كان ذلك قولاً [لا - ١] يقتضى النصر الذى هو علو العاقبة
قال : ﴿ وينصركم عليهم ﴾ أى فترضوا ربكم بذلك لإذلاله من يعاديه
بكم ؛ ولما كان نكاحهم بما ذكر يثمر لبعض المؤمنين سرورا لهم فيه حظ ، ه
بين تعالى أنه لا يؤثر فى العمل بعد ثباته على أساس الإخلاص فقال :
﴿ ويشف ﴾ أى بذلك ﴿ صدور قوم مؤمنين ﴾ أى راسخين فى
الإيمان ، أسلفوا إليهم مساوى أوجبت ضعفان وإحنا كخزاعة وغيرهم
من أعانوا عليه أو^٢ أساءوا إليه .

ولما كان الشفاء قد لا يراد به الكمال ، أتبعه تحقيقا لجماله قوله : ١٠
﴿ ويذهب غيظ قلوبهم^٣ ﴾ أى ثبت بها من اللذة ضد ما لقوه^٤ منهم من
المكروه ، وينبى عنها من الألم بفعل من يريد سبحانه^٥ من أعدائهم وذل
الباقين ما كان قد برح بها ، ولقد وفى سبحانه بما وعد به ، فكانت
الآية من ظواهر الدلائل .

ولما كان التقدير : قاتلوهم فانكم إن قاتلتموهم كان كذا ، عطف ١٥
سبحانه على أصل هذه الجملة قوله : ﴿ ويتوب الله ﴾ أى الملك الذى له
صفات الكمال ﴿ على من يشاء^٦ ﴾ أى منهم فيصيروا إخوانا لكم أولياء ،
والمعنى قاتلوهم يكن القتال سببا لهذه الخمسة الأشياء ، [وأما التوبة فتارة
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ ه و (٣) فى ظ : نقوا (٤) زيد فى ظ : من أعدائه .

تسبب عنه و تارة عن غيره، و لأجل احتمال تسببها -^١ [عنه قرئ شاذاً بالنصب على أن^٢ الواو للصرف؛ و لما كان [ما تضمنته هذا الوعد الصادق يدور على القدرة و العلم، و كان -^١ [العلم يستلزم القدرة، فكان التقدير: فانه على كل شيء قدير، عطف عليه قوله: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء علماً و قدرة ﴿ عليم ﴾ أى بكل شيء و بمن يصلح للتوبة و من لا يصلح و ما فى قلوبكم من الإقدام و الإحجام لو برز إلى الخارج كيف كان يكون ﴿ حكيم ﴾ أى أحكم جميع أموره، و لم يعلق الأحكام الشرعية من أفعالكم الكسبية إلا بما تعلق العلم به فى حال ظهوره .

١٠ و لما كان التقدير - لما أرشد إليه تقاعدهم عن القتال و إدخال 'أم'^٢ المرشد إلى أن مدخوله وسط الكلام فان الابتداء له الألف وحدها - : و هل حسبتم أنه تعالى لا يعلم ذلك أو لا يقدر على نصركم ؟ بنى عليه قوله موجهاً لمن تناقل عن ذلك بنوع تناقل: ﴿ ام حسبتم ﴾ أى لنقص فى العقل؛ أنه يبنى الأمر فيه على غير الحكمة، و ذلك هو المراد بقوله: ١٥ ﴿ ان تتركوا ﴾ أى قارين على ما أتم عليه من غير أن تبتلوا بما يظهر به المؤمن من المنافق ﴿ و لما ﴾ عبر بها لدلالاتها - مع استغراق الزمان الماضى - على أن يتبين ما بعدها متوقع كائن ﴿ يعلم الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ الذين جهدوا منكم ﴾ أى علما ظاهرا تقوم به الحجة عليكم فى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ: الميم (٤) من ظ، و فى الأصل: القتل (٥) فى ظ: كان، و راجع أيضا الكشف ٢/ ٣٨٨ .

مجارى عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد فى الواقع بالفعل .

ولما كان المعنى : جاهدوا مخلصين^١ ، ترجمه و بسطه بقوله : (ولم)

أى و [لما -^٢] يعلم الذين لم (يتخذوا) و يجوز أن يكون -ألا ، -أودل^٣

على تراخى الرتب عن مكاته سبحانه بقوله : (من دون الله) أى الذى

لا يعدل عنه و يرغب فى غيره من له أدنى بصيرة - كما دل عليه الاقتعال - ٥

لأنه المنفرد بالكمال ، و أكد النفي بتكرير ' لا ' فقال : (ولا رسوله)

أى الذى هو خلاصة خلقه (ولا المؤمنين) أى الذين اصطفاهم من

عباده (وليجة^٤) أى بطانة تباطنوها و تسكنون / إليها فليج أسراركم

٤٧٤ /

إليها و أسرارها إليكم ، فان الوليجة كل شئ أدخلته^٥ فى شئ ليس منه ،

و الرجل يكون فى قوم و ليس منهم وليجة ، فوليجة الرجل من يختصه ١٠

بدخيلة^٦ أمره دون الناس ، يقال : هو وليجتي^٧ و هم وليجتي - للواحد

و الجمع - نقل ذلك البغوى عن أبى عبيدة^٨ ، و قال ابن هشام وليجة^٩ :

دخيلا ، و جمعها ولائج ، يقول : لم يتخذوا دخيلا^{١٠} من دونه يسرون^{١١}

إليه غير ما يظهرون^{١٢} نحو ما يصنع المنافقون ،^{١٣} يظهرون الإيمان للذين

(١) من ظ ، و فى الأصل : مخاصمين (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) سقط ما بين

الرقين من ظ (٤) فى الأصل و ظ : الذى (٥) فى ظ : أدخله (٦) من معالم

التنزيل - راجع لباب التأويل ٤/ ٥٤ ، و فى الأصل و ظ : بمداخلة (٧) فى ظ :

وليجة (٨) من العالم ، و فى الأصل و ظ : أبى عبيد (٩) سقط من ظ .

(١٠) من سيرة ابن هشام ١/ ٥١ ، و فى الأصل و ظ : دخلا (١١) من السيرة ،

و فى الأصل و ظ : تسرون (١٢) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : نظهرون .

(١٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و لا فى السيرة لحذفها .

آمنوا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم . والحاصل أنه لا يكون
الترك بدون علم الأمرين حاصلين ، والمراد بنفى العلم بنفى المعلوم ، فالمعنى :
ولما يكن مجاهدون مخلصون .

ولما كان ظاهر ذلك مظنة أن يتمسك به من لم يرسخ قدمه في
المعارف ، ختم بقوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة
﴿ خبير بما تعملون ﴾ أى سواء برز إلى الخارج أو لا .

ولما حذرهم من اتخاذ وليجة من دونه ، شرع يبين أن الوليجة التى
يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به^١ من محاسن الأعمال
ما لم توضع تلك المحاسن على الأساس الذى هو الإيمان المبين بدلائله ،
١٠ فقال سائقا له مساق جواب قائل قال^٢ : إن فيهم من أفعال الخير ما يدعو

إلى الكف عنهم من^٣ عمارة المسجد الحرام وخدمته وتعظيمه !
﴿ ما كان للمشركين ﴾ عبر بالوصف دون الفعل لأن جماعة ممن أشرك
أسلم بعد ذلك فصار أهلا لما نفى عنهم ﴿ ان يعمروا مسجد الله ﴾ أى^٤
وهو المنزه بإحاطته بصفات الكمال ؛ قال البغوى : قال الحسن : ما كان

١٥ للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام ، ثم قال فى توجيه
قراءة الجمع : قال الحسن : إنما قال : مسجد الله ، لأنه قيلة المساجد
كلها - يعنى فعامله عامر جميع المساجد . ويجوز أن يراد الجنس ، وإذا

(١) فى ظ : الذى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : عن (٤) من

معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/ ٥٥ ، وفى الأصل وظ : قبله .

لم يصلحوا لعمارة الجنس دخل المسجد الحرام لأنه صدر الجنس ، و ذلك
 أكد لأنه بطريق الكناية - قال الفراء : وربما ذهب العرب بالواحد
 إلى الجمع و بالجمع ' إلى الواحد ، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول :
 أخذت في ركوب البراذين ، و يقال : فلان كثير الدرهم^٢ و الدينار - انتهى .
 فتحذر أن المعنى : منعهم^٣ من إقامة^٤ شعائره بطواف^٥ أو زيارة أو غير ه
 ذلك لأنهم نجس - كما يأتي ﴿ شهدين على أنفسهم ﴾ أى التى هى معدن
 الأرجاس و الاهوية ﴿ بالكفر ﴾ [أى - °] باقرارهم ، لأنه بيت الله
 وهم يعبدون غير الله و قد نصبوا فيه الأصنام بغير إذنه و ادعوا أنها
 شركاؤه ، فاذن عمارتهم تخريب لتنافى عقدهم و فعلهم ؛ قال البغوى :
 قال ابن عباس رضى الله عنهما : شهداتهم بسجودهم^٦ الأصنام ، و ذلك أنهم ١٠
 كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد و كانوا يطوفون
 بالبيت عراة ، كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم .

ولما نقي قبيح ما يفعلون حسن ما يعتقدون ، أشار إلى بعدهم عن
 الخير بقوله : ﴿ أولئك حبطت أعمالهم ﴾ أى من العمارة و الحجابة^٨
 و السقاية و غير ذلك ، فسدت يطلان معانيها لبنائها على غير أساس ١٥
 ﴿ وفى النار هم ﴾ أى خاصة ، و من فعل كفعلهم فهو منهم ﴿ يخلدون ه ﴾

(١) من المعالم ، وفى الأصل و ظ : الجمع (٢) من ظ و المعالم ، وفى الأصل :
 الدراهم (٣-٢) فى ظ : بإقامة (٤) من ظ ، وفى الأصل : بالطواف (ه) زيد
 من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : انه (٧) من ظ و معالم التنزيل - راجع
 لباب التأويل ٥/٣ ه ، وفى الأصل : بسجودهم (٨) من ظ ، وفى الأصل : الحجابة .

أى يجعلهم الكفر مكان الإيمان .

ولما نفى عنهم أهلية العمارة ، بين من يصلح لها فقال :
 ﴿ إنما يعمر مسجدا لله ﴾ أى إنما يؤهل لذلك القرب من له الأسماء
 الحسنى و الصفات العلى حسا باصلاح الذات و معنى بالتعظيم بالقربات من
 ه قها^١ و تنظيفها و رمم ما تهدم منها و تنويرها بالمصاييح الحسية و بالمعنوية
 من الذكر و القراءة - و درس العلم أجل ذلك - و صيانتها بما لم تبين له من
 أحاديث^٢ الدنيا ﴿ من آمن بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر
 كله ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أى فكان من أهل المعرفة^٣ الذين تصح / عبادتهم
 و تفيدهم ، فانها إنما تفيد في ذلك اليوم ، و لم يذكر الإيمان بالرسول لأن
 ١٠ هذه البراءة عن لسانه أخذت ، فالإيمان بها إيمان به لا محالة ، فعدم ذكره
 أقعد في إيجاب الإيمان به ﴿ و اقام الصلوة و آتى الزكاة ﴾ أى و أبد
 دعواه الإيمان بهذين الشاهدين ، و ذلك أن عمارة المساجد ليست مقصودة
 لذاتها ، بل الدلالة على رسوخ الإيمان ، و الصلاة أعظم عمارتها ، و الزكاة هى
 المعين لعمدتها على عمارتها .

/ ٤٧٥

١٥ و لما كان ربما فهم من قوله " آمن " أنه يكفي في الإيمان مجرد
 الإقرار باللسان ، أعلم أنه لا بد في ذلك من إيجاد التصديق حقيقة المشر
 لحشية الله^٤ فلذلك قال^٥ : ﴿ ولم يخش ﴾ أى في الأعمال الدينية ﴿ الا الله ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : لها ، و راجع أيضا روح المعاني ٢ / ٢٨٤ (٢) من ظ ،
 و فى الأصل : احارب (٣) فى ظ : المعونة (٤) من ظ ، و فى الأصل : بيد .
 (٥) فى ظ : تنزه (٦) فى ظ : عبارتها (٧ - ٧) فى ظ : فقال .

أى

أى ولم يعمل بمقتضى خشية غير الملك الأعظم من كف عما يرضى الله بما فيه سخطه ، بل تقدم على ما انحصر رضى الله فيه ولو أن فيه تلفه ، و حاصله أنه يقدم خشيته من الله على خشيته من غيره ، فهو يرجع إلى قوله " فأن الله أحق أن تخشوه " ولكن هذا أبلغ لكونه نفي نفس الخشية وإن كان المراد نفي لازمها عادة ، وفيه تعريض لهم بأنهم لا يصلحون ٥ لخدمته لأنهم يخافون الأصنام و يفعلون معها بعبادتها فعل من يخافها ؛ ولما سبب^٢ عما مضى نفي وإثباتا أن المتصف بهذه الأوصاف يكون جديرا بالهداية و حقيقا بها ، قال^٣ تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ أَوَّلُكَ ﴾ أى أعالو المهم ﴿ ان يكونوا ﴾ أى جيلة و رسوخا ﴿ من المهتدين ٥ ﴾ فأقامهم - مع ما قدم لهم من السكالم بالمعارف و الأفعال - بين الرجاء و الخوف مع ١٠ الإشارة بأفراد الخشية إلى ترجيح الخوف على الرجاء إيذانا بعلو أمره و عظيم كبره إشارة إلى أنه لا حق لاحد عليه و أنه إن شاء أتاب^٤ ، وإن أراد حكم - و هو الحكم العدل - بالعقاب ، لا يستل عما يفعل ، وكرر الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام و عزة المرام ، و مادة عسى بجميع تصاريفها تدور على الحركة ، و هذه بخصوصها للإطماع ، و الحاصل^٥ ١٥ أن من اتصف بالأوصاف الأربعة كان صالحا و خليقا و جديرا و حقيقا بأن يتحرك طمعه و يمتد أمله إلى أن يكون من جملة أهل الهدى ، فكيف توجبون أنتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاته ،

(١) فى ظ : يخافها (٢) فى ظ : تسبب (٣) من ظ ، وفى الأصل : نقول .
(٤-٤) فى ظ : أتاب (٥-٥) فى ظ : فالخاصل .

هكذا كان ظهر لى أولا فى مدار المادة، ثم ظهر لى أن ذلك فى أكثر تقاليها، مع إمكان أن يكون غيره للزالة، وأن الشامل لها - يائية وواوية بتقاليها العشر: عسى، عيس، سعى، يسع، عسو، عوس، سعو، سوع، وسع، وعس - أنها لما يمكن أن يكون، وهو جذبر وخلق بأن يكون، من قولهم: أعس به - أى أخاق، و بالعسى^١ أن يفعل - أى بالجرى، وإنه لمعاسة بكذا - أى مخلقة^٢. وبهذا فسر ها سيويه؛ قال ابن هشام الخضر اوى^٣ فى شرح الإيضاح لأبى على: وقال سيويه: إن عسى بمنزلة اخلوق، والمعساء كمكسال: الجارية؛ المراهقة لأنها جذيرة بقبول النكاح، ومن ثم أنت للطمع^٤ والإشفاق، وقد يزيد الرجاء فيطلق على التقرب فيكون ١٠ مثل كاد، وقد يشتد فيصل إلى اليقين فتستعمله^٥ حينئذ فى معنى كان، ومنه: عسى الغوير أبوسا، لكن قال الرضى: وأنا لا أعرف عسى فى غير كلامه تعالى لليقين، وقد يضعف الرجاء فيصير شكاً^٦، ومنه: المعسية كمحسنة^٧ للناقة، قد يشك^٨ أبها ابن أم لا، وعسى النبات - كفرح ودعا:

(١) من القاموس، وفى الأصل وظ: باليس (٢) من القاموس، وفى الأصل: مخلفه، وفى ظ: مخلقه (٣) هو محمد بن يحيى، واسم شرحه: الإنصاح بفوائد الإيضاح - كما فى كشف الظنون (٤) فى ظ: البحارة (هـ) من ظ، وفى الأصل: للطمع (٦) فى ظ: تستعمل (٧) فى ظ: كسا (٨) من القاموس، وفى الأصل: لمحضة، وفى ظ كمحسنة - كذا (٩) ليس فى ظ والقاموس (١٠) من القاموس، وفى الأصل: شبك، وفى ظ: تشك.

غلظ و يبس^١، أى صار خليقا لأن يرعى وأن يقطع، واليد من العمل مثله، أى فصارت جديرة بالصبر على المشاق، والعاسى^٢، النخل : لأنه جدير بكمال ما يطلب منه من المنافع، وعسى الشيخ كرضى عساء وعسا كدعا يعسو : كبر، أى صار خليقا بالموت وبأن لا يتعلم ما لم يكن فى غريزته، وكذا عسى وعسا^٣ الإنسان عن الأدب، أى كبر / عنه، ٥ / ٤٧٦
والعود يبس و صلب واشتد أى فصار خليقا لما يراد منه، والليلة^٤ : اشتدت ظلمته، فصار جديرا بمطابقة اسمه^٥ لمسهام وبتغطية الأمور، والعسو : الشمع، كأنه لإزالته^٦ ظلمة الليل بنوره إذا أحرق، وعسى بالشئ كفرج : لزمه، أى فصار جديرا^٧ بإضافته إليه ؛ والعيس - بالفتح : ضراب الفحل و يقال : ماؤه لأنه جدير بالإنجاب^٨، والعيس - بالكسر : الإبل البيض ١٠
يخالط يياضها شقرة، و جبل و طي أعيس و ناقة عيساء، لأنها خليقة بكل محمدة لحسن^٩ لونها، و تعيسنت^{١٠} الإبل : صارت يياضا فى سواد كذلك أيضا، وعيساء : امرأة والآثى من الجراد، لشبهها بلون العيس، و أعيس الزرع - إذا^{١١} لم يكن فيه رطب، لأنه صار حقيقا بالحصاد، و العوس - بالفتح - و العوسان : الطوفان بالليل، لأنه جدير ببلوغ المقاصد، ١٥

- (١) من ظ و القاموس، وفى الأصل : بس - كذا (٢) من ظ، وفى الأصل : العاس، وفى ظ : المعاس (٣) فى ظ : عسى (٤) فى ظ : الليل (٥) من ظ، وفى الأصل : اسم (٦) فى ظ : لازالة (٧) فى ظ : جدير (٨) من ظ، وفى الأصل : بالانتجاح (٩) من ظ، وفى الأصل : باحسن (١٠) من ظ و القاموس، وفى الأصل : تعيسنت (١١) من ظ و القاموس، وفى الأصل : اذ .

و بالضم : ضرب من الغم وهو كبش عوسى ، إلخاقا لها بالعيس لكنها
لصغرها اختير لها الضم جبرا لها وتقوية وتقاؤلا بالكبر^١ ، واختير للابل
الكسر تقاؤلا بسهولة القياد ، وبالتحريك : دخول الشدقين عند الضحك
و غيره ، تشبيها بالغم ، فكأنه جدير بأن يترك ما يحدث منه ذلك من
الضحك و غيره ، والنعت أعوس وعوساء ، وعاس على عياله : كد عليهم
و كدح ، و عياله : قاتهم ، وماله عوسا وعياسة : أحسن القيام عليه ،
فعمل بما هو الأليق به في كل ذلك ، والعواسة - بالضم : الشربة^٢ من
اللبن و غيره ، لأنها جديرة بالرى^٣ ، والأعوس : الصيقل والوصاف
للشيء ، لأنه جدير باظهار الخبء ، والعواساء كبراء^٤ : الحامل^٥ من الخنافس ،
لأنها في تلك الحالة أجدر بما تفهمه مادتها من الكراهة فانه يقال :
١٠ خنفس عن القوم : كرههم وعدل عنهم ، والخنافس - بالضم : الأبيد ؛
لأنه جدير بأن يكره ويعدل عنه ، والسعى : عبودون الشد^٦ ، وكل
عمل سعى ؛ قال في القاموس : سعى كرعى^٧ : قصد وعمل ومشى وعدا
ونم وكسب ، كل ذلك يكون جديرا بدرك حاجته ، والسعاية :
١٥ مباشرة عمل الصدقات التي بها يدرك الإمام أخذ الحقوق ، فيكون خليقا
باغناء الفقراء وسعت الأمة : بغت ، فكانت خليفة بعمل الإمام عند العرب ،
وساعاها : طلبها للبقاء ، وأسعاها : جعله يسعى ، والمسعاة^٨ : المكرمة
(١) من ظ ، وفي الأصل : بالكبير (٢) في ظ : الشوم (٣) من ظ ، وفي الأصل :
بالرى (٤) من ظ والقاموس ، وفي الأصل : الحامل (٥) من تاج العروس ، وفي
الأصل و ظ : الشديد (٦) من القاموس ، وفي الأصل و ظ : كرعن (٧) في
ظ : المساعة .

و المعلاة في أنواع المجد، لأنها جديرة بأن يسبح لها، واستسعى العبد :
كفبه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا عتق بعضه ليعتق به ما بقي ،
لأنه جدير بذلك ، والسعاية - بالكسر : ما كلف من ذلك ؛ والسيع^١ :
الماء الجاري على وجه الأرض ، وقد انشاع^٢ - إذا جرى ، لأن الماء خلق
بالجرى والحركة ، ساع الماء و الشراب : اضطرب على وجه الأرض ، ه
وسيعاء من الليل و كسراء : قطع منه ، كأنه ينظر إلى الساعة وهي جزء ،
هو لنفاسه خلق بأن يحفظ و لا يضع و أن يتدارك إن ضيع ،
و السيع - بالفتح : ما يطين به ، و الشحم تطلّى به المزادة ، كأنه^٣ يمنع
ما هو خلق بالجرى ، و قد سيعت الجب - إذا طينته بطين أو جص ؛
و كذلك الزق و السفن إذا طليت بالقار ، و المسبعة : خشبة ملبسة بطين ١٠
بها تكون مع حذاق^٤ الطيانيين ، و التسييع : التطيين^٥ بها تكون مع حذاق
التدهين ، و قال القرّاز : و السيع : تطيينك بالجص أو الطين^٦ أو القير ،
تسيع به السفن ، و السيع : شجر العضاء له ثمر كهية الفستق و شجر اللبان ،
و كل منها خلق بالرغبة فيه ، و المسيع : الناقة تذهب في المرعى ، كأنها
شبهت بالماء الجاري ، و هي أيضا خليفة بالسمن ، / و التي تحمل الضبعة ، ١٥ / ٤٧٧
و سوء القيام عليها ، و التي يسافر عليها و يعاد ، لأنها خليفة بأن يرغب فيها ،
و أساعه : أهمله ، أى أزال ما هو خلق به من الحفظ فصار خليقا

(١) في ظ : البسع (٢) من ظ و تاج العروس ، وفي الأصل : اساع (٣) في ظ :
لأنه (٤) من القاموس ، وفي الأصل و ظ : حذاق - كذا (هـ - هـ) - تنط
ما بين الرقين من ظ .

بالهلاك ؛ و السعوة - بالكسر : الساعة كالسواء بالكسر و الضم - و قد تقدم تخريجها - و المرأة البذية الخالعة^١ ، كأنها جديرة بسرعة الفراق كالساعة ، و الساعى : الوالى على أى أمر و قوم كان ، و لليهود و النصارى : رئيسهم ، لأنه خليف بأن يسعى عليهم و يذب عنهم ، و السعاة : التصرف ، لأن الإنسان جدير به ، و سعية^٢ علم للعز ، لأنها خليفة بالسعى ، و السعاوى - بالضم : الصبور على السهر و السفر ، نسبة إلى السعى على وجه بليغ و هو خليف بأن يرغب فيه ، و أسعوا به ، أى طلبوه^٣ بقطع همزتها ، و الساعة : جزء من أجزاء الجديدين و الوقت الحاضر و القيامة ، لأن كل ذلك جدير و حقيق بالاحتفاظ من إضاعته ، و الهالكون كالجماعة للجوع ، كأنهم أضاعوا ١٠ ساعتهم فكانوا جديرين بما حصل لهم ، و ساعة سوعاء : شديدة ، و ساعت الأبل تسوع : بقيت بلا راع ، فصارت جديرة بالهلاك و الضياع ، و أساعه : أهمله و ضيعه ، فصار كذلك ، و منه ناقة مسباع^٤ : تدع ولدها حتى يأكله السباع ، و بعد سوع من الليل و سواع ، أى هده^٥ ، و أسوع : انتقل من ساعة إلى ساعة ، فصار جديرا بأن يتحفظ فيتدارك فى الثانية ما فاتته فى ١٥ الأولى ، و أسوع الحمار : أرسل غرموله ، فصار جديرا بالنزوان ، و سواع : اسم صنم [عبد - ٧] فى عهد نوح عليه السلام ، غرقه الطوفان فاستثاره^٦

(١) من القاموس ، و فى الأصل : الخالعة ، و فى ظ : الخالعة - كذا (٢) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : سعية (٣) من ظ ، و فى الأصل : اطلبوه . (٤) فى القاموس : الهلكى (٥) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : سباع (٦) فى ظ : هداة (٧) زيد من القاموس (٨) فى ظ : فاستشار .

إليس حتى عبد أيضا، لأنه كان خليقا - عندهم و في زعمهم - بما أهلوه
له - تعالى الله عن ذلك ! والوسع مثلثة^١ : الجدة و الطاقة كالسعة ، و معناها
الخلاقة بالاحتمال ، وسعه الشيء - بالكسر - يسعه كيضعه سعة كدعة و زنة :
كان جديرا باحتماله ، و اللهم سمع علينا ، أى وسع ، و ليسعك بيتك ؛
أمر بالقرار^٢ فيه ، و هذا الإناء يسع عشرين كيلا ، أى يتسع لها ، و الواسع : هـ
ضد الضيق - كالوسيع ، و في الأسماء الحسنى : الكثير العطاء الذى يسع لما
يسأل ، أو المحيط بكل شيء ، [أو -^٣] الذى وسع رزقه جميع خلقه
ورحمته^٤ كل شيء ، و الوساع كسحاب : الندب ، و هو الخفيف فى الحاجة
الظريف النجيب ، لأنه جدير بما يندب له ، و من الخيل : الجواد أو الواسع
الخطو و الذرع - كالوسيع ، و قد وسع ككرم وساعة و سعة^٥ و أوسع : ١٠
صار ذا سعة ، و الله عليه : أغناه ، و توسعوا فى المجلس : تفسحوا ، فصاروا
جديرين باحتمال الداخل بينهم ، و وسعه توسيعا ضد ضيقه ، و رحمة الله
وسعت كل شيء ، أى أحاطت به ، و وسع كل شيء علما ، أى أحاط به
و أحصاه ؛ و الوعس كالوعد : شجر تعمل منه البرابط^٦ و العيدان ، لأنه أحق
الأشجار بذلك ، و الرمل السهل يصعب^٧ فيه المشى ، لأنه يرى لسهولته خليقا ١٥
بأن يمشى فيه ، و إذا حقق النظر كان خليقا بصعوبة المشى لكونه رملا ،

(١) من القاموس ، و فى الأصل : مثليه ، و فى ظ : مثلية - كذا (٢) من ظ
و القاموس ، و فى الأصل : القرار (٣) من القاموس ، و فى الأصل و ظ « و » .
(٤) زيد من القاموس (هـ) زيد فى ظ : وسعت (٦) من ظ : القاموس ، و فى
الأصل : سبعة - كذا (٧) فى ظ : الرابط (٨) فى ظ : يتصعب .

و أوعس ركبته ، و الوعاء : راية من رمل^١ لينة تنبت أحرار البقول ،
لأنها للينها حقيقة من بين رواي^٢ الرمل بالنبت ، و مكان أوعس و أمكنة
وعس ، و الميعاس : ما تنكب عن الغلط ، فهو جدير بالمشي فيه ، و الأرض :
لم توطأ ، فهي جديرة بالكف عن سلوكها ، و الطريق ، لأنه جدير بأن
يسلك ، قال في القاموس : كأنه ضد ، و المواعسة : ضرب من سير الإبل ،
كأنه وسط فهو جدير بالخير^٣ و المباراة في السير ، أو لا تكون إلا ليلا ؛
و قال القزاز : توعست في وجهه حمرة أو صفرة ، أي كانت خليفة
بالظهور ، قال : و إذا ذكروا الرملة قالوا : و عساء ، و إذا ذكروا الرمل قالوا :
أوعس - هذا ما في تنزيل الجزئيات من اللغة على مدار هذه المادة ، و أما
١٠ كلام أهل العربية في قواعد 'عسي' الكلية فقال أبو عبد الله القزاز : هو فعل
لا ينصرف فلا تقول : يعسى ، و لا هو عاس ، و قال عبد الحق الإشيلي :
و لا يأتي / منه مستقبل و لا فاعل و لا مفعول و لا مصدر ، قال القزاز :
و يصحبه 'أن' و يجوز حذفها ، و 'أن' و ما بعدها بمعنى المصدر و هي
في موضع نصب ، و لا يقع بعدها المصدر و لا اسم الفاعل ، و إنما جاء
١٥ هذا في مثل العرب : عسى الغوير أبوسا ، و أبوس جمع بأس ، و هذا
يدل على أن خبر عسى في موضع نصب ، و قال في القاموس :
و الأبوس : الداهية . و منه عسى الغوير أبوسا ، أي داهية ، [٦ - قال أبو عبيد
في الغريب : كأنه أراد : عسى الغوير أن يحدث أبوسا و أن يأتي

/ ٤٧٨

(١) في ظ : الرمل (٢) في ظ : راي (٣) من ظ ، و في الأصل : في الخير .
(٤) في ظ : لا يأتي (٥) في ظ : في معنى (٦) زيد ما بين الحائزين من ظ .
بأبوس ٤١٠

بأبوس^١، فهذا طريق النصب، وما بينه^٢ قول الكميت :
 قالوا أساء بنوكرز^٣ فقلت لهم عسى الغوير بابأس^٤ وإغوار [
 وقال شارح الجزولية^٥ أبو محمد ابن^٦ الموفق^٧ : لما كانت للرجاء دخلها معنى^٨
 الإنشاء فلم تصرف، لأن تصرفها ينافي الإنشاء لأنها إذا تصرفت دلت على
 الخبر فيما مضى والحال والاستقبال، وذلك ينافي معنى الإنشاء الذى
 لا يصلح لماض ولا مستقبل، وقال بعض المتأخرين : عسى موضوعة لفعل
 يتوهم كونه فى الاستقبال وهو على لفظ الماضى فاحتيج إلى 'أن' بعده إذ لا
 مستقبل له^٩، وذهب بعضهم إلى أن عسى حرف لعدم تصرفها ولا^{١٠} معناها
 فى غيرها، والصحيح أنها فعل لفظا ومعنى، أما لفظا فظاهر، أى للحاق
 الضمائر وتاء التانيث الساكنة، وأما معنى فلا أنه إخبار عن طمع وقع للتكلم،
 وجعل لفظها بلفظ الماضى لأن الطمع قد وقع، وإنما المطموع هو الذى
 يتوقع و ينتظر، وأدخل 'أن' على المطموع فيه لأنه لم يقع بعد، و جردت
 أخواتها عن 'أن' لأن خبرها محقق فى الحال إذ قد شرع فيه إلا 'كاد'
 فانها للقاربة فى الجملة، وقال ابن هشام المصرى فى توضيحه : ويجب كون

(١) من غريب الحديث ٣/ ٣٢٢، وفى ظ : أبوس (٢) من غريب الحديث،
 وفى ظ : بينه (٣) من اللسان، وفى ظ : بنو بكر، وليس المصراع فى غريب
 الحديث (٤) من غريب الحديث واللسان، وفى ظ : واناس - كذا (ه) هى
 المشهورة بالمقدمة الجزولية لعيسى بن عبد العزيز الجزولى - راجع كشف
 الظنون (٦) سقط من ظ (٧) وهو القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الأندلسى -
 كما ترجمه فى بغية الوعاة ٣٧٥ وعُد فى جملة مصنفاته شرح الجزواية، و راجع
 أيضا كشف الظنون - المقدمة الجزولية (٨) من ظ، وفى الأصل : لأن .

خبرها جملة ، و شذ كونه مفردا نحو عسى الغوير أبوسا ، ويكون الاسم مرفوعا بعسى و أن ، و الفعل في موضع نصب على الخبر ، و قال الرضى : إنما لم يتصرف في عسى لتضمنها^١ معنى الحرف ، أى إنشاء الطمع و الرجاء ، و قوله : أبوسا و صائما ، لتضمن عسى معنى كان^٢ فأجرى مجراه ، و مذهب المتأخرين أن عسى ترفع الاسم و تنصب الخبر ككان ، و قال أبو طالب العبدى في شرح الإيضاح للفارسي^٣ : الأفعال موضوعة للتصرف من حيث كانت مقسمة بأقسام الزمان ، و لو لا ذلك لأغيت المصادر عنها ، و لهذا قال سيبويه : فأما الأفعال فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء فبنيت لما مضى و لما يكون و لما هو كائن لم^٤ ينقطع ، و لما خالفت هذه الأفعال - ١٠ يعنى عسى و نعم و بئس و فعل التعجب - سائر الأفعال في الدلالة ترك تصرفها أبدا بما أريدت له من المبالغة فيما جعلت دالة^٥ عليه ، فعنى عسى الطمع و الإشفاق - كذا قال سيبويه ، و لما اختصت بهذا المعنى ترك تصرفها ؛ و قال الرماني : منعت ذلك حملا على 'لعل' كما حملت 'ما' على 'ليس' و الأول أولى لأنه ليس ينبغى أن يحمل باب الأفعال على الحروف ، ١٥ و لأن الأفعال في بابها بمنزلة الحروف في بابها في لزوم البناء ، و إنما الأسماء تحمل عليها كما تقول في قطام و حزام^٦ : إنه بنى لوقوعه موقع الفعل ، و أن أسماء الاستفهام بنيت لوقوعها موقع الحرف و لا تقول

(١) من ظ ، و في الأصل : لتضمنه (٢) في ظ : كانه (هـ) من كشف الظنون ، و في الأصل و ظ : للفارس (٤) في ظ ؛ كما (هـ) في ظ : دلالة (٦) و يمكن أن يكون : حذار .

في الأفعال: إنها بنيت حملا على الحروف ولا الحروف بنيت حملا على الأفعال، بل كل منهما أصل، فكذلك التصرف، ليس امتناعه للحملة على الحرف وجريه بجراه، وعسى من أخوات كان، وإنما لم تذكر معها للمخالفة بترك التصرف وبلزوم 'أن' الخبر وبكونه فعلا، وبدل على أنها من أخوات 'كان' عسى الغوير أبوسا، فقد انكشف ه الأصل كما انكشف أصل أقام وأطال ونحوه بقوله:

صدت^١ وأطولت الصدود^٢ - [قلبا] وصال على طول الصدود يدوم
ولزوم الفعل بخبرها لجملة عوضا من التصرف الذي كان ينبغي
أن يكون لها، وأما لزوم 'أن' فلما أريد من صرف الكلام إلى تأويل
الاستقبال لأن 'أن' تخلص إليه، والبيت الممثل به فيه شيء طريف، ١٠

وهو مصدر بمجموع واقع موقع مصدر واقع موقع فعل، والمصادر
في أصلها لا تجمع ولكنه ضرورة ومثل، فالأصل / أن 'بأس' ثم
أبوسا - انتهى كلام العبدى. وعندى أنه عند ما يقوى المعنى الذى سبقت
له من طمع أو إشفاق يجعل خبرها اسما تنيها على أنها الآن بمنزلة كان
لما اشتد من شبهها لها بذلك؛ قال أبو طالب: وإذا وليها 'أن' والفعل ١٥
كان في موضع رفع، وسد طول الكلام مسد الخبر، ومعناها الذى
هو الإشفاق والطمع قريب من المقاربة فى كاد، فلذلك حذف 'أن'
من خبرها حملا لها على كاد كما جوزوا دخول 'أن' فى خبر كاد^٣
(١) فى ظ: صدت (٢) زيد من لسان العرب - طول (٣) من ظ، وفى
الأصل: كان.

حلا لها على عسى ؛ وقال شارح الجزولية : وحذف ' أن ' من خبر عسى أكثر من إلحاق ' أن ' في خبر ' كاد ' لمقاربة كاد ذات الفعل ، و ' أن ' تنافي ذلك ، قال : ومن الفرق بينهما أن عسى لا يضم فيها ضمير الشأن والقصة لشبهها بالحرف لعدم تصرفها ، وتضم في كاد لتصرفها ، ثم رجح أنه يضم فيها وإن لم تصرف كما أضمر في نعم وبئس .^٥ وقال ابن هشام الخضراوي في شرح الإيضاح أيضا : إن سيويوه قدر عسى بقارب ، أى قترفع وتنصب لأن قارب متعد ، وقدرها بقرب ، أى فلا تنصب لعدم تعديه ، قال : ولا تدخل عسى على الماضى ؛ قال أبو على : لأنها للاستقبال المحض ولذلك وقع بعدها ' أن ' فلا تصلح للماضى .^{١٠} بوجه ؛ وقال شارح الجزولية : عسى لها مع الظاهر مذهبان : أحدهما أن تكون ناقصة^٢ بمعنى كان الناقصة ، تحتاج إلى اسم وخبر إلا أنه يشترط في خبرها أن يكون فعلا ، وأصله أن يكون اسما مثل خبر كان إلا أنه عدل عنه إلى الفعل^٣ تنبيها على الدلالة على ما هو المقصود من الرجاء وتقوية لما يفيد الرجاء من الاستقبال ، وشبهت في هذا الوجه

١٥ ب ' قارب زيد الخروج ' تحقيقا لبيان الإعراب ، لا في المعنى ، لأن ' قارب زيد الخروج ' ، ليس فيه إنشاء رجاء ولا غيره ، وإنما هو تمثيل لتقدير الإعراب اللفظي لأن أصلها أن تكون كذلك ، وإنما طرأ عليها إنشاء الرجاء كما كان ذلك في التعجب ونعم وبئس وغيرهما ؛ والمذهب الثانى أن تأتى تامة^٤ فتستعمل استعمال ' قرب ' فتدخل على ' أن ' مع الفعل

(١) من ظ ، وفي الأصل : سى - كذا (٢) من ظ ، وفي الأصل : قصة (٣) في

ظ : العقل (٤) من ظ ، وفي الأصل : بامة - كذا .

فقول: عسى أن يقوم زيد، واستغنى فيها - بأن والفعل - عن الخبرين كما استغنى في 'ظننت أن يقوم زيد' عن المفعولين، وذلك لاشتغالها^١ على مسند ومسند إليه، وهو المقصود بهذه الأفعال، فإذا قلت: زيد عسى أن يقوم^٢، احتمل أن تكون الناقصة فيكون فيها ضمير يعود على زيد هو اسمها و'أن' مع الفعل خبرها، ويحتمل أن تكون التامة^٣ فلا يكون فيها ضمير و تكون 'أن' مع الفعل فاعلها؛ وقال ابن الخباز الموصلي في كتابه النهاية في شرح كفاية^٤ الكفاية: عسى للطمع للبالغة في الطمع، فلا يكون خبرها ماضيا لأن معناها الرجاء والطمع، والماضي لا يطمع فيه ولا يرجى لحصوله، واستدل على أنها لا تستعمل إلا في المستقبل بقول بعض شعراء الحماسة:

عسى طيبي من طيبي^٥ بعد هذه ستطفئ غلات الكلى والجوانح^٦
فأتى بالسين لأنه لم يمكنه الإتيان بـ 'أن' في الشعر؛ وقال شارح الجزولية ما معناه: إنه التزم في خبرها الفعل للدلالة على الاستقبال والزم^٧ 'أن' تقوية لذلك، ولهذا لم يكن خبرها اسما وإن كان أصله^٨ أن يكون اسما إذ لا دلالة للاسم على الزمان، ولم يوضع مكانها السين^٩ وسوف لأنهما يدلان على تنفيس في الزمان، والغرض هنا تقريبه، وقد يحى في الشعر قليلا - وأنشد البيت المذكور؛ وقال ابن الخباز:

(١) في الأصل: اشتماله، وفي ظ: لاشتماله (٢) من ظ، وفي الأصل: يكون.
(٣) في ظ: تامة (٤) هو أحمد بن الحسن - راجع الأعلام للزركلي ١/ ١١٤ (٥) في ظ:
كتابه (٦) البيت لقسامة بن رواحة السنبسي - راجع باب المراثي من الحماسة.
(٧) في ظ: الزام (٨) زيد بعده في الأصل: أسماء، ولم تكن الزيادة في ظ
لحذفناها.

ودخول الاستفهام عليها يؤذن بأنها ليست للطمع لأن الاستفهام لا يدخل على الطمع ولا على ما ليس بخبر ، فدخل هل عليها بما يؤذن بأنها خبر - انتهى . فتفسيرها بما ذكرته - من أنها لما يمكن [أن يكون -^١] وهو خلق بأن يكون - أول ، ويكون الطمع لازما لمضمون الكلام ه لا أنه مدلولها بالمطابقة - والله الموفق .

٤٨٠ / ولما بين سبحانه الصالح لذلك من غيره^٢ ، أنكر على من لم / يفرق بين الصنفين فقال : ﴿ اجعلتم سقاية الحاج ﴾ أى مجردة عن الإيمان ﴿ وعمارة المسجد الحرام ﴾ أى كذلك كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد^٣ ، وأهل السقاية والعمارة من غير إيمان فى موالاتهم والكف ١٠ عن معاداتهم ﴿ كمن آمن بالله ﴾ أى الحامل اعتقاد كماله [على -^١] كل كمال ﴿ واليوم الآخر ﴾ أى الحادث خوفاً على كل خير ﴿ وجاهد فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شئ ، فالآية على قراءة الجماعة من الاحتباك : حذف أولا المشبه به لدلالة المشبه عليه وثانيا المشبه لدلالة المشبه به عليه ، وأما على رواية عيسى بن وردان ١٥ عن^٤ أبى جعفر شاذا : سقاة و عمرة - بالجمع فلا يحتاج إلى تقدير .

ولما كان كأنه قيل : كنانظن ذلك فما حالهم ؟ قال : ﴿ لا يستون عند الله ﴾ أى الذى له الكمال كله لأن المشركين ظلموا بترك الإيمان ﴿ والله ﴾ [أى -^١] الذى له الأمر كله ولا أمر لاحد معه ﴿ لا يهدى القوم الظالمين ه ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) فى ظ : الجمل - (٤) فى ظ : على .

أى الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها^١ ، والكفر أعظم الظلم ، فلا توجبوا لهم الهداية ولا المساواة بالمهتدين وإن باشروا جميع أفعال المهتدين ما عدا الإيمان . ومن فعل ذلك منكم كان ظالما وخيف عليه^٢ سلب موجب الهداية .

ولما نفى عنهم المساواة من غير تصريح بأهل الترجيح ليشتد^٣ التشوف^٤ ه إلى التصريح فيكون أثبت فى النفس وأوفر فى القلب ، كان كأنه قيل : فمن الراجح ؟ فقال : ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوقعوا هذا الفعل ، وهو إيمان المخاطب من أن يكذبوه بشئ مما يخبر به عن الله ، وقصر الفعل وهو فى الأصل متعد ليفيد أنه لا إيمان غير هذا ، وإن وجد غيره فهو عدم بالنسبة إليه ، وكذا كل فعل قصر فهو على هذا المنوال ١٠ ليشار به إلى أنه لعظيم نفعه لا فعل من جنسه غيره ﴿ وهاجروا وجهدوا ﴾ .
ولما كان المحدث عنه فيما قبل المجاهد فى سبيل الله ، اقتضى المقام [تقديمه - ٥] على الآلة بخلاف ما فى آخر الانفال فإن المقام اقتضى هناك تقديم المال والنفس لما تقدم من موجه فى غير آية - كما سلف بيانه ، وأيضا ففى^٥ هذا الوقت كان المال قد كثر ، وموضع الجهاد قد ١٥ بعدت ، فناسب الاهتمام بالسبيل فلذا قدم ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى مخلصين له لأنه الملك الذى لا كفوء له ، ثم أتبعه قوله : ﴿ باموالهم وانفسهم لا ﴾ فصرح بالنفس ترغيبا فى المباشرة بها ﴿ اعظم درجة ﴾ أى من جهة ارتفاع الدرجة ، وهى الفضيلة المقربة إلى الله .

(١) فى ظ : موضعها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اشتد (٤) زيد من ظ .

(٥) فى ظ : فى .

ولما لم يكن العبرة إلا بما عنده سبحانه ، لا بما عند الناس ، قال تعالى :
 ﴿ عند الله ﴾ أي الملك الأعظم من أهل السقاية وما معها من غير
 إيمان مدلول عليه بشواهد ، وإنما لم يذكر المفضل عليه ليفيد أن فضيلتهم^٢
 على الإطلاق ، فيكون المفضل عليه من جملة المدلول عليه ، وكرر الاسم
 ٥ الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وصعوبة المرام ، وأفهم هذا أن
 تلك الأفعال شريفة في نفسها ، فمن باشرها كان على درجة عظيمة
 بالنسبة إلى من لم يباشرها ، ومن بناها على الأساس كان أعظم ، ثم بين
 ما يخص أهل حربه فقال : ﴿ واولئك ﴾ أي العالو الرتبة ﴿ هم ﴾
 أي خاصة لا أنتم أيها المفاخرون مع الشرك ﴿ الفآئزون ﴾ أي بالخير
 ١٠ الباقي في الدارين دون من عداهم وإن فعل من الخيرات ما فعل ، لأنهم
 ترقوا من العبدية إلى العندية .

ولما بين أن جزاء أولئك الخلود في النار ، بين ما لهؤلاء ، فقال
 مفسرا لفوزهم : ﴿ يبشرهم ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بهدايتهم واجتباؤهم ،
 وناهيك بهذه البشارة الدالة على علو مقامهم^٣ لأنها بلا واسطة ، وكون
 ١٥ البشارة على قدر المبشر دال على أن هذه البشارة [بشارة عظيمة -^٤] لا نهاية
 لها ولا يحاط بمعرفة مقدارها ﴿ برحمة ﴾ أي عظيمة ، وزادها^٥ عظما

(١) في ظ : الا (٢) من ظ ، وفي الأصل : فضيلة (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 انفسها (٤) في ظ : في (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : التي دلت (٧ - ٧) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) في ظ : بمقدارها (١٠) من
 ظ ، وفي الأصل : زاد .

٤٨١ /

بقوله: ﴿ منه ﴾ وذلك إشارة إلى أنه لا نجاة بدون العفو؛ ثم أخبر بأن الرحمة كما أثمرت العفو الذى هو أدنى المنازل أسعدت / بأعلاها فقال: ﴿ ورضوان ﴾ أى بأن يكون راضيا عن الله [للرضى بقضاء الله وذلك يكون إذا قصر نظره على الله فانه لا يتغير أبدا بقضاء من أقضيته كما أن الله - الذى هو راحمه - لا يتغير، ومن كان نظره لطلب حظ له كان أبدا فى تغير من الفرح إلى الحزن ومن السرور إلى الغم ومن الراحة إلى الجراحة ومن اللذة إلى الألم، ثبت أن الرحمة التامة لا تحصل إلا للراضى بقضاء الله ويكون الله راضيا عنه فتكون نفسه راضية مرضية، ولهذا لم يقبه بـ "منه" وهذان فى الدنيا والآخرة.

ولما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها فى الدنيا - [١]، أتبعه ١٠
 يارب الجنة الروحانية البدنية^٢ الخاصة بالدار التى فيها القرار فقال: ﴿ وجنت ﴾ أى بساتين كثيرة الأشجار والثمار ﴿ لهم فيها نعيم ﴾ أى عظيم جدا خالص عن كدر ما، ودل على الخلود بقوله: ﴿ مقيم ﴾ ثم صرح بخلودهم فيها [بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس - [١] فقال: ﴿ نخلدين فيها ﴾ وحق أمره بقوله: ﴿ ابداء ﴾ ثم استأنف المدح ١٥
 لذلك مؤذنا بالمزيد بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له القوى المطلق والقدرة الكاملة ﴿ عندة اجر عظيم ﴾ وناهيك بما يصفه العظيم ^٣بالعظيم، وخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر^٤ عن دوامه بهذه العبارات الثلاث^٥ المقرونة بالتعظيم والاسم الأعظم، فكان أعظم الثواب، لأن
 (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ: البينة (٣) - قط من ظ (٤) فى ظ: البر (٥) من ظ، وفى الأصل: الثلاثة.

إيمانهم أعظم الإيمان .

ولما فرغ من العاطفة بمحاسن الأعمال، شرع^١ في العاطفة بالانساب
والأموال، وقدم الأول إشارة إلى أن المجانسة في الأفعال مقدمة على
جميع الأحوال، ولما كان محط الموالاة المناصرة، وكانت النصرة
بالآباء والإخوان أعظم من النصرة بغيرهم، لأن مرجعها إلى كثرة
الأعوان والآخذان^٢، اقتصر عليها فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾
أى أقروا بألسنتهم بالإيمان بربهم معرضين عما سواه من الأنداد الظاهرة !
صدقوا ادعاءكم ذلك بأن ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ أى تتعمدوا و تتكلفوا أن
تأخذوا ﴿آبَاءَكُمْ وَأَخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أى على ما يدعو إليه الطباع و تقويه
الاطماع فتلحقوا إليهم أسراركم و تؤثروا رضاهم والمقام عندهم ﴿انْصَبُوا﴾
أى طلبوا و أوجدوا^٣ أن أحبوا^٤ (الكفر) وهو تغطية الحق والتكذيب
﴿عَلَى الْإِيمَانِ﴾^٥ به بصيغة الاستفعال^٦ على أن الإيمان لكثرة محاسنه
و ظهور دلائله معشوق بالطبع، فلا يتركه أحد إلا بنوع معالجة و مكابرة
لنقله و مجاهدة .

١٥ ولما كان أعز الأشياء الدين، و كان لا ينال إلا بالهداية، و كان

قد تقدم سلبها عن الظالم، رهيبهم من انزاعه بقوله : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾
أى يتكلف أن يفعل^٧ في أمرهم^٨ ما يفعل القريب مع قريبه ﴿مِنْكُمْ﴾
أى بعد^٩ ما أعلمكم الله في أمرهم بما أعلم ﴿فَاوَلَّكَ﴾ أى المبعدون عن
الحضرات الربانية ﴿هُمْ الظَّالِمُونَ﴾^{١٠} أى لوضعهم الموالاة في غير موضعها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الأخوان (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٤) في ظ : الاتفعال (٥-٥) في ظ : معهم (٦) في ظ : ان (٧) تقدم في ظ على

بعد أن تقدم إليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر ، و هذا رجوع بالاحتراس إلى " واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض " - الآية الوالية لبيان المؤمنين حقاً و إشارة إلى أنه يضلهم و لا يهديهم لما تقدم من الخبر بأنه لا يهدى الظالمين .

و لما كانت الانفس مختلفة المهمة متباينة السجايا و الشيم ، كان هـ
هذا غير كافٍ في التهديد لكلها . فأتبعه تهديداً أشد منه بالنسبة إلى تلك النفوس فقال منتقلاً من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض المؤذن بزاجر الغضب : ﴿ قل ﴾ أى [يا - ٢] أعظم الخلق شفقة و رفقاً و نصيحة لمن لم يُزعمه ما تقدم من الزاجر أنه يجب تحمل جميع هذه المضار فى الدنيا ليقى الدين^٩ سالماً و لا يتلم ﴿ ان كان أبأؤكم ﴾ ١٠
أى الذين^٦ أنتم أشد شئاً توقيراً لهم ﴿ و ابنأؤكم ﴾ أى الذين هم أعز الناس لديكم و أحبهم إليكم ﴿ و اخوانكم ﴾ أى الذين هم من أصولكم فهم كأنفسكم ﴿ و ازواجكم ﴾ أى اللاتي هن سكن لكم ﴿ و عشيرتكم ﴾ أى التى^٧ بها تمام الراحة و قيام العز و المنعة^٨ و هم أهل الإنسان الآدون الذين يعاشرونه ..

١٥

و لما قدم سبحانه ما هو مقدم على المال عند أولى المهمة العوال قال : ﴿ و اموال دأقرتموها ﴾ أى اكتسبتموها بالمعالجة من الأسفار

- (١) فى ظ : متباعدة (٢) من ظ و فى الأصل : النفضة - كذا (٣) زيد من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الدنيا (٦) فى ظ : الذى (٧) فى ظ : اللاتي .
(٨) فى ظ : المنفعة .

وغيرها لمعاشكم ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ أى لفوات أوقات نفاقها
بسبب اشتغالكم بما ندب الله سبحانه إليه فيفوت - على^٢ ما توهمون -
ما به قوامكم ﴿ ومنسكن / ترضونها ﴾ أى لأنها تجمع لذلك^٣ كله ،
ولقد رتبها سبحانه أحسن ترتيب ، فان الأب أحب المذكورين لما هنا
٥ من شائبة النصرة ، وبعده الابن ثم الاخ ثم الزوج ثم العشير الجامع
للذكور والإناث ثم المال الموجود فى اليد ثم المتوقع ربحه بالمتجر ،
وختم بالمسكن لأنه الغاية التى كل ما تقدم أسباب للاسترواح فيه والتجمل
به ﴿ احب اليكم من الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال الذى أنعم عليكم
بجميع ما ذكر ، ومتى شاء سلبكموه ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى أناكم بما به
١٠ حفظ هذه النعم فى الدارين ﴿ وجهاد فى سيله ﴾ أى لرد الشارد من
عباده إليه وجمعهم عليه ، وفى قوله - : ﴿ قربصوا ﴾ أى انتظروا متبصرين -
تهديد بليغ ﴿ حتى يأتى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شئ ﴿ بامرء ﴾
أى الذى لا تبلغه أوصافكم ولا تحتمله قواكم . ولما كان من أثر حب
شئ من ذلك على حبه تعالى ، كان مارقا من دينه^٤ راجعا إلى دين من
١٥ آثره ، وكان التقدير : فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها ولا تهتدون إلى دفعها
بنوع حيلة ، لأنكم اخترتم لأنفسكم منابذة الهداية ومعلوم أن من كان
كذلك فهو مطبوع فى الفسق ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الجامع
لصفات الكمال ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى لا يخلق الهداية فى قلوب
(١) فى ظ : اشتغالكم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : كذلك (٤) فى ظ : بين (٥) من
ظ ، وفى الأصل : ذنبه .

(الفسقين هـ) أى الذين استعملوا ما عندهم من قوة^١ القيام^٢ فيما يريدون من^٣ الفساد حتى صار الفسق - وهو الخروج بما حقه المكث فيه و التقييد^٤ به و هو هنا الطاعة - خلقا من أخلاقهم و لازما من لوازمهم ، بل يكلمهم إلى نفوسهم فيخسروا الدنيا و الآخرة .

و لما كان فى بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يكسبها سكرة هـ تغفلها عن بعض مواقع القدرة ، ساق قصة حنين دليلا على ذلك الذى أبهمه من التهديد جوابا لسائل كان كأنه قال : ماذا الأمر الذى يترتب^٥ لإتيانه و يخشى^٦ من عظيم شأنه ؟ فقيل : الذل و الهوان و الافتقار و الانكسار ، فكأنه قيل : وكيف يكون ذلك ؟ فقيل : بأن يسلط القدير عليكم - وإن كنتم كثيرا - أقوياء غيركم و إن كانوا قليلا ضعفاء ١٠ كما سيطركم - و قد كنتم كذلك - حتى صرتم إلى ما صرتم إليه : (لقد نصركم الله) أى الملك الأعلى^٧ مع شدة ضعفكم (فى مواطن) أى مقامات^٨ و مواقف و أماكن توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم (كثيرة لا) أى من^٩ الغزوات التى تقدمت لكم كبدر و قريظة و النصير و قينقاع و الحديبية و خير و غيرها من مخاصمات الكفار ، و كنتم من ١٥ الذلة و التلة و الانكسار بحال لا يتخيل معها نصركم و ظهوركم على جميع الكفار و أنتم فيهم كالشجرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، و ما وكلكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : لنا - كذا (٢) فى ظ : الإيمان (٣) من ظ ، و فى الأصل : فى (٤) فى ظ : التقييد (٥) فى ظ : تتربص (٦) فى ظ : تخشى (٧) فى ظ : الأنظم (٨) فى ظ : مقدمات - كذا (٩) سقط من ظ .

إلى مناصرة من تقدم أمره لكم بمقاطعتهم ، فدل ذلك على أن من أطاع الله
ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على أحسن الوجوه وإن عاداء
الناس أجمعون ، ودل بما بعدها من قصة حنين على أن من اعتمد على
الدنيا فاته الدين والدنيا إلا أن يتداركه الله برحمته منه فيرجع به . فقال
٥ تعالى : ﴿ ويوم ﴾ أى ونصركم بعد أن قوامكم وكثركم هو وحده ،
لا كثرتم وقوتكم يوم ﴿ حنين ﴾ وهو واد بين مكة والطائف إلى جانب
ذى المجاز ، وهو إلى مكة أقرب ، وراء عرفت إلى الشمال .

[ولما كان سلبه بن سلامة بن وقش^٢ الانصارى رضى الله عنه قد
قال حين اتقى الجمعان^٣ ، وأعجبه كثرة الناس : لن تغلب اليوم من قلة !
١٠ فسأه النبي صلى الله عليه وسلم كلامه و أن يعتمد إلا على الله ، وكان
الإعجاب سما قاتلا للأسباب . أدبنا الله سبحانه في هذه الغزوة بذكر سوء
آرءه لنحذره ، ثم عاد سبحانه بالإنعام لكون الذى قاله شخصا واحدا كره غيره
مقالته . فقال - ° : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ أعجبكم كثرتم ﴾ أى فقطعتم
لذلك أنه لا يغلبها غالب ، [وأسند سبحانه الفعل للجمع إشارة إلى أنهم
١٥ لعلو مقامهم ينبغي أن لا يكون منهم من يقول مثل ذلك - °]

﴿ فلم تغن عنكم شيئا ﴾ أى من الإغناء ﴿ وضائق عليكم الأرض ﴾
أى الواسعة ﴿ بما رحبت ﴾ أى مع اتساعها فصرت لا ترون أن فيها
مكانا يحصنكم مما أنتم فيه لفرط الرعب ، فما ضاق في الحقيقة إلا ما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عوراء - كذا (٣) من الإصابة ،
وفى ظ : قينس - كذا (٤) فى ظ : الجمعان ، وراجع معالم التنزيل حول تفسير
هذه الآية (٥) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

من الآمال التي سكنت إلى الأموال والرجال ، ولعل عطفه - لتوليه
 بأداة التراخي في قوله : ﴿ ثم وليتم ﴾ أى توليه كثيرة ظهوركم التكفار ،
 وحقق ذلك بقوله : ﴿ مدبرين ﴾ أى انهزاما مع أن الفراز كان حين
 / اللقاء لم يتأخر - إشارة إلى ما كان عندهم من استبعاده اعتمادا على القوة
 ٤٨٣ / والكثرة ﴿ ثم ازل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ سكينه ﴾ ٥
 أى رحمته . وهى الأمر الذى يسكن القلوب عن أن تتأثر بما يدهمها
 من البلاء من الوثوق به سبحانه ومشاهدة جنبه الأقدس والغناء عن غيره .
 [ولما كان المقام للرسالة . وكان تأييد مدعيها من أمارات صدقه
 فى دعوى أنه رسول ، وأن مرسله قادر على ما يريد لا سيما إن كان
 تأييده على وجه خارق للعادة ، عبر به دون وصف النبوة فقال - ١ :
 ١٠ : ﴿ على رسوله ﴾ أى زيادة على ما كان به من السكينة التى لم يحز مثلها
 أحد ، ٢ ثبت بها ٣ الثلاثين ألفا أو عشرين ألفا أو أربعة آلاف [على
 اختلاف الروايات فى عشرة أنفس أو مائة أو ثلاثمائة - ١] على الاختلاف
 أيضا ، لم يكن ٢ ثباتهم إلا به ، ثم لم يزد ذلك إلا تقدما حتى أن كان العباس
 عمه و أبو سفيان بن الحارث ابن عمه رضى الله عنهما ليكفان بغلته عن ١٥
 بعض التقدم ، ولعل العطف به " ثم " إشارة إلى علو رتبة ذلك الثبات
 واستبعاد أن يقع مثله فى مجارى العادات ﴿ وعلى المؤمنين ﴾ أى أما
 من كان منهم ثابتا فزيادة على ما كان له من ذلك ، وأما غيره فأعطى ما
 (١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : ثبتها (٣) من
 ظ ، وفى الأصل : لم تكن .

لم يكن في ذلك الوقت له ، و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم قال لعنه العباس
 رضى الله عنه بعد ما فر الناس : ناد فيهم يا عباس ! فنادى ' وكان صيتا :
 يا عباد الله ! يا أصحاب الشجرة ! يا أصحاب السورة البقرة ! فكروا عتقا
 واحدا يقولون : ليك ليك ! و يحتمل أن يكون ذكر الرسول عليه
 السلام لمجرد التبرك كما في ذكر الله في قوله "فان لله خمسة" و زيادة
 في تعظيم الامتتان^٢ به لأن النفوس إلى ما أعطى منه الرسول أمل
 و القلوب له أقبل لاعتقاد جلاله و عظمنه و كاله (و انزل) أى
 من السماء (جنودا لم تروها) أى من الملائكة عليهم السلام (و عذب)
 أى بالقتل و الأسر و الهزيمة و السبي و النهب (الذين كفروا^١)
 ١٠ عبر بالفعل لأن فيهم من آمن بعد ذلك .

ولما كان ما عذب به من أوجد مطلق هذا الوصف عظيما ، أتبعه
 بيان جزاء العريق في ذلك ترهيبا لمن آثر حب شيء مما مضى على حب الله
 فقال : (و ذلك) أى العذاب الذى منه ما عذب به هؤلاء و غيره
 (جزاء الكافرين^٥) أى الراسخين في وصف الكفر الذين آثروا حب
 ١٥ من تقدم من الآباء و غيرهم على الله فثبتوا على تقليد الآباء في الباطل
 بعد ما رأوا من الدلائل ما بهر^٤ الشمس و لم يدع شيئا من لبس . و أما
 الذين لم يكن كفرهم راسخا فكان ذلك صلاحا لهم لأنه قادم إلى الإسلام ،
 فقد تبين أن المنصور من نصره الله قليلا كان أو كثيرا ، و أن القلة
 (١) سقط من ظ (٢) سورة ٨ آية ٤ (٣) في ظ : الامتناع (٤) من ظ ، و في
 الأصل : تقبله - كذا (٥) في ظ : ابهر .

و الكثرة و القوة و الضعف بالنسبة إلى قدرته سواء ، فلا تغفروا بما
الزمتكم من النعم فانه قادر على نزعها ، لا يستحق أحد عليه شيئا ،
ولا يقدر أحد على رد قضائه ، و في ذلك إعلام بأنه لا يرتد بعد إيمانه
إلا من كان عريقا في الكفر ، وفيه أبلغ تهديد لأنه إذا عذب من أوجد
الكفر وقتا ما فكيف بمن رسخ فيه ! .

ولما بين^٢ أن العذاب جزاء الكافرين ، بين أنه يتوب على من يريد
منهم ، وهم كل من علم منه قابلية للايمان^٣ وإن كان شديدا في وصف
الكفر^٤ ، فقال عاطفا على ” و عذب “ : (ثم يتوب الله) أى الذى له
الإحاطة علما وبقدره ، ولما لم يكن أحد تستغرق توبته زمان البعد أدخل
الجار فقال : (من بعد ذلك) أى العذاب العظيم (على من يشاء^٥) .

أى فيهديه إلى^٦ الإسلام و يغفر له جميع ما سلف من الآثام (والله) أى
الذى له صفات الكمال (غفور رحيم^٧) أى^٨ نجاه للخطايا عظيم الإكرام
لمن تاب ، و في ذلك إشارة إلى أنه جعل هذه الواقعة - لحكمته التى
اقتضت ربط المسيات بأسبابها - سببا لإسلام من حضرها من كفار

قريش و غيرهم من المؤلفة بما قسم فيهم صلى الله عليه وسلم من غنائم^٩

هوازن و بما رأوا من عز الإسلام / و علوه ، فكان في ذلك ترغيب لهم
بالمال ، و ترهيب بسطوات القتال ، و لإسلام وفد هوازن بما حصل لهم من
القهر و ما شاهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم من عظيم النصر ، و لإسلام

(١) في ظ : لا يريد (٢) زيد بعده في ظ : كان (٣) في ظ : الايمان (٤) في ظ :

الكفر (٥) من ظ . و في الأصل : على (٦) سقط من ظ .

غيرهم من العرب بسبب علم كل منهم بهذه الواقعة أنهم أضعف ناصرا
و أقل عددا ، كل ذلك رحمة منه سبحانه لهم ورفقا لهم . و قد كان جميع
ذلك كما أشار إليه سبحانه ، فأسلم الطلقاء و حسن إسلامهم ، و قدم و قد
هو ازن و سألو النبي صلى الله عليه و سلم جبرهم برد ما أخذ لهم فقال لهم :
ه إلى ' استأنيت بكم ، فلما أبطأتم قسمت بين الناس فيهم ، فاختاروا المال
أو السبي ! فاختاروا السبي فشفع لهم عند الناس فأجابوه^٢ فرد إليهم أبناءهم
و نساءهم رحمة منه لهم . و ذل العرب لذلك فدخلوا في الدين أفواجا .
و ختم هذه الآية بالمغفرة و الرحمة [على -] ما هو الأنسب لسياق التوبة
بذلك على أنه ما عدل إلى ختم الأولى^١ بـ "علم حكيم" إلا لما قررته من تجل
١٠ أم في " أم حسبتم " معادلة للهمزة - و الله أعلم .

و لما تقدم^٤ في^٦ الأوامر و النواهي و بيان الحكم^٥ المرغبة و المرهبة
ما لم يبق لمن عنده أدنى تمسك بالدين شيئا من الالتفات إلى المفسدين ،
بين أن الغلة في مدافعهم^٧ و شديد مقاطعتهم أنهم نجس و أن^٨ المواضع -
التي ظهرت فيها أنوار^٩ عظيمة و جلاله و أشرقت عليها شمس نبوته
١٥ و رسالته ، ولعت^{١٠} فيها بروق^{١١} كبره و جالت صوارم نهية و أمره -
مواضع القدس و مواطن الأنس ، من دنا إليها من غير أهلها احترق

(١) من ظ ، و في الأصل : اين (٢) في ظ : فاجبوهم (٣) زيد من ظ (٤) راجع
آية ١٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : من (٧) من ظ ، و في
الأصل : موافقتهم (٨) في ظ : انه (٩) من ظ ، و في الأصل : انواع (١٠) في
ظ : لحت (١١) في ظ : بوار .

نارها، و بهرت بصره أشعة أنوارها، فقال مستخلصا بما تقدم و مستنتجا:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى أقروا بألستهم بالإيمان و هم من^١ يستقبح الكذب
 ﴿انما المشركون^٢﴾ أى العريقون فى الشرك بدليل استمرارهم عليه .
 و لما كانوا متصفين به . و كانوا لا يغتسلون - و [لا - ^٣] يغسلون
 ثيابهم من النجاسة، بولغ فى وصفهم بها بأن جعلوا عينها فقال : ه
 ﴿نجس﴾ أى و أنتم تدعون أنكم أبعد الناس عن النجس حسا و معنى ،
 فيجب أن يقدروا و أن يبعدوا و يحذروا كما يفعل بالشيء النجس لما اشتعلوا
 عليه من خلال الشر و اتصفوا به من خصال السوء، و أما أبدانهم فاتفق
 الفقهاء على طهارتها لأن النبى صلى الله عليه و سلم شرب من أوانهم
 و لم ينه عن مؤاكلتهم و لا أمر بالغسل [منها - ^٤] . و لو كانت نجسة ١٠
 ما طهرها الإسلام . و لما تسبب عن ذلك إبعادهم، قال : ﴿فلا يقربوا﴾
 أى المشركون، و هذا نهى للسليين عن تمكينهم من ذلك، عبر عنه
 بنهيهم مبالغة فيه ﴿المسجد الحرام﴾ أى الذى أخرجوكم منه و أنتم
 أطهر الناس، و استغرق الزمان فأسقط الجار و نبههم على حسن الزمان
 و اتساع الخير فيه بالتعبير بالعام فقال : ﴿بعد عامهم﴾ و حقق الأمر ١٥
 و أزال اللبس بقوله : ﴿هذا ج﴾ و هو آخر سنة تسع سنة الوفود مرجعه
 صلى الله عليه و سلم من غزوة تبوك، فعبر بقربانه لا باتيانه بعد التقديم إليهم
 بأن لا يقبل من مشرك إلا بالإسلام أو القتل إشارة إلى إخراج المشركين
 من جزيرة العرب و أنها لا يجتمع بها دينان لأنها كلها محل النبوة العربية

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : المشركين (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : او .

و موطن الأسرار الإلهية ، فمن كان فيها - ولو في أقصاها - فقد قارب جميع ما فيها ، و تكون حينئذ بالنسبة إلى الحرم كأفنية الدور و رحاب المساجد ؛
 وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضي الله عنه أميرا على الحج بعد رجوعه من تبوك ثم أوقفه بعل رضي الله عنه فأمره أن يؤذن براءة ، قال أبو هريرة : فأذن معنا على يوم النحر في^١ أهل منى براءة و أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان^٢ . و هذه سنة قديمة فقد أمر الله تعالى

/ ٤٨٥

بنى إسرائيل في غير موضع من التوراة بأن لا يبقوا^٣ في جميع بلاد بيت المقدس أحدا من المشركين بخلاف غيرها من البلاد التي يفتحها الله عليهم ، منها ما قال المترجم في أواخر السفر الخامس^٤ : وإذا تقدمتم إلى قرية أو مدينة لثقاتلوا أهلها ادعوهم إلى الصلح ، فإن قبلوه و فتحوا لكم من كان فيها من الرجال يكونوا عبيدا لكم يؤدوا إليكم الخراج ، و إن لم يقبلوا الصلح و حاربوكم فحاربوهم و ضيقوا عليهم فإن الله ربكم يدفعها إليكم و تظفرون بمن فيها ، فإذا ظفرتهم بمن فيها فاقتلوا الذكور كلهم بالسيف ، كذلك اصنعوا بجميع القرى البعيدة النائية التي ليست من قرى هذه الشعوب

فأما قرى هذه الشعوب التي يغطيكم الله ميراثا فلا تبقوا^٥ من أهلها أحدا ولكن اقلوهم قتل كالذي أمركم الله ربكم لئلا يعلموكم النجاسة

(١) في ظ : امر (٢) في ظ : على (٣) راجع كتاب التفسير من الصحيح (٤) من ظ ، و في الأصل : تبعوا (٥) في ظ : آخر (٦) راجع الأصحاح العشرين منه . (٧) من ظ ، و في الأصل : فلا بعوا - كذا .

التي يعملونها^١ لآلهتهم ، و مثل ذلك كثير فيها ، و قد مضى بعده فيما ذكرته
 عن التوراة - والله الموفق . و جملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة
 أقسام : أحدها الحرم ، فلا يجوز للكافر^٢ أن يدخله بحال فظاهر هذه
 الآية ، الثاني الحجاز و ما في حكمه و هو جزيرة العرب ، فدخله الكافر
 بالإذن و لا يقيم أكثر من مقام السفر ثلاثة أيام لأن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، و هي من أقصى
 عدن أبين^٣ ، و هي في الجنوب إلى أطراف الشام و هي في الشمال طولا ،
 و من جدة ، و هي أقصى الجزيرة غربا على شاطئ بحر الهند إلى ريف العراق
 و هو في المشرق عرضا^٤ ، و الثالث سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر
 الإقامة فيها بذمة و أمان ما شاء ، و لكن لا يدخل المساجد إلا باذن مسلم - ١٠
 ذكر ذلك بغوى^٥ ، قال ابن الفرات في تاريخه عند غزو بخت نصر لبني
 إسرائيل و لأرض العرب : إنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار
 و الأنهار^٦ بها ، فصارت مثل الجزيرة من جزائر البحر ، و ذلك أن الفرات
 أقبل من بلاد الروم و ظهر من ناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة
 و سواد العراق حتى وقع في البحر من ناحية البصرة و الأبله^٧ و امتد البحر ١٥
 من ذلك الموضع مطيفا ببلاد العرب ، فأتى منه عنق على كاطمة و تغدى
 (١) من نص التوراة ، وفي الأصل : يعملونها (٢) في ظ : لكانو (٣) هو
 محلاف باليمن (٤) سقط من ظ (٥) راجع معالم التنزيل على هامش باب أنابيل
 ٢٠ / ٢٦ (٦) في ظ : الأشجار ، و راجع أيضا منجم البلدان - جزيرة العرب .
 (٧) من المنجم ، وفي الأصل و ظ : الآية .

إلى القطيف و هجر و عمان و الشجر^١ . و مال منه [عتق - ^٢] إلى
 حضرموت و ناحية أبهر^٣ و عدن . و استطال ذلك العنق فظعن في تهامة^٤
 اليمن و مضى إلى ساحل جدة ، و أقبل النيل في غربي هذا العنق من
 أعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر معه حتى وقع في بحر مصر
 ه و الشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر^٥ حتى بلغ بلاد فلسطين [فر - ^٦]
 بعسقلان و سواحلهما . و أتى على بيروت و نفذ إلى سواحل حصص
 و قنسين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطا على أطراف
 قنسين و الجزيرة إلى سواد العراق ، و أقبل جبل^٧ السراة من قعرة اليمن
 حتى بلغ أطراف الشام فسمته العرب حجازا لأنه حجز بين الغور و بحد
 ١٠ فصار ما خلف ذلك الجبل في غريبه الغور وهو تهامة ، و ما دونه في
 شريقه بحد^٨ - انتهى .

و لما كان ما والاها من أرض الشام و نحوها كله أنهار أو جداول^٩ ،
 جعل كأنه بحر لأنه في حكم شاطئته^{١٠} ، و لما كانت قوامهم بالتاجر ،
 و كان قوام المتاجر باجتماعهم في أسواقهم . و كان نفيهم من تلك
 ١٥ الأراضي مظنة لحوف انقطاع المتاجر و انعدام الأرباح المفضي إلى الحاجة
 و كان قد أمر بنفيهم رعاية لأمر الدين ، و كانت سبحانه عالما بأن

(١) في ظ : شجر (٢) زيد من المعجم (٣) في المعجم : ايمن (٤) من ظ ، و في
 الأصل : نهاية ، و في المعجم : تهائم (٥-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد
 من ظ و المعجم (٧) من ظ و المعجم . و في الأصل : جعل (٨) في ظ : نجد .
 (٩) زبدت الواو بعده في ظ (١٠) من ظ ، و في الأصل : شرطيه .

[ذلك يشق على النفوس لما ذكر من العلة ولا سيما وقد قال بعضهم لما قرأ على رضى الله عنه آيات البراءة على أهل الموسم : يا أهل مكة ! ستعلمون ما تلقونه من الشدة بانقطاع السيل و بعد الحمولات - ^١] ، وعد سبحانه -

وهو الواسع العليم - بما يغنى عن ذلك ، لأن / من ترك الدنيا لأجل ٤٨٦ / الدين أوصله سبحانه إلى مطلوبه من الدنيا مع ما ^٢سعد به من أمر الدين ^٣ه من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ، فقال : ﴿ وان خفتم ﴾ أى بسبب منعهم من قربان المواطن الإلهية ﴿ عيلة ﴾ أى فقرا وحاجة ﴿ فسوف يغنيكم الله ﴾ أى وهو ذو الجلال والإكرام ﴿ من فضله ﴾ وهو ذو الفضل والطول والقوة والحول .

و لما كان سبحانه الملك الغنى القادر القوى الذى لا يجب لأحد ١٠ عليه شيء و يجب طاعته على كل شيء ، نه على ذلك بقوله : ﴿ ان شاء ﴾ [ولما كان ذلك عندهم مستبعدا ، علل تقريبا له بقوله - ^١] : ﴿ ان الله ﴾ ^٢أى الذى له الإحاطة الكاملة ^٣﴿ عليم ﴾ [أى - ^١] بوجوه المصالح ﴿ حكيم ﴾ أى فى تدبير استجلابها و تقدير إدارها ولقد صدق سبحانه و من أصدق منه قولا فانه أغنام - بالمغانم التى انتلها بأيديهم ١٥ بعد نحو ثلاث سنين من إزالتها من كنوز كسرى و قيصر - غنى لم يترك أرواهم قط ، ثم جعل ذلك سببا لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض لصيورتهم إخوانا فى الدين الذى كان سببا لأن يجتمع

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : تقدمه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) سقط من ظ .

في سوق منى وغيره في أيام الحج كل عام من المتاجر مع الغرب والعجم^١ ما لا يكون مثله في بقعة من الأرض ، و العيلة : الفاقة والافتقار ، و مادتها بهذا الترتيب تدور على الحاجة و انسداد وجوه الحيلة وقد تقدم أول النساء أنها - لا بقيد ترتيب - تدور تقاليها الثمانية على الارتفاع ويلزمه الزيادة والميل ، ومنه تأتى الحاجة . و برهن على ذلك في جميع الجزئيات .

ولما كان ذلك موضع تعجب يكون سببا لأن يقال : من أين يكون ذلك الغنى ؟ أجاب بقوله : ﴿ قاتلوا ﴾ أى أهل الأموال والغنى ﴿ الذين لا يؤمنون بالله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال إيماننا هو على ما^٢ أخبرت^٣ به عنه رسله ، ولو آمنوا هذا الإيمان ما كذبوا رسولا من الرسل ، و أيضا فالنصارى مثله و بعض اليهود مثنية^٤ ﴿ ولا باليوم الآخر ﴾ أى كذلك ، و أقل ذلك أنهم لا يقولون^٥ بحشر الأجساد^٦ ﴿ ولا يحرمون ما حرم الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ﴿ و رسوله ﴾ أى من الشرك و أكل الأموال بالباطل وغير ذلك و تبديل التوراة والإنجيل ﴿ ولا يدينون ﴾ أى يفعلون و يقيمون ، اشتق من الدين فعلا ثم أضافه^٧ ١٥ إلى صفته إغراقا في اتخاذ^٨ بذلك الوصف فقال : ﴿ دين الحق ﴾ أى الذى أخذت عليهم رسلهم^٩ العهود والمواثيق باتباعه ، ثم بين الموصول مع صلته فقال : ﴿ من الذين ﴾ ودل على استهاته سبحانه بهم و براءته

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : أخبر (٤) من ظ ، وفي الأصل : منيه - كذا (٥) في ظ : لا يقولوا (٦) في ظ : الأجسام (٧) في ظ : أضافته (٨) من ظ ، وفي الأصل : إيجاره (٩) في ظ : رسله .

منهم بأن بنى للفعول قوله : (ارتوا الكتب) أى من اليهود و النصارى
 ومن ألحق بهم (حتى يعطوا الجزية) أى وهى ما قرر عليهم فى نظر
 سكانهم فى بلاد الإسلام آمتين ، فعله من جزى يحزى - إذا قضى ما عليه
 (عن يد) أى قاهرة إن كانت يد الآخذ أو مقهورة إن كانت يد المعطى ،
 من قولهم : فلان أعطى يده (وهم صغرون ٤) فى ذلك غنى لا يشبه ه
 ما كنتم فيه من قتال بعضكم^١ لبعض لتغنى ما فى يده من ذلك المال
 الحقير ولا ما كنتم تعدونه غنى من المتاجر التى لا يبلغ أكبرها و^٢ أصغرها
 ما أرسدناكم إليه مع ما فى ذلك من العز الممكن من الإصلاح و الطاعة
 و سترون ، و عبر باليد عن السطوة التى ينشأ عنها الذل و القهر لأنها الآلة
 الباطشة ، فالمعنى عن يد قاهرة لهم ،^٣ أى عن قهر منكم لهم و سطوة بأفعالكم
 التى أصغرتهم^٤ عظمتها و أدلتهم شدتها ، قال أبو عبيدة : يقال لكل من
 أعطى شيئاً كرها عن غير طيب نفس : أعطاه عن يد - انتهى . و عبر
 بـ " عن " التى هى للجauزة لأن الإعطاء لا يكون إلا بعد البطش المذل ،
 هذا إذا أريد باليد [يد - ٤] الآخذ ، و يمكن أن يراد / بها يد المعطى ،
 ٤٨٧ / و تكون كناية عن النفس لأن مقصود الجزية المال ، و اليد أعظم أسبابه ، ١٥
 فالمعنى حتى يعطى كل واحد منهم الجزية عن نفسه .

ولما كان المراد التعميم أتى بها نكرة لتفيد ذلك ، و يؤيد هذا
 ما نقل العلماء عن الرواة لفتوح البلاد منهم الحافظ أبو الربيع ابن سالم
 الكلاعى ، قال فى كتابه الاكتفاء فى وقعة جلولاء من بلاد فارس :

(١) فى ظ : بعضهم (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن
 فى ظ لحذفها (٤) زيد من ظ .

قالوا: قال بعضهم: فكان الفلاحون للطرق والجسور والأسواق
والحرث والدلالة مع الجزى عن أيديهم على قدر طاقتهم، وكانت
الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة، وإنما أخذوا الجزية من المجوس
لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وأخذها منهم لأنهم
ه أهل كتاب في الأصل، قال الشافعي في باب المجلد والمفسر من كتاب
اختلاف الحديث: والمجوس أهل كتاب غير التوراة والإنجيل وقد
نسوا كتبهم وبدلوه، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخذ الجزية
منهم؛ أخبرنا سفيان عن أبي سعد سعيد بن مرزبان عن نصر بن عاصم
قال: قال فروة بن نوفل الأشجعي: علام تؤخذ الجزية من المجوس
١٠ و ليسوا بأهل كتاب؟ فقام إليه المستورد فأخذ بليه^١ فقال: يا عدو الله!
تظعن على أبي بكر و على عمر و على أمير المؤمنين - يعني عليا - وقد
أخذوا منهم الجزية، فذهب به إلى القصر فخرج على رضى الله عنه عليها^٢
فقال: البداية ١ البداية ١ فجلسا في ظل القصر فقال علي: أنا أعلم الناس
بالمجوس، كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه، وإن ملكهم سكر
١٥ فوق على أخته أو أخته فاطلع عليه بعض أهل^٣ مملكته، فلما صا جاؤا
يقينون عليه الحد فامتنع عليهم فدعا أهل مملكته فقال: تعلمون ديننا

(١) في الأصل: يؤخذ، والتصحيح من ظ و سنن البيهقي - باب المجوس أهل
كتاب من كتاب الجزية، وساق هذا الحديث هناك بتمامه عن نفس الطريق
الذي هنا. وساق بعضه في مجمع الزوائد ٦/ ١٢ (٢) من السنن، وفي الأصل:
بليه، وفي ظ: بتلييه (٣) في ظ: عليها (٤) سقط من ظ.

خيرا من دين آدم وقد كان آدم ينكح بنيه من بناته ، فأنا على دين
 آدم ، فبايعوه وقاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم فأصبحوا وقد أسرى
 على كتابهم فرفع من بين أظهرهم وذهب العلم الذى فى صدورهم ، وم
 أهل كتاب^١ وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
 رضى الله عنهما منهم الجزية . ولما أمر بقتالهم^٢ وصفهم بما هو السبب^٣
 الباعث على ذلك ، عطف عليه بعض أقوالهم الميعة لقتالهم^٤ الموجبة
 لنكالمهم فقال : ﴿ وقالت ﴾ أى قاتلوا أهل الكتاب لأنهم كفروا بما
 وصفناهم به وقالت ﴿ اليهود ﴾ منهم كذبا وبهتاناً ﴿ عزير ﴾ [تنوين^٥
 عاصم والكسائي له موضع^٦ لكونه مبتدأ ، والباقون منعه نظرا إلى
 عجمته مع العلية وليس فيه تصغير ، والخبر فى القراءة قولهم -^٧ : ١٠
 ﴿ دابن الله ﴾ أى الذى له العلو المطلق فليس كمثله شيء ، وعزير
 هذا هو المسمى عندهم فى سفر الأنبياء^٨ ملاخيا ، ويسمى ايضا العازر
 وهو الاصل والعزير تعرييه ، وأما الذى جمع لهم هذه التوراة
 التى بين أيديهم فقال السموأل بن يحيى المغربى الذى كان يهوديا
 فأسلم : إنه شخص آخر اسمه عزرا ، وإنه ليس بنبي - ذكر ذلك فى ١٥
 كتابه غاية المقصود فى الرد على النصارى واليهود ، وهو كتاب حسن
 جدا ، وكان السموأل هذا مع تمكنه من المعرفة بشريعة اليهود
 وأخبارهم متمكنا من علوم الهندسة وغيرها ، وكان فصيحاً بليغاً

(١) فى ظ : رفع (٢) من ظ والسنن ، وفى الأصل : الكتاب (٣-٢) سقط ما بين
 الرقنين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) وهو آخر الأسفار القديمة .

و كان حسن^١ الإسلام يضرب المثل بعقله ، و رأيت اليهود في غاية
 النكايه منه ، و أراني بعضهم رسالة إليه لبعض أجارهم يسفه فيها رأيه في
 إسلامه و يشبه عليه بأشياء خطاية و شرعية ، فأجابه بجواب بديع اقتحه بقوله
 تعالى : " سيقول السفهاء من الناس ما ولّتهم عن قبلتهم التي كانوا عليها " ^٥
 ثم رد كلامه أحسن رد ثم قال^٢ له ما حاصله : دع عنك مثل هذه
 الخرافات ، و أجب عن الأمور التي ألزمتكم بها في كتاب غاية المقصود ،
 فإ أحرار^٣ جوابا ، ثم القائل لهذا القول منهم روى عن ابن عباس
 رضي الله عنهما أنهم أربعة ، و قيل : قائله واحد و أسند إلى الكل كما
 يقال : فلان يركب الخيول و قد لا يكون له إلا فرس واحد ، و هو كقوله
 تعالى " الذين قال لهم الناس^٤ " - الآية ، و قيل : كان فاشيا فيهم / فلما
 عابهم^٥ الله به تركوه و هم الآن ينكروته ، و الله تعالى أصدق حديثا
 (و قالت النضرى) أى منهم إفكا و عدوانا (المسيح) [و أخبروا عنه
 بقولهم - ^٦] : (ابن الله ^٧) [أى - ^٨] مع^٩ أن له الغنى المطلق و الكمال
 الأعظم ، و المسيح هذا^{١٠} هو ابن مريم بنت عمران ؛ ثم استأنف قوله
 ١٥ مترجما قولي " فريقيهم : (ذلك) أى القول البعيد من العقول المكذب
 للقول (قولهم بافواههم ج) أى حقيقة لم يحتشموا^{١١} من قوله مع
 (١) في ظ : احسن (٢) سورة ٢ آية ١٤٢ (٣) في ظ : قاله (٤) في ظ : اجاد .
 (٥) من ظ ، و في الأصل : واحده (٦) سورة ٢ آية ١٧٣ (٧) في ظ : اعابهم .
 (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن
 في ظ فخذفناها (١١) في ظ : قول (١٢) من ظ ، و في الأصل : لم يحتشموا .

سماحته، وهو مع ذلك قول لا تجاوز^١ حقيقته الأفواه إلى العقول لأنه لا يتصوره عاقل، بل هو قول مهمل كأصوات الحيوانات العجم لا يتحقق له معنى؛ قال: ومعناه الحال أن قائله لا عقل له، ليس له معنى وراء ذلك، ولبعده عن أن يكون مقصودا لعاقل عبر فيه بالأفواه التي هي أبعد من الألسنة^٢ إلى القلوب.

ولما كان كأنه قيل: فما لهم إذا كان هذا حالهم^٣ قالوه؟ قال ما حاصله: إنهم قوم مطبوعون على التشبه بمن يفعل المفاسد كما أنهم^٤ تشبهوا بعبدة الأوثان، فعبدها غير مرة والآنبياء بين أظهرهم يدعونهم إلى الله وكتابهم ينادى بمثل ذلك وينذرهم أشد الإنذار ﴿يضاهون﴾ أي حال كونهم يشابهون بقولهم هذا ﴿قول الذين كفروا﴾ أي بمثله ١٠ وهم العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله، كما أنهم لما رأوا الذين يعكفون على أصنام لهم قالوا: "يُمُوسَى اجعل لنا الهة كما لهم الهة". ولما كان لا يمتنع أن يكون الذين شابهوهم إنما كانوا بعدهم أو في زمانهم من قبل أن يبين فساد قولهم، نفى ذلك بقوله مشيرا بحرف الجر إلى أن كفرهم لم يستغرق زمن القبل: ﴿من قبل^٥﴾ أي من قبل أن ١٥

يحدث منهم هذا القول، وهذا دليل على أن العرب غيروا دين إسماعيل عليه السلام، اجترأوا^٦ على مثل هذا القول قبل إيقاع بخت نصر باليهود

(١) من ظ، وفي الأصل: لا يجاوز (٢) في ظ: السن (٣) من ظ، وفي الأصل: حاله (٤) من ظ، وفي الأصل: انتم (٥) في ظ: اغتروا.

أو في حدوده ، وإيس ذلك يبعد مع طول الزمان و إغواء الشيطان ،
 فقد كان بين^١ زمان إبراهيم وعزير عليهما السلام نحو ألف وخمسمائة
 سنة - هذا على ما ذكره بعض علماء أهل الكتاب عن كتبهم وأيده
 ما ذكره المسعودي من مروج الذهب في تاريخ ملوك بابل من نمرد
 ه إلى بخت نصر : وذكر بعض المؤرخين أن بين الزمنين زيادة على ألفي
 سنة على أنهم قد نقلوا ما هو صريح في كفر العرب في ذلك الزمان
 فرووا عن هشام ابن الكلبي أنه قال^٢ : كان بدء نزول العرب إلى أرض العراق
 أن الله عز وجل أوحى إلى برخيا من ولد يهودا أن ائت بخت نصر
 ففره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق^٣ ليوثهم ويطأ بلادهم
 ١٠ بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذرارهم ويستبيح أموالهم وأعله
 بكفرهم بي^٤ واتخاذهم الآلهة^٥ دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسل ، وعن
 غير ابن الكلبي أنه نظم ما بين أبله والإيلة خيلا ورجالا ثم دخلوا
 على العرب فاستعرضوا كل ذي روح قدروا عليه^٦ ، وأوصى الله
 برخيا وإرميا بمعد بن عدنان الذي من ولده محمد المختوم به النبوة ،
 ١٥ وكان ذكر مشابھتهم لأهل الشرك تحقيرا لشأنهم تجرئة على الإقدام
 عليهم إذ جعلهم مشابھين لمن دربوا قتالهم وضربوا^٧ عليهم فأذلوهم
 بعد أن كانوا في عزة لا يخشون زوالها ، وعزائم شديدة لا يخافون
 (١) من ظ ، وفي الأصل : قبل (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : اغلاف (٤-٤) من
 ظ ، وفي الأصل : ايجادهم الالهية (٥) من ظ ، وفي الأصل : او (٦) من ظ ،
 وفي الأصل : ضروا .

انحللها ، كل ذلك بطاعة الله في قتالهم و طلب مرضاته بنزالهم لانه
عليهم ، ومن كان عليه لم يفلح^٢ ، و إلى مثل ذلك إشارة بقوله في حق
هؤلاء : ﴿ قتلهم الله ﴾ أى أهلكهم الملك الأعظم ، لأن^٣ من قاتله
لم ينج منه ، و قيل : لعنهم ؛ روى عن ابن عباس قال : و كل شئ في
القرآن مثله فهو لعن ﴿ انى يؤفكون ﴾ أى كيف و من أين يصرفون ه
عن الحق مع قيام الأدلة القاطعة عليه ، ثم زادهم جرأة عليهم بالإشارة
إلى ضعف مستندهم^٤ حيث كان مخلوقا مثلهم بقوله : ﴿ اتخذوا ﴾ أى
كافوا / أنفسهم العدول عن الله القادر على كل شئ و أخذوا ﴿ اجارهم ﴾
أى من علماء اليهود ، و الخبر فى الأصل العالم من أى طائفة كان
﴿ و رهبانهم ﴾ [أى - *] من زهاد النصارى ، و الراهب فى الأصل ١٠
من تمكنت الربة فى قلبه فظهرت آثارها على وجهه و لباسه ، فاختص
فى العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع ﴿ اربابا ﴾ أى آلهة لكونهم
يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا و تحليل ما حللوا ، و أشار
إلى سفول أمرهم بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الخائن لجميع صفات
الجلال ، فكانوا يعولون عليهم و يستندون أمرهم إليهم حتى أن كانوا ١٥
ليتبعونهم^٥ فى الحلال و الحرام^٦ ﴿ و المسيح ﴾ أى المبارك الذى هو
أهل لأن يمسح بدهن القدس و أن يمسح غيره ﴿ ابن مريم ج ﴾ أى
(١) فى ظ : صلت (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يفلح (٣) فى ظ : لا (٤) فى
ظ : مستندهم (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : احلوا (٧-٧) سقط
ما بين الرقمين من ظ .

اتخذوه كذلك لكونهم جعلوه ابنا فأهلوه^١ للعبادة بذلك^٢ مع كونه ابن امرأة، فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته للأدميين في الحمل والولادة^٣ والثرية والأكل والشرب وغير ذلك من أحوال البشر الموجبة للحاجة المنافية للالهية، ومع تصريحه لهم بأنه^٤ عبد الله ورسوله، فتطابق العقل ٥ و النقل على أنه ليس باله .

ولما قبح عليهم ما اختاروه لأنفسهم، قبحه عليهم من جهة مخالفته لأمره تعالى فقال : ﴿ وما ﴾ أى فعلوا ذلك والحال أنهم ما ﴿ امرؤا ﴾ أى من كل من له الأمر من أدلة العقل والنقل ﴿ الا ليعبدوا ﴾ أى ليطيعوا على وجه التعبد ﴿ الها واحدا ﴾ أى لا يقبل القسمة بوجه ١٠ لا بالذات ولا بالمائلة، وذلك معنى وصفه بأنه ﴿ لا اله الا هو ﴾ أى لا يصلح أن يكون معه إله آخر، فلما تعين ذلك في الله وكانت رتبته زائدة البعد عما أشركوا به ، نزهه بقوله : ﴿ سبحانه ﴾ أى بعدت رتبته وعلت ﴿ عما يشركون ﴾ في كونه معبودا أو مشرعا؛ ذكر أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي القاضى في تفسيره وغيره عن عدى بن حاتم ١٥ رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و في عنق صليب من ذهب فقال : اقطعه ، فقطعته ثم أتيت وهو يقرأ سورة براءة "اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله و المسيح ابن مريم و ما امرؤا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون" قلت : يا رسول الله !

(١) في ظ : فاهللوهم (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الولاية (٤) في ظ : بان .
(٥) في ظ : لا يصح (٦) في ظ : كان .

إنالم نكن نعبدهم^١ قال : أجل . أليس كانوا يحلون لكم ما حرم الله
فستحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه ؟ قلت : بلى ، قال :
تلك عبادتهم^٢ .

ولما وهى سبحانه أمرهم من جهة استنادهم^٣ ، زاده توهية من
جهة مرادهم بالإعلام بأنهم بقتالهم لأهل الطاعة [إنما - ٢] يقاتلون الله ه
و أنه لا ينفذ غرضهم بل [يريد غير ما - ٢] يريدون ، ومن المقرر أنه
لا يكون إلا ما يريد ، فقال مستأنفا أو معللا لما مضى من أقوالهم
و أفعالهم : (يريدون ان يطفوا) أى بما مضى ذكره من أحوالهم
(نور الله) أى دين الملك الأعلى الذى له الإحاطة العظمى ، و شرعه
الذى شرعه لعباده على أسنة الأنبياء و الرسل ، كل ذلك ليتمكنوا من العمل ١٠
بالأغراض و الأهوية ، فإن اتباع الرسل حاسم للشهوات ، وهم أبعد
الناس عن ذلك ،

ولما حقر شأنهم ، هدمه بالكلية بقوله : (بافواههم) أى بقول
خال عن شيء يثبت أو يمتضيه و ينفذه ، و فى تسمية دينه نورا و معاندتهم
إطفاء بالآفواه تمثيل لحالهم بحال من يريد إطفاء نور الشمس بنفخه ١٥
(و يابى) أى و الحال أنه يفعل فعل الآبى و هو أنه لا يرضى (الله) أى
الذى له جميع العظمة و العز و نفوذ الكلمة (الآن يتم نوره) أى لا يقتصر
على مجرد إشرافه ، بل وعد - و قوله الحق - بأنه لا بد من إكماله
(١) وقد أورده الطبرى فى جامعته حول تفسير هذه الآية (٢) فى ظ : استنادهم .
(٣) زيد من ظ .

وإطفائه لكل ما عداه وإحراقه . ولما في "يأبى" من معنى الجحد دخل عليه الاستثناء ، أى إنه يأبى كل حالة إلا حالة إتمامه نوره على التجدد والاستمرار ﴿ ولو كره الكافرون ٥ ﴾ أى العريقون^١ فى الكفر فكيف بغيرهم .

٥ ولما أخبر أنه معل لقوله ومكمل ، ومبطل لقولهم^٢ ومسفل ،

علل ذلك بما حاصله أنه شأن الملوك . وهو أنهم إذا برز لهم أمر شئ^٣ لم يرضوا أن يرده أحد فان ذلك روح الملك الذى لا يجازى الطاعن فيه

/ ٤٩٠ / إلا بالهلك فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى أرسل رسوله ﴾ أى

محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ بالهدى ﴾ أى البيان الشافى^٤ بالمعجزات القولية

١٠ والفعلية ﴿ ودين الحق ﴾ أى الكامل فى بيانه وثباته كمالا ظاهرا

لكل^٥ عاقل ، ثم زادهم جرأة على العدو بقوله معللا لإرساله :

﴿ ليظهره ﴾ أى الرسول صلى الله عليه وسلم [والدين - أدام الله ظهوره -]

﴿ على الدين كله^٦ ﴾^٧ وساق ذلك كله مساق الجواب لمن كأنه قال :

كيف تقاتلهم وهم فى الكثرة والقوة على ما لا يخفى ؟ فقال : لم لا تقاتلونهاهم^٨

١٥ و أتم لا تعتمدون على أحد غير من كل شئ نحت^٩ قهره ، وهم إنما يعتمدون

على مخاليق مثلكم ، كيف لا تجسرون عليهم وهم فى قتالكم^{١٠} إنما يقاتلون

(١) فى ظ : العريقين (٢) من ظ ، وفى الأصل : لقوله (٣) فى ظ : بشئ (٤) فى

ظ : بالهلاك (٥) فى ظ : الشافى (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) زيد قبله

"أى" ولم تكن الزيادة فى ظ لخصفها (٩) من ظ ، وفى الأصل : لا تقاتلونهاهم .

(١٠) من ظ ، وفى الأصل : تجب (١١) فى ظ : قتالهم .

ربهم الذى أنتم فى طاعته ؟ أم كيف لا تصادمونهم و هو الذى أمركم
بقتالهم لينصركم و يظهر آياته ؟ و لعل الختم بقوله : ﴿ ولو كره المشركون ﴾
أبلغ لأن الكفر قد لا يكون فيه عناد ، و الشرك مبناه على العناد باتخاذ
الانداد ، أى لابد من نصركم خالف من خالف مجرد مخالفة أو ضم
[إلى = ١] ذلك العناد بالاستعانة بمن^٢ أراد .

و لما حقر أمرهم بتقسيم اعتمادهم على رؤسائهم ، و حالهم معروف
فى أنه لا تقع عندهم ولا ضرر ، و أعلى أمر أهل الله باجتماعهم عليه و هو
القادر على كل شيء ، و كان الإقبال على الدنيا أعظم أماره على الخذلان
و لو أنه بحق فكيف إذا^٣ كان بالباطل ! أقبل سبحانه و عز شأنه على أهل
وده مستعطفا متلطفا مناديا باسم الإيمان الذى بنى أمره فى أول هذا
الكتاب على الإنفاق لا على التحصيل و لو كان بحق . فكيف إذا^٤
كان يباطل ، و يؤتون الزكاة و بما رزقناهم ينفقون ، منها على سفه من
ترك من لا يسأله على بذل الهدى و الدعوة إلى دين الحق أجرا و هو
سفير محض لا ينطق عن الهوى ، و لم يعتقده رسولا و اتخذ مربوبا مثله
و هو يأخذ ماله بالباطل ربوا ، و ذلك مقتضى لتحقيرهم^٥ لا لمطلق
تعظيمهم فضلا عن الرتبة التى أنزلهم بها و أهلوم لها مع الترفع عليهم
لقصد أكل أموالهم بالباطل فقال : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا
بايمان داعيهم من التكذيب و مما يؤل إليه ﴿ ان كثيرا من الاجار ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : اذ (٤) فى ظ : ان .

(٥) فى ظ : لتحقير .

أى من علماء اليهود (و الرهبان) أى من زهاد النصارى (لياكلون)
 أى يتناولون ، ولكنه عبر به لأنه معظم المراد من المال ، وإشارة إلى
 تحقير الاحبار و الرهبان بأنهم يفعلون ما ينافى مقامهم الذى أقاموا أنفسهم فيه
 (اموال الناس بالباطل) أى بأخذها بالرشى و أنواع التصيد [باظهار -]
 ه الزهد و المبالغة فى الدين المستغلب لها بالنذور ونحوها فيكنزونها
 و لا ينفقونها فى سبيل الله من أتاهم بها بالإقبال بقلوب عباده إليهم .

و لما أخبر عن إقبالهم على الدنيا ، أتبعه الإخبار عن إعراضهم عن
 الآخرة فقال : (و يصدون) أى يحتالون فى صرف من يأتيهم بتلك
 الأموال و غيرهم (عن سبيل الله ^١) أى دين الملك الذى له الأمر ^٢ كله
 ١٠ بابعادهم عنه باخفاء الآيات الدالة عليه عنهم خوفا على انقطاع دنياهم
 بزوال رئاستهم لو أقبل أولئك على الحق .

و لما كان أكثرهم يكنزون تلك الأموال ، شرع سبحانه يهدد على
 مطلق الكنز ، فقهم من ^٣ باب الأولى الصد الذى هو سبب الجمع الذى
 هو سبب الكنز فقال : (و الذين) أى يفعلون ذلك و الحال أنهم يعلمون
 ١٥ أن الذين (يكنزون) أى يجمعون تحت الأرض أو فوقها من قولهم
 للجمع اللحم : مكنت (الذهب و الفضة) أى منهم و من غيرهم من
 غير تزكية .

و لما كان من المعلوم أنها ^٤ أجل مال الناس ، وكان ^٥ الكنز دالا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عن (٣) فى ظ : الاكرام (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : منه (٥) فى ظ : إنها (٦) زيد فى ظ : مال .

على المكاثرة فيها ، أعاد الضمير عليها 'بما يدل' على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أى ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التى جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب^٢ ، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر 'من' - وهى مرادة - لمزيد الترغيب فى الإنفاق و الترهيب من تركه . ويجوز ه

أن يعود / الضمير إلى الفضة لأن الذم على كثرها ، والحاجة إليها لكثرتها ٤٩١ / أقل ، فالذم على كثر الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كثر الذهب ؛ وقال الحرالى فى آل عمران : فأوقع الإنفاق عليهما^٢ ولم يخصه من حيث لم يكن ، ولا ينفقون منهما^٢ كما قال فى المواشى " خذ من أموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم بنال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقهما لأنهما صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذهاهما - انتهى . ﴿ فى سبيل الله لا ﴾ أى الوجه الذى أمر^٢ الملك الأعلى بانفاقها فيه ﴿ فشرم ﴾ أى نقول فيهم بسبب ذلك تهكما بهم : بشرم

﴿ بعذاب اليم لا ﴾ عوضا عما أرادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد . ١٥ ولما كان السياق دالا دلالة واضحة على أن هذا العذاب يحصل لهم

ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحصى ﴾ أى يحصل الإحاء وهو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أى الأموال التى جمعوها ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : ليدل (٢) من ظ ، وفى الأصل : الترغيب (٣) فى الأصل : عليها (٤) فى ظ : لم (٥) فى الأصل وظ : منها (٦-٦) فى ظ : الله .

(٧) سقط من ظ .

أى^١ التى لا يقاربها^٢ ناركم ، و تلقى داخلها بالتجهم و العبوسة كما كان يلقى بذلك الفقراء و غيرهم من أهل الله لاسيما من منعه ما يجب له من النفقة ﴿ فتكوى بها ﴾ أى بهذه الأموال ﴿ جباههم ﴾ التى هى أشرف أعضائهم لانها تجمع الوجوه و الرؤس و موضع الجاه الذى يجمع المال لأجله لتعبيسهم^٣ بها فى وجوه الفقراء ﴿ و جنوبهم ﴾ التى يحوونه^٤ لملئها بالمال كل^٥ المشتهاة و المشارب المستلذة و لازورارهم بها عن الفقراء ﴿ و ظهورهم ط ﴾ التى يحوونه^٦ لتقويتها^٧ و تحميلها بالملابس و تجليتها و توليتهم^٨ إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء فى مكان . ثم يقال لهم : ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ و أشار إلى الحامل على الجمع النافى للعقل^٩ بقوله : ﴿ لانفسكم ﴾ أى لتنافسوا به . ١٠ . و تلتذوا^{١٠} فلم تنفقوه فيما أمر الله ﴿ فذوقوا ما ﴾ أى وبال و عذاب [ما - ١١] ﴿ كنتم تكنزون ﴾ أى تجددون^{١٢} جمعه على سبيل الاستمرار حريصين عليه ، و أشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك ؛ روى البخارى فى التفسير عن زيد بن وهب قال : مررت على أبى ذر رضى الله عنه بالربذة [قلت : ما أنزلك بهذه الأرض - ١٢] قال : كنا بالشام فقرأت^{١٣} " والذين يكنزون الذهب و الفضة " - الآية ، قال

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لا تقاربها (٣) من ظ ، و فى الأصل : لتعبيتهم ، و زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ لحذفها (٤) من ظ ، و فى الأصل : تحوونه - كذا (٥) فى ظ : بالاكل (٦) من ظ ، و فى الأصل : تحوونه . (٧) من ظ ؛ و فى الأصل : تسويتهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : للفعل (٩) فى ظ : تلتذوا (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : تجددون (١٢) زيد من الصحيح .

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا و فيهم ؛
و روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ،
فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب
عليه فيه فليس بكنز .

و لما تقدم كثير مما ينبى على التاريخ : الحسج فى غير موضع ه
و الأشهر و إتمام [عهد - '] من له مدة إلى مدته و الزكاة و الجزية ،
و ختم ذلك بالكنز الذى لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ،
و كان مشركو العرب - الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم و التأذين^٢ بهذه
الآيات يوم الحج الأكبر فيهم - قد أحدثوا فى الأشهر - بالنسبة الذى
أمروا أن ينادوا فى الحج بابطاله - ما غير السنين^٣ عن موضوعها الذى^٤ ١٠
وضعها الله عليه ، فضاهاوا به فعل أهل الكتاب بالتذين بتحليل أكابرهم
و تحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك فى البتوة و الآبوة ، قال
تعالى : ﴿ ان عدة الشهور ﴾ أى منتهى عدد شهور السنة ﴿ عند الله ﴾
أى فى حكم و علم الذى خلق الزمان وحده و هو الإله وحده فلا أمر
لأحد معه ﴿ اثنا عشر شهرا ﴾ أى لا زيادة عليها و لا تغيير لها كما تفعلونه ١٥
فى النسبة ﴿ فى كتب الله ﴾ أى كلام الملك المحيط بكل^٥ شىء قدرة
و علما ، و حكمه^٦ الذى هو مجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بأن (٥) من ظ ،
و فى الأصل : السن (٦) من ظ ، و فى الأصل : التى (٧) فى ظ : اننى (٨) من
ظ ، و فى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة .

و ليست الشهور ثلاثة عشر ولا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة
 منهم كاتنين من كانوا في النسى (يوم) أى كان ذلك و ثبت يوم
 (خلق السموات و الارض) أى اللذين نشأ عنها الزمان . و المعنى أن
 الحكم بذلك كان قبل أن يخلق الزمان (منها) أى الشهور (اربعة حرم ط)
 ه أى بأعيانها لا بمجرد العدد (ذلك) [أى - ٤] الأمر العظيم و الحكم
 العالى الرتبة / فى الإتقان خاصة (الدين القيم لا) أى الذى لا عوج فيه
 و لا مدخل للعباد ، و إنما هو بتقدير الله تعالى للقمر ؛ روى البخارى عن أبى
 بكره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال - يعنى فى حجة الوداع - :
 إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الارض ، السنة
 ١٠ اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة و ذو الحجة
 و المحرم ، و رجب ، و الذى بين جمادى و شعبان . و لما بين الأمر سبب عنه
 قوله : (فلا تظلموا فيهن) أى الأشهر الحرم (انفسكم) أى بسبب
 إنساء بعضها و تحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه
 إخلال كل منها بإيقاع الظلم فيه و تحريم كل من غيرها ، قال قتادة : العمل
 ١٥ الصالح و الفاسد فيها أعظم منه فى غيرها و إن كان ذلك فى نفسه عظيما
 فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء ؛ و قال أبو حيان^١ ما حاصله : إن
 العرب تعيد الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال " منها

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : يتخا (٤) زيد من ظ .

(٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح ، وفى الأصل و ظ : اتى .

(٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من

ظ ، وفى الأصل : يعيد .

اربعة " أى من الشهور^١، وعلى جمع القلة [لما لا يعقل - ^٢] بنون جمع المؤنث فلذا قال " فلا تظلموا فيهن " أى فى الأربعة .

ولما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال :
 ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء فى الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿ كما يقاتلونكم كافة ط ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء ، وذلك الحكم هـ فى جميع السنة ، لا أنهاكم عن قتالهم فى شهر منها ، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمى فيها اقتال ولا غيره إن اتقيتم الله ، فلا تخافوهم وإن زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لأن الله يكون^٢ معكم ﴿ واعلموا أن الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة معكم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف تعليقا للحكم به وتعميما فقال : ﴿ مع المتقين هـ ﴾ أى جميعهم ، وهم الذين ١٠ يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم ، لا على النسيء ونحوه^٣ ، ومن كان الله معه نصر لا محالة .

ولما فهم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه ، كان كأنه قيل : أفا فى النسيء تقوى فان^٤ سيبه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى حرمه ؟ وذلك أنهم كانوا ١٥ أصحاب غارات وحروب ، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه لا مانع منه لم يعرض له ، فكان إذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم^٢ تركه ، وكان يشق عليهم ترك

(١) من ظ ، وفى الأصل : الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : غيره (هـ) فى ظ : فانه (٦) فى ظ : ابنه ، وراجع روح المعاني ٣/ ٣٠٣ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، فحملوا النسيء لذلك ؛ فقبل تصريحاً^١ بما أنهم ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : (إنما النسيء) أى تأخير الشهر [إلى شهر -^٢] آخر على أنه مصدر نسياً نسيئنا - إذا أخره ، أو هو اسم مفعول ، أى^٣ الشهر الذى تؤخر العرب حرمة من الأشهر الحرم عن وقتها (زيادة فى الكفر) أى لأنه على خلاف ما شرعه الله ، وفيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

ولما بين ما فى النسيء من القباحة^٤ ، تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا فى الشهر الحرام قاتلوا وهم معتقدون الحرمه خاتقون عاقبتها فكانوا [غير -^٥] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله ١٠ قد صاروا^٦ خارجين عن^٧ دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عظمة مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا ، فكان يقول : إني لا أجاب^٨ ولا أعاب ، وإنه لا مرد لقضائى ، وإني حللت^٩ المحرم وحرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق إلا بالإله ، وذلك معنى قوله تعالى يانا لما قبله : (يضل به) أى بهذا التأخير الذى هو ١٥ النسيء (الذين كفروا) أى يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

(١) فى ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ فخذناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده فى الأصل : غير ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٦) زيد بعده فى الأصل : دائرة التقوى بالكلية ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٧) فى ظ : لا أحاب ، وفى بعض المراجع : لا أخاب (٨) فى ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة و المعنى على قراءة حمزة و الكسائي و حفص -

بالبناء للفعول : يضلهم مضل من قبل الله ، و على قراءة يعقوب - بالضم :

يضلهم الله ؛ ثم بين ضلالهم / بقوله : ﴿ يَحْلُوهُ ﴾ أى ذلك الشهر ، ٤٩٣ /

و عبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه

و لو لم يضطروهم إلى ذلك جذب سنة و لا عض زمان ، بل بمجرد التشهى ه

فقال : ﴿ عاما و يحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا . و ليس المراد

أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير ' إجلال لسنة ' من السنين ، و هذا

الفعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معائب الدين ﴿ ليواطؤا ﴾

أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام فى كون

الاشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠

﴿ ما حرم الله ^١ ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها ، فلا يدع لهم هذا الفعل

شهرا إلا انتهكوا حرمة فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمة فاذا هم لم يدعوا

حرمة إلا انتهكوها ، فما أبعد من ضلال !

و لما انتهكت^٢ بهذا البيان قباحة فعلهم ، كان [كأنه -^٣] قيل : إن

هذا لعجب ! ما حملهم على ذلك ؟ فقل : ﴿ زين ﴾ أى زين مزين ، ١٥

و قرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوء أعمالهم ^٤ ﴾ أى حتى رأوا

حسنا ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا ، ففعل الله بهم ذلك لما علم من

طبعهم على الكفر فلم يهدهم ﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال

﴿ لا يهدى ﴾ أى يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكافرين ^٥ ﴾ أى

(١ - ١) فى ظ : اخلال السنة (٢) فى الأصل و ظ : انتهكت (٣) زيد من ظ .

(٤) من ظ ، و فى الأصل : حسنا (٥) فى ظ : الظالمين .

أى الذين طبعهم على الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ والنسيء -
قال فى "قاموس" - : الاسم من نساء الشيء [بمعنى - ٢] زجره و ساقه
و آخره ، قال : و شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز وجل
عنه ؛ و قال ابن الأثير فى النهاية : و النسيء - فعول بمعنى مفعول ، و قال
٥ ابن فارس فى المجمل : و النسيء فى كتاب الله التأخير ، و كانوا إذا صدروا
عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء !
فيقولون : أنسئنا شهرا ، أى أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر -
انتهى . و مادة نساء تدور على التغريب^٢ ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا
ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من
١٠ أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا
يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم
فى الغارة فيحل لهم الكنتانى المحرم - انتهى . و كان النساء من بنى ققيم
من كنانة ، و كان أول من فعل ذلك منهم القليس* و هو حذيفة بن
عبد بن ققيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة* جنادة بن عوف
١٥ ابن أمية بن قلع* بن عباد بن حذيفة بن عبد بن ققيم بن عدى بن عامر بن
ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، نساء أربعين سنة . كانت
(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : يقول ، و راجع أيضا تاج
العروس - مادة نساء (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ،
و فى الأصل : القليس - كذا (٦) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : امامة .
(٧) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : باع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه^١، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فإذا أرادوا أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه، وحرم مكانه صفراً فحرموه، أيواطؤوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إني [قد -^٢] أحللت [لهم -^٣] أحد الصفرين الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير،^٥ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحي.

[و -^٢] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله و اختلاف أسماء الشهور

به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف؛ أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما مضى «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله^{١٠} السموات والأرض، وها أنا^{١١} أذكر فيه ما لا يبق بعده أبس إن شاء الله تعالى، فعنى قوله: ونسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم وسماه صفراً ابتداء السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين صفر وذى الحجة الذى وقع النسيء فيه شهران، وقد كان ينبغى أن يكون بينهما شهر واحد، فأخر هذا الذى ينبغى إلى العام المقبل،^٦ فالعنى: ١٥

و آخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فإذا جاء العام المقبل انتهى تأخره، وإذا انتهى رجع إلى محله، ويمكن أن يتنزل على هذا قول أبي عبيد

(١) من ظ و السيرة، وفي الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ، وفي الأصل: فلا تصارف (٥) في ظ: هنا (٦ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

في غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه في شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - والله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة ، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام ، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكروهون أن يستحلوه ويكروهون تأخير^١ حربهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ، وهذا هو النسئ الذي قال الله " إنما النسئ " - الآية ، وكان ذلك في كنفه ، هم الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب ، والنسئ هو التأخير ، فكانوا يمشون بذلك زمانا يحرمون صفرا وهم يريدون بذلك المحرم ويقولون : هو أحد الصفرين ، وقد تأول بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا صفر ، على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذي بعده كحاجتهم^٢ إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمشون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذلك يتدافع شهر^٣ بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله [به - ٢] ، وذلك بعد ١٥ دهر طويل ، فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها وبطل النسئ ، وقد زعم بعض الناس أنهم كانوا

(١) من غريب الحديث ١٥٨ / ٢ ، وفي الأصل وظ : تأخيرهم (٢) من ظ والغريب ، وفي الأصل : لحاجتهم (٣) من الغريب ، وفي الأصل وظ : شهرا . (٤) زيد من ظ والغريب (هـ) من ظ والغريب ، وفي الأصل : لهيته .

يستحلون المحرم عاما ، فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه ، قال أبو عبيد :
 الأول أحب إلى لقول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الزمان قد استدار ،
 وليس في التفسير الأخير استدارة ، وعلى هذا التفسير الذي فسرناه
 قد يكون قوله ” يحلونه عاما ويحرمونه عاما ” مصدقاً له لأنهم إذا حرموا
 العام المحرم وفي قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفرا أيضا ه
 أحلوه و حرموا الذي بعده ، فهذا تأويل قوله في التفسير ” يحلونه عاما
 ويحرمونه عاما ” وقال أبو حيان في النهر ما حاصله : كانت العرب
 لا عيش لا كثرها إلا من الغارات ، فيشق عليهم توالى الأشهر المحرم ،
 وكان بنو ققيم أهل دين وتمسك بشرع إبراهيم عليه السلام ، فأتدب
 منهم القلس^١ وهو حذيفة بن عبيد بن ققيم ، ففسأ^٢ الشهور للعرب ، ١٠
 ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه
 ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الإسلام ، كانوا إذا فرغوا
 من حجههم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا : أنسنا شهرا ، فيحل
 المحرم ، ثم يلزمون حرمة صفرا لوافقوا عدة الأشهر الأربعة ويسمون
 ذلك الصفرا المحرم ويسمون ربيعا الأول صفرا وربيعا الآخر ١٥
 ربيعا الأول - وهكذا سائر الشهور ، فيسقط على هذا حكم المحرم الذي
 حلل لهم ، وتجيئ السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم الذي هو في
 الحقيقة صفرا ؛ وقال البغوي : قال مجاهد : كانوا يحجون في كل شهر عامين ،

(١) في ظ : كانت (٢) من ظ والنهر - راجع البحر المحيط ٣٧/٥ ، وفي الأصل :

القلش (٣) من ظ والنهر ، وفي الأصل : نسأ .

فحجوا في ذى الحجة عامين و حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور، فوافقت حجة أبي بكر السنة الثانية من ذى القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجه شهر الحج^١ المشرع وهو ذو الحجة؛ وقال / عبد الرزاق^٢ في تفسيره: / ٤٩٥
 أخبرنا معمر عن ابن^٣ أبي نجيح عن مجاهد في قوله ” انما النسيء زيادة في الكفر “ قال: فرض الله الحج في ذى الحجة، فكان المشركون يسمون الأشهر: ذو^٤ الحجة والمحرم وصفر و ربيع و ربيع و جمادى و جمادى و رجب و شعبان و رمضان و شوال^٥ و ذا القعدة و ذا الحجة، ثم يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه، فيسمونه - ١٠ أحسبه قال - المحرم^٦ صفر، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، و رمضان شوالا^٦. ثم يسمون ذا القعدة شوالا، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة،^٧ ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه، و اسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا^٨ كمثله هذه الصفة^٩ فكانوا يحجون عامين في كل شهر حتى وافق حجة أبي بكر الآخر^{١٠} من العامين في ذى القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج، فوافق

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/ ٧٤، وفي الأصل: حج الشهر (٢) وحديثه هذا قد ساقه الطبري بهذا الطريق في تفسيره حول آية النسيء يسير من الاختلاف (٣) سقط من ظ (٤) من الطبري، وفي الأصل: ذا، وفي ظ: ذى (٥) في تفسير الطبري: صفر (٦) من الطبري، وفي الأصل و ظ: شوال . (٧) العبارة من هنا إلى « فوافق ذلك ذا الحجة » ساقطة من ظ (٨-٨) في تفسير الطبري: بمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبري، وفي الأصل و ظ: الآخرة .

ذلك

ذلك ذا الحجة، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله^١ السماوات والأرض . . وقال ابن إسحاق في السيرة : سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا ، وإنما كانوا يوافقون^٢ ذا الحجة كل اثنى^٣ عشرة سنة مرة . فوفق الله عز وجل هـ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة ، فحج فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، فقلت لابن أبي نجيح : فكيف بحجة أبي بكر وعتاب بن أسيد ؟ فقال : علي^٤ ما كان الناس يحجون عليه ، ثم قال ابن أبي نجيح : كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم ١٠ ثم صفر حتى يبلغوا اثنى عشر شهرا - انتهى . وقوله هذا يوم^٥ أن حج أبي بكر وعتاب رضي الله عنهما اختللا^٦ ، و تقدم عن المهدي وغيره^٧ التصريح بأنه كان في ذي القعدة - وفيه نظر ، لأن السنة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه نودي فيها بتحريم النسب وغيره من أمور الجاهلية ، فلا شك أنه لم يكن في ذلك العام إنساء ، ولما مضى ١٥ من الشهر^٨ الذي حج فيه عشرة أشهر ، وكان الحادي عشر وهو ذو القعدة سار النبي صلى الله عليه وسلم في أواخره إلى الحج موافيا للال (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يوافقوا (٣) من ظ ، وفي الأصل : اثنى (٤) في ظ : ثم (٥) في ظ : اختلافا (٦) في ظ : غيرى (٧) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .

ذى الحجة ، فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار ، فلم قطعاً أن استدارته كانت في حجة أبي بكر ، وكذا في سنة ثمان وهي السنة التي حج فيها عتاب بالمسلمين ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب أهل الجاهلية لا نسأتهم ولا غير ٥ نسأتهم ، لأنه يلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النساء أنهم اعتبروا ما هو زيادة في الكفر ، وهذا ما لا يقوله ذو مسكة ، وقد تقدم النقل أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه إلى الحج في أواخر ذى القعدة أو بعد-انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب في ذى الحجة : الكفار وغيرهم ، فوقع^٢ إعلامهم ببراءة في أيام الحج وأما كنهه ، فلو كان ١٠ حصل في سنة عتاب اختلال في ذى القعدة^٣ [بنسب - ٤] لكان ذو الحجة بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر مجيء الكفار للحج عن مجيء المسلمين ، ثبت بهذا أيضاً أن حجه رضى الله عنه كان في ذى الحجة ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع في حجهم اختلال في سنة من السنين ، وما هي بأول نعمة عليهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام ١٥ أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المشهور بابن القاص^٥ من أكابر متقدمي أصحاب الشافعي رحمه الله في كتابه دلائل القبلة في باب معرفة عدد أيام السنة : فالسنة اثنا عشر شهراً بالآلهة ، وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعاً وعشرين ، فبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثمانى

(١) من ظ ، وفي الأصل : آخر (٢) في ظ : ووقع (٣-٢) في ظ : العدد .

(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ووفيات الأعيان ١ / ٥١ ، وفي الأصل : القاضي .

ساعات وأربعة / أخماس ساعة ، وقالت الهند : السنة ثلاثمائة وخمسة^١
 وستون يوما وست ساعات وخمس ساعة وجزء من أربعمئة جزء من
 ساعة ، وذلك من دخول الشمس برأس^٢ الحمل إلى أن تدخل فيه من
 قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية و السنة الشمسية عشرة أيام وإحدى
 وعشرون ساعة وخمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات والأيام ه
 استقام حسابه مع دوران الشمس ، وكانت العرب تزيده في الجاهلية ،
 وكان الذي أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القلس ، وذلك
 أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده في السنة وجعل تلك السنة
 ثلاثة عشر شهرا ، وسماه^٣ نسيئا ، ويحج بهم تلك السنة في المحرم ،
 فأنزل الله تعالى ” انما النسيء زيادة في الكفر “ فلما كانت السنة التي ١٠
 حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق الحج في تلك
 السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى باثبات الحج في تلك السنة ، فخطب
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت
 كهيتها يوم خلق الله السماوات والأرض ” منها اربعة حرم ذلك الدين
 القيم “- يعني به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى وشعبان ، وذو القعدة ، ١٥
 وذو الحجة ، والمحرم ، فسمى ذلك الحج الاقوم ، وقال الشاعر :

وأبطل ذوالعرش النسي وقلسا وفاز رسول الله^٤ بالحج الاقوم - انتهى .

والقلس بفتح اللام وتشديد الميم ، فالنسيء في البيت متروك الهمز

(١) في ظ : خمس (٢) في ظ : رأس (٣) من ظ ، وفي الأصل : سماء (٤) أقحم
 في الأصل : صلى الله عليه وسلم .

ليصح الوزن ، و الأقوم منقول حركة الهمزة ، و قوله : إن علة النسيء
التطبيق بين السنة الشمسية و القمرية^١ - فيه نظر ، و الظاهر أن علة ما ذكر
في السير من اضطرابهم إلى القتال ، و أمر الاستدارة في كل من هذه
الأقوال واضح الاستتارة ، و ليس المراد بها مصادقة كل فصل من
٥ فصول السنة لموضعه من الحر و البرد ، و مصادقة اسم كل شهر لمسماه
بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلاً و كذلك غيره
وإن كان الواقع أن الأمر كان في هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن
غزوة تبوك كان ابتداءها في شهر رجب ، و كان ذلك^٢ كما تقدم^٣ في شدة
الحروحين طابت الثمار ، و إنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادقة اسم
١٠ كل شهر لمسماه [لا لمسمى -^٢] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل
أنه صلى الله عليه و سلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال في بعض طرق حديث
جابر الطويل رضى الله عنه : إن النسيء زيادة في الكفر ، و إن الزمان
قد استدار كهيمته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر
شهرًا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر في الاثنى عشر نفياً لجعلهم إياها
١٥ سنة النسيء ثلاثة عشر [شهرًا -^٢] ، و قال : منها أربعة حرم ، و عينها
و قال : أى شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام^٤ ، كل
هذا لبيان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية
إلى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه ، و جعلت أشهرنا هلالية
مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

(١) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ لخذفناها (٢-٣) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : الحرام .

من صوم وعيد وحج وغيره في كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم^١ خاصة بوقت من السنة لا تتعداه^٢ - والله الموافق له^٣ ١٢ وقال القاضي أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم البستي في تفسيره : حدثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذي أنزعه الله من الشيطان المحرم . والحاصل^٤ أنه لا شك في^٥

أن النسيء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، وأن الحج لم يكن قط في جاهلية ولا إسلام إلا في شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة^٦ اللغة والحديث والأخبار ؛ قال ابن الأثير في النهاية ونشوان اليمنى^٧ / في شمس العلوم والقزاز^٨ في ديوانه وابن مکتوم^٩ في ترتيب العباب والمحکم :

ذو الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحکم : سمي بذلك للحج ، وقال ١٠ القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، وفي النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة ، سمي به لأنهم كانوا يرتوون^{١١} فيه^{١٢} من الماء لما بعده ، أي يستقون^{١٣} ويستقون^{١٤} ؛ وقال المجد في القاموس : يوم عرفة التاسع من

(١) في ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .

(٤) زيد في ظ : في (٥) في ظ : اليمين ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ٨٦ .

(٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوي نحوي - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .

(٧) وهو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مکتوم القيسي ، واستفاض ترتيبه

باسم « الجمع بين العباب والمحکم » - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من

النهاية ، وفي الأصل : يرتوون ، وفي ظ : يرتوون (٩ - ١٠) سقط ما بين

الرقين من ظ .

ذى الحجة ، وفي كتاب أسواق العرب لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي رواية أبي سعيد السكري^١ أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب . فاذا أهل أهلها هلال ذى الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز وهي قريب من عكاظ ، [وعكاظ - ٢] في أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم التروية ، و^٢ وافاهم بمكة حجاج العرب ورؤسهم ممن أراد الحج بمن لم يكن شهد تلك الأسواق . وقال الأزرق^٣ في تاريخ مكة : فاذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المجاز فأقاموا بها ثمانى ليال أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم^٤ من الماء بذى المجاز ، وإنما سمي يوم التروية لترويههم الماء بذى المجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : ومن لم يكن له تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية . وروى البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عروة وموسى بن عقبة - فرقهما - قالوا : وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة من الجعرانة في ذى القعدة ، ثم أسند عن ابن إسحاق^٥ أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف

(١) في ظ : لابن ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن الحسين السكري - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله السكي - راجع المعجم المؤلفين ١٠ / ١٩٨ .
(٦) من ظ ، وفي الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٣٢٠ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة أو في الحجة ، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب يحج عليه ، وحج تلك السنة عتاب بن أسيد في سنة ثمان ، وحديث اعتماره صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة رواه الشيخان ومضى على ما كانت العرب من الطواف عراة ونحوه ؛ وذكر الواقدي عن مشايخه قالوا : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس^١ ليال خلون من ذى القعدة ، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتي^٢ عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم - فذكر عمرته ثم قال : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين^٣ ، وأقام للناس الحج عتاب بن أسيد رضي الله عنه تلك السنة وهي سنة ثمان ، وحج ناس من المسلمين والمشركين على مدتهم ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة ، قال الواقدي^٤ : فأقام بقية ذى القعدة وذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا في شهر يسمونه ذا الحجة ، وهو ما لا يدور

(١) من ظ والمغازي ٣/ ٩٥٨ ، وفي الأصل : بخمس (٢) في ظ : لاثني (٣) من ظ والمغازي ٣/ ٩٥٩ ، وفي الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازي ٣/ ٩٧٣ .

في حُطد ولا يقع في وهم فيه تردد ، ولا يحتاج إلى تطويل بذكره
 ولا إطناب في أمره ، وتارة يوافق اسمه مسماه وتارة لا يوافق لاجل
 النسيء ، وعلم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان في ذى الحجة بعد رجوع
 النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، وأنه ما تأخر
 ٥ عن ذى الحجة وإلا لنقل ، وأن حج أبي بكر رضى الله عنه سنة تسع كان
 في ذى الحجة لذلك ولما تقدم^١ من أن سفره / له من المدينة الشريفة^٢
 كان في آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة ولقولهم : إن الأربعة الأشهر^٣
 التي ضربت للمشركين من يوم النحر و^٤ لقولهم : إن الأربعة الأشهر^٥
 كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، وعلم أن ذى الحجة تلك السنة لو كان
 ١٠ وافق مسمى ذى القعدة لم يقع^٦ ذى الحجة سنة عشر التي حج فيها النبي
 صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي وضعه الله به إلا بأن تكون تلك
 السنة ثلاثة عشر شهرا بنسب أو غيره ، وكل من الأمرين باطل ، أما
 الأول فلأن الله تعالى أبطل النسيء في تلك السنة فيما أبطله من أمور
 الجاهلية في هذه السورة ، وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بالناداة بها
 ١٥ كما مر ، وأما الثاني فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله
 السماوات والأرض ، والخارق مما تتوفر الدواعي [على - ^٧] نقله ،
 ولا ناقل لهذا أصلا فبطل ، وإذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثني عشر

(١) في ظ : تقرر (٢) زيد بعده في ظ : وأنه ما تأخر عن ذى الحجة (٣) في
 ظ : اشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) في الأصل :
 الا - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرًا ولا سيما بعد إنزال الله تعالى في ذلك ما أنزل في هذه السورة ،
وإذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذي وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم
في موضع الشهر الذي وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء ،
وقد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات
والأرض ، فثبت من غير مرية^١ أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك ه
كان ، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت
بما قدمت من أنه لم يكن فيها نسيء لتوافق حج المسلمين والمشركون في
سنة تسع ، فدل ذلك على أنها كانت اثني عشر شهرا ، فكان ذو الحجة
فيها في موضعه^٢ الذي وضعه الله به كما كانت سنة تسع ، بل ظاهر قول
أبي عبيد : فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه - كما مضى - ١٠
أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسيء ، وهو الذي اعتقده ، وقد
لاح بذلك أن السبب في قول من قال : إن حج الصديق رضى الله عنه
وافق ذا القعدة ، أنه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الزمان
قد استدار ، أن الاستدارة لم تكن إلا في تلك السنة ، وليس ذلك مدلول
هذا التركيب كما لا يخفى - والله الموفق ؛ ثم وجدت النقل الصريح في ١٥
زوائد معجمي^٣ الظيراني : الأوسط والأصغر للحافظ نور الدين الهيثمي
بمثل ما فهمته ، قال في تفسير براءة : حدثنا إبراهيم - يعني ابن هشام -
البلغوي ثنا^٤ الصلت بن مسعود الجحدري ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي
ثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعني
(١) من ظ ، وفي الأصل : سواء (٢) في ظ : مبرية (٣) من ظ ، وفي الأصل :
موضعها (٤) في ظ : معجم (٥) في ظ : زين (٦) في ظ : حدثنا .

عبد الله^١ بن عمر^٢ رضى الله عنهما قال : كانت العرب يحلون عاما شهرا
وعاما شهرين ولا يصيرون الحج إلا في كل ست وعشرين سنة مرة ،
وهو النسيء الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه ، فلما كان عام حج
أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج^٣ فسماء الله الحج
الأكبر ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل
الناس الأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار
كهيته يوم خلق الله السماوات والأرض . لم يروه عن عمر إلا داود
تفرد به الصلت - انتهى ، وهو حديث حسن إن شاء الله تعالى ،
[ثم رأيت الهيثمى فى مجمع الزوائد قال : رجاله ثقات ، فأكد ذلك الجزم
١٠ بما فهمت من أنه حسن - ٤] ، وإنما أطلت^٥ هذا بما قد لا يحتاج فى
إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المماحلين الجامدين .
ولما أوعز^٦ سبحانه فى أمر الجهاد ، وأزاح جميع عليهم وبين
أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر وأن بعضهم كان يحل لهم ويحرم
فيتبعونه بما يؤدى إلى تحريم الشهر^٧ الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال
١٥ فيه ، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الآمر لهم بالنفر فى غزوة تبوك عن أمره سبحانه ، وكان ابتداءها فى شهر
رجب سنة تسع ، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف والتذكير بنعمة الإيمان

(١) من ظ ، وفى الأصل : عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧/ ٢٩ ، وفى
الأصل وظ : عمرو (٣) فى ظ : الحجة (٤) زيد ما بين الحائزين من ظ (٥) فى
ظ : اطلقت (٦) فى ظ : أوعد (٧) سقط من ظ .

- / بعد ختم التي قبلها بأنه لا يهدى الكافرين - الذي^١ يعم الحرب و غيره
الموجب للجرأة عليهم [لأن من لا هداية له أعمى ، و الاعشى لا يخشى -^٢] :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ أى ما الذى يحصل
لكم فى أنكم ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ﴾ أى من أى قاتل كان ﴿ انهروا ﴾ أى
اخرجوا مسرعين بمجد و نشاط جماعات و^٣ وحدانا إمدادا لحزب الله ه
و نصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، و النفر : مفارقة مكان إلى مكان
لأمر هاج على ذلك ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب تسهيل الطريق إلى
الملك الذى له [جميع -^٤] صفات الكمال ، و قال أبو حيان : بنى " قيل "
للفعل و القاتل النبى صلى الله عليه و سلم و لم يذكر إغلاظا و مخاشنة
لهم و صونا^٥ لذكره إذ أخلد إلى الهوينا و الدعة من أخله و خالف ١٠
أمره - انتهى ، ﴿ اناقلتم ﴾ أى تناقلتم تناقلا عظيما ، و فيه ما لم يذكر
له سيا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا و ميلا ﴿ الى الارض ﴾ أى
لبرد ظلالتها و طيب هوائها و نضج ثمارها ، فكنتم أرضيين^٦ فى سفول
الهمم ، لا سماتيين^٧ بطهارة الشيم .

و لما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥
عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل و الميل
إلى الأموال الحاضرة و ثوقا بها و الإعراض عن الغنى الموعود [به -^٨]

(١) من ظ ، و فى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٥) من ظ و البحر المحيط ٤١/هـ ، و فى
الأصل : بجانب (٦) فى ظ : ضونا (٧) فى الأصل و ظ : ارضيين (٨) فى ظ :
سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من^١ الإعراض عنه^٢ التكذيب ، فيؤدى إلى خسارة
 الآخرة ، هذا مع ما يلزم على^٣ ذلك - ولا بد - من^٤ الزهد فى^٥ الأجر
 المثمر لسعادة العقبى بهذا الشيء الخسيس ؛ قال مينا خسة ما أخلدوا
 إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيبا فيه منها على أن ترك الخير
 الكثير لأجل الشر اليسير شرعظيم منكر^٦ على من تناقل موجها لهم :
 ﴿ ارضيتم بالحياة الدنيا ﴾ أى بالخفض و الدعة فى الدار^٧ الدنية الغارة
 ﴿ من الآخرة ج ﴾ أى الفاخرة الباقية ؛ قال أبو حيان^٨ : و 'من' تظافرت
 أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل ، و أصحابنا لا يثبتون^٩ أن من^{١٠} تكون للبدل
 - انتهى . و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل ، بل
 ١٠ إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها
 فإنها لا ابتداء الغاية ، فاذا قلت : رضيت بكذا من زيد ، كان المعنى أنك
 أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه ، فكأنك جعلت
 ذلك بدل كل شيء بقدر أنه بنالك منه من غير ذلك المأخوذ . و لما كانوا
 قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع ، كان إقبالهم على
 ١٥ الدنيا كأنه مبتدئ مما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها ،
 فكأنه قيل : أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة ؟ و يؤيد ما فهمته أن
 العلامة علم الدين أبامحمد القاسم ابن الموفق الاندلسى ذكر فى شرح الجزولية
 (١) - سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) فى ظ : من (٤-٤) سقط
 ما بين الرقين من ظ (٥) فى ظ : منكر (٦) فى ظ : الدانية (٧) راجع البحر المحيط
 ٥ / ٤٣ (٨-٨) فى ظ : من ان .

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معانٍ كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين ، وبين كيفية ذلك حتى في البيانية ، فعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان"^٢ الذى ابتدأوه من الاوثان ، لأن الرجس جامع للاوثان وغيرها . ولما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى ، فكان التقدير : لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده ! فقال تعالى معللا لهذا النهى : هـ (فا) أى بسبب^٣ أنه ما (متاع الحياة الدنيا فى) أى مغمورا فى جنب (الأخرة الا قليله) و الذى يندب هم المتجر و يدعى البصر به و يحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها .

ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف و ترك الإنصاف ، توعدهم بقوله : (الاتقوا) أى فى سبيله (يعذبكم)^٤ ١٠ أى على ذلك (عذابا اليما) أى فى الدارين (و يستبدل) أى يوجد بدلا منكم (قوما غيركم) أى ذوى بأس و نجدة مخالفين لكم فى الخلال التى كانت سببا للاستبدال لولايته و نصر دينه .

و لما هددهم / بما يضرهم ، أخبرهم أنهم لا يضررون بفتورهم غير أنفسهم فقال : (ولا تضروه) أى الله و رسوله (شيطا) لأنه مّم ١٥ أمره و منجز وعده و مظهر دينه ؛ و لما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم و قصورهم عن الوصول إلى ضره ، كان التقدير : لأنه قادر على نصر دينه

(١) فى ظ : معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣٠ (٣) من ظ ، وفى الأصل : سبب .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، و قد سقط من الأصل (ه) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على « أى فى » (٧) فى ظ : من .

ونيه بغيركم^١، فنطف عليه تعمياً لقدرته ترهياً من عظيم سطوته قوله :
 ﴿ والله ﴾ أى الملك الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ على كل شئ، قدره ﴾،
 ولما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة
 وعظيم البأس والقوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستغفر لهم - وهو
 ٥ نبيه صلى الله عليه وسلم - غير محتاج إليهم^٢ وتوقف نصره عليهم كما
 لم يحتاج إليهم - بجباطة^٣ القادر له - فيما مضى من الهجرة التى ذكرها ،
 وأن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه واستدفاع ما أوعده
 فى الدارين المشار إلى ذلك [كله - °] بقوله " فأتاع^٤ الحياة الدنيا " -
 الآية وقوله " الا تغردا " - الآية ، فقال : ﴿ الا تصروه ﴾ أى أتم طاعة
 ١٠ لأمر الله ، والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم إما على طريق الاستخدام
 من^٥ سبيل الله لأنه الموضح له الداعى إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضماراً
 فى قوله " اذا قيل لكم " أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصاراً
 منه لكم ، وإظهاراً فى قوله تعالى " هو الذى ارسل رسوله " - الآية ،
 وقوة ما فى كل جملة من المناسبة المقتضية لأن تعاقب^٦ التى بعدها
 ١٥ ولا تنفك^٧ عنها قصر الفصل بين الظاهر وضميره ، وذكر^٨ الغاز والصاحب
 أوضح الأمر ، وذلك أنه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء أرباباً اشتدت
 (١) فى ظ : بغيرها (٢) فى ظ : اليه (٣) من ظ ، وفى الأصل : بجباطة (٤) فى
 ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : عن (٨) من ظ ، وفى الأصل : يعاقب (٩) من ظ ، وفى الأصل :
 لا ينفك (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم في البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل ،
فوصفهم بالاكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة ، و^١ بأن ما كؤلهم
أموال غيرهم باطلا ، و بأنهم يغشونهم لصددهم إياهم عن السيل التي لا يخفى
حسنها على من له أدنى نظر ؛ ولما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس
إلى السؤال عن العرب : هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم ؟ أجاب بأن •
عملهم في تحليل النساء لهم بعض الأشهر الحرم و تحريم بعض أشهر الحل
و الزيادة في عدة أشهر السنة كعملهم سواء ،

و لما أمر بقتال المشركين كافة و حثهم على التقوى ، و كان بعضهم
قد توانى في ذلك ، اشتد اقتضاء الحال للعاقبة على الثاقل عن النفر ، فلما تم
ذلك في هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول ١٠
الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط : (فقد) أى
إن لم يتجدد^٢ منكم له^٣ نصر فإن الله قادر على نصره و سينصره و يغنيه
عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد (نصره الله) أى الملك الأعظم
وحده و الأمر في غاية الشدة ، [و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده
كالماضى - ٣] (اذ) أى حين (أخرجه الذين) و عبر بالماضى لأن ١٥
فيهم من أسلم بعد ذلك فقال : (كفروا) أى من مكة و هم في غاية
التمأؤ عليه حين شاوروا^٤ في قتله أو إخراجه أو إثباته ، فكان ذلك سببا
لإذن الله له في الخروج من بينهم حال كونه (ثانياً) أى أحدهما
أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله (اذ هما في الغار)
(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) في ظ : له منكم (٣) زيد من ظ (٤) في ظ :
تشااوروا .

أى غار: ثور الذى فى [أعلى-١] الجبل المواجه للركن اليمانى بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كنا به ثلاث ليال ليفتر عنها الطلب، وذلك قبل أن يصلإ إليكم أو يعولا فى النصر عليكم (اذ يقول) ٢ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) ٣ [أى-١] أبى بكر الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شيء (لا تحزن) ٥ والحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه وأحزنه بمعنى؛ وقال فى القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، وحزنه: جعل فيه حزنا؛ ثم علل نهيه لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك^٦ بعظمتها ١٠ شواخ الجبال الصلاب (ابن الله) [أى الذى له الأمر كله - ١] (معناه) أى بالعون والنصرة، وهو كاف لكل مهم، قوى على دفع كل ملم، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان * كان قادرا على أن يأمر الجنود التى أيدته بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر، وكما أنه كان موجودا ١٥ فى ذلك الزمان * بأسمائه الحسنى و صفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان و كل زمان، فبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم، وأنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال إلا لقوزكم، وفى هذه الآية من التنويه^٦ بمقدار الصديق و تقدمه و سابقته فى الإسلام و علو

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن «رضى الله عنه» والترتيب من ظ (٣) فى ظ: تنزل (٤) فى ظ: النصر (ه-ه) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ: التسوية.

منصبه ونخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذى أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان^١ وغيره : قال العلماء : من أنكر حجة^٢ أبي بكر رضى الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله ، وليس ذلك لسائر الصحابة .

ولما كان رضى الله عنه نافذ البصيرة فى المعارف^٣ الإلهية ، راسخ القدم فى ذلك المقام^٤ لذلك لم يتلعم^٥ من أول الأمر فى عناد جميع ه العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث^٦ عشرة سنة ، وكان الذى به من القلق إنما هو الخوف من^٧ أن يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين وقمع المعتدين ، ولم يكن جبنا ولا سوء ظن ، لما كان ذلك كذلك كان رضى الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف ١٠ الأعظم الدال على ذلك المقام المذكور^٨ بتلك العظمة التى يتلاشى عندها كل عظيم ، ويتصاغر فى جنبها كل كبير ،^٩ ولذلك^{١٠} ذكر هذا الاسم الأعظم وقدم ، وأشرك الصديق فى المعية وبدأ بالتهى عن الحزن لأنه المقصود بالذات وما بعده علة^{١١} له . وأما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام ١٥ بأظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم^{١٢} بها عما كانوا فيه ، ومنع

(١) راجع البحر المحيط ٤٣/٥ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لخذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ لخذفناها لاستقامة العبارة (٤) فى ظ : لم يتعلم (٥) من ظ ، وفى الأصل : ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : المذكور . (٨ - ١٠) فى ظ : فلذلك (٩) فى ظ : علة (١٠) من ظ ، وفى الأصل : استقرهم .

موسى عليه السلام مع وخذته من سطوات فرعون على عظمته وما كان يواجهه به من المكروه، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات : هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية ٥ على سبيل الخصوص به ، وعبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكور^١ به فقال " كلا ان معي ربي^٢ " فكان قيل : ما ذا يفعل و البحر أمامنا و العدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [أى - ٢] إلى ما أفعل^٣ ، يعرف [ذلك - ٢] من كان متضلعا^٤ بالسير و قصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها في الاعراف^٥ عن التوراة ، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه ١٠ كان في صعودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ليفتيده^٦ بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين و الشمال فيقتل إليهما و يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إن قتلت أنا فأنا رجل واحد ، و إن قتلت أنت هلكت الأمة ، وأنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم المتضمن ١٥ لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك ، ولذلك كان به في هذا اليوم من القلق ما ذكر ، وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أثبت الناس ، ولذلك أتى بالفاء المعقبة في قوله : ﴿ فانزل الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ سكينته ﴾

(١) في ظ : المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : فعل .
(٥) من ظ ، وفي الأصل : متصفا (٦) من ظ ، وفي الأصل : الاعراض (٧) في ظ : ليفيده .

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ وايدى ﴾ أى انبى صلى الله عليه وسلم ، واختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبّه ﴿ بمنحود لم تروها ﴾ أى من الملائكة الكرام ﴿ وجعل كلمة ﴾ أى / دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ / ٥٠٢ أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك وغيره ﴿ السفلى ^١ ﴾ نجيب سعيهم ورد كيدهم ؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع أصلا فى وقت [من - '] الأوقات فقال : ﴿ وكلمة الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شيء ، ونصبها يعقوب عطفا على ما سبق ﴿ هى العليا ^٢ ﴾ أى وحدها ، لا يكون إلا ما يشاء دائما أبدا ، فانه قادر على ١٠ ذلك ﴿ والله ^٣ ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا يغلب كل شيء من ذلك وغيره ﴿ حكيم ^٤ ﴾ لا يمكن أن ينقض شيء من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لاحد فى مقاومتها فلا محيص عن نفوذها .

ولما بلغت هذه المواضع من القلوب الواعية مبالغا هيأها به للقبول ، ١٥ أقبل عليها سبحانه بالامر فقال : ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ والمراد بالحنة كل ما يكون سيرا لسهولة الجهاد والنشاط إليه ، وبالثقل كل ما يحمل على الإبطاء عنه ؛ وقال أبو حيان : والحنة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن ^٢ يمكنه بصعوبة ، وأما من ^٣ لا يمكنه كالأعمى

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « دائما أبدا » (٣) من البحر المحيط ٤/٤٤ ، وفى الأصل وظ : لم (٤) فى ظ : ما .

ونحوه فخرج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد بن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقبل له : إنك عليل صاحب ضرر ! فقال : استنفر الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكنى^٢ الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده بسند صحيح عن أنس أن أباطلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة فاتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربي يستنفرنى^٣ شابا و شيخا ! جهزوني ، فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد سبعة أيام فآ تغير^٤ .
﴿ وجاهدوا ﴾ أى أوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار .

و لما كانت هذه الآية فى^٥ سياق المعاتبة لمن تناقل^٦ إلى الأرض ١٠ عن الجهاد عند الاستنفر فى غزوة تبوك . و كان سبب التناقل ما كان فى ذلك الوقت من العسرة فى المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب الظلال فى أراضي الجنان وقت الأخذ فى استواء الثمار - كما هو مشهور فى السير ؛ اقتضى المقام عنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان الكلام كان فى المفاضلة بين الجهاد فى سبيل الله و خدمة البيت و من يحجه فى هذه السورة التى صادف وقت نزولها بعد موطن الجهاد و طول ١٥ المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

- (١) من ظ و معالم التنزيل - راجع إباب التأويل ٨٣/٣ ، وفى الأصل : استنفر .
(٢) من المعالم ، وفى الأصل وظ : لم يمكن (٣) من ظ و مجمع الزوائد ٣١٢/٩ ، وفى الأصل : يسفونى - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمى فى زوائده برواية أبي يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) فى ظ : من (٦-٧) من ظ ، وفى الأصل : لا يتناقل .

قلته . و محبة الإقامة في الحداثق إثارا للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع
أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على النشج بالأنفس
فقال تعالى : ﴿ اَمْوَالِكُمْ و اَنْفُسُكُمْ ﴾ اى بهما معا على ما أمكنكم
أو بأحدهما ﴿ فى سبيل الله ﴾ اى الملك الأعلى . [أى - ٢] حتى لا يبقى
منه مانع ﴿ ذلکم ﴾ اى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ اى فى نفسه حاصل ه
﴿ لكم ﴾ اى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفعل تفضيل بمعنى أن
عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال
صلى الله عليه و سلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال :
هل تستطيع أن تقوم^٢ فلا تفتر و تصوم فلا تفطر^٣ ؟ و ختم الآية
بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ه ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر وإن كان عاما ١٠
فإنما يتفجع^٤ به ذوو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فان العلم - و لا يعد
علما إلا النافع - يحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح
المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده .

٥٠٣ /

و لما كان هذا العتاب مؤذنا بأن^١ فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا
بنحو الأموال و الأولاد ، و كان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥
و الزواجر و المواعظ جديرا بأن يخفف كل مثاقل و ينشط كل متكاسل ،
تشوقت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فاعلم سبحانه به فى أساليب البلاغة
المختبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) راجع
صحیح البخاری - کتاب الجهاد (٥) فى ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبييت
 المتأقلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم
 'المبغى لقبايحهم' المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان
 فقال : ﴿ لو كان ﴾ أى ما تدعو إليه ﴿ عرضا ﴾ أى متاعا دنيويا
 ٥ ﴿ قريبا ﴾ أى سهل التناول ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ أى وسطا عدلا مقاربا
 ﴿ لا تبعوك ﴾ أى لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن همهم
 قاصرة [و - ٢] منوطة بالحاضر ﴿ ولكن ﴾ أى لم يتبعوك تاقلا إلى الأرض
 ورضى بالقائ الحاضر من الباقي الغائب لأنها ﴿ بعدت عليهم الشقة ١ ﴾
 أى المسافة التى تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها النكال والمشقة
 ١٠ فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض ٢ فاستأذنونك ،
 وفى هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم ودناءة الشيم بالعجز والكسل
 والنهم والثقل ، وإلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضى الهم صادق
 العزم [كما قال الشاعر - ٢] :

إذا هم أتى بين عييه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

١٥ فله در أولى العزائم والصبر على الشدائد والمقارم ١

ولما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسباح بالدين ، فقال
 مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿ وسيحلفون ﴾ أى المتخلفون
 باخبار محقق لا خلف فيه ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه عند رجوعكم
 إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : العوض .

(٤) والبيت لسعد بن قاشب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب قاتلين : والله ﴿ لو استطعنا ﴾ أى الخروج إلى ما دعوتونا إليه
 ﴿ لخرجنا معكم ج ﴾ يحلفون حال كونهم ﴿ يهلكون انفسهم ج ﴾ أى بهذا
 الحلف الذى يريدون به حياتها لانهم كذبوا فيه فاتهموا حرمة اسم الله
 ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك الأعظم المحيط علما وقدره سبحانه
 ﴿ يعلم انهم لكذبيون ه ﴾ فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم والفضيحة ه
 عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، وجزاء الكاذب فى مثل
 ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

ولما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف والحلف عليه كاذبا ،
 أقبل إليه صلى الله عليه وسلم بالعتاب فى لذيذ الخطاب على الاسترسال
 فى اللين لهم والائتلاف^٢ وأخذ العفو وترك الخلاف إلى هذا الحد ، ١٠
 فقال مؤذنا بأنهم ماتخلفوا إلا بأذنه صلى الله عليه وسلم لأعذار ادعوها
 كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة
 الاعتناء [بشأنه - ٣] والالطف به صلى الله عليه وسلم : ﴿ عفا الله ﴾
 أى ذوالجلال والإكرام ﴿ عنك ج ﴾ وهذا كما كانت عادة العرب فى
 مخاطبتهم^٥ لا كبرهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، والملك - ونحو ذلك . ١٥

ولما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم
 ونحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك :
 ﴿ لم أذنت لهم ﴾ أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين
 لهم والصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق ، وهذا إنما

(١) من ظ ، وفى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيفاف (٣) زيد من ظ (٤) فى
 ظ : هو (ه) فى ظ : مخاطبة .

كان في أول الأمر لخوف التنازع والفتنة ، وأما الآن فقد علا الدين
وتمكن أمر المؤمنين فالأمر به الإغلاظ على المنافقين فهلا تركت الإذن
لهم ﴿ حتى يتبين لك ﴾ أى غاية البيان ﴿ الذين صدقوا ﴾ أى في
التزام الأوامر / بما أقرؤا به من كلمة التوحيد ﴿ وتعلم الكذابين ﴾ أى
هـ فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن لم تأذن لهم لقعدها بلا إذن
غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره ؛ قال أبو حيان^٢ : و " حتى " غاية الاستفهام - انتهى . وذلك
لأنه وإن كان داخلا على فعل مثبت فعنائه النفي ، أى ما لك لم تحملهم^٣
على الغزو مملكت ليتحقق بذلك الحمل من يطيع ومن يعصى ، فالحاصل
١٠ أن الذى فعله صلى الله عليه وسلم حسن موافق لما أمره^٤ الله به فانه
لا ينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بإيحاء واصل جديد ، أو استناد
إلى وحي سابق حاصل عتيد ، والذى أشار إليه سبحانه أحسن^٥ مثل
" ليغفر^٦ لك الله^٦ ما تقدم من ذنبك " من باب " حسنات الأبرار
سيئات المقربين " ومن باب^٧ الترقية من^٨ مقام عال^٩ إلى مقام أعلى
١٥ تسيرا^٩ فيهم^{١٠} بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ
أبو الحسن الحرالى في آخر كتاب العروة في تفاوت وجه الخطاب فيما بين
(١) في ظ : (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٤٧/هـ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
لم يحملهم (٤) في ظ : امر (٥) زيد في ظ : فهو (٦-٦) في ظ : الله لك - كذا
وراجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) في ظ : مكان على (٩) من
ظ ، وفي الأصل : يسرا (١٠) في ظ : فهم .

ما أنزل على وفق^١ الوصية أو أنزل على حكم الكتاب : اعلم أن الله سبحانه
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين و خلقه بالعفو والمعروف ،
كما ورد في الكتب السابقة من قوله تعالى « وأجعل العفو والمعروف
خلقته » و بذلك رصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال^٢ :
أوصاني ربي من غير ترجمان ولا واسطة بسبع خصال : بخشية الله في ه
السر والعلاية ، وأن أصل من قطعني ، وأصفح عمن ظلمني ، وأعطى
من حرمي ، وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ، ونظري عبرة .
فكان فيما أوصاه به ربه تبارك وتعالى من غير ترجمان ولا واسطة أن
يصل من قطعه ويصفح عمن ظلمه ، ولا أقطع^٣ له ممن كفر به و صد
عنه ، فكان هو صلى الله عليه وسلم - بحكم ما بعث به و جبل عليه ووصى^٤ ١٠
به - ملتزما للعفو عمن ظلمه و الوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإكراه
على ترك ذلك و الرجوع إلى حق العدل و الاقتصاص و الاقتصاف^٥
المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين^٦ في
مؤاخذتهم^٧ بالحق و العدل إلى جامع شرعته ليوحد فيها نحو مما^٨ تقدم
من الحق و العدل و إن قل ، و لتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله ١٥
وسلم من البعثة بسعة الرحمة [و - ^٩] الفضل ” ان^{١٠} الله يأمر بالعدل
و الاحسان “ . ” و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم “^{١١} ” فن القرآن

(١) في ظ : وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في
ظ : رضى (٥) في ظ : الاتصاف (٦-٦) من ظ ، وفي الأصل : من مواعديهم .
(٧) في ظ : ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩٠ ،
وفي الأصل و ظ « و » (١٠) سورة ٨ آية ٣٣ .

ما أنزل على الوجه الذى بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى
 "ادفع بالتي هي أحسن السيئة"^١ و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف
 و اعرض عن الجهلين"^٢ و قوله تعالى "و لو كنت فظا غليظ القلب
 لانقضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر"^٣
 ٥ و قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل"^٤ و قوله تعالى "فاصفح عنهم
 و قل سلم"^٥ و أصل معناه فى مضمون قوله تعالى "لقد جاءكم رسول
 من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم"^٦ فما كان من المنزل على
 هذا الوجه تعاضدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم
 جبلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر^٧ الأمرين و توافق
 ١٠ الخطابين: خطاب الوصية، و خطاب الكتاب؛ و هذا الوجه [من -^٨]
 المنزل خاص بالقرآن العظيم الذى هو خاص به صلى الله عليه و سلم،
 لم يؤته أحد قبله "و لقد أتيتك سبعا من المثاني و القرآن العظيم"^٩ و من
 القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله فى سنن الأولين و كتب
 المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه فى المؤاخذين و الاكتفاء بوصل الواصل
 ١٥ و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الانتقام من الشارد، و ذلك خلاف
 ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم؛ "فكان صلى الله
 عليه و سلم" إذا أنزل "عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء
 (١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٢ آية ١٥٩ -
 (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) فى
 ظ و لتظاهر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين
 من ظ (١١) فى ظ: نزل .

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه في أخذه
و التزام حكمه فحيثذ يقوم لله به و يظهر عذره في إيمضائه فيكون له
في ' خطاب التشديد عليه في أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما
يتوهمه ' الجاهلون ، فما أنزل إنباء عن مدحه بتوقفه على إيمضاء حكم العدل
و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى ٥
" فلعلك باخع نفسك على أثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً "
و نحو قوله تعالى " لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين " و نحو
قوله تعالى " و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون " و بما أنزل
على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على ' الأخذ
بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره في الاقتصار على حكم الوصية ١٠
و حال الجلبة ما هو نحو قوله تعالى " و من يكفر به من الاحزاب فالتار
موعه فلا تترك في مرية منه انه الحق من ربك " و نحو قوله تعالى
" و لو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم " جميعا افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين " و نحو قوله تعالى " فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فاستل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥
فلا تكون من الممتريين " أى لا [تتوقف لطلب الرحمة لهم كما - ']
يتوقف الممتري في الشيء أو الشاك فيه [لما - '] قد علم أنه لا بد لأمته

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .
(٤) سورة ٢٩ آية ٢ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : و في الأصل : عن .
(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد
من ظ .

من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم وحق كلمة العذاب عليهم وإجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية في المواخذة بذنوبهم وإنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم "فكلا اخذنا بذنبه" ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات "الان وقد عصيت قبل" "لا تركضوا" ارجعوا الى ما اترقم فيه ومسكنكم "وذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - ولا بد - عن باطله حين لا ينفعه "وحرام على قرية اهلكناها أنهم لا يرجعون" "الا قوم بونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا" لما أبطن تعالى في قلب نبيهم عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، ولما ملأ نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة لأمته : كافرهم ومؤمنهم وناققهم ، أشار بأى من إظهار مؤاخذتهم وأعلم بكف نبيه صلى الله عليه وسلم عن تألفهم وأحسبه بمؤمنهم دون كافرهم وناققهم "يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" وكل ذلك معلوم عنده صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى "سنة من قد أرسلنا [قبلك -] من

- (١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ والقرآن الكريم سورة ٢١ آية ١٣ ، وفي الأصل : او (٤) في ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ . (٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) زيد بعده في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (١٠) في ظ : احسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ١٧ آية ٧٧ .

رسلنا " سنة الله التي قد خلت من قبل " ، " فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
 [ه - ٢] من قبل " ، " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
 وقد خلت سنة الاولين " . واذلك قال صلى الله عليه وسلم حين أنزل
 عليه " فان كنت في شك مما أنزلنا اليك " : أما أنا فلا أشك ولا أسأل ،
 لأنه قد علم جملة أمر الله في أن منهم من يتداركه * الرحمة ومن يحق * ه
 عليه كلمة العذاب ، ولكنه لا يزال ملتزما لتألفهم واستجلاهم حتى
 يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو - ٢] قوله تعالى " عبس وتولى
 ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى او يذكر فتفطعه الذكرى اما من
 استغنى فانت له تصدى و ما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى و هو
 يخشى فانت عنه تلهى كلاً انها تذكرة فمن شاء ذكره " ه ، ونحو قوله ١٠
 تعالى " ما كان لنبى ان يكون له اسرى يشن في الارض تريدون
 عرض الدنيا والله يريد الآخرة و الله عزيز حكيم لولا كتب * من الله *
 سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حللاً طيباً و اتقوا الله
 ان الله غفور رحيم " ، فهذه الآى ونحوها يسمعها العالم بموقعها " / على
 إكراه لنبى الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبى - ١٢] الملحمة من جملة ١٥
 أمداح القرآن له و الشهادة له بوفاته بعهد [و - ٧] وصية حتى تحقق *
 له تسميته بنى الرحمة ثباتاً على الوصية و نبى الملحمة إمضاء في وقت
 (١) سورة ٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة . وآية ٧٤ (٣) سورة ١٥
 آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) في ظ : تداركه (٦) في ظ : تحقق (٧) زيد
 من ظ (٨) سورة ٨٠ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) في ظ : بموقعها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه
 زيادة * إلى * قبله (١٣) في ظ : يحقق

٥٠٦ /

لحكم الحق وإظهار العدل ، فهو صلى الله عليه وسلم بكل القرآن ممدوح
وموصوف بالخلق العظيم 'جامع لما تضمنته كتب الماضين وما اختصه الله
به من سعة القرآن العظيم' ، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية والكتاب
في محكم الخطاب ؛ والله سميع عليم - انتهى .

٥ ولما فاته صلى الله عليه وسلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما
في الضمائر بصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال :
(لا يستأذنك) أى يطلب إذنك ' بغاية الرغبة فيه (الذين يؤمنون بالله)
أى يحددون الإيمان كل وقت حقا من أنفسهم بالملك الذى له صفات
الكمال (و اليوم الآخر) أى الذى يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب
١٠ (ان) أى فى أن (يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم) بل يبادرون
إلى الجهاد عند إشارتك إليه^٢ و بعثك عموما عليه فضلا عن أن
يستأذنوك فى التخلف عنه ، فان الخلف من المهاجرين و الأنصار كانوا
يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه وسلم أبدا فى الجهاد فان ربنا ندبنا إليه
مرة بعد مرة فأنت فائدة فى الاستئذان ! و لنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ،
١٥ وكانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالتعود شق عليهم كما وقع
لعلى رضى الله عنه فى [غزوة - ٤] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ! ولما
كان التقدير : فمن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله . عطف عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : اى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ لحدوثها (٣) من ظ ، وفى الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليهم ﴾ بالمتقين ه أى الذين يخافون الله كلهم .

ولما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه الحصر تأكيداً لتحقيق صفة العلم بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منياً عن المؤمنين مرتين ، ثبت للمناققين على أبلغ وجه ﴿ انما يستأذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيماناً مستجمعاً للشرائط ﴿ واليوم الآخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً وإن ادعوا ذلك بالسنتهم .

ولما كانت [هذه - °] صفة المصارعين بالكفر ، بين أن المراد ١٠ المناققون بقوله : ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوسوس وتمدت المشى معها حتى تخلقت بالشك ؛ ولما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة وسوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ه ﴾ أى بين النقي والإثبات دأب^٦ المتحير لا يجرمون بشئ منهما وإن صدقوا أن الله موجود فإن المشركين يصدقون بذلك ١٥ ولكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، وليس استئذانهم فى أن يجاهدوا لإرادة الجهاد بل توطئة لأن^٧ يقولوا^٨ إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى هذا الوقت فائذن لنا فى التخلف حتى نستعد ! وقد كذبوا ، ما ذلك بهم ،

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقيق (٤) سقط من ظ (ه) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ : يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿ ولو ارادوا الخروج لاعدوا له ﴾
 أى قبل^١ حلوله ﴿ عدة ﴾ أى قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكراع
 بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع
 الأمر به فى الانفصال فيكونون^٢ كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين
 ٥ فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿ ولكن ﴾ لم يريدوا ذلك قط
 فلم يعدوا له عدة ، فلما أمرت به شرعوا يعتلون^٣ بعدم العدة وما ذاك بهم ،
 إنما مانعهم كراهمتهم للخروج وذلك بسبب أن^٤ ﴿ كره الله ﴾ أى
 ذو الجلال والإكرام بأن فعل [فعل - °] الكاره فلم يرد ﴿ انبعاثهم ﴾
 أى سيرهم معك^٥ مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له
 ١٠ ﴿ قبطهم ﴾ [أى - °] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حب
 إليهم من الشهوات وكره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون
 ثوابا ولا يخشون غير السيف^٦ عقابا ، قصرُوا همهم^٧ الدنية على الصفات
 البهيمية ، فلما استولت^٨ عليهم الشهوات وملكتهم الأنفس الدنيات نودوا
 من قبلها : إلى أين تخرجون ؟ ﴿ وقيل ﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها
 ١٥ ﴿ اقعِدُوا ﴾ أى عن^٩ جندى لا تصحبوهم ، وفى قوله - : ﴿ مع القعدين ٥ ﴾
 أى الذين^{١٠} شأنهم ذلك كالمريض والزمنى والصبيان والنساء - من التبكيت
 (١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، وفى الأصل : يعملون .
 (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : معه (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : السعف (٨) من ظ ، وفى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
 (١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية والأفئدة الآتية ، وعر بالجهول إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالقعود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة للزايابوجه .

و لما كان كأنه قيل : ما له ثبطهم وقد كنا قاصدين سفرا^١ بعيدا
وعدوا كثيرا شديدا^٢ فحن محتاجون إلى الإسعاد ولو بتكثير السواد
قيل : (لو) أى فعل بهم ذلك لأنهم لو (خرجوا فيكم) أى وإن
كانوا قليلا^٣ معمرين بمجاعاتكم (ما زادوكم) أى بخروجهم شيئا من
الاشياء (الاخبالا) أى ما أتوكم بشيء زائد على ما عندكم من الاشياء
غير الخبال ، والاستثناء مفرغ والمستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف^{١٠}
به - هو الشيء ، وذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج
الناقضين ، والخبال : الفساد ، وهو ينظر على الخداع و الأخذ على غرة
(ولا اوضحوا) أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن
مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، وعبر بالإيضاع لأنه للراكب وهو
أسرع من الماشى (خللكم) أى لآسرعوا فى السير ذهابا وإيابا بينكم^{١٥}
فى تتبع عوراتكم وانتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالثيمة
و غيرها إن لم يجدوها ، و الإيضاع فى السير يكون برفق ويكون بأسراع ،
و المراد به هنا الإسراع ، و مادة وضع بجميع تراكيها تدور على الحركة ،
و تارة تكون إلى علو و تارة إلى سفول ، و يلزم ذلك السكون و المحل
القابل لذلك ، و على ذلك يمتشى العضو و العوض ، و عوض الذى هو بمعنى^{٢٠}

(١) فى ظ : سفر (٢) من ظ ، و فى الأصل : شديد (٣) فى ظ : قليلين .

الدهر . وضوع الريح والتصويت بالبكاء ، والضعة لشجرة في البادية ،
 والوضع للطرح في مكان والسير اللين والسريع ؛ والخلال 'جمع الخلل'
 وهو الفرجة^٢ (ييغونكم) أى حال كونهم يريدون لكم (الفتنة ج)
 أى بتشيت الشمل و تفريق الاصحاب و تقدم عند " وقتلهم حتى
 ه لا تكون فتنة " أنها الخلطة المميلة المحيلة ، أى يريدون لكم الشيء الذى
 يصيبكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم (وفيكم) أى والحال أنه فيكم
 (سمعون لهم^٣) أى في غاية القبول لكلامهم اضعف معارفهم وآرائهم .
 وربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم (والله) أى الذى أخبركم
 بهذا من حالهم وله الإحاطة بكل شيء (عليم) بهم ، فتقوا بأخبارهم .
 هكذا كان الأصل وإنما قال : (بالظلمين ه) إشارة إلى الوصف الذى
 أوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن^٤ الخير . وتعميما للحكم بالملم [بهم
 ومن سمع لهم و بكل ظالم -^٥] ، والحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد
 بمن يوضع بعيره في أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو في غاية
 الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج والتأمل لذلك^٦ حذرا من أن يصيبه
 ١٥ شيء من تلك الاجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بغيه
 فسادكم^٦ عدم وصولكم إلى شيء من مرادكم .

ولما أخبر سبحانه بذلك ، وحث على قبول أخبارهم^٧ بما وصف

(١-١) في ظ : خلل (٢) من ظ ، وفي الأصل : فرجة (٣) في ظ : مواطن .

(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : كذلك (٦) في ظ : فسادهم (٧) في

ظ : اخباره .

لا يتهم الوكيل ﴿ وعلى الله ﴾ أى الملك الأعلى لا غيره ﴿ فليتوكل
المؤمنون ﴾ أى كلهم توكلًا عظيمًا جازمًا لا معدل عنه ، فالفيصل بين
المؤمن والكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقبلها
كيف يشاء^١ ويحكم فيها بما يريد .

ولما تضمن ذلك أن سراءهم وضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى ه
بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى^٢ عليه بالراقة والرحمة ، صرح
بذلك فى قوله : ﴿ قل هل تربصون ﴾ أى تنتظرون انتظارًا عظيمًا
﴿ بنآ الآحادى الحسينين ﴾^٣ أى وهى أن نصيب أعداءنا فنظفر وننعم
وتوخر أو يصيبونا بقتل^٤ أو غيره فتوخر ، وكلا الأمرين حسن : أما
السراء التى توافقونا^٥ على حسنها فأمرها واضح ، وأما الضراء فوجبة ١٠
لرضى الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ورضاها بها إجلالاً له وتسليماً
لأمره فهى^٥ حسنى كما نعلم لا سوى كما توهمون ﴿ ونحن تربص بكم ﴾
أى نتظر إحدى السوائين وهى ﴿ ان يصيبكم الله ﴾ أى الذى له جميع
القدرة ونحن من حزبه ﴿ بعذاب من عنده ﴾ أى لا تسبب لنا فيه كما
أهلك القرون الأولى بصائر للناس ﴿ او بايد بنا ﴾^٦ أى يسببنا من قتل ١٥
أو نهب وأسر وضرب وغير ذلك لأن حذرهم لا يمنعكم من الله ، وكل
ذلك مكروه عندهم .

ولما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

(١) فى ظ : شاء (٢) من ظ . وفى الأصل : المقتضى (٣) من ظ ، وفى الأصل :

بعده (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكما [بهم -]^٢ بما أدام^٢ إلى ذلك تحسباً لشأنهم فقال :
 ﴿ قَرَبْصَوَا ﴾ أى أنتم ﴿ انا ﴾ أى نحن ﴿ معكم متربصون ه ﴾ أى
 بكم ، نفعل كما تفعلون ، والقصد^٢ مختلف ، والآية^٢ من الاحتباك : حذف
 أولاً الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانياً ، وثانياً إحدى السوايين للدلالة
 ه عليها بآيات الحسينين أولاً .

ولما كان من جملة ما يضييهم منهم من العذاب الإنفاق بنزكية
 ما طهر من أموالهم بالإعانة في سبيل الله خوفاً من اتهامهم بالنفاق في
 أقوالهم ليقصدوا أنفسهم به من السفر ، قال : ﴿ قل انفقوا ﴾ أى أوجدوا
 الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقاً ﴿ طوعاً او كرها ﴾ أى مظهرين الطواعية
 ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ ولما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم ،
 لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿ لن يتقبل منكم ط ﴾ أى يقع تقبل
 لشيء يأتي من قبلكم أصلاً من أخذ له أن يتقبل كائناً من كان ، ولذلك
 بناء للفعول ، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة في الإنفاق ولا في
 غيره ، فانقسام إنفاقكم إلى طوع وكره إنما هو باعتبار الظاهر ، وكأنه
 ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهراً ؛ ولما كان غير مقبول باطنا
 على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿ انكم كنتم ﴾ أى جبلة وطبعاً
 ﴿ قوما فسقين ه ﴾ أى عريقين في الفسق بالغين أنهى غايته ه .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 الفصل (٤) زيد بعده في الأصل : مبني ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (ه-ه) تأخر ما بين الرقین في الأصل عن « عبر بالمجرد » والترتيب من ظ .

ولما علل بالعواقب في الخروج عن "طاعة، بينه في قوله :

(وما منعهم ان تقبل) أى باطنا ، ولذا عبر بالمجرد ، [ولذا بناه

للفعل لأن النافع القبول في نفس الأمر لا كونه من معين - ٢]

(منهم نفقتهم) أى وإن جلت (الآ انهم كفروا / بالله) أى الذى

٥١٠ /

له جميع صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جبيلاتهم وسوء غرائزهم ٢ . ٥

ولما كان قبول النفقات مهينا للطهارة التى تؤثرها الصلاة ، كان

السياق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه

أدل على الخبث ، فأكد^٥ كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل

منهما على حباله مانع فقال : (ورسوله^٦) أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين

وهو السبب المانع بمفرده من القبول ؛ ثم قدح في شأدهى ما يظهرون ١٠

من الإيمان وهما الصلاة والزكاة وغيرهما من الإنفاق في الخيرات

بما هو لازم للكفر ودال عليه فقال : (ولا ياتون الصلوة) أى المفروضة

وغيرها (الا وهم كسالى) أى فى حال كسلهم ، لا يأتونها قط بنشاط

(ولا ينفقون) أى نفقة من واجب أو غيره (الا وهم كرهون^٧)

أى فى حال الكراهة وإن ظهر لكم^٨ خلاف ذلك ، وذلك كله لعدم ١٥

النية الصالحة واعتقاد الآخرة ، وهذا لا يتنافى طوعا لأن ذلك بحسب

الفرض أو الظاهر وهذا بحسب الواقع .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : غرائزه .

(٤) فى ظ : تورها (٥) من ظ ، وفى الأصل : أكد (٦) فى ظ : رسوله (٧) فى

ظ : لهم .

ولما اتقى عن أموالهم النفع الأخرى الذى هو النفع ، تسب
عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها وعدم اعتقاد أن
فيها بركة ودلالة على خير ، فقال - مبينا ما فيها من الفساد الذى يظن
أنه صلاح : ﴿ فلا ﴾ - بقاء السبب ، فالسباق أبلغ من سياق الآتية بعد
هـ النهى عن الصلاة عليهم ^١ ﴿ تعجبك أموالهم ﴾ ^٢ أى وإن أنفقوها فى
سبيل ولا جميل طوية ، وإنما هو لما أذهم من عزة الإسلام وأخافهم من
سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب ، وعطف عليها الأولاد لمشاركتها
[لها - ^٣] فى الملاذ والقوة والاستعمال فى الجهاد ، فقال مؤكدا للنهى
١٠ باعادة النافى : ﴿ ولا أولادهم ط ﴾ فكأنه قيل : فماذا يراد باعطائهم ذلك ؟
ولو منعوها وأعطىها المخلصون لكان قوة للدين ، فقال : ﴿ إنما يريد الله ﴾
أى يوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن
[له - ^٤] الإحاطة بتمام القدرة ، وأبلغ فى الحصر بادخال اللام ^٥ فى
قوله : ﴿ ليعذبهم ﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿ بها فى الحياة ﴾ أى وإن
١٥ كان يترأى أنها لذينة ، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت
فى الحقيقة ﴿ الدنيا ﴾ أى تارة بجمعها وتربيتها وتارة ببذلها كرها فى
سبيل الله أو فى تزكيتها وتارة بغير ذلك ﴿ وتزهق ﴾ أى وإنما يريد
بتمكينهم منها ^٦ لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿ انفسهم ﴾
(١) راجع آية ٨ (٢) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : أموالكم (٣) زيد
من ظ (٤) فى ظ : النفى (٥) سقط من ظ .

أى بسببها (وهم) أى والحال أنهم (كفرون^٥) أى عريقون فى الكفر ، وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكثّر أموالهم و أولادهم لنحو هذا لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم^١ و حسن حالتهم^٢ فيستمرون عليها^٣ حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل قنتهم و محتهم ، وأما الدين^٥ فان القادر بقويه بغير ذلك فيكون^٢ أظهر لدليله و أوضح^٤ لسبيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها و خفي عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالمهم^٥ عليها ، و فى الممات بصعوبته عليهم^٦ المشار إليه بالزهوق ، و فى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها^٧ ، وأما المؤمن فلا يموت حتى^٨ يرى من الثواب ما يسليه عن كل شئ فيشتاق إلى لقاء الله و تخرج نفسه و هو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

و لما وضح بهذه الأمور منابذتهم للمؤمنين و خروجهم من ربة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبنا آخر من أحوالهم يقيمونه بالإيمان الكاذبة فقال : (و يحلفون) أى طلبوا لكم الفتنة و الحال أنهم يحددون^{١٥} الإيمان / (بالله) أى على ما له من تمام العظمة (أنهم) أى المنافقين (لمنكم^١) أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا (و ما)

(١) فى ظ : لكرامتهم (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : فيشمترون عليها .

(٣) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصبح (٥) من ظ ، وفى الأصل :

بانكلاهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم ﴾ ولكنهم قوم ﴿
 أى مع أن لهم قوة و قيسا ما شديدا فيما يحاولونه ﴾ يفرقون هـ ﴿ أى
 يخافون منكم على دمائهم خوفا عظيما يفرق هدمهم فهو الملجئ لهم إلى
 الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام ، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا
 هـ و المبعض لا يعاشر من يبغضه ؟ فقليل : لأنهم لا يجدون ما يجمعهم منكم
 ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم
 يمنعونهم منكم ﴿ او مغرّت ﴾ فى الجبال تسعهم ، جمع مغارة - مفعلة من
 غار فى الشيء - إذا دخل فيه ، و الغور : ما انخفض من الأرض .

ولما كانت الغيران - و هى النقوب فى الجبال - واسعة و الوصول
 ١٠ إليها سهلا ، قال : ﴿ او مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة
 لضيقه أو لمانع^٢ فى طريقه أو قوما يداخلونهم و إن كانوا يكرهونهم -
 بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا إليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه
 متولين مرتدين^٣ عنكم على أعقابهم ﴿ وهم يمحون هـ ﴾ أى حالهم حال
 الدابة التى كانت مسرعة فى طواعية راكبها فإذا هى قد نكصت على
 ١٥ عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية
 لايردها بئر تقع فيه ولا مهلكة^٤ ولا شئ .

ولما قرر حال من يتخلف عن الجهاد ، وربما بذل ماله^٥ فيه اقتداء
 لسفره ، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [و التفاق و يخالفه -^٦]

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 مهلك (٥) من ظ ، وفى الأصل : مال (٦) زيد من ظ .

فقال : ﴿ ومنهم من يلزك ﴾ أى يعيبك عند مشاكليه على طريق الملازمة
 فى ستر^٢ و خفاء أو تظاهر وقلة حياء ﴿ فى الصدقت ج ﴾ أى الاتى توثيقها
 لا تباعك ، [ولما أخبر عن اللز ، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - ٣] :
 ﴿ فان اعطوا منها رضا ﴾ أى عنك ، ﴿ وان لم يعطوا منها ﴾ فاجأوا
 السخط الذى يتجدد فى كل لحظة ولم يتخلفوا عنه أصلا . و عبر عن ٥
 ذلك بقوله : ﴿ اذا هم يسخطون ٥ ﴾ فوافقوا الأولين فى جعل الدنيا مهمهم ،
 و خالفهم فى أن أولئك أنفقوا ليمتعوا بالتخلف و هؤلاء طلبوا ليتنعوا
 بنفس المال الذى يأخذونه ؛ قيل : إنها نزلت فى ذى الخويصرة^٥ لما قال
 للنبي صلى الله عليه وسلم و هو يقسم غنائم حنين : اعدل يا محمدا فانى
 لم أرك تعدل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ويلك ! و من يعدل ١٠
 إذا لم أعدل ؟ وسيأتى حديثه .

ولما أخبر تعالى عن حالهم السي^٦ [الدنى - ٢] الذى لا يحمدهم
 فى الدنيا ويهلكهم فى الآخرة ، نبههم على ما هو الاصلح^٧ لهم من^٨ الحال
 الشريف السنى فقال : ﴿ ولو انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ رضا ما^٩ اتهم الله ﴾
 أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ ورسوله لا ﴾ الذى عظمت ١٥
 من عظمته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ وقالوا ﴾ أى
 مع الرضى^{١٠} ﴿ حسبنا الله ﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق .

- (١) فى ظ : شياطينه - كذا (٢) فى ظ : تستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ :
 عندك (٥) واسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٢ / ٨٨ (٦) فى ظ :
 الآخرة (٧ - ٧) فى ظ : فى (٨) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : بما .
 (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لحذفها .

ولما كانت الكفاية تارة تكون بالتجيز العاجل و تارة بالوثوق

بالوعد الآجل ، بين أن الثاني هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال :

(سيؤتينا الله) أى الملك الأعظم بوعد لا خلف فيه واعتقدوا أن

لاحق لأحد^١ فقالوا^٢ : (من فضله ورسوله) أى الذى لا يخالف

ه أمره ، [على - ٣] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم علموا ذلك بقوله لهم :

(أنا إلى الله) أى المستجمع لصفات الكمال وحده (رغبون^٤)

أى عريقون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كائنا ما كان .

أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا .

ولما أخبر عن لمزهم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم

١٠ إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيها - ٣] و بين

أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكل غيره

لمزوا أو تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [٥ - بأداة القصر

/ ٥١٢

على ما ذكر : (إنما الصدقات) أى هذا الجنس بجميع ما صدق

من أفرادهم ، والظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى : إن

١٥ الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتداء به ، فقال : (للفقراء) أى الذين

لا شئ لهم أو لهم شئ لا يقع موقعا من كفايتهم (والمسكين)

أى الذين لا كفاية لهم بدليل " اما السفينة^٦ " - الآية ، وأما " مسكينا

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ

« و » (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفحتين كاملتين : ٥١٢ و ٥١٣ ، فسدت

هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

دا مربة^١ فتيده دل على أن المطلق بخلافه ﴿و انعملين عليها﴾ أى
 المؤمنين فى السعاية والولاية على جمعها ﴿و المؤلفه قلوبهم﴾ أى^٢
 ليسلوا أو يسلم بسبيهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم ؛ روى البخارى فى
 التفسير وغيره عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : بعث إلى النبى صلى الله
 عليه وسلم بشئ فقسمه بين أربعة وقال : أتألفهم ، فقال رجل : ما عدلت ! ه
 فقال : يخرج من ضئضى^٣ هذا قوم يرقون من الدين . وفى رواية :
 فاستأذنه رجل^٤ فى ضرب غنقه فقال : لا ، دعه فان له أصحابا يحقر أحدهم
 صلاته مع صلاتهم - الحديث . ولئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^٥ .
 ولا يقال : إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فان عمله بالمقام
 الحضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبى إلا وله صلى الله عليه وسلم ١٠
 مثلها أو أعلى^٦ منها بنفسه أو بأحد من أمته .

ولما فرغ من هذه^٧ الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى
 أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا ، كما دل عليه التعبير [باللام ، ذكر
 الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير -^٨] ب « نى » ،

(١) سورة ٩٠ آية ١٦ (٢) فى ظ : او (٣) والضئضى : النسل (٤) ورواية
 البغوى فى العالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامش لباب التأويل ٣/٨٨ .
 (٥) وهذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - قتل الخوارج (٦) فى ظ : على -
 كذا (٧) تأخر فى ظ عن « الأصناف » (٨) ما بين الحاجزين زدناه لاستقامة
 العبارة ، وهو أقرب نسج على منوال المؤلف ، وقال فى لباب التأويل ٣/٩٢ :
 وهى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال : ﴿ وفي الرقاب ﴾ أى والمكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق
 ﴿ والغرمين ﴾ أى الذين استدانوا فى غير معصية ، يصرف ما يعطونه
 إلى قضاء ديونهم فقط ﴿ وفي ﴾ أى والمجاهدين فى ﴿ سبيل الله ﴾
 أى الذى له الأمر كله بالنفقة والحمل والإعانة بالسلاح وغير ذلك ،
 ٥ ونقل القفال^١ عن بعض الفقهاء أنه عمم السبيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه
 الخير من تكفين الموتى و عمارة المساجد ونحوها ﴿ وابن السبيل^٢ ﴾
 وهو المسافر المنقطع عن بلده ، يعطى ما يوصله [إليه ، فقيه إشارة -^٣]
 إلى أن رسولنا صلى الله عليه وسلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه
 إلا بأمرحقا ، فانا قد عينا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشيء
 ١٠ من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا ، فان كانوا منهم أعطاهم وإلا منعهم
 رضى من رضى و سخط من سخط ، وقد فرض ذلك ، أو ثابتة^٤ للفقراء
 حال كونها ﴿ فريضة ﴾ كائنه ﴿ من الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة
 و علما لعله بأن فى ذلك أعظم صلاح ، وهذا كالزجر عن مخالفة الظاهر
 ﴿ والله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم
 ١٥ بما يصلح الدين و الدنيا و يؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿ حكيم ﴾ أى فهو

= فيصرفون ذلك فيما شاؤوا ، وأما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم
 من الرق ولا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه .

(١) والمشهور بالقفال فى الفقهاء الشافعية سعيد بن عمرو النجار وعبد الله بن أحمد
 المروزي ومحمد بن على الشاشي وابنه القاسم بن محمد بن على الشاشي (٢) زدناه لتعديل
 العبارة (٣) فظ : تأييه - كذا .

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان :
 و بما ، [إن - '] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، وإن
 [كانت - '] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط
 الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشئ يقتضى الاقتصار
 عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب ه
 و التماذى في حبه . يوجب الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة
 تذكير المالك له بالمالك الحقيقي في أنه أوجب عليه إخراج طائفة
 منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها
 له و يطهره عن محض الإفتاق في الشهوات ، و من جهة الآخذ
 أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠
 سببان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثانى احتياج
 الآخذ إليه ، فروعى السببان بقدر الإمكان ، و رجع المالك بابقاء الكثير ،
 و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقل :
 إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى
 الستة الأصناف . و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥
 صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقيين ٢
 و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال أبو حنيفة : يجوز
 صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج
 (١) زيد من البحر المحيط ٥/٧٧ (٢) في ظ : يعجب (٣) في ظ : البقين - كذا ،
 و المسألة المذكورة في الزكاة من كتاب الأم (٤) في ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون في جميع الأصناف - وهو قول عمر بن الخطاب وحذيفة وابن عباس رضى الله عنهم وسعيد بن جبير وعطاء وأبي العالية وميمون بن مهران^١ .

ولما بين الصنفين السالفين ، وختم أمرهما بصفتي العلم والحكمة ، أتبعهما بصنف آخر يؤدى بما يجعله نقصا في صفات الرسول صلى الله عليه وسلم فيلزم الطعن في علم مرسله وحكمته فقال : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ﴾ أى الذى أعلى الله مقداره ، فهو ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ ولما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول والفعل ، عطف عليه قوله : ﴿ ويقولون هو ﴾ أى من فرط سماعه لما يقال له ﴿ اذن^٢ ﴾

١٠ و مرادهم أنه يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد - كما سئى الجاسوس عينا ؛ قال أبو حيان : كان خدام^٣ بن خالد وعبيد بن هلال والجلال ابن سويد فى آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجللاس : بل نقول ما شئنا فان محمدا أذن سامعة ، ثم تأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، وقيل غير ذلك ، ١٥ يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوى فيه الواحد والجمع^٤ - انتهى . و مرادهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يعرف مكر^٥ من يكر به ويخدع من يخادعه وكذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، ولكنه

(١) راجع البحر ٥٧/هـ و ٥٨ (٢) وفى البحر المحيط ٦٢/هـ : قدام - كذا ، وورد هذا الاسم فى الغازى للواقدي كما فى أصلنا - راجع غزوة تبوك من الغازى (٣) وهذا اقول منسوب إلى الجوهرى (٤) فى ظ : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح ، لا يلقى بمحاسن الدين غيرها ، بينها تعالى بقوله :
 ﴿ قل اذن خير ﴾ ثم بين [أن - ١] نفع ذلك عائد إليهم بقوله : ﴿ لكم ﴾
 ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يؤمن ﴾ أى يوقع الإيمان لللائكة الذين يأتونه
 عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفا ﴿ بالله ﴾ أى بسبب ما يخبرونه
 عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥
 والإكرام ؛ و حاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف
 وانتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت و أتى بصلة تدل عليها كما قالوا
 في قوله تعالى ” و لتكبروا الله على ما همدكم “ أن التقدير : حامدين على
 ما هدياكم ، فالتقدير هنا : يؤمن مصدقا بالله ، فهذا حقيقته . وهو يشر بحجة
 المؤمنين ولايتهم ، ولذا أتبعه قوله : ﴿ و يؤمن للمؤمنين ﴾ أى الراشخين ، ١٠
 يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم فى كل ما يخبرونه به مما
 يحتمل التصديق ، وذلك لأجل مصالحهم والتأليف بينهم مع ما ثبت
 من صدقهم ، فانه لو حملهم على عقله و مبلغ علمه يحجه الكاذب و عاقب
 الخائن بمجرد علمه و تفرسه ، لقصرت عن ذلك غالب الأفهام و تاهت
 بسببه أكثر الأذهام ، فنفرت القلوب و وقع من الأغلب الاتهام . و لما ١٥
 كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقتضى للأمر
 و النهى عدى بالبلاء ، و هنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأى شئ
 كان عدى باللام و أشير - بقصر الفعل و هو متعد - إلى المبالغة فى التصديق
 بحيث كأنه لا تصديق [/ ٢ غيره .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) ومن هنا استأنف الأصل .

و لما بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراشخين في
الإيمان، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو في الظاهر فقال : ﴿ ورحمة ﴾
أى و هو رحمة ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بألسنتهم ﴿ منكم ﴾
فهو - والله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من في حكمهم من جزم لسانه
٥ و قلبه منزول ، أى أن إظهار تصديقهم قبولاً لما ظهر منهم و ستر قبائح
أسرارهم سبب للكف عن دمائهم ، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان
ذلك سبباً لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان يتبادى الزمان ،
ولا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير
باسم الفاعل ، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه :
١٠ الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان
و ترديه فى درك الكفران : اعلم أن الله محيط بكل شئ خلقاً و أمراً
أولاً و آخراً ظاهراً و باطناً و هو حمدة ، وله علو فى ظهور أمره
و كبر خلقه ، و احتجاب^١ فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من
حكيمته و أسباب هداه و فتنه . و ذلك 'العلو هو إلهيته ، و الاحتجاب
١٥ هو ملكه ، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأيد كل أمر من الأمرين
لما أقسم له ، و ذلك هو ربانيتها^٢ و لكل فتق من خلقه و أمره رتق
سابق ، و لكل تفاوت سواء ، و ذلك هو^٣ رحانيتها ، و لكل أقرب
فى مدد الحجاب اختصاص ، ذلك هو رحيميته ، و لكل أبعد فى مدد
(١) من ظ ، و فى الأصل : احجاب - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من
ظ (٣) زيد فى ظ : فى .

الحجاب بطش منه شديد في رده إلى القرب و تلك هي نعمته ، و لكل
من تزلزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص ، و لكل أمر خلق ، يرد
يان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قربه و محل
بعده ، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له في جميع أمره و تفصيله ،
و أنزل القرآن بناء على^١ جملة ذلك ، فأردأ الأحوال لهذا المستخلف^٥
المحل الذي سمي^٢ فيه بالإنسان ، و هو حيث أنس بنفسه و غيره و نسي
عهد ربه ، فيرد لذلك بناؤه بالذم في القرآن ” قتل الانسان ما اكفره^٣ “ ،
” ان الانسان لربه لكنود “^٤ ثم المحل الذي تداركه فيه تنبيه^٥ لسماع
الزجر من ربه ، و هو له بمنزلة سن الميز لابن سبع ، و لا يقع إلا عن
اجتماع و تراء ، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم ، أى ترددهم^{١٠}
بين سماع الزجر من ربهم و غلبة أهوائهم عليهم ، فيرد لذلك بناؤهم
بذم أكثرهم في القرآن ” ولكن اكثر الناس لا يعلمون - ولا يشكرون “
ثم المحل الذي يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق ،
لكهنهم يتزلزلون^٦ عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة ، و هو
لهم بمنزلة سن المختلم الذي قد ذاق طعم بدو النظفة من باطنه الناجم^{١٥}
العقل للنظر في حقائق المحسوسات ، و ذلك هو السن [الذي يسمون-^٧]
فيه ” الذين آمنوا “ و هو أول سن التلقى ، فلذلك جميع^٨ آداب القرآن

(١) من ظ ، و في الأصل : عن (٢) في ظ : يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧ .

(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ ، و في الأصل : تنبيه (٦) في ظ : يتزلزلون .

(٧) زيد من ظ (٨) في ظ : جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول^١ : إذا سمعت الله عز وجل [يقول -^٢] ” يا أيها الذين آمنوا “ فأعرها^٣ سمعك فانه خير بأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب ” الذين آمنوا “ لم يصل إليه الناس

بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه ” الذين آمنوا “ لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد اتمموا بما ياتمر به الناس ؛ و هذه الأسنان الحالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من

/ ٥١٥

أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب في الأحوال والبيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن ” الذين آمنوا “ من سن ” الذين يؤمنون “ و هم في أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن ” الذين آمنوا “ و ” الناس “ في مدد حد البعد و لذلك مخاطبون بحرف ” يا “ المرسل إلى حد البعد :

” يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون ” بالله ورسوله^٤ “ و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قربا ، و لذلك لم يرد

في القرآن في خطابهم ” يا “ البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهاال و سن الشيب ، و تمام سنهم ” المؤمنون حقا “ و كذلك إلى سن ” المحسنين “ إلى غيب سن ” الموقنين “ إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أربع ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في الأصل وظ: فارعا ، وإعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، وفي الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسايح ، يعرفها من تطور فيها ، ويجهلها من نبت سن
قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم . يهرم ابن آدم و يشيب
منه إثنان : الحرص و الأمل ، فالحرص فقره و لوملك الدنيا ، و الأمل
همه و تعب ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطاها لم يفتح له
الباب إلى فهم القرآن ، و من لم يتضح له نزلات الخطاب لم بين له
خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة ، بين ما على من
كذبه فأذاه من النعمة فقال : ﴿ و الذين يؤذون ﴾ أى من هؤلاء و من
غيرهم ﴿ رسول الله ﴾ أى الذى أظهر - وهو الملك الأعلى - شرفه و عظمته
بالجمع بين الوصفين و أعلاه باضافته إليه ، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه ١٠
الأعظم الجامع ، وهو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم
فإنما يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلاء .

و لما كان أذاهم مؤلما جعل جزاءهم من جنسه فقال : ﴿ لهم عذاب اليم ﴾
ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله ، و أخبر أنهم يخشون على دمائهم
فيصلحون ظواهرهم حفظا لها بالآيمان الكاذبة فقال : ﴿ يحلفون بالله ﴾ ١٥
أى الذى له تمام العظمة ﴿ لكم ﴾ أى أنهم ما آذوا النبى صلى الله عليه
و سلم خصوما و لا أولادكم بالمخالفة عموما ، و بين غاية مرادهم بقوله :
﴿ ليرضوكم ج ﴾ .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فى ظ : لم بين (٢) فى ظ : خواطرهم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم في قلبه
ولكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال : ﴿ والله ﴾
أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد معه ﴿ ورسول ﴾ أى الذى هو
أعلى خلقه ، وبلغ النهاية في تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة
الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال : ﴿ احق ان ﴾
أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ ولما كان مناط الإرضاء الطاعة ومدار الطاعة
الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه مجزأه : ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ أى
فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، وذلك إشارة إلى أنهم
إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، وإن خالفوه كان
١٠ قاطعا على كفرانهم .

ولما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكرهه الخزي عند المؤمنين
وبين أن هو الاحق بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك في استفهام
إنكار وتوبيخ مبينا أنهم فروا من خزي منقضى فسقطوا في خزي دائم ،
والخزي : استحياء في هوان ، فقال : ﴿ الم يعلموا ﴾ أى لدلالته على
١٥ الاحق بالإرضاء . ولما كان ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا أضخم ، أضمر
للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿ من يحادد الله ﴾ [وهو الملك
الاعظم ، ويظهر المحادة - بما أشار إليه الفك - ٦] ﴿ ورسوله ﴾
أى [الذى عظمت من عظمت ، بأن - ٦] يفعل معها فعل من يخاصم في

(١) في ظ : الأرضياء (٢) من ظ ، وفي الأصل : محز - كذا (٣) في ظ : ذكر .

(٤-٤) في ظ : ولما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل :

اصهار (٦) ريد من ظ .

حد أرض فيريد أن يغلب على حد خصمه، ويلزمه أن يكون في حد غير حده ﴿فإن له نار جهنم﴾ أى فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه ﴿خلدا فيها﴾ أى دائماً من غير انقضاء كما كانت نيتة المحادة أبداً؛ ثم نبه / على عظمة هذا الجزاء بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن ﴿الحزى العظيم﴾ .

- ولما علل فعل المستهينين، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر - ٣]
- أخف منهم نقافاً بما عندهم مما يقارب التصديق فقال: ﴿يحذر المثفقون﴾ و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيراً لهم من أدنى النفاق فإنه يجر إلى أعلاه ﴿إن تنزل﴾ ولما كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر وشدائده، عدى الفعل بعلى فقال: ﴿عليهم سورة﴾ ١٠
- أى قطعة من القرآن شديدة الانتظام ﴿تنبيههم﴾ أى تخبرهم إخباراً عظيماً مستقصى ﴿بما فى قلوبهم﴾ لم يظهروا عليه أحداً من غيرهم أو أحداً مطلقاً، ولعل هذا الصنف كانوا يسلفون الأيمان لعلها تشكك بعض الناس أو تخفف عنهم إذا نزل ما يهتكهم، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدى^١ ويدل على النفاق و^٢ يقولون: عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا، وقال ١٥ بعضهم بعد كلام قالوه: والله إنى لأرانا شر خلق الله ولوددت أنى قدمت فجذلت مائة جلدة وأنه لا ينزل فىنا شيء يفضحنا .

(١) من ظ ، وفى الأصل: المحاكاة - كذا (٢) فى ظ : عظم (٣) زيد من ظ .
(٤) زيد بفتح فى الأصل : عليهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذلتها (٥) من ظ ، وفى الأصل: يشكك (٦) من ظ ، وفى الأصل : يخفف (٧) فى ظ : نودى .
(٨) فى ظ : ما .

ولما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ ،
قال مهددا : ﴿ قل استهزموا ج ﴾ أى افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿ ان الله ﴾
أى المحيط بكمال العلم و تمام القدرة ﴿ مخرج ﴾ أى كانت له وصف إخراجه
﴿ ما تحذرون ه ﴾ أى إخراجه من قبائحكم ؛ وعن الحسن : كان المسلمون
ه يسمون هذه السورة الحفارة ، حفرت ما فى قلوب المنافقين وأظهرته .

ولما وصفهم بالنفاق ، حققه بعدم مبادرتهم^١ إلى التوبة التى هى
فعل المؤمنين ، و باجترانهم على الإنكار مع كون السائل لهم من بلغ
الغاية فى الجلال و الوقار و الكمال فقال : ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أى وأنت
من يجب أن يصدقه مسؤله عما^٢ أخرجت السورة بما أظهروا بينهم من
١٠ الكفر ، وذلك حين قال بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه^٣ يفتح
قصور الشام و حصونها^٤ ! هيهات هيهات ! فأعلمه الله فقال : احبسوا على^٥
الركب ، [فسألهم - °] ﴿ ليقولن إنما ﴾ أى ما قلنا شيئا من ذلك ،
إنما ﴿ كنا نخوض ﴾ أى نتحدث^٦ على غير نظام ﴿ و نلعب^٧ ﴾ أى بما
لا حرج علينا فيه و يحمل عنا ثقل الطريق ، فكأنه قيل : فماذا يقال لهم
١٥ إذا حلفوا على ذلك على العادة ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم تقريرا على
استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا إعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع
جاعلا^٨ لهم كأنهم^٩ معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به^{١٠} بلى^{١١} حرف
التقرير ، و ذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته تكذيبا لهم

(١) فى ظ : مبادرتهم (٢) فى ظ : كما (٣) فى ظ : ان (٤) من تفسير الطبرى ، و فى
الأصل و ظ : حصونه ، و زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ،
و فى الأصل نتحور - كذا (٧) فى ظ : عاجلا (٨) فى ظ : بأنهم (٩) فى ظ : على .

في قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، ويناينا لما في إظهارك لتصديقهم من الرفق بهم ﴿ ابالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ واينته ﴾ أى التى لا يمكن تبديلها ولا تخفى^١ على ذى بصر ولا بصيرة ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى عظمت من عظمته وهو مجتهد في إصلاحكم وتثريفتكم وإعلائكم ﴿ كنتم ﴾ أى دائماً ﴿ تستهزون ﴾ .

ولما حقق استهزاهم ، أتبع قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا في إثبات البذر ، وهو ما ينفي^٢ الملام ، فان ذلك لا يفنيكم وإن اجتهدتم لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، ودل - على أن كفرهم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الخافض تشديدا على من نكث^٣ منهم تخويفا [له وتحقيقا -^٤] بحال من أصر [فقال -^٥] : ١٠ .
﴿ بعد إيمانكم^٦ ﴾ أى الذى ادعيتموه بألستكم صدقا من بعضكم ونفاقا من غيره .

ولما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم ، بين أنهم / قسبان : أحدهما^٧ مطبوع على قلبه ومقتضى^٨ ٥١٧ /
توبته وجه ، وهذا الأشرف^٩ هو المراد بقوله بانينا للفعول إعلاما بأن ١٥
المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾
لأن كلام الملك وإن جرى في مضار الشرط فهو مرشد إلى تحققه

(١) من ظ ، وفي الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، وفي الأصل : نفى (٣) في ظ :
تاب (٤) زيه من ظ (٥) مقطوع من ظ (٦) في ظ : مقتضى (٧) من ظ ، وفي
الأصل : الاشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى والأدنى ﴿ عن طائفة منكم ^١ ﴾ أى
 لصلاحيتها للتوبة ﴿ تعذب طائفة ﴾ أى قوم ذوو عدد فيهم أهلية
 الاستدارة ^٢، وقرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة ﴿ بانهم ﴾ أى
 بسبب أنهم ﴿ كانوا مجرمين ^٣ ﴾ أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير
 ٥ صفة لهم ثابتة ^٤ لا تنفك، فهم غير متأهلين للعفو، وشرح هذه القصة
 أنه كان يسير بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثلاثة
 نفر من المنافقين : اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والآخر يضحك،
 قيل : كانوا يقولون : إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم،
 ما أبعد من ذلك ! وقيل : كانوا يقولون : إن محمدا يزعم أنه نزل في
 ١٠ أصحابنا المقيمين في المدينة قرآن ، وإنما هو قوله وكلامه ، فأطلع الله
 نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال : احبسوا الركب على ، فدعاهم
 وقال لهم : قلتم كذا وكذا ؟ فقالوا : ” إنما كنا [نخوض ونلعب “
 أى كنا - °] نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع ^٥
 الطريق بالحديث واللعب ؛ قال ابن إسحاق : والذي عفى عنه رجل واحد
 ١٥ وهو مخشى ^٦ بن حمير الأشجعي ، يقال : هو الذي كان يضحك ولا يخوض
 وكان يمشي بجانبهم وينكر بعض ما يسمع ، فلما نزلت [هذه - °]
 الآية [تاب - ^٨] ، قال : اللهم ! لا أزال أسمع آية تقرأ ، تقشعر منها

(١) في ظ : منهم (٢) في ظ : الاستداد (٣) في ظ : ثابتة (٤) من ظ و معالم
 التنزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٣/ ٩٦ ، وفي الأصل : ثلاثون .
 (٥) زيد من العالم (٦) من العالم ، وفي الأصل : يقطع ، وفي ظ : تقطع (٧) من
 العالم ، وفي الأصل و ظ : نخشن (٨) زيد من ظ و المعالم .

الجلود، و تحب منها القلوب، اللهم اجعل وفائي قتلا في سيلك ! لا يقول
أحد: أنا غسلت أنا^١ كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم^٢ اليامة، فما أحد من
المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه . و اهل إطلاق الطائفة
عليه تعظيما له و سترًا عليه و تبشيرا بتوبة غيره، و اهل مخشيا كان مؤمنا
ولكن كان إيمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله ” اكفرتم بعدد إيمانكم “^٥
والتعبير بذلك أشنع^٣ في الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتمادحون بالثبات
على أى أمر اختاروه و يتدامون بالطيش، و اهل الجلاس المعنى بالقصة
الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره^٤ ممن غنى بها، و ما آمن
إلا حين تاب، فلذا عبر هناك بقوله ” وكفروا بعد اسلامهم “؛ قال
أبو حيان: قال ابن^٥ عمر: رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقبة ناقه^{١٠}
رسول الله صلى الله عليه و سلم يمشيها و الحجارة تنكته و هو يقول
” اما كنا نخوض و نلعب “ و النبي صلى الله عليه و سلم يقول ” ا بالله
و آيته “ - الآية .

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من
كان معه صلى الله عليه و سلم في العسكر - هي في غاية الفساد، كان^{١٥}
ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم؟
فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم
منهم خلق لازم: (المنفقون و المنفقت) أى الذين أظهروا الإيمان
(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: بدر، و لم تكن الزيادة في ظ
ولا في العالم لحذفها (٣) في ظ: ابشع (٤) في ظ: لغيره (٥) من ظ و البحر
الحيط ٦٧/٥، و في الأصل: ابو (٦) من ظ، و في الأصل: حالتهم .

و أبطنوا الكفران (بعضهم) و لما كان مرجعهم الجود على الهوى
و الطبع و المادة و التقليد من التابع^١ منهم للتبوع ، قال : (من بعض)
أبى فى صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد ، أمورهم متشابهة فى أحوالهم
و أفعالهم و جميع أحوالهم ، و القصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان
و لذلك بينه بقوله : (يامرون بالمنكر) أى بما تقدم من الخبال^٢ و الإيضاع
فى الخلال و غير ذلك من سبب الخصال (و ينهون / عن المعروف)
أى من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله . ينفون بذلك الفتنة
(و يقبضون أيديهم^٣) أى يشحون فلا ينفقون إلا وهم كارهون .

٥١٨ /

و لما كان كأنه قيل : أما خافوا بذلك من معالجة المقاب ؟ أجاب
١٠ بقوله : (نسوا الله) أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله و لا أمر
لأحد معه ، و يصلح أن يكون علة لما تقدم عليه ؛ و لما أقدموا على
ذلك ، سبب عنه قوله : (فأنسيهم) أى فعل بهم فعل الناسي^٤ لما
استهان به بأن تركهم من رحمته ، فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته ؛
و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها ، اختصوا بكال الفسق فشرح ذلك فى
١٥ أسلوب التعجب^٥ من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضمحار تعميما و تعليقا
للحكم بالوصف - °] : (ان المنفقين هم) أى خاصة (الفسقون^٦)
أى الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراغبون فى ذلك ، فقد علم
بهذا^٧ أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة .

(١) فى ظ : التابع (٢) فى ظ : الجبال (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى
ظ : التعجب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : بذلك .

و لما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم وكان مقصودهم باظهار الإيمان والاعتذار عن النقائص بتأكيد الإيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين والتجيب طمعا في العيش في أكنافهم وفرقا من المعاجلة بما يستحقون 'من إنلافهم' ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم والطرء اللازم ، وجمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما ه بأنهم إن لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء . فقال : ﴿ وعد الله ﴾ وساقه بصيغة البشارة تهكما بهم وإبلاغا في مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المستأثرين^٢ باعتقادهم ﴿ والكفار ﴾ أى المجاهرين فى عنادهم .

و لما كانوا مجبولين على تجهيم المؤمنين والانقباض عنهم ، وإن أظهروا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار^{١٠} التى من شأنها تجهيم أهلها ولقاؤهم بالعبوسة الزائدة ﴿ تخليدين فيها ﴾ أى لا ابراح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجاوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ ولعنهم الله ﴾ أى طردهم وأبعدهم من رحمته وهو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لاحد معه فأفهم أنه لا^٢ فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال^{١٥} بقوله : ﴿ ولهم ﴾ أى بالأميرين ﴿ عذاب مقيم ه ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام وجنوده الكرام الأعلام ، وفى الآخرة بما لا يعلمه حق علمه إلا [الله - ٦]

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : المستأثرين (٤) فى ظ : الدار (٥) من ظ ، وفى الأصل : القاوم (٦) زيد من ظ .

الملك العلام .

ولما كان حالهم في الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة والإعراض
عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية
والقرون الماضية ، بين لهم ذلك وختم ببيان سوء أحوالهم وقبح مآلهم
٥ بتلاشي أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع في باب
العقاب وأتعد في استجلاب المصالح للتاب : ﴿ كالذين ﴾ أى حاصل
ما مضى من أمرهم أيها المنافقون أنكم مثل الذين ؛ ولما كان فاعل ما يذكر
إنما هو بعض من مضى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من الأمم
الخالية ، ثم شرع في شرح حالهم وذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوا
١٠ أشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب
﴿ وأكثر أموالا وأولادا ^١ ﴾ وهذا ^٢ ناظر إلى قوله " فلا تعجبك أموالهم
ولا أولادهم " ﴿ فاستمعوا ﴾ أى طلبوا المتاع والانتفاع في الدنيا بغاية
الرغبة معرضين عن العقبي ﴿ بخلافهم ﴾ أى نصيبهم الذي قدره الله
وخلقه لهم ، وكان الأليق بهم ^٣ أن يبلغوا به في السفر الذي لا بد منه
١٥ إلى الآخرة ﴿ فاستمعتم بخلافكم ﴾ أى كالمقتفين لآثارهم والقاصدين لنارهم
﴿ كما استمع ﴾ وفي الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / ولما كانوا لم يستغرقوا
الزمن الماضي ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلافهم ﴾ - ظاهرا غير
مضمر تنبيه على ذمهم بقلة النظر لأنفسهم المستلزم لقلة غفولهم حيث
كانوا دونهم في القوة أبدانا وأموالا وأولادا ولم يكفوا عن الاستماع

/ ٥١٩

(١) ف : ظ : من (٢) ف : ظ : هو (٣) حقط من ظ .

و الخوض خوفا مما يحق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من
غير أن ينفعهم سبب^١ من الأسباب (و خضم) أى ذهبتم فى أقوالكم
وأفعالكم خطأ^٢ على غير سنن قويم (كالذى) أى كخوضهم الذى
(خاضوا^٣) وهو ناظر إلى قولهم^٤ ” إنما كنا نخوض ونلعب “، قال
أبو حيان : وهو مستعار من الخوض فى الماء ولا يستعمل إلا فى الباطل ه
لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب ونظام ، وأمر الباطل إنما هو
خوض ، ومنه قوله : رب متخوض فى مال^٥ الله له النار يوم القيامة .
ولما آذن هذا النظم لهم بالخسارة^٦ ، حصل التشوف إلى عاقبة
أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله : (أولئك) أى البعداء من الخير ،
والظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الأموال والأولاد ١٠
(حبطت) أى فسدت فبطلت (أعمالهم فى الدنيا) أى بزوالها عنهم
ونسيان لذاتها (والآخر) أى وفى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها
سعيها ، وزاد فى التنبيه على بعدهم بما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال :
(وأولئك هم) أى خاصة (النخسرون ه) أى لا خاسر فى الحقيقة
غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين ففسدوا أنفسهم فلا أخسر من ١٥
تشبه [بهم - ^٧] ، ولعل فى الالتفات^٨ إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى
تحذير كل سامع من^٩ مثل هذه الحال^{١٠} لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : بسبب (٢) فى ظ : خطبا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى
ظ : ربما - كذا ، وراجع البحر المحيط ٥ / ٦٩ (٥) فى ظ : لال (٦) فى ظ :
الكسرة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : التفات (٩) فى ظ : فى .
(١٠) فى ظ : الحالة .

فان من أسرار القرآن في إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شيء وإشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه^١ بعلّة ذلك الحال أو غير ذلك من الخلال؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالي في آخر عروة المفتاح في بيان تناول كلية القرآن لكلية الآية ولكل قارئ يقرأه من أهل الفهم والإيقان:

ه اعلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن نبأ^٢ عن^٣ جميع الأكوان، وأن جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر النبوات والرسالات والخلاقات وأصناف الملوك والفراعنة والطغاة وأصناف الجنّة وجميع ما أصابهم من المثوبات والمثلات في يوم آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ستة آلاف سنة ١٠ ونحوها كل ذلك يتكرر^٤ بمجملته في يوم محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ألف سنة أو نحوها أعداداً بأعداد وأحوالاً بأحوال في خير أو شرف، لكل من الماضين مثل يتكرر^٥ في هذه الأمة الخاتمة [كما قال صلى الله عليه وسلم - ١] لكل نبي قبلي في أمّتي نظير، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم نظراء مثل إبراهيم كآبي بكر، ومثل موسى كعمر، ومثل هارون كعثمان، ومثل نوح كعلي، ومثل عيسى كآبي ذر، وقال صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف النظراء من أمّتي بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم كافرهم ومؤمنهم بمن كان ومن هو كائن ومن سيكون بعد، ولو شئت أن أسميهم لفعلت، فما صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم أن الذي فيه من قصص الأولين وأخبار المثابين والمعاقبين من أهل

(١) في ظ: ايضاً (٢) في ظ: على (٣) في ظ: متكرر (٤) زيد من ظ (ه) من ظ، وفي الأصل: فما.

الادبان أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [الأخبار و القصص فقط ، كلا
و ليس كذلك] إنما مقصوده - ' [الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة
في هذه الأمة^٢ من نظائر^٣ جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال والآثار
حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمه منطبقا على هذه
الأمة^٢ و أتمتها هدايتها و ضلالها ، فحينئذ يفتح له باب الفهم و يضيء له ه
نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى في أصناف هذه الأمة ما سمع من
/ أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل في المثل السائر :

٥٢٠ /

إياك أغنى و اسمعى يا جارة^٤

ثم إذا شهد انطباق القرآن على كلية الأمة^٢ فكان بذلك عالما
ينفتح له باب ترقى ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠
على كلية الأمة^٢ منطبقا على ذاته في أحوال نفسه^٥ و تقلباته^٦ و تصرفات
أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فيتنفع
بسماع جميعه و يعتبر بأي آية سمعها منه فيطلب^٧ موقعها في نفسه فيجدها
بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريبا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات
أو إلى أنزل الدركات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصود^٨ التنبيه ١٥
في هذا الفصل جملة ، و لنتخذ لذلك مثالا يرشد^٩ لتفهم ذلك
الانطباق على كلية الأمة^٢ علما و على خصوص ذات القارئ السامع
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الآية - كذا (٣) في ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع بجمع الأمثال
للبيداني (٥) من ظ ، و موضعه في الأصل بياض (٦) في ظ : تطبقاته (٧) في
ظ : فيطلب (٨) من ظ ، و في الأصل : مقصوده (٩) في ظ : لا يرشد .

عرفانا، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التي لم ترق إلى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين والموقنين التي جعلتها تحت حياطة الملك والجزاء والمدابنة، الذين تروعههم رائحة الموت أولا ثم رائحة القيامة ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الحسنيين التي كل موقف منها ألف من السنين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فعدد هذه الأديان سبعة، ما من دين منها إلا و يوجد في صنف من أصناف هذه الأمة، وتجده المعتبر في نفسه في وقت ما بقلّة أو كثرة بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن ملح عين زائل، وهذه الأديان السبعة هي دين 'الذين آمنوا' من هذه الأمة ٥ ولم يتحققوا^١ لحقيقة الإيمان فيكونوا^٢ من 'المؤمنين' الذين صار الإيمان وصفا ثابتا في قلوبهم، الموحدين المتبرئين من الحول والقوة، المتحققين لمعناه، إقذارا لله عليهم بما شاء لا بما يشاؤون "الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون - أولئك هم المؤمنون حقا"^٣، وأما الذين آمنوا فهم الذين لا يثبتون على حال ١٥ إيمانهم ولكن تارة وتارة، ولذلك هم المنادون والمنهين والمأمورين في جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء في السورة الواحدة مرات^٤ عديدة من نحو ما بين قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصّٰدقین"^٥ - إلى قوله تعالى^٦ : يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم

(١) من ظ، وفي الأصل: خمس (٢) في ظ: يؤخذ (٣) في ظ: لم تتحققوا.

(٤) في ظ: تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ، وفي الأصل:

مراد (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقنين من ظ.

عن دينه^١“ إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا ثم كفروا
ثم امنوا“^٢ فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات
من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل فى الصحة من الأديان الثلاثة^٣
فى نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصرى و الصبئين
من امن بالله و اليوم الآخر“^٤ المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم^٥
والمفترين لدين لم يزل الله به من سلطان فى نحو قوله تعالى ” ان الذين
امنوا و الذين هادوا و الصبئين و النصرى و المجوس و الذين اشركوا“^٦
فهذا هو الدين الأول؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا و^٧ الذين
منهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون
عرض هذا الأدنى و يقولون: سيغفر لنا، و إن يأتهم عرض مثله^٨
يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله،
و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، و الذين يأكلون
الربا و قد نهوا عنه، و الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله
و المسيح ابن مريم؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا: إنا نصارى،
الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا فى دينهم و قالوا على^٩
الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله^{١٠} و المسيح ابن مريم؛
و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متألهو النجوم عباد الشمس
و القمر و الكواكب و مغيروهم، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا
(١) -سورة ٥ آية ٤٤ (٢) -سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) سقط من ظ (٤) -سورة ٢
آية ٦٢ (٥) -سورة ٢٢ آية ١٧ .

اسماويا ؛ وأما الدين الخامس فدين المجوس الثوية الذين جعلوا إلهين اثنين :
نورا وظلّة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ وأما الدين السادس فدين الذين
أشركوا وهم الذين عبدوا محسوسا^١ أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا
وهم الصنمية - فهذه الأديان الستة الموفية^٢ لعد الست لما جاء فيه ؛ وأما
٥ الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لسته خيرا
كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهروا مع الذين
آمنوا وباطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين شركها^٣
الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا :
إنا معكم - فهذه الأديان السبعة متكررة بكلّيتها في هذه الأمانة بنحو مما وقع
١٠ قبل في الأمم الماضية ، وهو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك في
قوله صلى الله عليه وسلم : لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا
بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل في
جحر ضب^٤ لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس والروم ؟
قال : فهل الناس إلا هم ، وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
١٥ هو من مضمون قوله تعالى ” كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
واكثر أموالا واولادا فاستمتعوا بخلافهم فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلافهم وخضتم كالذي خاضوا “ ، وأهل هذه الأديان
السبعة هم - أو منهم - عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، والناجون

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) في ظ : المتوفية (٣) في ظ : شركها .

(٤) في ظ : ما (هـ) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٢٢٧ ، وفي الأصل : الضب .

بالكلية الفاتزون هم المؤمنون من فوقهم من المحسنين والموقنين، ومزيد
تفصيل في ذلك وتثنية قول ما بينه^١ عليه بحول الله تعالى من جهات
تتبع طوائف من هذه الأمة^٢ سنن من تقدمهم في ذلك، أما وجه
تكرار دين الذين أشركوا في هذه الأمة^٣ فباتخاذهم أصناما وآلهة يعبدونها
من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الأصنام والأوثان من
الحجارة والخشب، واتخذت هذه الأمة وجهه أطف^٤ وأخفى أصناما
وأوثانا. فانها اتخذت^٥ الدينار والدرهم أصناما والسبائك والنقر أوثانا
من حيث أن الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة؛ قال صلى الله
عليه وسلم: صم أمى الدينار والدرهم، وقال صلى الله عليه وسلم:
لكل أمة عجل وعجل أمى الدينار والدرهم. فلا فرق بين ظن المشرك^{١٠}
أن الصنم الذى صنعه يده ينفعه وظن المفتونين من هذه الأمة أن
ما اكتسبوا من الدينار والدرهم^٦ ينفعهم حتى يشير مثلهم: ما ينفعك^٧
إلا درهمك^٨ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم^٩ فما من آية نزلت في المشركين في ذكر أحوالهم وتبيين
ضلالهم وتفاصيل سرهم وإعلانهم إلا وهى منطبقه على كل مفتون^{١٥}
بديناره ودرهمه، فوقع قول المشركين في أصنامهم "ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى"^{١١} مثله موقع نظيره من قول المفتون: ما أحب المال إلا لأعمل

(١) في ظ: بينه (٢) من ظ، وفي الأصل: يتبع (٣-٤) سقط ما بين الرعين من

ظ (٤) في ظ: اللطف (٥) في ظ: اتخذ (٦) في ظ: الدراهم (٧) في ظ: ما ينفعك.

(٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٣.

/ ٥٢٢

الخير وأستعين به على وجوه البر، ولو أراد البر لكان ترك التكسب
 والتمول له^١ أبر؛ قال صلى الله عليه وسلم: إنما أهلكت من كان / قبلكم
 الدينار والدرهم وهما مهلكاكم. فكل من أحبهما وأعجب بجمعهما فهو
 مشرك هذه الأمة وهما لاته وعزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله
 لأنه تأله ماله^٢؛ قال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله نجاة لعباد الله
 من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم^٣ على دينهم، فمن وجد من هذا
 مسة^٤ فليسمع جميع ما أنزل في المشركين من القرآن منطبقا عليه^٥
 ومنزلا إليه وحافا به حتى يخلصه^٦ الله من خاص شركه كما خلاص من
 أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين، فتخلص^٧ هذا المشرك بما
 ١٠ له من ظلمته التي غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان في مضمون
 قوله تعالى "ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور"
 فهذا وجه تفصيل بين^٨ نحوا من تكرار دين الشرك في هذه الأمة، وأما
 وجه وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الأمة^٩ فاطباق الناس على رؤية
 الأفعال من أنفسهم خيرا وشرها وإسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث
 ١٥ استحسنت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى
 و فلانا يمنع و فلانا خير منى و فلانا أعطاني، حتى ملأوا الدواوين من
 الأشعار والخطب والرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا و ذما لهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: باله (٣) في ظ: دينارهم (٤) من
 ظ، وفي الأصل: شبهة (٥) من ظ، وفي الأصل: عليهم (٦) في ظ: يخلصه.
 (٧) في ظ: فيخلص (٨) سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ، وفي الأصل: يفاض.
 (١٠) من ظ، وفي الأصل: الآية.

على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله
و يلحدون في أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض « سيدى وسندى و أسنى »
عُدَى عبدك و مملوكك ، يطلون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية
خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا
و عاقبنا - كلمة نمرودية ، [آتاهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ه
كالذى حاج إبراهيم في ربه - ٢] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا
أحيى و أميت ، و هذه هى المجوسية الصرف و القدرية المحضة التى لا يصح
دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه " أسلمت وجهى لله
و من اتبعن ٢ " ، " الا له الخلق و الامر ٤ " و ما سوى ذلك قدرية
[و - ١] هى مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب ١٠
و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا
أن التقدير منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛
قال صلى الله عليه و سلم : القدرية مجوس هذه الأمة ، فكل ما أنزل الله
عز و جل في القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان بما عزاه لمن
وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذى فرعة أو تمرودية أو ذى ١٥
سلطان فलلمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم
في الذين زعموا أنهم فيهم شركاء يخافونهم و رجونهم ، فكل ٦ خائف من
الخلق أو راجع منهم ٧ من عداد الذين آمنوا و الذين أسلبوا في هذه الأمة
(١) في ظ : اسندى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢٠ (٤) سورة ٧ آية ٥٤ .
(هـ) من ظ ، و في الأصل : المقدور (٦) في ظ : ذلك (٧) في ظ : فهم .

فهم من مجوس هذه الأمة : فليسمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة عليه ليسأل الله تعالى التخلص منها ، ليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه وإن كان لم يشعر به قبل فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الأمة ، [وأما وجه وقوع الضامة ونظيرها في هذه الأمة - ٢] فما غلب على أكثرهم ، وتخصوهم ملوكها وسلاطينها ودور الرئاسة منها من النظر في النجوم ، والعمل [بحسب - ٣] ما تظهره هيئتها عندهم من سعد ونحوه والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الأنواء وإقبال القلب على الآثار الفلكية قضاء بها حكما بحسب ما جرى عليه الخليلون الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمي من بهم كفر وليسوا بتاركين -

فذكر منها الاستمطار بالنجوم ، / فالمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية هم ضامة هذه الأمة ، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم بأنفسهم وغيرهم من الخلق هم مجوس هذه الأمة : وكما أن المتعلق تشوفهم ورجاؤهم بذرهمهم ودينارهم هم مشركو هذه الأمة وما انطوى [عليه - ٢] سر كل طائفة منهم مما يتعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي إليه تصرّف جميع أعمالهم ، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه ، فكل ما أنزل في القرآن من تزييف آراء الضامة فهو حجة عليه

(١) من ظ ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الرأي (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ .

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن وهو
 نذير لهم بين يدي عذاب شديد وهم لا يشعرون ويحسبون أنهم يرحمون^١
 به وهم الآخرون^٢ "ولا يزيد الظالمين الا خسارا"^٣ فما يختص بهذه
 الطائفة المتصبة ما هو نحو قوله تعالى "وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
 السموات والارض وليكون من الموقنين"^٤ - الآيات في ذكر الكوكب
 والقمر والشمس إلى آيات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى "وهو
 الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر والشمس والقمر
 والنجوم مسخرت بامرہ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين"^٥، "هو
 الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
 السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق"^٦ "وانه هو رب اشعري"^٧ ١٠
 كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق ورجاءهم عن الافلاك والنجوم
 المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذى استوى على جميعها، فهذا
 وجه من وقوع الصابئة فى الذين آمنوا والذين أسلموا فى هذه الأمة،
 وأما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها وفشا فى أعمالها
 وأحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود والنصارى ١٥
 فى اختلافهم وغلبة أحوالهم - ملوكهم و سلاطينهم - على أحوال أنبيائهم
 وعلماهم وأوليائهم فهو الذى حذرته هذه الأمة وأشعر أولو الفهم

(١) من ظ، وفى الأصل: ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥.

(٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ليعلموا، وراجع سورة ١٠.

آية ٥ (٧) سورة ٣٠ آية ٤٩.

بوقوعه فيهم بنحو ما في مضمون قوله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا
 واختلفوا من بعد ما جاءهم اليُسُت" وما أنبأ به صلى الله عليه وسلم
 "لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
 جحر ضب لاتبعتموهم"، وفي بعض طرقه "حتى لو كان فيهم من أتى
 أمه جهارا لكان فيكم ذلك"، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟
 قال: فن! وإنما قوى وكثر في هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاها
 الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالأغراض والآهواء
 وإيثار عرض الدنيا، وسامحوا الملوك والولاة وحلّلوا لهم ما حرم الله
 وحرّموا^١ لهم ما حلل الله، وتوصلوا بهم إلى أغراضهم في الاعتداء على
 ١٠ من حسدوه من أهل الصدق والتقوى، وكثر البغى بينهم فاستقر حالهم
 على مثل حالهم، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، وتماذى ذلك
 فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها وتصير
 الملل كلها ملة واحدة ويرجع الاقتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من
 اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا
 ١٥ مختصا من ظاهر أو باطن ولم يجمع بينهما في علمه وحاله وعرفانه فهو
 بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقتضين
 لظواهر الأحوال الظاهرة التى بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك
 الوقت وسلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر^٢، المنكرين لأحوال
 ٢٠ أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجائهم بأهل الدنيا، المؤثرين
 لمرض هذا الأدنى، فهذا ظهرت أحوال اليهود في هذه الأمة، مر

/ ٥٢٤

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) في ظ: حللوا (٣) من ظ، وفي الأصل: البرابر.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه وسلم بسدرة خضراء^١ نضرة ، وكان
 لأهل الجاهلية سدرة يعظمونها ويجمعون عندها وينيطون بها^٢ أسلحتهم
 ويسمون ذات أنواط فقالوا^٣ : يا رسول الله ! اجعل لنا هذه السدرة
 ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! فقال صلى الله عليه وسلم : قلبتموها
 ورب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ! إنها
 السنن^٤ . فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي والحسد وتعظيم ما ظهر
 تعظيمه من حيث الدنيا واستحقار ضعفاء المؤمنين فهناك أعلام اليهودية
 ظاهرة ، وكذلك^٥ أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن
 من إصلاح حال أو قلب مع^٦ تضييع ظاهر الأمر و بجامع الخير و تعاضد
 الإسلام و اكتفى بما استبطن و تهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه
 الأمة ، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن ، وذلك
 أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام^٧ ظاهرة و شعار^٨ إيمان في القلوب
 و أحوال نفس باطنة و حقائق إحسان شهودية ، لا يشهد المحسن مع الله
 سواء و لا يؤمن المؤمن مع الله بغيره ، و لا يخضع المسلم إلى شيء من
 دونه ، فبذلك يتم ، و قد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة ،
 و التزم بشعائر الإيمان طوائف يسمون الأصوليين و المتكلمين ، و تراجى
 إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة ، ففى كان المتفقهة^٩ منكرا لصدق

(١) في ظ : خضرة (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : قالوا (٤) وراجع أيضا مسند
 الإمام أحمد/ ٢١٨ حيث سبقت هذه الرواية عن أبي واقد الليثي (٥) في ظ : لذلك .
 (٦) في ظ : من (٧-٧) في ظ : ظاهر و سائر (٨) في الأصل : المنفعة ، و في ظ :

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل في أحوال المتصوفة فقد تسنن^١ بسنن اليهودية ، ومتى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل في أحوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى ، وكذلك^٢ حال المتكلمين^٣ الفرقتين لأيهما^٤ مال ، وإنما آتمة الدين الذين^٥ جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام و إيمان أهل الإيمان وشهود أهل الإحسان^٦ ، تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله فتأتم بهم الصوفية ، وتظهر أنوار قلوبهم على ظلم التشابهات فيأتم بهم أهل الإيمان ، وتبدو في أعمالهم معالم الإسلام تامة فيأتم بهم أهل الإسلام ، ”عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما“^٧ ، و أفضل الناس مؤمن في خلق حسن ١٠ و شر الناس كافر في خلق سيئ^٨ ، فأولو الفرقان جامعون و مستبصرون فن اقتصر على ظاهر و أنكر باطنا لزمته مدام اليهود فيما أنزل من القرآن فيهم بحسب توغله و اقتصاره ، و من اقتصر على باطن دون ظاهر لزمته مدام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم ؛ يذكر أن رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها : دلى على موضع ١٥ طاهر أصلى فيه ، فقال الراهب : طهر قلبك^٩ بما سواه و قم حيث شئت ، قال ذلك الصالح المسلم : فحجلت منه ، فاعلم أن كل واحد من هذين الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن ؛ لأن صاحب القرآن لا ينجل لهذا القول لأنه جاله ، و قلبه مطهر بما سوى الله ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لذلك (٣) من ظ ، وفي الأصل : لأنها :

(٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) في ظ : قلب .

ومع ذلك لا بد أن يتطقت ظاهره ، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن
فينجب صفاء الباطن فانه الظاهر يحث صلاح الظواهر ، فصاحب
القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجاب ولم يتلعتثم وإذا دعى إلى
صلاح ظاهر أجتاب / ولم يتلكأ^١ لقيامه بالفرقان وحق القرآن ، يذكر / ٥٢٥

أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو بمن لا يرى الركوع ه
بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي : يا شيخ ! قم فاركع ، فقام وركع
ولم يحتاجه بما يراه مذهبا . فقتل له في ذلك فقال : خشيت أن أكون من الذين
إذا قتل لهم اركعوا لا يركعون^٢ ، ووقف النبي صلى الله عليه وسلم
على سقاية زمزم وقد صنع العباس رضى الله عنه أحواضا من شراب
فصنع الثمن والمسلمون يردون^٣ عليه وقد خاضوا فيه بأيديهم ، فأهوى ١٠
النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من شرابهم ، فقال له العباس رضى الله
عنه : يا رسول الله ! ألا نسقيك من شراب لنا في أسقية ؟ فقال صلى الله
عليه وسلم : أشرب من هذه ألتمس بركة أبدي المسلمين ، فشرب منه
صلى الله عليه وسلم . فصاحب القرآن^٤ يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه
لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر ، ولا على أول ١٥
دون آخر ولا على آخر دون أول ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أمتي كالطمر
لا يدرى أوله خير أم آخره ، فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه
ويلحظ مواضع مدامة^٥ للفرق ويرى به أحوال نفسه من هذه الأديان

(١) في ظ : لم يعلم (٢) في ظ : لم يتكلا (٣) سورة ٧٧ آية ٤٨ (٤) من ظ :
وفي الأصل : يرون (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : يلحق (٧) من ظ ، وفي
الأصل : مدامة .

السته في هذه الامة، واما وجه وقوع النفاق و احوال المنافقين فهي
 داهية القراء و آفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه وسلم : أكثر منافقي أمتي
 قراؤها، و قال بعض كبار التابعين : أدركت سبعين ممن رأى النبي صلى الله
 عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه . و أصل مداخله على الخلق من
 ٥ إثارة حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز و جل و اغترارا بالناس،
 فيلزم^١ لذلك محاسنة^٢ أولى البر و الصدق ظاهرا و تكريمهم بقلبه باطنا،
 و يتبع^٣ ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم
 و ما بينه^٤ النبي صلى الله عليه وسلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه
 وسلم : بيننا و بين المنافقين شهود العتمة و الصبح لا يستطيعونهما، و كما
 ١٠ قال تبارك و تعالى ” لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى و لا ينفقون الا وهم
 كرهون“ ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل و يتعاضى
 عن محاسنهم، كما روى أن الله يبغض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسيئته،
 و المؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل
 المحاسن ! و من أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
 ١٥ مؤمن فيما مضى و لا مؤمن فيما بقى إلا و إلى جنبه منافق يكره عمله، و عن
 ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستثقل في مجامع الخير أجني
 منها، مستخف في مواطن الشر متقدم فيها^٦، طلق اللسان بالغيبة و البهتان،
 ثقیل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك و تعالى، عيم عن [ذكر -^٧]

(١) في ظ : يلتزم (٢) في ظ : محاسنه (٣) في ظ : نتبع (٤) من ظ ، و في

الأصل : نبه (٥) سورة ٩ آية ٤٥ (٦) في ظ : فيما (٧) زيد من ظ .

الله عز وجل في كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، وهو مع ذلك يضاعفهم ولا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع في الدنيا [ولا يأخذ ما ينفع في العقبى، ويحجب في الدين ما يضر في الدنيا - ١] ولا يحجب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياخ النفاق في هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آي القرآن من ٥ نفسه في ذات قلبه وفي أحوال نفسه وأعمال بدنه وفي سره مع ربه وفي علانيته مع خلقه، فانه بذلك يمجّد القرآن كله منطبقا عليه خاصا به حتى كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب في أمر رغب هو فيه من وجه ولا يقول: هذا إنما أنزل في كذا، وإذا رهب القرآن من أمر رهبه من وجه ما، وإذا أعلى فكذلك وإذا أسفل فكذلك، ولا يقول: هذا ١٠ إنما أنزل في كذا حتى يمجّد لكل القرآن موقعا في عمله أي عمل كان ومحلا في نفسه أي حال كان ومشعرا لقلبه أي ملاحظ كان، فيستمع القرآن بلاغا من الله سبحانه وتعالى إليه بلا واسطة بينه وبينه، فعند ذلك يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده أو قلبه انتهاء، وربما يمجّد من الله سبحانه وتعالى تفجرح رحمة يفتح له بابا إلى ١٥ التخلق بالقرآن أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن، وبذلك هو ذو الخلق العظيم - والله واسع عليم - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: يحجب (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) في ظ: فيسمع .

ولما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم في التمتع بالعاجل ، وختمتها
 بهذا الختام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهيهم فيما حل
 بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغية لأنه أوقع في الهية ، فقال مقررًا
 لحسارتهم : ﴿الم ياتهم﴾ أي هؤلاء الأخابث من أهل النفاق ﴿بنا الذين
 ٥ من قبلهم﴾ أي خبزهم العظيم الذي هو "خدير بالبحث عنه ليعمل" بما
 يقتضيه حين عضوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿قوم نوح﴾ أي
 في طول أعمارهم و امتداد آثارهم و طيب قرارهم بحسن التمتع في أرضهم
 و ديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عضائهم إنسان ؛ [و عطف على
 قوم القيلة قال - ١] : ﴿و غاد﴾ أي في قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مضائهم
 ١٠ و بنيانهم و تجبرهم في عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ، لم يبق
 من كفر منهم بشر ﴿و ثمود﴾ أي في تمكثهم من بلاد الحجر عرضها
 و طولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة* لم يبق من الكفار منهم ديار
 ﴿و قوم إبراهيم﴾ أي في ملك جميع الأرض بظواهرها و الغرض ، سلب الله
 منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿و الخشب متين﴾ أي في جمع الأموال
 ١٥ و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص الميزان و المكيال
 نعمهم الله بالنكال* ﴿و المؤتفكت﴾ أي في إعراضهم عن صيانة أعراضهم
 في اتباع لذاتهم أعراضهم ، فأمر لهم فعلهم بعد الخسف عموم إعراضهم .

(١) في ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) في ظ :
 بالرجف (٦) من ظ ، و في الأصل : جميع (٧-٨) من ظ ، و في الأصل : المكيال
 و الميزان (٨) زيد في ظ : و لما حصل لدائن قوم .

ولما كان كأنه قيل : ما نبأهم؟ قال : ﴿ اتهم رسلكم ﴾ أى أتى كل أمة منهم رسولها ﴿ بالبينات ﴾ أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿ فسا ﴾ أى قسب عن ذلك أنه ما ﴿ كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ ليظلمهم ﴾ أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار وإثارة البينات ه فعل 'من تعدونه' فيما بينكم ظلما، ولكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم وبزوالهم^٢ يقول : ما ظلمهم الله ﴿ ولكن كانوا ﴾ أى دائما فى طول أعمارهم ﴿ انفسهم ﴾ أى لا غيرها ﴿ يظلمون ه ﴾ أى بفعل ما يسبب هلاكها، فان لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم، ولعله خص هؤلاء بالذكر ١٠ من بين بقية^٣ الأمم لما عند العرب من أخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا، وأنبياءهم أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان . ولعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط وهم بعدهم فى الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥ كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف، فقوم نوح عليه السلام لم يمنهم لما أتاهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع أنه يقال : إنهم هم الذين بنوا الأهرامات، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذى

(١-١) من ظ، وفى الأصل : ما يعدونه (٢) فى ظ : زوالهم (م) من ظ، وفى الأصل : بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٥ / ٦٩، وفى الأصل : انبيائهم، وفى ظ : ابتائهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء ، ومنها ما هو بالطوب التي لتحميمهم منه إن كان نارا ، وعاد^١ لما أتتهم الرياح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعتهم في أجواف بيوتهم ، ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة^٢ والقصور المشيدة / والحصون المنعة ،^٣ و حال ثمود معروف في توسعهم في البيوت جبالا وسهولا فما منعهم^٤ من الصيحة التي أعقبت الرجفة ، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود - [كما -^٥] زعم - إلى السماء فأنى الله بنيانهم من القواعد ، ألقت الرياح رأسه في البحر وخر^٦ عليهم الباقي وهم تحته ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وأصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم ، وإن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هارين ، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم ولبست به عليهم ، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها وبقي عليهم عارها ، وأما قوم^٧ لوط فأتاهم الأمر بغته ، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن رفعت^٨ إلى عنان السماء ، واتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا ، ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب كانوا يملكون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها ، وعبر عنهم بالموثفات لأن القصص للنافقين الذين^٩ مبنى أمرهم على الكذب و صرف الأمور

(١) في ظ : عادا (٢) في ظ : المتقنة - كذا (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) في ظ : خرج (٦) في ظ : يقوم (٧) في ظ : الذي .

عن ظواهرها 'و تقلبها عن وجوها' ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل
النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم ، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة
لقلب القول عن وجهه ، و مادة 'إفك' بكل ترتيب تدور على القلب ،
فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليه و صرفته عنك ،
و أكاف الدابة شبه بالإناء المقلوب ، و الكذب صرف الكلام عن وجهه ه
فهو إفك لذلك - و الله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما
استبجعه من تهديدهم باهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من
إصرارهم و عدم اعتبارهم ، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيباً في التوبة طمعا
في مثل حالهم فقال : ﴿ و المؤمنون و المؤمنات ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ١٠
﴿ بعضهم أولياء ﴾ و لم يقل : من ، كما قال في المنافقين : من ﴿ بعض ﴾
دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا في أصل الإيمان و لا وافقه بحكم
الهُوى ، بل كلهم مصوبون بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله
صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد منهم ، فذلك
دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم في تسليمهم و إذعانهم ، ثم بين ولايتهم ١٥
بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالحقى و السهر فقال : ﴿ يأمرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد
و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازة ﴿ و ينهون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تركيب (٣) من
ظ ، و فى الأصل : لا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصونون (٦) فى ظ : واحد .

[أى - ١] كذلك ﴿ عن المنكر ﴾ لا يجابون أحدا .

ولما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ و يقيمون الصلوة ﴾ أى يوجدونها^٢ على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها وشروطها وحدودها مراقبةً لربهم واستعانةً بذلك على جميع ما ينوبهم ﴿ و يؤتون الزكاة ﴾ أى مواساةً منهم لفقرائهم صلة للخلاق بعد خدمة الخالق . وذلك مواز لقوله فى المنافقين ” و يقبضون أيديهم “ ولما خص أمهات الدين ، عم يانا لأنهم لا ينسون الله طرفه عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ و يطيعون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ و رسوله^٣ ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم ١٠ و جميل عشرتهم .

ولما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿ أولئك ﴾ أى العظماء الشأن ﴿ سيرحهم الله^٤ ﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعده لا خاف فيه ، وهذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المنافقين ” نسوا الله فسيهم “ وهو إشارة إلى أن الطريق وعرو الأمر شديد^٥ عسر ، ١٥ فالسائر مضطر إلى الرحمة ، وهى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلا من غير سبيلها . ولما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالة^٦ وكانت الموالة^٦ فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

(عزيز) أى غالب غير مغلوب بوجه، فهو قادر على نصر من يوالى حزبه وأن يفيله من تمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على أن يحول بينه وبين شيء من ذلك (حكيم) أى فلا يقدر أحد على نقض ما يحكمه وحل ما يبرمه، وفى ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصوبين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة ٥ وما معها من حميد الخصال .

ولما ختم الآية بوصف العزة والحكمة المناسب لافتتاحها بالموالاة وتعقيها بآية الجهاد، وذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالاً، أتبعها بما هو أشد التثاماً بها يانا للرحمة وتفصيلاً لها ترغيباً للمؤمنين بالإنعام عليهم بكل ما رامه المنافقون بنفاقهم فى الحياة الدنيا، وزادهم بأنه دائم، ١٠ وأخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال: (وعد الله) أى الصادق الوعد الذى له الكمال كله (المؤمنين والمؤمنات) أى الراغبين فى التصديق بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم (جنت تجرى من تحتها الأنهار) أى فهى لا تزال خضرة ذات بهجة نضرة؛ ولما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام، قال: (تخلدين فيها) ولما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥ والدور الفسيحة والمعازل قال: (ومسكن طيبة) ولما كان بعض الجنان أعلى من بعض، وكان أعلاها [ما - ٢] شرف بوصف العندية المؤذن بالقرب مع بنائه مما يؤكد معنى الدوام، قال: (فى جنت عدن) أى إقامة دائمة وهناء وصحة جسم وطيب مقر وموطن ومنبت،

(١) من ظ، وفى الأصل: راته - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٣) زيد من ظ .

وذلك كما قال في حق أضدادهم "عذاب مقيم" وما أنسب ذكر هذه الجنة في سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد في الحديث أنها خاصة بالنيين والصديقين والشهداء . ولما كان ذلك لا يصفو^٢ عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم -^١] :
 هـ (ورضوان) أى رضى لا يبلغه وصف واصف [بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التنوين -^٢] (من الله) أى الذى لا أعظم منه [عندهم -^٣] (اكبر^٤) أى مطلقا ، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل^٥ فوز ، ولا يقع السرور الذى هو أعظم النعيم إلا برضى السيد ، [وإذا كان القليل منه أكبر فما ظنك
 ١٠ بالكثير -^٦] .

ولما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم ، قال يصفه زيادة فى الترغيب فيه : (ذلك) أى الأمر العالى الرتبة (هو) أى خاصة لا غيره (الفوز العظيم^٧) أى الذى يستصغر دونه كل شئ من أمور الدنيا والآخرة ، و فى كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف
 ١٥ به ترغيب فى الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والداعى الأعظم إلى الموالاة .

ولما ثبتت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للنافقين والكافرين ، وكان ما مضى من الترغيب والترهيب كافيا فى الإنابة ، و كان من لم يرجع

(١) من ظ . وفى الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فه ظ : عن .

على المكاثرة فيها ، أعاد الضمير عليهما 'بما يدل' على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أى ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التى جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب^١ ، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر 'من' - وهى مرادة - لمزيد الترغيب فى الإنفاق و الترهيب من تركه ، ويجوز هـ

أن يعود / الضمير إلى النفضة لأن الذم على كثرها ، والحاجة إليها لكثرتها ٤٩١ / أقل ، فالدلم على كنز الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كنز الذهب ؛ وقال الحرالى فى آل عمران : فأزقع الإنفاق عليهما^٢ ولم يخصه من حيث لم يكن ، ولا ' ينفقون منها ' كما

قال فى المواشى " خذ من أموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم بنال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقهما لأنهما صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذاهما - انتهى . ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الوجه الذى أمر^٣ الملك الأعلى^٤

بانفاقها فيه ﴿ فبشرهم ﴾ أى تقول فيهم بسبب ذلك تهكم بهم : بشرهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ عوضا عما أرادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد . ١٥

ولما كان السياق دالا دلالة واضحة على أن هذا العذاب يحصل لهم ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحمى ﴾ أى يحصل الإحماء وهو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أى الأموال التى جمعوها ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-٢) من ظ ، وفى الأصل : ليدل (٢) من ظ ، وفى الأصل : الترغيب (٣) فى الأصل : عليها (٤) فى ظ : لم (هـ) فى الأصل و ظ : منها (٦-٧) فى ظ : الله .

(٧) سقط من ظ .

أى^١ التى لا يقاربها^٢ ناركم ، و تلقى داخلها بالنجهم والعوسة كما كان يلقى
بذلك الفقراء وغيرهم من أهل الله لاسيما من منعه ما يجب له من النفقة
﴿ فتكوى بها ﴾ أى بهذه الاموال ﴿ جباههم ﴾ التى هى أشرف أعضائهم
لأنها تجمع الوجوه والرؤس وموضع الجاه الذى يجمع المال لأجله لتعيسهم^٣
٥ بها فى وجوه الفقراء ﴿ وجنوبهم ﴾ التى يحوونه^٤ ملثها بالمآكل^٥ المشتهاة
و المشارب المستلذة ولا زورارهم بها عن الفقراء ﴿ وظهورهم ط ﴾ التى
يحوونه^٦ لتقويتها^٧ وتحميلها بالملايس و تجليتها وتوليتهم^٨ إياها إذا اجتمعوا
مع الفقراء فى مكان . ثم يقال لهم : ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ وأشار إلى
الحامل على الجمع المنافى للعقل^٩ بقوله : ﴿ لانفسكم ﴾ أى لتنافسوا به
١٠ . وتلذذوا^{١٠} فلم تنفقوه فيما أمر الله ﴿ فذوقوا ما ﴾ أى وبال وعذاب
[ما - ١] ﴿ كنتم تكذبون^{١١} ﴾ أى تجددون^{١٢} جمعه على سبيل الاستمرار
حريصين عليه ، وأشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك ؛
روى البخارى فى التفسير عن زيد بن وهب قال : مررت على أبى ذر
رضى الله عنه بالربذة [قلت : ما أنزلك بهذه الأرض - ١٣] قال : كنا
١٥ بالشام فقرأت^{١٤} " والذين يكنزون الذهب والفضة " - الآية ، قال

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لا تقاربها (٣) من ظ ، وفى الأصل : لتعيسهم ،
وزيدت الواو قبله فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فخذفتها (٤) من ظ ، وفى
الأصل : تحوونه - كذا (٥) فى ظ : بالآكل (٦) من ظ ، وفى الأصل : تحوونه .
(٧) من ظ ؛ وفى الأصل : تسويتهم (٨) من ظ ، وفى الأصل : للفعل (٩) فى
ظ : تلذذوا (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : تجددون (١٢) زيد من الصحيح .

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا وفيهم ؛
وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ،
فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب
عليه فيه فليس بكنز .

ولما تقدم كثير مما ينبى على التاريخ : الحسج في غير موضع ه
والأشهر وإتمام [عهد - '] من له مدة إلى مدته و الزكاة و الجزية ،
وختم ذلك بالكنز الذى لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ،
وكان مشركو العرب - الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم و التأذين - بهذه
الآيات يوم الحج الأكبر فيهم - قد أحدثوا في الأشهر - بالنسبة الذى
أمروا أن ينادوا فى الحج بإبطاله - ما غير السنين * عن موضوعها الذى ١٠
وضعها الله عليه ، فضاهاها به فعل أهل الكتاب بالتدوين بتحليل أكابرهم
وتحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك فى النبوة و الأبوة ، قال
تعالى : ﴿ ان عدة الشهور ﴾ أى انتهى عدد شهور السنة ﴿ عند الله ﴾
أى فى حكم و علم الذى خلق الزمان وحده و هو الإله وحده فلا أمر
لأحد معه ﴿ اثنا عشر شهرا ﴾ أى لا زيادة عليها و لا تغيير لها كما تفعلونه ١٥
فى النسب ﴿ فى كتب الله ﴾ أى كلام الملك المحيط بكل شىء قدرة
وعلم ، و حكمه الذى هو مجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بان (٥) من ظ ،
وفى الأصل : السن (٦) من ظ ، وفى الأصل : التى (٧) فى ظ : اتنى (٨) من
ظ ، وفى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة .

و ليست الشهور ثلاثة عشر ولا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة
منهم كاتنين من كانوا في النسيء ﴿يوم﴾ أى كان ذلك و ثبت يوم
﴿خلق السموت و الارض﴾ أى اللذين نشأ عنهما الزمان . و المعنى أن
الحكم بذلك كان قبل أن يخلق الزمان ﴿منها﴾ أى الشهور ﴿اربعة حرم ط﴾
هـ أى بأعيانها لا بمجرد العدد ﴿ذلك﴾ [أى - ٤] الأمر العظيم و الحكم
العالى الرتبة / فى الإتقان خاصة ﴿الدين القيم لا﴾ أى الذى لا عوج فيه
ولا مدخل للعباد ، وإنما هو بتقدير الله تعالى للقمر ؛ روى البخارى عن أبى
بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال - يعنى فى حجة الوداع :-
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة
١٠ اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة و ذو الحجة
و المحرم ، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان . و لما بين الأمر سبب عنه
قوله : ﴿ فلا تظلموا فيهن ﴾ أى الأشهر الحرم ﴿ انفسكم ﴾ أى بسبب
إنساء بعضها و تحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه
إخلال كل منها بإيقاع الظلم فيه و تحريم كل من غيرها ، قال قتادة : العمل
١٥ الصالح و الفاسد فيها أعظم منه فى غيرها و إن كان ذلك فى نفسه عظيما
فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء ؛ و قال أبو حيان^٤ ما حاصله : إن
العرب تعيد الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال "منها
(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : يتخلق (٤) زيد من ظ .
(٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اثنى .
(٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من
ظ ، و فى الأصل : يعيد .

اربعة " أى من الشهور؛ وعلى جمع القلة [لما لا يعقل - ٢] بنون جمع المؤنث فلذا قال " فلا تظلموا فيهن " أى فى الأربعة .

ولما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء فى الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿ كما يقاتلونكم كافة ط ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء ، وذلك الحكم ٥ فى جميع السنة ، لا أنهاكم عن قتالهم فى شهر منها ، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمى فيها لقتال ولا غيره إن اتقيتم الله ، فلا تخافوهم وإن زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لأن الله يكون ٢ معكم ﴿ واعلموا أن الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة معكم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف تبليقا للحكم به وتعميما فقال : ﴿ مع المتقين ٥ ﴾ أى جميعهم ، وهم الذين ١٠ يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم ، لا على النسيء ونحوه ٢ ، ومن كان الله معه نصر لا محالة .

ولما فهم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه ، كان كأنه قيل : أفا فى النسيء تقوى فان ٢ سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى حرمه ؟ وذلك أنهم كانوا ١٥ أصحاب غارات وحروب ، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه لا مانع منه لم يعرض له ، فكان إذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ٢ تركه ، وكان يشق عليهم ترك

(١) من ظ ، وفى الأصل : الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : غيره (٥) فى ظ : فاته (٦) فى ظ : ابنه ، وراجع روح المعاني ٢/ ٣٠٣ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، ففعلوا النسيء لذلك ؛ فقبل تصريحاً بما أنهمه ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : ﴿ انما النسيء ﴾ أى تأخير الشهر [إلى شهر - ٢] آخر على أنه مصدر نسيئنا - إذا أخره ، أو هو اسم مفعول ، أى ٢ الشهر الذى تؤخر العرب حرمة من الأشهر الحرم عن وقتها ﴿ زيادة فى الكفر ﴾ أى لأنه على خلاف ما شرعه الله ، وفيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

ولما بين ما فى النسيء من القباحة ١ ، تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادم فانهم كانوا لو قاتلوا فى الشهر الحرام قاتلوا وهم معتقدون الحرمة خائفون عاقبتها فكانوا [غير - ٢] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله ١٠ قد صاروا ٩ خارجين عن ٨ دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عزيمة مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا ، فكان يقول : إني لا أجاب ٢ ولا أعاب ، وإنه لا مرد لقضائى ، وإني حللت ٩ المحرم وحرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق إلا بالإله ؛ وذلك معنى قوله تعالى يانا لما قبله : ﴿ يضل به ﴾ أى بهذا التأخير الذى هو ١٥ النسيء ﴿ الذين كفروا ﴾ أى يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

(١) فى ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ فخذناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده فى الأصل : غير ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٦) زيد بعده فى الأصل : دائرة التقوى بالكلية ، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٧) فى ظ : لا أحب ، وفى بعض المراجع : لا أخاب (٨) فى ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة و المعنى على قراءة حمزة و الكسائي و حفص -

بالبناء للفعول : يضلهم مضل من قبل الله ، و على قراءة يعقوب - بالضم :

يضلهم الله ؛ ثم بين ضلالهم / بقوله : ﴿ يَحْمِلُونَهُ ﴾ أى ذلك الشهر ،
و عبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه

و لو لم يضطربهم إلى ذلك جذب سنة و لا عض زمان ، بل بمجرد التشهى ه

فقال : ﴿ عاما و يحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا . و ليس المراد

أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير ' إجلال لسنة ' من السنين ، و هذا

الفاعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معائب الدين ﴿ ليواطؤا ﴾

أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام فى كون

الاشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠

﴿ ما حرم الله ١ ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها ، فلا يدع لهم هذا الفعل

شهرا إلا انتهكوا حرمة فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمة فاذا هم لم يدعوا

حرمة إلا انتهكوها ، فما أبده من ضلال !

و لما انتهكت ٢ بهذا البيان قباحة فعلهم ، كان [كأنه - ٣] قيل : إن

هذا لعجب ! ما حملهم على ذلك ؟ فقيل : ﴿ زين ﴾ أى زين مزين ، ١٥

و قرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوء أعمالهم ٤ ﴾ أى حتى رأوا

حسنا ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا ، فعمل الله بهم ذلك لما علم من

طبعهم على الكفر فلم يهدم ﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال

﴿ لا يهدى ﴾ أى يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكافرين ٥ ﴾ أى

(١ - ١) فى ظ : اخلال السنة (٢) فى الأصل و ظ : انتهكت (٣) زيد من ظ .

(٤) من ظ ، و فى الأصل : حسنا (٥) فى ظ : الظالمين .

أى الذين طبعهم على الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ والنسب -
قال فى "قاموس" : الاسم من نسا الشيء [بمعنى - ٢] زجره و ساقه
و آخره ، قال : و شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز و جل
عنه ؛ و قال ابن الأثير فى النهاية : و النسب ، فعول بمعنى مفعول ، و قال
ه ابن فارس فى المجلد : و النسب فى كتاب الله التأخير ، و كانوا إذا صدروا
عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء !
فيقولون ٣ : أنسلنا شهرا ، أى أخرنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر -
انتهى . و مادة نسا تدور على التغير ٤ ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا
ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من
١٠ أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا
يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم
فى الغارة فيحل لهم الكنانى المحرم - انتهى . و كان النساء من بنى فقيم
من كنانة ، و كان أول من فعل ذلك منهم القليس ٥ و هو حذيفة بن
عبد بن فقيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة ٦ جنادة بن عوف
١٥ ابن أمية بن قلع ٧ بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن
ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمه ، نسا أربعين سنة . كانت

(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيقول ، و راجع أيضا تاج
العروس - مادة نسا (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ،
وفى الأصل : القليس - كذا (٦) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : امامة .
(٧) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : باع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه^١، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فإذا أرادوا أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه، وحرم مكانه صفراً فحرموه، إياطوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إني [قد -^٢] أحللت [لهم -^٣] أحد الصفرين الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير،^٥ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحي.

[و -^٢] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله و اختلاف أسماء الشهور به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف؛ أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبی صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما مضى « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وها أنا^٤ أذكر فيه ما لا يبقى بعده أبس إن شاء الله تعالى، فعنى قوله: ونسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم وسماه صفراً ابتداء السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين صفر وذی الحجة الذی وقع النسيء فيه شهران، وقد كان ينبغي أن

يكون بينهما شهر واحد، فأخر هذا الذی ينبغي إلى العام المقبل،^٦ فالعنى: ١٥ و آخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فإذا جاء العام المقبل انتهى تأخره، وإذا انتهى رجع إلى محله، ويمكن أن يتنزل على هذا قول أبي عبيد

(١) من ظ و السيرة، وفي الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ، وفي الأصل: فلا تصارف (٥) في ظ: هنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ .

في غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه في شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - والله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة ، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام ، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكرهون أن يستحلوه ويكرهون تأخير^٥ حريمهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ، وهذا هو النسيء الذي قال الله "أما النسيء" - الآية ، وكان ذلك في كناية ، هم الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب ، والنسيء هو التأخير ، فكانوا يمشون بذلك زمانا يحرمون صفرا وهم يريدون بذلك المحرم ويقولون : هو أحد الصفرين ، وقد تأول بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا صفر ، على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذي بعده كحاجتهم^٢ إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمشون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذلك يتدافع شهر^٣ بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله [به - ٢] ، وذلك بعد ١٥ دهر طويل ، فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها وبطل النسيء ، وقد زعم بعض الناس أنهم كانوا

(١) من غريب الحديث ١٥٨/٢ ، وفي الأصل و ظ : تأخيرهم (٢) من ظ والغريب ، وفي الأصل : حاجتهم (٣) من الغريب ، وفي الأصل و ظ : شهرا . (٤) زيد من ظ والغريب (٥) من ظ والغريب ، وفي الأصل : لهيته .

يستحلون المحرم عاما، فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريره، قال أبو عبيد:
 الأول أحب إلى لقول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الزمان قد استدار،
 وليس في التفسير الاخير استدارة، وعلى هذا التفسير الذى فسرناه
 قد يكون قوله " يحلونه عاما ويحرمونه عاما " مصدق له لأنهم إذا حرموا
 العام المحرم وفي قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفرا أيضا ٥
 أحلوه و حرموا الذى بعده، فهذا تأويل قوله فى التفسير " يحلونه عاما
 ويحرمونه عاما " وقال أبو حيان فى النهر ما حاصله: كانت العرب
 لا عيش لا كثرها إلا من الغارات، فيشق عليهم توالى الأشهر المحرم،
 وكان بنو ققيم أهل دين وتمسك بشرع إبراهيم عليه السلام، فأتدب
 منهم القلمس^٢ وهو حذيفة بن عبيد بن ققيم، فنسأ^٣ الشهور للعرب، ١٠
 ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه
 ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الإسلام، كانوا إذا فرغوا
 من حجهم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا: أنسئنا شهرا، فيحل
 المحرم، ثم يلزمون حرمة صفرا ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة ويسمون
 ذلك الصفرا المحرم ويسمون ربيعا الأول صفرا وربيعا الآخر ١٥
 ربيعا الأول - وهكذا سائر الشهور، فيسقط على هذا حكم المحرم الذى
 حلل لهم، وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم الذى هو فى
 الحقيقة صفرا؛ وقال البغوى: قال مجاهد: كانوا يحجون فى كل شهر عامين،

(١) فى ظ: كانت (٢) من ظ والنهر - راجع البحر المحيط ٢٧/٥، وفى الأصل:
 القلمس (٣) من ظ والنهر، وفى الأصل: نسأ.

فحجوا في ذى الحجة عامين و حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر
عامين وكذلك في الشهور، فوافقت حجة أبي بكر السنة الثانية من ذى القعدة،
ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجه
شهر الحج^١ المشروع وهو ذو الحجة؛ وقال / عبد الرزاق^٢ في تفسيره :
٤٩٥ / أخبرنا معمر عن ابن^٣ أبي نجيح عن مجاهد في قوله ” انما النسيء زيادة في
الكفر “ قال : فرض الله الحج في ذى الحجة ، فكان المشركون يسمون
الاشهر : ذو الحجة و المحرم و صفر و ربيع و ربيع و جمادى و جمادى
و رجب و شعبان و رمضان و شوال^٤ و ذا القعدة و ذا الحجة ، ثم يحجون
فيه مرة أخرى ، ثم يسكتون عن المحرم و لا يذكرونه ، فيسمونه -
١٠ أحسبه قال - المحرم^٥ صفر ، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة ، ثم يسمون
شعبان رمضان ، و رمضان شوال^٦ . ثم يسمون ذا القعدة شوالا ،
ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ،^٧ ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون
فيه ، و اسمه عندهم ذو الحجة ، ثم عادوا^٨ كمثل هذه الصفة^٩ فكانوا يحجون
عامين في كل شهر حتى وافق حجة أبي بكر الآخرة من العامين في
١٥ ذى القعدة ، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج ، فوافق

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/ ٧٤ ، وفي الأصل : حج
الشهر (٢) وحديثه هذا قد ساقه الطبري بهذا الطريق في تفسيره حول آية النسيء
يسير من الاختلاف (٣) سقط من ظ (٤) من الطبري ، وفي الأصل : ذا ، وفي ظ :
ذى (٥) في تفسير الطبري : صفر (٦) من الطبري ، وفي الأصل و ظ : شوال .
(٧) العبارة من هنا إلى « فوافق ذلك ذا الحجة » ساقطة من ظ (٨-٨) في تفسير
الطبري : بمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبري ، وفي الأصل و ظ : الآخرة .

ذلك ذا الحجة ، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : إن
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله^١ السماوات والأرض . . . وقال
ابن إسحاق في السيرة : سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا ، وإنما
كانوا يوافقون^٢ ذا الحجة كل اثنتي عشرة سنة مرة . فوفق الله عز وجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة ، فحج فيها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السماوات والأرض ، فقلت لابن أبي نجيح : فكيف بحجة
أبي بكر وعتاب بن أسيد ؟ فقال : على^٣ ما كان الناس يحجون عليه ،
ثم قال ابن أبي نجيح : كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم^٤
ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهرا - انتهى . وقوله هذا يوم^٥ أن
في حج أبي بكر وعتاب رضي الله عنهما اختلالا^٦ ، و تقدم عن المهدوي
و غيره^٧ التصريح بأنه كان في ذي القعدة - وفيه نظر ، لأن السنة التي
حج فيها أبو بكر رضي الله عنه نودي فيها بتحريم النسئ^٨ وغيره من
أمور الجاهلية ، فلا شك أنه لم يكن في ذلك العام إنساء ، ولما مضى^٩
من الشهر^{١٠} الذي حج فيه عشرة أشهر ، وكان الحادي عشر وهو ذو
القعدة سار النبي صلى الله عليه وسلم في أواخره إلى الحج موافيا لهلال
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يوافقوا (٣) من ظ ، وفي الأصل :
انتي (٤) في ظ : ثم (٥) في ظ : اختلافا (٦) في ظ : غيري (٧) زيدت الواو
بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .

ذى الحجة ، فلما وقف برفة أخبر أن الزمان قد استدار ، فلم قطعاً أن استدارته كانت في حجة أبي بكر ، وكذا في سنة ثمان وهي السنة التي حج فيها عتاب بالمسلمين . وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب أهل الجاهلية لا نسأتهم ولا غير نسأتهم ، لأنه يلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النساء أنهم اعتبروا ما هو زيادة في الكفر ، وهذا ما لا يقوله ذو مسكة ، وقد تقدم النقل أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه إلى الحج في أواخر ذى القعدة أو بعد انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب في ذى الحجة : الكفار وغيرهم ، فوقع^٢ إعلامهم ببراءة في أيام الحج وأما كنهه ، فلو كان حصل في سنة عتاب اختلال في ذى القعدة^٣ [بنسب^٤ -] لكان ذو الحجة بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر مجيء الكفار للحج عن مجيء المسلمين ، فثبت بهذا أيضاً أن حجه رضى الله عنه كان في ذى الحجة ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع في حجهم اختلال في سنة من السنين ، وما هي بأول نعمة عليهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام ١٥ أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المشهور بابن القاص^٥ من أكابر متقدمي أصحاب الشافعي رحمه الله في كتابه دلائل القبلة في باب معرفة عدد أيام السنة : فالسنة اثنا عشر شهراً بالآلهة ، وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعاً وعشرين ، فبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثماناً

(١) من ظ ، وفي الأصل : آخر (٢) في ظ : ووقع (٣-٢) في ظ : العدد .

(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ووفيات الأعيان ١/٥١ ، وفي الأصل : القاضي .

٤٩٦/ ساعات وأربعة / أخماس ساعة ، وقالت الهند : السنة ثلاثمائة وخمسة^١ وستون يوما وست ساعات وخمس ساعة وجزء من أربعمائة جزء من ساعة ، وذلك من دخول الشمس برأس^٢ الحمل إلى أن تدخل فيه من قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية والسنة الشمسية عشرة أيام وإحدى وعشرون ساعة وخمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات والأيام^٣ استقام حسابه مع دوران الشمس ، وكانت العرب تزيده في الجاهلية ، وكان الذي أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القليس ، وذلك أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده في السنة وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ، وسماه^٤ نسيئا ، ويحج بهم تلك السنة في المحرم ، فأنزل الله تعالى " إنما النسيء زيادة في الكفر " فلما كانت السنة التي^٥ حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق الحج في تلك السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى باثبات الحج في تلك السنة ، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت كهيئتها يوم خلق الله السماوات والأرض "منها أربعة حرم ذلك الدين القيم" - يعني به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى وشعبان ، وذو القعدة ،^٦ وذو الحجة ، والمحرم ، فسمى ذلك الحج الأقوم ، وقال الشاعر :

وأبطل ذو العرش النسيء وقلسا وفاز رسول الله^٧ بالحج الأقوم - انتهى .

والقليس بفتح اللام وتشديد الميم ، فالنسيء في البيت متروك الهمز

(١) في ظ : خمس (٢) في ظ : رأس (٣) من ظ ، وفي الأصل : سماءها (٤) أنعم في الأصل : صلى الله عليه وسلم .

ليصح الوزن ، و الأقوم منقول حركة الهمزة ، و قوله : إن علة النسيء
التطبيق بين السنة الشمسية و القمرية^١ - فيه نظر ، و الظاهر أن علته ما ذكر
في السير من اضطرابهم إلى القتال ، و أمر الاستدارة في كل من هذه
الأقوال واضح الاستنارة ، و ليس المراد بها مصادقة كل فصل من
٥ فصول السنة لموضعه من الحر و البرد ، و مصادقة اسم كل شهر لمسماه
بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا و كذلك غيره
وإن كان الواقع أن الأمر كان في هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن
غزوة تبوك كان ابتداءها في شهر رجب ، و كان ذلك^٢ كما تقدم^٣ في شدة
الحر و حين طابت الثمار ، و إنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادقة اسم
١٠ كل شهر لمسماه [لا لمسمى -^٢] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل
أنه صلى الله عليه وسلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال في بعض طرق حديث
جابر الطويل رضى الله عنه : إن النسيء زيادة في الكفر ، و إن الزمان
قد استدار كهيمته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر
شهرًا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر في الاثنى عشر نفيًا لجمعهم إياها
١٥ سنة النسيء ثلاثة عشر [شهرًا -^٢] ، و قال : منها أربعة حرم ، و عينها
و قال : أى شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام^٤ ، كل
هذا لبيان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية
إلى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه ، و جعلت أشهرنا هلالية
مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

(١) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ حذفناها (٢-٢) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الحرام .

من صوم وعيد وحج وغيره في كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم^١ خاصة بوقت من السنة لا تتعداه^٢ - والله الموافق له^٣ ١٢ وقال القاضي أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم البستي في تفسيره : حدثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذي انتزعه الله من الشيطان المحرم . والحاصل^٤ أنه لا شك في^٥

أن النسيء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، وأن الحج لم يكن قط في جاهلية ولا إسلام إلا في شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة^٦ اللغة والحديث والأخبار ؛ قال ابن الأثير في النهاية ونشوان اليمنى^٧ / في شمس العلوم والقزاز^٨ في ديوانه وابن مكتوم^٩ في ترتيب العباب والمحكم :

ذو الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحكم : سمي بذلك للحج ، وقال ١٠ القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، وفي النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة ، سمي به لأنهم كانوا يرتون^{١١} فيه^{١٢} من الماء لما بعده ، أي يستقون^{١٣} ويستقون^{١٤} ، وقال المجد في القاموس : يوم عرفة التاسع من

(١) في ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .

(٤) زيد في ظ : في (هـ) في ظ : اليمين ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ٨٦ .

(٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوي نحوي - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .

(٧) وهو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي ، واستفاض ترتيبه

باسم " الجمع بين العباب والمحكم " - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من

النهاية ، وفي الأصل : يرتون ، وفي ظ : يوتون (٩ - ١٠) سقط ما بين

الرقمين من ظ .

ذى الحجة ، وفي كتاب أسواق العرب لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي رواية أبي سعيد السكري^١ أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب . فإذا أهل أهلها هلال ذى الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز وهي قريب من عكاظ ، [وعكاظ - ٢] في أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم التروية ، و^٢ وافاهم بمكة حجاج العرب ورؤسهم ممن أراد الحج بمن لم يكن شهد تلك الأسواق . وقال الأزرقي^٣ في تاريخ مكة : فإذا رأوا اهلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المجاز فأقاموا بها ثمانى ليال أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم^٤ من الماء بنى المجاز ، وإنما سمي يوم التروية لترويههم الماء بنى المجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : ومن لم يكن له تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية . وروى البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عروة وموسى بن عقبة - فرقهما - قالوا : وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة من الجعرانة في ذى القعدة ، ثم أسند عن ابن إسحاق^٥ أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف

(١) في ظ : لابن ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن الحسين السكري - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله المكي - راجع المعجم المؤلفين ١٠ / ١٩٨ . (٦) من ظ ، وفي الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٣٢ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه
 معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة أو في الحجة ، وحج الناس تلك السنة
 على ما كانت العرب يحج عليه ، وحج تلك السنة عتاب بن أسيد في
 سنة ثمان ، وحديث اعتماره صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة رواه
 الشيخان ومضى على ما كانت العرب من الطواف عراة ونحوه ؛ وذكر
 الواقدي عن مشايخه قالوا : و انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 الجعرانة ليلة الخميس لخمس^١ ليال خلون من ذى القعدة ، فأقام بالجعرانة
 ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة
 ليلة الأربعاء لاثنتي^٢ عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم - فذكر ١٠
 عمرته ثم قال : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد
 على مكة ، وخلف معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما
 يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين^٣ ، وأقام للناس الحج عتاب بن
 أسيد رضي الله عنه تلك السنة وهي سنة ثمان ، وحج ناس من المسلمين
 والمشركين على مدتهم ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم ١٥
 الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة ، قال الواقدي^٤ : فأقام بقية ذى القعدة
 و ذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر
 هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا في شهر يسمونه ذا الحجة ، وهو بما لا يدور

(١) من ظ و المغازي ٣/ ٩٥٨ ، وفي الأصل : بخمس (٢) في ظ : لاثني (٣) من

ظ و المغازي ٣/ ٩٥٩ ، وفي الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازي ٣/ ٩٧٣ .

في تحدد ولا يقع في وهم فيه تردد ، ولا يحتاج إلى تطويل بذكره
ولا إطناب في أمره ، وتارة يوافق اسمه مساء وتارة لا يوافقه لأجل
النسيء ، و علم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان في ذى الحجة بعد رجوع
النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، وأنه ما تأخر
ه عن ذى الحجة وإلا لنقل ، وأن حج أبي بكر رضى الله عنه سنة تسع كان
في ذى الحجة لذلك ولما تقدم من أن سفره / له من المدينة الشريفة ٢
كان في آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة ولقولهم : إن الأربعة الأشهر
التي ضربت للمشركين من يوم النحر و ؛ لقولهم : إن الأربعة الأشهر
كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، و علم أن ذى الحجة تلك السنة لو كان
١٠ وافق مسمى ذى القعدة لم يقع ذى الحجة سنة عشر التي حج فيها النبي
صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي وضعه الله به إلا بأن تكون تلك
السنة ثلاثة عشر شهرا بنسب أو غيره ، و كل من الأمرين باطل ، أما
الأول فلأن الله تعالى أبطل النسيء في تلك السنة فيما أبطله من أمور
الجاهلية في هذه السورة ، وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بالمناداة بها
١٥ كما مر ، وأما الثاني فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله
السموات والأرض ، والخارق مما توفر الدواعي [على - ٧] نقله ،
ولا ناقل لهذا أصلا فبطل ، وإذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثني عشر

(١) في ظ : تقرر (٢) زيد بعده في ظ : وأنه ما تأخر عن ذى الحجة (٣) في
ظ : أشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) في الأصل :
الا - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرًا ولا سيما بعد إنزال الله تعالى في ذلك ما أنزل في هذه السورة ،
وإذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذي وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم
في موضع الشهر الذي وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء ،
وقد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والأرض ، ثبت من غير مرية أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك ه
كان ، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت
بما قدمت من أنه لم يكن فيها نسيء لتوافق حج المسلمين والمشركون في
سنة تسع ، فدل ذلك على أنها كانت اثني عشر شهرا ، فكان ذو الحجة
فيها في موضعه الذي وضعه الله به كما كانت سنة تسع ، بل ظاهر قول
أبي عبيد : فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه - كما مضى - ١٠
أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسيء ، وهو الذي أعتقده ، وقد
لاح بذلك أن السبب في قول من قال : إن حج الصديق رضى الله عنه
وافق ذا القعدة ، أنه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الزمان
قد استدار ، أن الاستدارة لم تكن إلا في تلك السنة ، وليس ذلك مدلول
هذا التركيب كما لا يخفى - والله الموفق ؛ ثم وجدت النقل الصريح في ١٥
زوائد معجمي الظهري : الأوسط والأصغر للحافظ نور الدين الهيثمي
بمثل ما فهمته ، قال في تفسير براءة : حدثنا إبراهيم - يعني ابن هشام -
البعوي ثنا الصلت بن مسعود الجحدري ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى
ثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعني
(١) من ظ ، وفي الأصل : سواء (٢) في ظ : مبرية (٣) من ظ ، وفي الأصل :
موضعها (٤) في ظ : معجم (٥) في ظ : زين (٦) في ظ : حدثنا .

عبد الله^١ بن عمر^٢ رضى الله عنهما قال : كانت العرب يحلون عاما شهرا
وعاما شهرين ولا يصيبون الحج إلا في كل ست وعشرين سنة مرة ،
وهو النىء الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه ، فلما كان عام حج
أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج^٣ فسماء الله الحج
الأكبر ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل
الناس الألهة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار
كهيته يوم خلق الله السموات والأرض . لم يروه عن عمر إلا داود
تفرد به الصلت - انتهى ، وهو حديث حسن إن شاء الله تعالى ،
[ثم رأيت الهيثمى فى مجمع الزوائد قال : رجاله ثقات ، فأكد ذلك الجزم
١٠ بما فهمت من أنه حسن - ٤] ، وإنما أطلت^٥ هذا بما قد لا يحتاج فى
إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المهاجرين الجامدين .
ولما أوعز^٦ سبحانه فى أمر الجهاد ، وأزاح جميع عليهم وبين
أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر وأن بعضهم كان يحل لهم ويحرم
فيتبعونه بما يؤدى إلى تحريم الشهر^٧ الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال
١٥ فيه ، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الآمر لهم بالنفر فى غزوة تبوك عن أمره سبحانه ، وكان ابتداؤها فى شهر
رجب سنة تسع ، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف والتذكير بنعمة الإيمان

(١) من ظ ، وفى الأصل : عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧ / ٢٩ ، وفى
الأصل وظ : عمرو (٣) فى ظ : الحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى
ظ : اطلقت (٦) فى ظ : أوعد (٧) سقط من ظ .

٤٩٩ / - / بعد ختم التي قبلها بأنه لا يهدي الكافرين - الذي^١ يعم الحرب وغيره
الموجب للجرأة عليهم [لأن من لا هداية له أعمى ، والاعمى لا يخشى -^٢] :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى ادعوا ذلك (مَا لَكُمْ) أى ما الذى يحصل
لكم فى أنكم (إِذَا قِيلَ لَكُمْ) أى من أى قاتل كان (انفروا) أى
اخرجوا مسرعين بمجد ونشاط جماعات و^٣ وحدانا إمدادا لحزب الله ه
ونصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، والنفر : مفارقة مكان إلى مكان
لأمر هاج على ذلك (فى سبيل الله) أى بسبب تسهيل الطريق إلى
الملك الذى له [جميع -^٤] صفات الكمال ، وقال أبو حيان : بنى " قيل "
للفعل والقائل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر إغلاظا ومخاشنة
لهم وصونا^٥ لذكره إذ أدخل إلى الهويناء والدعة من أدخل وخالف ١٠
أمره - انتهى . (اناقلتم) أى تناقلتم تناقلا عظيما ، وفيه ما لم يذكروا
له سببا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا وميلا (إلى الأرض) أى
لبرد ظلالتها وطيب هوائها ونضج ثمارها ، فكنتم أرضيين^٦ فى سفول
الهمم ، لا سمائيين^٧ بطهارة الشيم .

ولما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥
عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل والميل
إلى الأموال الحاضرة وثوقا بها والإعراض عن الغنى الموعود [به -^٨]

(١) من ظ ، وفى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : سبب (٥) من ظ والبحر المحيط ه / ٤١ ، وفى
الأصل : مجانسة (٦) فى ظ : ضونا (٧) فى الأصل و ظ : أرضيين (٨) فى ظ :
سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من^١ الإعراض عنه^٢ التكذيب ، فيؤدى إلى خسارة
 الآخرة ، هذا مع ما يلزم على^٣ ذلك - ولا بد - من^٤ الزهد فى^٥ الأجر
 المئزر لسعادة العقبى بهذا الشيء الخسيس ؛ قال مينا خسة ما أخلدوا
 إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيبا فيه منبها على أن ترك الخير
 الكثير لأجل الشر اليسير شر عظيم منكرا^٦ على من^٧ تناقل موبخا لهم :
 ﴿ ارضيتم بالحياة الدنيا ﴾ أى بالحفض و الدعة فى الدار^٨ الدنية الغارة
 ﴿ من الآخرة ج ﴾ أى الفاخرة الباقية ؛ قال أبو حيان^٩ : و 'من' تظافرت
 أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل ، وأصحابنا لا يثبتون^{١٠} أن من^{١١} تكون للبدل
 - انتهى . و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل ، بل
 ١٠ إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها
 فانها لا ابتداء الغاية ، فاذا قلت : رضيت بكذا من زيد ، كان المعنى أنك
 أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه ، فكأنك جعلت
 ذلك بدل كل شيء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ . ولما كانوا
 قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع ، كان إقبالهم على
 ١٥ الدنيا كأنه مبتدئ بما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها ،
 فكأنه قيل : أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة ؟ و يؤيد ما فهمته أن
 العلامة علم الدين أبا محمد القاسم ابن الموفق الأندلسى ذكر فى شرح الجزولية
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عن (٣) فى ظ : من (٤-٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ : منكرا (٦) فى ظ : الدانية (٧) راجع البحر المحيط
 ٥ / ٤٣ (٨-٨) فى ظ : من ان .

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معانٍ كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين ، وبين كيفية ذلك حتى في البيانية ، فمعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان"^٢ الذى ابتداءه من الاوثان ، لأن الرجس جامع للاوثان وغيرها .
ولما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى ، فكان التقدير :

لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده ! فقال تعالى معللا لهذا النهى : هـ
(فا) أى بسبب^٣ أنه ما (متاع الحياة الدنيا فى) أى مغمورا فى جنب (الأخرة الا قليل هـ) والذى يندب هم المتجر ويدعى البصر به ويحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها .

ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف وترك

الإنصاف ، توعدهم بقوله : (الا تنفروا) أى فى سبيله (يعذبكم)^{١٠}
أى على ذلك (عذابا اليما) أى فى الدارين (ويستبدل) أى يوجد بدلا منكم (قوما غيركم) أى ذوى بأس ونجدة مخالفين لكم فى الحلال التى كانت سببا للاستبدال لولايته ونصر دينه .

ولما هددهم بما يضرهم ، أخبرهم أنهم لا يضررون بفقرهم غير ٥٠٠ /

أنفسهم فقال : (ولا تضروه) أى الله ورسوله (شيطا)^{١٥} لأنه متم أمره ومنجز وعده ومظهر دينه ؛ ولما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم وقصورهم عن الوصول إلى ضره ، كان التقدير : لأنه قادر على نصر دينه

(١) فى ظ : معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣٠ (٣) من ظ ، وفى الأصل : سبب .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، وقد سقط من الأصل (هـ) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على هـ أى فى (٧) فى ظ : من .

ونبيه بغيركم^١، فعطف عليه تعميما لقدرته ترهيبا من عظيم سطوته قوله :
 ﴿ والله ﴾ أى الملك الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ على كل شيء قديره ﴾ ،
 ولما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة
 وعظيم البأس والقوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستغفر لهم - وهو
 ه نبيه صلى الله عليه وسلم - غير محتاج إليهم^٢ وتوقف نصره عليهم كما
 لم يحتاج إليهم - بحياطة^٣ القادر له - فيما مضى من الهجرة التى ذكرها ،
 وأن تقع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه واستدفاع ما أوعده
 فى الدارين المشار إلى ذلك [كله - °] بقوله " فاستع^٤ الحياة الدنيا " -
 الآية وقوله " لا تغردا " - الآية ، فقال : ﴿ لا تنصروه ﴾ أى أتم طاعة
 ١٠ لأمر الله ، والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم إما على طريق الاستخدام
 من " سئل الله لأنه الموضح له الداعى إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضمارا
 فى قوله " إذا قيل لكم " أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصارا
 منه لكم ، وإظهارا فى قوله تعالى " هو الذى ارسل رسوله " - الآية ،
 وقوة ما فى كل جملة من المناسبة المقتضية لأن تعاقب^٥ التى بعدها
 ١٥ ولا تنفك^٦ عنها قصر الفصل بين الظاهر وضميره ، وذكر^٧ الغاز والصاحب
 أوضح الأمر ، وذلك أنه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء أربابا اشتدت
 (١) فى ظ : بغيرها (٢) فى ظ : إليه (٣) من ظ ، وفى الأصل : بحياطة (٤) فى
 ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : عن (٨) من ظ ، وفى الأصل : يعاقب (٩) من ظ ، وفى الأصل :
 لا ينفك (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم في البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل ،
فوصفهم بالاكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة ، و^١ بأن ما كولهم
أموال غيرهم باطلا ، و بأنهم يخشونهم لصدوم إياهم عن السيل التي لا يخفى
حسنها على من له أدنى نظر ؛ ولما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس
إلى السؤال عن العرب : هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم ؟ أجاب بأن ٥
عملهم في تحليل النساء لهم بعض الأشهر الحرم و تحريم بعض أشهر الحل
و الزيادة في عدة أشهر السنة كعملهم سواء ،

و لما أمر بقتال المشركين كافة و حثهم على التقوى ، و كان بعضهم
قد توانى في ذلك ، اشتد اقتضاء الحال للعاقبة على الثاقل عن النفر ، فلما تم
ذلك في هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول ١٠
الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط : ﴿ فقد ﴾ أى
إن لم يتجدد منكم له^٢ نصر فإن الله قادر على نصره و سينصره و يغنيه
عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد ﴿ نصره الله ﴾ أى الملك الأعظم
وحده و الأمر في غاية الشدة ، و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده
كما لماضى - ٢ ﴾ ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اخرجهم الذين ﴾ و عبر بالماضى لأن ١٥
فيهم من أسلم بعد ذلك فقال : ﴿ كفروا ﴾ أى من مكة و هم في غاية
التماؤ عليه حين شاوروا^٣ في قتله أو إخراجه أو إثباته ، فكان ذلك سببا
لإذن الله له في الخروج من بينهم حال كونه ﴿ ثانى اثنين ﴾ أى أحدهما
أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله ﴿ اذ هما في الغار ﴾

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) فه ظ : له منكم (٣) زيد من ظ (٤) في ظ :

تشاوروا .

أى غارت ثور الذى فى [أعلى-١] الجبل المواجه للركن اليماني بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كنا به ثلاث ليال ليفتر عنها الطلب، وذلك قبل أن يصل إلينا أو يعولا فى النصر عليكم (اذ يقول) ٢ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) ٣ [أى-١] أبى بكر الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شيء (لا تحزن) ٥ والحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه وأحزنه بمعنى؛ وقال فى القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، وحزنه: جعل فيه حزنا؛ ثم علل نفيه لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء الحسنى والصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك ٦ بعظمتها ١٠ شواخ الجبال الصلاب (ان الله) [أى الذى له الأمر كله-١] (معناه) أى بالعون والنصرة، وهو كاف لكل مهم، قوى على دفع كل ملم، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان * كان قادرا على أن يأمر الجنود التى أيدته بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر، وكما أنه كان موجودا ١٥ فى ذلك الزمان * بأسمائه الحسنى وصفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان وكل زمان، فبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم، وأنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المتوال إلا لتقوؤكم، وفى هذه الآية من التنويه ٦ بمقدار الصديق وتقدمه وسابقته فى الإسلام وعلو

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن «رضى الله عنه» والترتيب من ظ (٣) فى ظ: تنزل (٤) فى ظ: النصر (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ: التسوية.

منصبه ونخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذى أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان^١
وغيره: قال العلماء: من أنكر صحبة^٢ أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر
لإنكاره كلام الله ، وليس ذلك لسائر الصحابة .

ولما كان رضى الله عنه نافذ البصيرة فى المعارف^٣ الإلهية ، راسخ
القدم فى ذلك المقام^٤ لذلك لم يتلعم^٥ من أول الأمر فى عناد جميع
العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث^٦ عشرة سنة ، و كان
الذى به من القلق إنما هو الخوف من^٧ أن يحصل للنبي صلى الله عليه
وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين
وقع المعتدين ، ولم يكن جينا ولا سوء ظن ، لما كان ذلك كذلك
كان رضى الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف ١٠
الأعظم الدال على ذلك المقام المذكور^٨ بتلك العظمة التى يتلاشى عندها
كل عظيم ، ويتصاغر فى جنبها كل كبير ،^٩ ولذلك^{١٠} ذكر هذا الاسم
الأعظم وقدم ، وأشرك الصديق فى المعية وبدأ بالتهى عن الحزن لأنه
المقصود بالذات وما بعده علة^{١١} له ، وأما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم
من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام ١٥
بأظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم^{١٢} بها عما كانوا فيه ، ومنع

(١) راجع البحر المحيط ٤/٣١ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ
فخذناها (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ فخذناها لاستقامة العبارة (٤) فى
ظ: لم يتعلم (٥) من ظ ، وفى الأصل: ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: المذكور.
(٨ - ٨) فى ظ: فذلك (٩) فى ظ: علة (١٠) من ظ ، وفى الأصل: استقرهم .

موسى عليه السلام مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته وما كان يواجهه به من المكروهه، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات : هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية ٥ على سبيل الخصوص به ، وعبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكور^١ به فقال " كلا ان معى ربى^٢ " فكان قيل : ما ذا يفعل والبحر أمامنا والعدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [أى - ٣] إلى ما أفعل^٤ ، يعرف [ذلك - ٢] من كان متضلعا^٥ بالسير و قصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها في الأعراف^٦ عن التوراة ، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه ١٠ كان فى ضنودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ليفتديه^٧ بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين والشمال فيقتل إليهما ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إن قتلت أنا فأنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، وأنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم المتضمن ١٥ لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك ، ولذلك كان به في هذا اليوم من القلق ما ذكر ، وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أثبت الناس ، ولذلك أتى بالغاء المعقبة في قوله : (فأنزل الله) أى الملك الأعظم (سكينته)

(١) فى ظ : المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فعل .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : منتصف (٦) من ظ ، وفى الأصل : الاعراض (٧) فى ظ : ليفديه .

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ و ابدء ﴾ أى النبي صلى الله عليه وسلم ، واختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبه ﴿ بجنود لم تروها ﴾ أى من الملائكة الكرام ﴿ وجعل كلمة ﴾ أى / دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ ٥٠٢ / أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك وغيره ﴿ السفلى ١ ﴾ غيب سعيهم ورد كيدهم ؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع أصلا فى وقت [من - ١] الأدقات فقال : ﴿ وكلمة الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء . ونصبها يعقوب عطفا على ما سبق ﴿ هى العليا ٢ ﴾ أى وحدها ، لا يكون إلا ما يشاء دائما أبدا ، فانه قادر على ١٠ ذلك ﴿ والله ٢ ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة وعلما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا يغلب كل شىء من ذلك وغيره ﴿ حكيم ٥ ﴾ لا يمكن أن ينقض شىء من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لأحد فى مقارمتها فلا يحصى عن نفوذها .

ولما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبالغا هياها به للقبول ، ١٥ أقبل عليها سبحانه بالامر . فقال : ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ والمراد بالحنة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد والنشاط إليه ، وبالثقل كل ما يحمل على الإبطاء عنه ؛ وقال أبو حيان : والحنة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن ٢ يمكنه بصعوبة ، وأما من ٣ لا يمكنه كالأعمى

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقین فی ظ على « دائما أبدا » (٣) من البحر المحيط ٤/٤٤ ، وفى الأصل وظ : لم (٤) فى ظ : ما .

ونحوه فخرج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد ابن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ! فقال : استغفر الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكن^٢ الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده بسند صحيح عن أنس أن أباطلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة فاتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربى يستغفرنى^٣ شابا و شيخا ! جهزوني ، فأت فلم يحذروا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد سبعة أيام فأت تغير^٤ .
﴿ وجاهدوا ﴾ أى أوقفوا جهدكم ليقع جهد المكفار .

و لما كانت هذه الآية فى^٥ سياق المعاتبة لمن تناقل^٦ إلى الارض ١٠ عن الجهاد عند الاستغفار فى غزوة تبوك . و كان سبب الشاغل ما كان فى ذلك الوقت من العسرة فى المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب الظلال فى أراضي الجنان وقت الأخذ فى استواء الثمار - كما هو مشهور فى السير ؛ اقتضى المقام عنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان الكلام كان فى المفاضلة بين الجهاد فى سبيل الله و خدمة البيت و من يحجه فى هذه السورة التى صادف وقت نزولها بعد موطن الجهاد و طول المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

- (١) من ظ و معالم التنزيل - راجع اباب التناويل ٨٣/٣ ، وفى الأصل : استغفر .
- (٢) من المعالم ، وفى الأصل وظ : لم يمكن (٣) من ظ و مجمع الزوائد ٩/٣١٢ ، وفى الأصل : يسفونى - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمى فى زوائده برواية أبى يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) فى ظ : من (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : لما يتناقل .

قلته . و حجة الإقانة في الحقائق إثارة للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع
أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على الشح بالأنفس
فقال تعالى : ﴿ اموالكم و انفسكم ﴾ أى بهما معا على ما أمكنكم
أو بأحدهما ﴿ في سبيل الله ^١ ﴾ أى الملك لأعلى ، [أى - ^٢] حتى لا يبقى
منه مانع ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ أى في نفسه حاصل ه
﴿ لكم ﴾ أى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفعل تفضيل بمعنى أن
عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال
صلى الله عليه وسلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال :
هل تستطيع أن تقوم ^٣ فلا تفتر و تصوم فلا تفطر ^٤ ؟ و ختم الآية
بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ه ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر وإن كان عاما ١٠
فإنما ينفع به ذرو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فإن العلم - ولا يعد
علما إلا النافع - يبحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح
المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده .

٥٠٣ /

و لما كان هذا الكتاب مؤذنا بأن ^١ فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا
بنحو الأموال و الأولاد ، و كان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥
و الزواجر و المواعظ حديرا بأن يخفف كل مثاقل و ينشط كل متكاسل ،
تشوقت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فأعلم سبحانه به في أساليب البلاغة
المخبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من
(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) راجع
صحيح البخارى - كتاب الجهاد (ه) في ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت
 المشاغلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المين لفضائحتهم
 'المبعر لقيأتهم' المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان
 فقال : ﴿ لو كان ﴾ أى ما تدعو إليه ﴿ عرضا ﴾ أى متاعا دنيويا
 ٥ ﴿ قريبا ﴾ أى سهل التناول ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ أى وسطا عدلا مقاربا
 ﴿ لاتبعوك ﴾ أى لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن همهمهم
 قاصرة [و - ٢] منوطة بالحاضر ﴿ ولكن ﴾ أى لم يتبعوك تاقلا إلى الأرض
 ورضى بالغانى الحاضر من الباقي الغائب لأنها ﴿ بعدت عليهم الشقة ١ ﴾
 أى المسافة التى تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها انكال والمشقة
 ١٠ فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض ٢ فاستأذنوك ،
 وفى هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم ودناءة الشيم بالعجز والكسل
 والنهم و الثقل ، وإلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضى الهم صادق
 العزم [كما قال الشاعر - ٢] :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

١٥ فله در أولى العزائم والصبر على الشدائد والمغارم

ولما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسماح بالدين ، فقال
 مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿ وسيلطفون ﴾ أى المتخلفون
 باخبار محقق لا خلف فيه ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه عند رجوعكم
 إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العوض .

(٤) والبيت لسعد بن ناسب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب قاتلين : والله ﴿ لو استطعنا ﴾ أى الخروج إلى ما دعوتونا إليه
 ﴿ لخرجنا معكم ج ﴾ يحلفون حال كونهم ﴿ يهلكون انفسهم ج ﴾ أى بهذا
 الحلف الذى يريدون به حياتها لانهم كذبوا فيه فاتهموا حرمة اسم الله
 ﴿ والله ﴾ أى و الحال أن الملك الأعظم المحيط علما و قدرة سبحانه
 ﴿ يعلم انهم لكذبيون ه ﴾ فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم والفضيحة ه
 عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، و جزاء الكاذب فى مثل
 ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

و لما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف و الحلف عليه كاذبا ،
 أقبل إليه صلى الله عليه وسلم بالعتاب فى لذيذ الخطاب على الاسترسال
 فى اللين لهم و الائتلاف^٢ و أخذ العفو و ترك الخلاف إلى هذا الحد ، ١٠
 فقال مؤذنا بأنهم ما تخلفوا إلا بأذنه صلى الله عليه وسلم لأعذار ادعوها
 كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة
 الاعتناء [بشأنه - ٣] و اللطف به صلى الله عليه وسلم : ﴿ عفا الله ﴾
 أى ذوالجلال و الإكرام ﴿ عنك ج ﴾ و هذا كما كانت عادة العرب فى
 مخاطبتهم^٥ لا كبارهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، و الملك - و نحو ذلك . ١٥

و لما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم
 و نحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك :
 ﴿ لم اذنت لهم ﴾ أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين
 لهم و الصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من حجة الرفق ، و هذا إنما

(١) من ظ ، و فى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيلاف (٣) زيد من ظ (٤) فى
 ظ : هو (٥) فى ظ : مخاطبة .

كان في أول الأمر لحوف التنازع والفتنة ، وأما الآن فقد علا الدين
وتمكن أمر المؤمنين فالأمور به الإغلاظ على المنافقين فهلا تركت الإذن
لهم ﴿ حتى يتبين لك ﴾ أى غاية البيان ﴿ الذين صدقوا ﴾ أى في
التزام الأوامر / بما أقرؤا به من كلمة التوحيد ﴿ وتعلم الكذابين ه ﴾ أى
فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن لم تأذن لهم لقعدوا بلا إذن
غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمسكره ؛ قال أبو حيان^٢ : و " حتى " غاية الاستفهام - انتهى . وذلك
لأنه وإن كان داخلا على فعل مثبت فعناه النفي ، أى ما لك لم تحملهم^٣
على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع و من يعصى ، فالحاصل
أن الذى فعله صلى الله عليه وسلم حسن موافق لما أمره^٤ الله به فانه
لا ينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بإيجاب واصل جديد ، أو استناد
إلى وحي سابق حاصل عتيد ، والذى أشار إليه سبحانه أحسن^٥ مثل
" ليغفر^٦ لك الله^٦ ما تقدم من ذنبك " من باب " حسنات الأبرار
سيئات المقربين ، ومن باب^٧ الترقية من^٨ مقام عال^٩ إلى مقام أعلى
١٥ تسيرا^{١٠} فيهم " بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ
أبو الحسن الحرالى في آخر كتاب العدة في تفاوت وجه الخطاب فيما بين
(١) في ظ : لو (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٥/ ٤٧ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
لم يحملهم (٤) في ظ : امر (٥) زيد في ظ : فهو (٦-٦) في ظ : الله لك - كذا
و راجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) في ظ : مكان على (٩) من
ظ ، وفي الأصل : يسيرا (١٠) في ظ : فيهم .

ما أنزل على وفق^١ الوصية أو أنزل على حكم الكتاب : اعلم أن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين وخلقه بالعفو والمعروف ، كما ورد في الكتب السابقة من قوله تعالى : وأجعل العفو والمعروف خلقه ، وبذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم^٢ أنه قال^٣ :
أوصاني ربي من غير ترجان ولا واسطة بسبع خصال : بخشية الله في هـ
السر والعلائية ، وأن أصل من قطعني . وأصفح عن ظلمي ، وأعطى
من حرمي ، وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ، ونظري عبرة .
فكان فيما أوصاه به ربه تبارك وتعالى من غير ترجان ولا واسطة أن
يصل من قطعه ويصفح عن ظله ، ولا أقطع^٤ له ممن كفر به وصد
عنه ، فكان هو صلى الله عليه وسلم - بحكم ما بعث به وجبل عليه ووصى^٥ ١٠
به - ملتزما للعفو عن ظله والوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإكراه
على ترك ذلك والرجوع إلى حق العدل والاقتصاص والاتصاف^٦
المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين^٧ في
مؤاخذتهم^٨ بالحق والعدل إلى جامع شرعته ليوحد فيها نحو ما^٩ تقدم
من الحق والعدل وإن قل ، ولتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله ١٥
وسلم من البعثة بسعة الرحمة [و - ^{١٠}] الفضل ” أن^{١١} الله يأمر بالعدل
والإحسان “ . ” وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم “^{١٢} فمن القرآن
(١) في ظ : وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في
ظ : رضى (٥) في ظ : الاتصاف (٦-٦) من ظ ، وفي الأصل : من مواحيدهم .
(٧) في ظ : ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩ ،
وفي الأصل وظ « و » (١٠) سورة ٨ آية ٣٣ .

ما أنزل على الوجه الذى بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى
 "ادفع بالتي هي أحسن السيئة"^١ و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف
 و اعرض عن الجاهلين"^٢ و قوله تعالى "و لو كنت فظا غليظ القلب
 لانقضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر"^٣
 ٥ و قوله تعالى "فاصفح الصفح الجليل"^٤ و قوله تعالى "فاصفح عنهم
 و قل سلم"^٥ و أصل معناه فى مضمون قوله تعالى "لقد جاءكم رسول
 من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم"^٦ فما كان من المنزل على
 هذا الوجه تعاظدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم
 جبلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر^٧ الأمرين و توافق
 ١٠ الخطابين: خطاب الوصية، و خطاب الكتاب؛ و هذا الوجه [من -]^٨
 المنزل خاص بالقرآن العظيم الذى هو خاص به صلى الله عليه و سلم،
 لم يؤته أحد قبله "و لقد أتيتك سبعا من المثاني و القرآن العظيم"^٩ و من
 القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله فى سنن الاولين و كتب
 المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه فى المؤاخذين و الاكتفاء بوصل الواصل
 ١٥ و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الانتقام من الشارد، و ذلك خلاف
 ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم؛ "فكان صلى الله
 عليه و سلم" إذا أنزل "عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء
 (١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٣ آية ١٥٩ -
 (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) فى
 ظ : لتظاهر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين
 من ظ (١١) فى ظ : نزل .

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه في أخذه
و التزام حكمه فحينئذ يقوم لله به و يظهر عذره في إيمضائه فيكون له
في ' خطاب التشديد عليه في أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما
يتوهمه ' الجاهلون ، فما أنزل إنباء عن مدحه بتوقفه على إيمضاء حكم العدل
و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى ه
" فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا " ^١
و نحو قوله تعالى " اعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين " ^٢ و نحو
قوله تعالى " و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون " ^٣ و مما أنزل
على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على ' الأخذ
بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره في الاقتصار على حكم الوصية ١٠
و حال الجلبة ما هو نحو قوله تعالى " و من يكفر به من الاحزاب فالتار
موعه فلائك في مرة منه انه الحق من ربك " ^٤ و نحو قوله تعالى
" و لو شاء ربك لأمن من في الارض كلهم " ^٥ جميعا افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين " ^٦ و نحو قوله تعالى " فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فستل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥
فلا تكون من الممترين " ^٧ أى لا [تتوقف لطلب الرحمة لهم كما - ']
يتوقف الممتري في الشيء أو الشاك فيه [لا - '] قد علم أنه لا بد لأمته

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .

(٤) سورة ٢٦ آية ٣ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : وفي الأصل : عن .

(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد

من ظ .

من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم وحق كلمة العذاب عليهم وإجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية في المؤاخذة بذنوبهم وإنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم " فكلما اخذنا بذنبه " ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات " الآن وقد عصيت قبل " " لا تركضوا " ارجعوا الى ما اترقتم فيه ومسكنكم " وذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - ولا بد - عن باطله حين لا ينفعه " وحرام على قرية اهلكناها أنهم لا يرجعون " " الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا " لما أبطن تعالى في قلب نبيهم عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، ولما ملأ نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة لأمته : كافرهم ومؤمنهم ومناققهم ، أشار بآي من إظهار مؤاخذتهم وأعلم بكف نبيه صلى الله عليه وسلم عن تألفهم وأحسبه بمؤمنهم دون كافرهم ومناققهم " يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين " وكل ذلك معلوم عنده صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى " سنة من قد أرسلنا [قبلك -] من

(١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ والقرآن الكريم سورة ٢١ آية ١٣ ، وفي الأصل : او (٤) في ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ . (٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ . (٩) زيد بعده في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (١٠) في ظ : احسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ١٧

آية ٧٧ .

رسلنا " سنة الله التي قد خلت من قبل ^١ " ، " فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
 [٥ - ٢] من قبل " ، " كذاك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
 وقد خلت سنة الاولين ^٢ " . و لذلك قال صلى الله عليه وسلم حين أنزل
 عليه " فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ^٣ " : أما أنا فلا أشك ولا أسأل ،
 لأنه قد علم جملة أمر الله في أن منهم من يتداركه ^٤ الرحمة ومن يحق ^٥
 عليه كلمة العذاب ، ولكنه لا يزال ملتزما لتألفهم واستجلاهم حتى
 يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو - ٦] قوله تعالى " عبس وتولى
 ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنبه الذكري اما من
 استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى وهو
 يخشى فانت عنه تلهي كلاً انها تذكرة فمن شاء ذكره ^٨ " ونحو قوله ١٠
 تعالى " ما كان لبي ان يكون له اسرى يشخن في الارض تريدون
 عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لو لا كتب ^٩ من الله
 سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله
 ان الله غفور رحيم ^{١٠} " ، فهذه الآي ونحوها يسمعها العالم بموقعها ^{١١} / على
 إكراه لبي الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبي - ١٢] الملحمة من جملة ١٥
 أمداح القرآن له و الشهادة له بوفائه بعهد [و - ٧] وصية حتى تحقق ^{١٢}
 له تسميته بنبي الرحمة ثباتا على الوصية ونبي الملحمة إمضاء في وقت

(١) سورة ٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة . وآية ٧٤ (٣) سورة ١٥
 آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) في ظ : تداركه (٦) في ظ : تحقق (٧) زيد
 من ظ (٨) سورة ٨٠ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) في ظ : بموقفها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه
 زيادة . إلى « قبله (١٣) في ظ : يحقق

لحكم الحق وإظهار العدل ، فهو صلى الله عليه وسلم بكل القرآن ممدوح
وموصوف بالخلق العظيم 'جامع لما تضمنته كتب الماضين وما اختصه الله
به من سعة القرآن العظيم' ، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية والكتاب
في محكم الخطاب ؛ والله سميع عليم - انتهى .

٥ ولما فاته صلى الله عليه وسلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما
في الضمائر يصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال :
(لا يستأذنك) أى يطلب إذنك ' بغاية الرغبة فيه (الذين يؤمنون بالله)
أى يحددون الإيمان كل وقت حقاً من أنفسهم بالملك الذى له صفات
الكمال (واليوم الآخر) أى الذى يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب
١٠ (ان) أى فى أن (يجاهدوا باموالهم و أنفسهم) بل يبادرون
إلى الجهاد عند إشارتك إليه ٢ و بعثك عموماً عليه فضلاً عن أن
يستأذنوك فى التخلف عنه ، فإن الخلف من المهاجرين و الأنصار كانوا
يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه وسلم أبداً فى الجهاد فإن ربنا ندبنا إليه
مرة بعد مرة فأتى فائدة الاستئذان ! و لنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ،
١٥ و كانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالتمعود شق عليهم كما وقع
لعلى رضى الله عنه فى [غزوة - ٤] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ! ولما
كان التقدير : فن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله . عطف عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ لحذفناها (٣) من ظ ، وفى الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليهم ﴾ بالمتقين ٥ ﴿ أى الذين ﴾ يخافون الله كلهم .

ولما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه الحصر تأكيداً لتحقيق ٢
صفة العلم بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منفياً عن المؤمنين مرتين ،
ثبت للمناققين على أبلغ وجه ﴿ انما يستأذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف ٥
بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان
﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيماناً مستجمعا للشرائط
﴿ واليوم الآخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً وإن ادعوا
ذلك بألسنتهم .

ولما كانت [هذه - ٥] صفة المصارعين بالكفر ، بين أن المراد ١٠
المناققون بقوله : ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوسوس وتمدت
المشى معها حتى تخلقت بالشك ؛ ولما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن
الفطرة وسوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى قسب عن ذلك أنهم
﴿ فى ريبهم يترددون ٥ ﴾ أى بين النقي والإثبات دأب ٦ المنحير لا يجرمون
بشيء منهما وإن صدقوا أن الله موجود فإن المشركين يصدقون بذلك ١٥
ولكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، وليس استئذانهم فى أن يجاهدوا
لإرادة الجهاد بل توطئة لأن ٧ يقولوا ٨ إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى
هذا الوقت فائذن لنا فى التخلف حتى نستعد ٩ وقد كذبوا ، ما ذلك بهم ،

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقيق (٤) سقط من ظ (٥) زيد
من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ :
يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿ ولو ارادوا الخروج لاعدوا له ﴾
 أى قبل^١ حلوله ﴿ عدة ﴾ أى قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكراع
 بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع
 الأمر به فى الانفصال فيكونون^٢ كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين
 ه فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿ ولكن ﴾ لم يريدوا ذلك قط
 فلم يعدوا له عدة ، فلما أمرت به شرعوا يعتلون^٣ بعدم العدة وما ذاك بهم ،
 إنما مانعهم كراهتهم للخروج وذلك بسبب أن^٤ ﴿ كره الله ﴾ أى
 ذو الجلال والإكرام بأن فعل [فعل - °] الكاره فلم يرد ﴿ انبعاثهم ﴾
 أى سيرهم معك^٥ مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له
 ١٠ ﴿ قبطهم ﴾ [أى - °] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حجب
 إليهم من الشهوات وكره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون
 ثوابا ولا يخشون غير السيف^٦ عقابا ، قصروا همهم^٧ الدنية على الصفات
 البهيمية ، فلما استولت^٨ عليهم الشهوات وملكتهم الأنفس الدنيات نودوا
 من قبلها : إلى أين تخرجون ؟ ﴿ وقيل ﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها
 ١٥ ﴿ ائعدوا ﴾ أى عن^٩ جندى لا تصحبهم ، وفى قوله - : ﴿ مع القعدين ه ﴾
 أى الذين^{١٠} شأنهم ذلك كالمريض والزمنى والصبيان والنساء - من التبكيت
 (١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، وفى الأصل : يعملون .
 (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : معه (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : السعف (٨) من ظ ، وفى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
 (١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية و الأنفس الآلية ، و عر بالمجهول
إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالقعود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم
يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة
للإيابا بوجه .

و لما كان كأنه قيل : ما له ثبطهم و قد كنا قاصدين سفرا^١ بعيدا^٢
و عدوا كثيرا شديدا^٣ فتنحتاجون إلى الإسعاد و لو بتكثير السواد
قيل : ﴿ لو ﴾ أى فعل بهم ذلك لأنهم لو ﴿ خرجوا فيكم ﴾ أى و إن
كانوا قليلا^٤ معمرين بجاعاتكم ﴿ ما زادوكم ﴾ أى بخروجهم شيئا من
الاشياء ﴿ الا خبالا ﴾ أى ما أتوكم بشئ زائد على ما عندكم من الاشياء
غير الخبال ، و الاستثناء مفرغ و المستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف^٥
به - هو الشئ ، و ذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج
الناقين ، و الخبال : الفساد ، و هو ينظر على الخداع و الاخذ على غرة
﴿ ولا ارضعوا ﴾ أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن
مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، و عبر بالإيضاع لأنه للراكب و هو
أسرع من الماشى ﴿ خللكم ﴾ أى لأسرعوا في السير ذهابا و إيابا بينكم^٦
في تتبع عوراتكم و انتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالثيمة
و غيرها إن لم يجدوها ، و الإيضاع في السير يكون برق و يكون بأسراع ،
و المراد به هنا الإسراع ، و مادة وضع بجميع تراكيها تدور على الحركة ،
و تارة تكون إلى علو و تارة إلى سفول ، و يلزم ذلك السكون و المحل
القابل لذلك ، و على ذلك يتمشى العضو و العوض ، و عوض الذى هو بمعنى^٧

(١) فى ظ : سفر (٢) من ظ ، و فى الأصل : شديده (٣) فى ظ : قليلين .

الدهر . وضوع الريح و التصويت بالبكاء ، و الضعة لشجرة في البادية ،
و الوضع للطرح في مكان و السير اللين و السريع ؛ و الخلال 'جمع الخلل'
و هو الفرجة^٢ ﴿ ييغونكم ﴾ أى حال كونهم يريدون لكم ﴿ الفتنة ج ﴾
أى بثتبت الشمل و تفريق الأصحاب و تقدم عند " و قتلهم حتى
ه لا تكون فتنة " أنها الخلطة المميلة المحيلة ، أى يريدون لكم الشيء الذى
يصيكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم ﴿ وفيكم ﴾ أى و الحال أنه فيكم
﴿ سمعون لهم^٣ ﴾ أى في غاية القبول لكلامهم اضعف معارفهم وآرائهم .
و ربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم ﴿ والله ﴾ أى الذى أخبركم
بهذا من حالهم وله الإحاطة بكل شيء ﴿ عليهم ﴾ بهم ، فثقوا بأخبارهم .
١٠ هكذا كان الأصل و إنما قال : ﴿ بالظلمين ه ﴾ إشارة إلى الوصف الذى
أوجب لهم الشقاء بمنهم عن موطن^٤ الخير . و تعميما للحكم بالعلم [بهم
و بمن سمع لهم و بكل ظالم^٥] ، و الحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد
بمن يوضع بعيره في أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو في غاية
الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج و التأمل لذلك^٦ حذرا من أن يصيبه
١٥ شيء من تلك الأجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بنية
فسادكم^٦ بدم و وصولكم إلى شيء من مرادكم .

ولما أخبر سبحانه بذلك ، و حث على قبول أخبارهم^٧ بما وصف

(١-١) فى ظ : خلل (٢) من ظ ، وفى الأصل : فرجة (٣) فى ظ : مواطن .

(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٦) فى ظ : فسادهم (٧) فى

ظ : اخباره .

به ذاته الأقدس من إحاطة العلم ، شرع 'يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم
 بأشياء تقدمت مشاهدتها منهم ، فقال معللا لما أخبر به : (لقد ابتغوا)
 أى طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم (الفتنة) أى لتشتيتكم (من قبل)
 أى قبل هذه الغزوة فى يوم أحد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى
 كاد بعضهم أن يفشل وفى المريسيع / بما قال ابن أبى " ليخرجن الاعز ٥ / ٥٠٨
 منها الاذل " وفى غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب فى أخذ
 كنوز كسرى وقصر و الإرجاف بكم فى نقض بنى قريظة وغير ذلك
 كما ' صنعوا قبله فى غزوة قينقاع والنضير فى قصدهم تقوية ' كل منهم
 عليكم وفى غير ذلك من أيام الله التى عكس فيها قصودهم وأنفس جدودهم
 (وقلبوا) أى " ثقلوا كثيرا " (لك الامور) أى التى ' لك فيها أذى ١٠
 ظهرا لبطن باحالة الآراء وتدير المكاييد والحيل لعلهم يجدون فرصة
 فى نقض أمرك يستهزونها أو ثغرة فى حالة يوسعونها ، و امتد بهم الحال
 فى هذا الحال (حتى جاء الحق ') أى الثابت الذى لا مرأى ' فى
 مزاولته بما ' تقدم به وعده سبحانه من إظهار الدين وقمع المفسدين
 (وظهر ' امر الله) أى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال ١٥
 والجمال حتى لا مطمع لهم فى ستره ' (وهم كرهون ه) أى لجميع
 (١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : بقونه (٤-٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥-٥) تقدم ما بين الرقيين فى ظ على " وقلبوا " (٦) فى
 ظ : الذى (٧-٧) فى ظ : ان الامور (٨) فى ظ : إصرام (٩) فى ظ : بما .
 (١٠) من ظ ، وفى الأصل : سره .

ذلك فلم يبق لهم مطمع في محاولة بمواجهة ولا^١ مخاتلة فصار همهم^٢
 الآن الاعتزال والمبالغة في إخفاء الأحوال وستر الأفعال والأقوال .
 ولما أجملهم في هذا الحكم ، وكان قد أشار إلى أن منهم من كان
 قد استأذن في الخروج توطئة للاعتذار عنه ، شرع يفصلهم ، وبدأ المفصلين
 ٥ بمن^٣ صرح بالاستئذان في القعود فقال عاطفا على^٤ : ” لقد ابتغوا “ :

(ومنهم من يقول) أى في جبلته تجديده هذا القول من غير احتشام
 (ائذن لى) أى فى التخلّف عنك (ولا تفتنى) أى تكن سبياً فى
 فتى بالحزم بالأسر بالنفر^٥ فأفتن إما بأن أتخلف فأكون مصارحاً بالمعصية
 أو أسافر فأميل إلى نساء بنى الأصفر فأرتد عن الدين^٦ فانه لا صبر لى
 ١٠ عن النساء ، وقاتل ذلك هو الجد بن قيس ، كان من الأنصار منافقاً .

ولما أظهرنا أنهم قصدوا البعد من شىء فاذا هم قد ارتكبوا فيه ،
 انتهزت فرصة^٧ الإخبار بذلك على أبلغ وجه بادخال ناف على ناف
 لتحصيل^٨ الثبوت الأكيد باقرار المسؤول فقيل : (الا فى الفتنة سقطوا)
 أى بما قالوا و فعلوا ، فصارت ظرفاً لهم فوضعوا أنفسهم بذلك فى جهنم ،
 ١٥ [و - ٩] فى التعبير بالسقوط دلالة على انتسابهم فى أشراك الفتنة انتساباً
 سريعاً بقوة فصار يعسر خلاصهم معه (وان جهنم لمحيطة) أى بسبب إحاطة
 الفتنة - التى أسقطوا^{١٠} أنفسهم فيها - بهم ، وإنما قال : (بالكافرين)

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : همهم (٣) فى ظ : بمن (٤) سقط من ظ (٥) فى
 ظ : بالسفر (٦) من ظ ، وفى الأصل : الدنيا (٧) من ظ ، وفى الأصل :
 مقصه - كذا (٨) فى ظ : ليحصل (٩) زيد ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ ،
 وفى الأصل : سقطوا .

تعمياً و تنبيها على الوصف الذى حملهم على ذلك .

ولما كان كأنه قيل : ما الفتنة التى سقطوا فيها فأحاطت بهم جهنم
بسيها ؟ قيل : ﴿ ان ﴾ أى هى كونهم أن ، ويجوز أن يكون ' علة
لإحاطة جهنم بهم ، [وكأنهم - لاجل أنهم من الأوس و الخزرج فالأنصار
أقاربهم - خصوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعداوة و شديد الحق ، وكذا ه
أيضا كان لا يسوءهم و يبرهم من الحسنة و السيئة إلا ماله وقع - بما أذن
به التعبير بالإصابة دون المس - لا ما دونه ، حفظا لقلوب أقاربهم ورعا
لأسرار نسائهم ، فقال إشارة إلى ذلك - ٢] : ﴿ تصبك ﴾ أى بتقدير
الله [ذلك - ٢] ﴿ حسنة ﴾ أى ٢ بنصر أو غيره ﴿ تسؤم ج ﴾ أى لما فى
قلوبهم من الضغن و المرض ﴿ و ان تصبك مصيبة ٤ ﴾ أى [نكبة - ٢] ١٠
وإن صغرت كما وقع يوم أحد ﴿ يقولوا ﴾ أى سرورا و تبجحا بحسن
آرائهم ﴿ قد اخذنا امرنا ﴾ أى عصينا الذى أمرنا و لم نسلم قيادنا
لأحد فتكون ٥ كالآعمه ٦ ، لأن الأمر الحادثة و ضد النهى ، ومنه الأمير ،
رجل إمر و إمرة - بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهجزة و تفتح ٧ :
ضعيف الرأى ، يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله ، وهو الآعمه ٨ ١٥

(١) فى ظ : تكون (٢) زيد ما بين الرقين من ظ (٣) زيد فى ظ : بتقدير الله .

(٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : سيئة (٥) من ظ ، وفى الأصل :

فيكون (٦) وقع فى الأصل و ظ : كالآعمه - مقلوبا عما أتبناه ، وليس فى المعاجم

ما ينص على مادته المقلوبة ، والعمه هو فى البصيرة مثل العمى فى البصر كما قاله

ابن الأثير (٧) فى ظ : بفتح (٨) فى الأصل و ظ : الآعمه .

وزنا ومعنى ﴿من قبل﴾ أى قبل أن تكون هذه المصيبة ، فلم تكن مؤتمرين بأمره فيصينا فلم يكن ما أصاب من تبعه ، فكان أمرهم - لو كانوا مطيعين - كان شيئا متحققا يد الأمر ، فلما عصوه كانوا كأنهم قد أخذوه منه .
ولما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة ، فكان جديرا بأن
ه لا يقال^١ ، وإن قيل كان حقيقا بأن يستقال بالمبادرة إلى الرجوع عنه
والاستغفار منه ، أشار تعالى إلى تمامديهم فيه فقال : ﴿ و يتولوا ﴾ أى عن
مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك وإن طال إلى إهاليهم ﴿وهم فرحون ه﴾
أى لمصيبتكم لكفرهم^٢ و لخلاصهم منها .

ولما كان قولهم هذا متضمنا / لتوهمهم القدرة على الاحتراس من
١٥٩ /
١٠. القدر^٢ ، قال تعالى معلما بحوابهم مخاطبا للرأس لعلو المقام : ﴿ قل ﴾
أى إنا نحن لا نقول مقاتلكم لمعرفتنا بأننا لا نملك ضرا ولا نفعا ، بل نقول :
﴿ لن يصينا ﴾ أى من الخير و الشر ﴿ الا ما كتب ﴾ أى قدر ﴿ الله ﴾
أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ، [ولما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن
إن أصابه سراء شكر و إن أصابه ضراء صبر ، عبر باللام فقال -^٤] :
١٥ ﴿ لناج ﴾ أى لا يقدر على رده عنا إلا هو سبحانه ﴿ هو ﴾ أى وحده
﴿ مولناج ﴾ أى القريب منا الذى يلى جميع أمورنا ، لا قريب منا سواه ،
فلو أراد لدفع عنا كل مصيبة لأنه أقرب إلينا منها ، لا تصل إلينا بدون
علمه و هو قادر ، فنحن نعلم أن له فى ذلك لطيف سريرة تتضاهل دونها
ثواقب الأفكار و تخسأ عن الإحاطة بتحقيقها نوافذ الأبصار فنحن
٢٠ لا نتهمة فى قضائه لانا قد توكلنا عليه و فوضنا أمورنا إليه ، و الموكل

(١) فى ظ : لا باقتال (٢) فى ظ : لكفرهم (٣) فى ظ : القدرة (٤) زيد من ظ .

لا يتهم الوكيل ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الأعلى لا غيره ﴿ فليتوكل
المؤمنون ﴾ أى كلهم توكلوا عظيمًا جازمًا لا معدل عنه ، فالفيصل بين
المؤمن والكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقبلها
كيف يشاء^١ ويحكم فيها بما يريد .

ولما تضمن ذلك أن سراءهم وضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى ه
بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى^٢ عليه بالراقة والرحمة ، صرح
بذلك فى قوله : ﴿ قل هل تترصون ﴾ أى تنتظرون انتظارا عظيمًا
﴿ بنأ الآحادى الحسينين ﴾ أى وهى أن نصيب أعداءنا فنظفر ونغم
وتؤجر أو يصيبونا بقتل^٣ أو غيره فتؤجر ، وكلا الأمرين حسن : أما
السراء التى توافقونا^٤ على حسنها فأمرها واضح ، وأما الضراء فوجبة ١٠
لرضى الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ورضاها بها إجلالا له وتسليما
لأمره فهى^٥ حنى كما نعلم لا سوى كما توهمون ﴿ ونحن تترص بكم ﴾
أى نتظر إحدى السوائين وهى ﴿ ان يصيكم الله ﴾ أى الذى له جميع
القدرة ونحن من حزبه ﴿ بعذاب من عنده ﴾ أى لا تسبب لنا فيه كما
أهلك القرون الأولى بصائر للناس ﴿ او بايدينا ﴾ أى بسببنا من قتل ١٥
أو نهب وأسر وضرب وغير ذلك لأن حذرهم لا يمنعكم من الله ، وكل
ذلك مكروه عنكم .

ولما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

(١) فى ظ : شاء (٢) من ظ . وفى الأصل : المقتضى (٣) من ظ ، وفى الأصل :

بعته (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكماً [بهم -] بما أدام^٢ إلى ذلك تخصيصاً لشأنهم فقال :
 ﴿ قَرَّبُوصَا ﴾ أى أنتم ﴿ انا ﴾ أى نحن ﴿ معكم متربصون ه ﴾ أى
 بكم ، تفعل كما تفعلون ، والقصد^٢ مختلف ، والآية^٤ من الاحتياك : حذف
 أولاً الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانياً ، وثانياً إحدى السوامين للدلالة
 ه عليها باثبات الحسينين أولاً .

ولما كان من جملة ما يضييهم منهم من العذاب الإنفاق بتركية
 ما طهر من أموالهم بالإعانة في سبيل الله خوفاً من اتهامهم بالإنفاق في
 أقوالهم ليفتدوا أنفسهم به من السفر ، قال : ﴿ قل انفقوا ﴾ أى أرجدوا
 الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقاً ﴿ طوعاً او كرها ﴾ أى مظهرين الطواعية
 ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ ولما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم ،
 لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿ لن يتقبل منكم ط ﴾ أى يقع تقبل
 لشيء يأتي من قبلكم أصلاً من أخذ له أن يتقبل كائناً من كان ، ولذلك
 بناء للفعول ، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة في الإنفاق ولا في
 غيره ، فانقسام إنفاقكم إلى طوع وكره إنما هو باعتبار الظاهر ، وكأنه
 ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهراً ؛ ولما كان غير مقبول باطنا
 على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿ انكم كنتم ﴾ أى جبلة وطبعاً
 ﴿ قوماً فاسقين ه ﴾ أى عريقين في الفسق بالغين أنهى غايته ه .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 الفصل (٤) زيد بعده في الأصل : مبني ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (ه-ه) تأخر ما بين الرقين في الأصل عن « عبر بالمجرد » والترتيب من ظ .

ولما علل بالعواقب في الخروج عن طاعة، بينه في قوله :

(وما منعهم ان تقبل) أى باطنا ، ولذا عبر بالمجرد ، [ولذا بناه

للفعل لأن النافع القبول في نفس الأمر لا كونه من معين - ٢]

(منهم نفقتهم) أى وإن جلت (إلا أنهم كفروا / بالله) أى الذى

له جميع صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جلاتهم وسوء غرائزهم ٢ . ٥

ولما كان قبول النفقات مهينا للطهارة التى تؤثرها الصلاة ، كان

السباق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه

أدل على الخبث ، فأكد كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل

منهما على حiale مانع فقال : (ورسوله ٦) أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين

وهو السبب المانع بمفرده من القبول : ثم قدح في شاهدهى ما يظهرون ١٠

من الإيمان وهما الصلاة والزكاة وغيرهما من الإنفاق في الخيرات

بما هو لازم للكفر ودال عليه فقال : (ولا يأتون الصلوة) أى المفروضة

وغيرها (إلا وهم كسالى) أى فى حال كسلهم ، لا يأتونها قط بنشاط

(ولا ينفقون) أى نفقة من واجب أو غيره (إلا وهم كرهون ٧)

أى فى حال الكراهة وإن ظهر لكم ٥ خلاف ذلك ، وذلك كله لعدم ١٥

النية الصالحة واعتقاد الآخرة ، وهذا لا ينافى طوعا لأن ذلك بحسب

الفرض أو الظاهر وهذا بحسب الواقع .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : غرائزه .

(٤) فى ظ : تورها (هـ) منى ظ ، وفى الأصل : أكد (٦) فى ظ : رسوله (٧) فى

ظ : لهم .

ولما اتقى عن أموالهم النفع الآخرى الذى هو النفع ، تسبب
 عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها وعدم اعتقاد أن
 فيها بركة ودلالة على خير ، فقال - مينا ما فيها من الفساد الذى يظن
 أنه صلاح : ﴿ فلا ﴾ - بفاء السبب ، فالسباق أبلغ من سياق الآتية بعد
 ٥ النهى عن الصلاة عليهم ' ﴿ تمجيك أموالهم ﴾ أى وإن أنفقوها فى
 سبيل و جهزوا بها الغزاة . فإن ذلك عن غير إخلاص منهم ولا حسن
 نية ولا جميل طوية ، وإنما هو لما أذلم من عزة الإسلام و أخافهم من
 سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب ، وعطف عليها الأولاد لمشاركتها
 [لها - ٢] فى الملاذ والقوة والاستعمال فى الجهاد ، فقال مؤكدا للنفي
 ١٠ باعادة التاني : ﴿ ولا أولادهم ﴾ فكأنه قيل : فماذا يراد باعطائهم ذلك ؟
 ولو منعوها وأعطيا المخلصون لكان قوة للدين ، فقال : ﴿ إنما يريد الله ﴾
 أى يوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن
 [له - ٢] الإحاطة بتام القدرة ، وأبلغ فى الحصر بادخال اللام * فى
 قوله : ﴿ ليعذبهم ﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿ بها فى الحياة ﴾ أى وإن
 ١٥ كان يترأى أنها لذينة ، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت
 فى الحقيقة ﴿ الدنيا ﴾ أى تارة بجمعها وتربيتها وتارة بيذها كرها فى
 سبيل الله أو فى تركيتها وتارة بغير ذلك ﴿ وتزهق ﴾ أى وإنما يريد
 بتكليفهم منها * لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿ انفسهم ﴾
 (١) راجع آية ٨٥ (٢) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : أموالكم (٣) زيد
 من ظ (٤) فى ظ : النفي (٥) سقط من ظ .

أى بسببها (وهم) أى والحال أنهم (كفرون ه) أى عريقون فى الكفر ، وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكثر أموالهم و أولادهم لنحو هذا لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم^١ و حسن حالتهم^٢ فيستمرون عليها^٣ حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل قنتهم و محتهم ، وأما الدين ه فإن القادر بقويه بغير ذلك فيكون^٤ أظهر لدليله و أوضح لسبيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها و خفي عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالمهم^٥ عليها ، و فى الممات بصعوبته عليهم^٦ المشار إليه بالزهوق ، و فى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها^٧ ، و أما المؤمن فلا يموت حتى^٨ يرى من الثواب ما يسليه عن كل شئ فيشتاق إلى لقاء الله و تخرج نفسه و هو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

و لما وضح بهذه الأمور منابذتهم للمؤمنين و خروجهم من ربة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبنا آخر من أحوالهم يقيمونه بالآيمان الكاذبة فقال : (و يحلفون) أى طلبوا لكم الفتنة و الحال أنهم يحددون ١٥

الآيمان / (بالله) أى على ما له من تمام العظمة (أنهم) أى المنافقين (لمنكم^١) أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا (و ما)

(١) فى ظ : لكرمتهم (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : فيتشمرون عليهما .

(٣) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، و فى الأصل : اصح (ه) من ظ ، و فى الأصل :

بانكلاهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم و لكنهم قوم ﴾
 أى مع أن لهم قوة و قيسا ما شديدا فيما يحاولونه ﴿ يفرقون ه ﴾ . أى
 يخافون منكم على دمايتهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجئ لهم إلى
 الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام ، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا
 ه و المبعض لا يعاشر من يبغضه ؟ فقول : لأنهم لا يجدون ما يجمعهم منكم
 ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم
 يمنعونهم منكم ﴿ أو مغرر ﴾ فى الجبال تسعهم ، جمع مغارة - مفعلة من
 غار فى الشيء - إذا دخل فيه ، و الغور : ما انخفض من الأرض .

ولما كانت الغيران - وهى القوب فى الجبال - واسعة و الوصول
 ١٠ إليها سهلا ، قال : ﴿ أو مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة
 لضيقه أو لمانع^٢ فى طريقه أو قوما يدخلونهم و إن كانوا يكرهونهم -
 بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا إليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه
 متولين مرتدين^٣ عنكم على أعقابهم ﴿ و هم يمحون ه ﴾ أى حالهم حال
 الدابة التى كانت مسرعة فى طواعية راكبها فإذا هى قد نكصت على
 ١٥ عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية
 لا يرددها بئر تقع فيه ولا مهلكة^٤ ولا شئ .

ولما قرر حال من يتخلف عن الجهاد ، وربما بذل ماله^٥ فيه اقتداء
 لسفره ، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [و النفاق و يخالفه -^٦]

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 مهلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : مال (٦) زيد من ظ .

فقال : ﴿ ومنهم من يلزك ﴾ أى يعيبك عند مشاكليه على طريق الملازمة
 فى ستر^١ وخفاء أو تظاهر وقلة حياء. ﴿ فى الصدقت ج ﴾ أى الاتى توثيقها
 لاتباعك ، [ولما أخبر عن اللز ، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - ٢] :
 ﴿ فان اعطوا منها رضوا ﴾ أى عنك^٢ ، ﴿ وان لم يعطوا منها ﴾ فاجأوا
 السخط الذى يتجدد فى كل لحظة ولم يتخلفوا عنه أصلاً ، وعبر عن هـ
 ذلك بقوله : ﴿ اذا هم يسخطون هـ ﴾ فوافقوا الأولين فى جعل الدنيا مهمهم ،
 وخالفهم فى أن أولئك أنفقوا ليتمتعوا بالتخلف وهؤلاء طلبوا ليتنعموا
 بنفس المال الذى يأخذونه ؛ قيل : إنها نزلت فى ذى الخويصرة^٣ لما قال
 للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم حنين : اعدل يا محمد ! فأنى
 لم أرك تعدل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ويلك ! ومن يعدل ١٠
 إذا لم أعدل ؟ وسيأتى حديثه .

ولما أخبر تعالى عن حالهم السي^٤ [الدنى - ٢] الذى لا يحديهم
 فى الدنيا ويهلكهم فى الآخرة^٥ ، نبههم على ما هو الأصح^٦ لهم من^٧ الحال
 الشريف السنى فقال : ﴿ ولو انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ رضوا ما^٨ اتهم الله ﴾
 أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ ورسوله ٩ ﴾ الذى عظمت ١٥
 من عظمته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ وقالوا ﴾ أى
 مع الرضى^٩ ﴿ حسبنا الله ﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق .

- (١) فى ظ : شياطينه - كذا (٢) فى ظ : ستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ :
 عندك (٥) واسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٣ / ٨٨ (٦) فى ظ :
 الآخرة (٧-٧) فى ظ : فى (٨) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : بما .
 (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لخذناها .

ولما كانت الكفاية تارة تكون بالتجنيز العاجل و تارة بالوثوق
 بالوعد الآجل ، بين أن الثاني هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال :
 ﴿ سيؤتينا الله ﴾ أى الملك الأعظم بوعده لا خلف فيه واعتقدوا أن
 لاحق لأحد^١ فقالوا^٢ : ﴿ من فضله ورسوله ﴾ أى الذى لا يخالف
 أمره ، [على - ٣] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم :
 ﴿ أنا إلى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده ﴿ رغبون ع ﴾
 أى عريقون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كأننا ما كان .
 أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا .
 ولما أخبر عن لمزهم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم
 ١٠ إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيها - ٣] و بين
 أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكل غيره
 لمزوا أو تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [٠ - بأداة القصر
 على ما ذكر : ﴿ انما الصدقات ﴾ أى هذا الجنس بجميع ما صدق
 من أفراد ، والظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى : إن
 ١٥ الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتداء به ، فقال : ﴿ للفقراء ﴾ أى الذين
 لا شئ لهم أو لهم شئ لا يقع موقعا من كفايتهم ﴿ والمسكين ﴾
 أى الذين لا كفاية لهم بدليل " اما السفينة^٦ " - الآية ، و أما " مسكينا

/ ٥١٢

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ

« و » (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفحتين كاملتين : ٥١٢ و ٥١٣ ، فسدت

هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

دا مرتبة^١، فتقيده دل على أن المطلق بخلافه ﴿والعاملين عليها﴾ أى المؤمنين فى السعاية والولاية على جمعها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ أى^٢ ليسلوا أو يسلم بسبيهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن أنس سعيده رضى الله عنه قال: بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فقسمه بين أربعة وقال: أتألفهم، فقال رجل: ما عدلت^٣ فقال: يخرج من ضئضى^٤ هذا قوم يمرقون من الدين. وفى رواية: فاستأذنه رجل^٥ فى ضرب غنقه فقال: لا، دعه فإن له أصحابا يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم - الحديث. ولئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^٦. ولا يقال: إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فإن عمله بالمقام الحضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبي إلا وله صلى الله عليه وسلم^٧ مثلها أو أعلى^٨ منها بنفسه أو بأحد من أمته.

ولما فرغ من هذه^٩ الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا، كما دل عليه التعبير [باللام، ذكر الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير -^{١٠}] ب «بني»

(١) سورة ٩٠ آية ١٦ (٢) فى ظ: او (٣) والضئضى: الفسل (٤) ورواية البغوى فى العالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامشى لباب التأويل ٣/٨٨. (٥) وهذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - نقل الخوارج (٦) فى ظ: على - كذا (٧) تأخر فى ظ عن «الأصناف» (٨) ما بين الحاجزين زدناه لاستقامة العبارة، وهو أقرب نسج على منوال المؤلف، وقال فى لباب التأويل ٣/٩٢: وهى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال : ﴿ و في الرقاب ﴾ أى و المكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق
 ﴿ و الغرمين ﴾ أى الذين استدانوا فى غير معصية ، يصرف ما يعطونه
 إلى قضاء ديونهم فقط ﴿ و فى ﴾ أى و المجاهدين فى ﴿ سبيل الله ﴾
 أى الذى له الأمر كله بالنفقة و الحمل و الإعانة بالسلاح و غير ذلك ،
 ٥ و نقل القفال^١ عن بعض الفقهاء أنه عمم السيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه
 الخير من تكفين الموتى و عمارة المساجد و نحوها ﴿ و ابن السيل^٢ ﴾
 و هو المسافر المنقطع عن بلده ، يعطى ما يوصله [إليه ، فيه إشارة -^٣]
 إلى أن رسولنا صلى الله عليه و سلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه
 إلا بأمرحقا ، فانا قد عينا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشيء
 ١٠ من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا ، فان كانوا منهم أعطاهم و إلا منعهم
 رضى من رضى و سخط من سخط ، و قد فرض ذلك ، أو ثابته^٤ للفقراء
 حال كونها ﴿ فريضة ﴾ كاتمة ﴿ من الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة
 و علما لعله بأن فى ذلك أعظم صلاح ، وهذا كالزجر عن مخالفة الظاهر
 ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم
 ١٥ بما يصلح الدين و الدنيا و يؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿ حكيم ﴾ أى فهو
 = فيصرفون ذلك فيما شاؤا ، و أما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخلص رقابهم
 من الرق و لا يدفع إليهم و لا يمكنون من التصرف فيه .

(١) و المشهور بالقفال فى الفقهاء الشافعية سعيد بن عمرو النجار و عبد الله بن أحمد
 المروزي و محمد بن على الشافعى و ابنه القاسم بن محمد بن على الشافعى (٢) زدناه لتعديل
 العبارة (٣) فظ : تاييه - كذا .

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان :
 • بما ، [إن - '] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، وإن
 [كانت - '] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط
 الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشيء يقتضى الاختصار
 عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب •
 و التماذى في حبه يوجب الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة
 تذكير المالك له بالمالك الحقيقي في أنه أوجب عليه إخراج طائفة
 منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها
 له و يطهره عن محض الاتفاق في الشهوات ، و من جهة الآخذ
 أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠
 سببان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثانى احتياج
 الآخذ إليه ، فروعى السببان بقدر الإمكان ، و رجع المالك بإبقاء الكثير ،
 و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقال :
 إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى
 الستة الأصناف ، و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥
 صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقيين^٢
 و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال : أبو حنيفة : يجوز
 صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج

(١) زيد من البحر المحيط ٥/٥٧ (٢) في ظ : يعجب (٣) في ظ : البقين - كذا ،
 و المسألة مذكورة في الزكاة من كتاب الأم (٤) في ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون في جميع الأصناف - وهو قول عمر بن الخطاب وحذيفة وابن عباس رضى الله عنهم وسميد بن جبير وعطاء وأبي العالية وميمون بن مهران ' .

ولما بين الصنفين السالفين ، وختم أمرهما بصفتي العلم والحكمة ، أتبعهما بصنف آخر يؤذى بما يجعله نقصا في صفات الرسول صلى الله عليه وسلم فيلزم الطعن في علم مرسله وحكمته فقال : (ومنهم الذين يؤذون النبي) أى الذى أعلى الله مقداره ، فهو ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ ولما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول والفعل ، عطف عليه قوله : (ويقولون هو) أى من فرط سماعه لما يقال له (أذن ')

١٠ و مرادهم أنه يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد - كما سمي الجاسوس عينا ، قال أبو حيان : كان خدام^١ بن خالد وعبيد بن هلال والجلال ابن سويد في آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجلالت : بل نقول ما شئنا فان محمدا أذن سامعة ، ثم نأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، وقيل غير ذلك ، ١٥ يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوى فيه الواحد والجمع^٢ - انتهى . و مرادهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يعرف مكر^٣ من يكر به ويخدع من يخادعه وكذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، ولكنه

(١) راجع البحر ٥٧/ و ٥٨ (٢) وفي البحر المحيط ٥/ ٦٢ : قدام - كذا ، وورد هذا الاسم في المغازي لقواتدى كما في أصلنا - راجع غزوة تبوك من المغازي (٣) وهذا اقول منسوب إلى الجوهرى (٤) في ظه : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح ، لا يليق بمحاسن الدين غيرها ، بينها تعالى بقوله :
 ﴿ قل اذن خير ﴾ ثم بين [أن - ١] نفع ذلك عائد إليهم بقوله : ﴿ لكم ﴾
 ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يؤمن ﴾ أى يوقع الإيمان لللائكة الذين يأتونه
 عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفا ﴿ بالله ﴾ أى بسبب ما يخبرونه
 عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥
 والإكرام ؛ وحاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف
 وانتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت و أتى بصلة تدل عليها كما قالوا
 في قوله تعالى ” ولتكبروا الله على ما هضركم “ أن التقدير : حامدين على
 ما هدياكم ، فالتقدير هنا : يؤمن مصدقا بالله ، فهذا حقيقته . وهو يشعر بحجة
 المؤمنين ولايتهم ، ولذا أتبعه قوله : ﴿ و يؤمن للمؤمنين ﴾ أى الراسمين ، ١٠
 يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم فى كل ما يخبرونه به مما
 يحتمل التصديق ، وذلك لأجل مصالحهم والتأليف بينهم مع ما ثبت
 من صدقهم ، فانه لو حملهم على عقله ومبلغ علمه يحجه الكاذب وعاقب
 الخائن بمجرد علمه وتفرضه ، لقصرت عن ذلك غالب الافهام و تاهت
 بسببه أكثر الأوهام . ففرت القلوب و وقع من الاغلب الاتهام . ولما ١٥
 كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقضى للأمر
 والنهى عدى بالباء ، وهنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأى شئ
 كان عدى باللام وأشير - بقصر الفعل - هو متعد - إلى المبالغة فى التصديق
 بحيث كأنه لا تصديق [/ ٢ غيره .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) ومن هنا استأنف الأصل .

و لما بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراشخين في
الإيمان ، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو في الظاهر فقال : ﴿ ورحمة ﴾
أى و هو رحمة ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بالسنتهم ﴿ منكم ﴾ -
فهو - والله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من في حكمهم من جزم لسانه
٥ و قلبه من الزل ، أى أن إظهار تصديقهم قبولاً لما ظهر منهم و ستر قبائح
أسرارهم سبب للكف عن دمائهم ، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان
ذلك سبباً لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان بتأدى الزمان ،
ولا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير
باسم الفاعل ، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه :
١٠ الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان
و ترديه فى درك الكفران : اعلم أن الله محيط بكل شئ خلقاً و أمراً
أولاً و آخراً ظاهراً و باطناً و هو حمدة ، وله علو فى ظهور أمره
و كبر خلقه ، و احتجاب^١ فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من
حكمته و أسباب هداه و فتنه . و ذلك 'علو هو إلهيته ، و الاحتجاب
١٥ 'هو ملكه ، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأيد كل أمر من الأمرين
لما أقيم له ، و ذلك هو ربانيتها^٢ و لكل فتق من خلقه و أمره رتق
سابق ، و لكل تفاوت سواء ، و ذلك هو^٣ رحمانيته ، و لكل أقرب
فى مدد الحجاب اختصاص ؛ ذلك هو رحيميته ، و لكل أبعد فى مدد
(١) من ظ ، و فى الأصل : احتجاب - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من
ظ (٣) زيد فى ظ : فى .

الحجاب بطش منه شديد في رده إلى القرب و تلك هي نعمته ، ولكل
من تنزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص ، ولكل أمر خلق ، يرد
يان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قربه و محل
بعده ، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له في جميع أمره و تفصيله ،
و أنزل القرآن بناء على^١ جملة ذلك ، فأردأ الأحوال لهذا المستخلف^٥
المحل الذي سمي^٢ فيه بالإنسان ، وهو حيث أنس بنفسه و غيره و نسي
عهد ربه ، فيرد لذلك بناؤه بالذم في القرآن ” قتل الانسان ما اكفره^٣ “ ،
” ان الانسان لربه لكنود^٤ “ ثم المحل الذي تداركه فيه تنبيه^٥ لسماع
الزجر من ربه ، وهو له بمنزلة سن الميز لابن سبع ، و لا يقع إلا عن
اجتماع و تراء ، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم ، أى ترددهم^{١٠}
بين سماع الزجر من ربه و غلبة أهوائهم عليهم ، فيرد لذلك بناؤهم
بذم أكثرهم في القرآن ” ولكن أكثر الناس لا يعلمون - ولا يشكرون “
ثم المحل الذي يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق ،
لكههم يتزلزلون^٦ عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة ، وهو
لهم بمنزلة سن المختلم الذي قد ذاق طعم بدو النطفة من باطنه الناجم^{١٥}
العقل للنظر في حقائق المحسوسات ، و ذلك هو السن [الذي يسمون-^٧]
فيه ” الذين آمنوا “ و هو أول سن التلقى ، فلذلك جميع^٨ آداب القرآن

(١) من ظ ، و في الأصل : عن (٢) في ظ : يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧ .

(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ ، و في الأصل : تنبيه (٦) في ظ : يتزلزلون .

(٧) زيد من ظ (٨) في ظ : جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : ' إذا سمعت الله عز وجل [يقول - ٢] " يا أيها الذين آمنوا " فأعرها^٢ سمعك فانه خير بأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب " الذين آمنوا " لم يصل إليه الناس ه بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه " الذين آمنوا " لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد ائتمروا بما يأتمر به الناس ؛ و هذه الأسنان الحالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب في ١٠ الأحوال و البيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن " الذين آمنوا " من سن " الذين يؤمنون " و هم في أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن " الذين آمنوا " و " الناس " في مدد حد البعد و لذلك مخاطبون بحرف ' يا ' المرسلة إلى حد البعد : " يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون ١٥ بالله و رسوله " و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قريبا ، و لذلك لم يرد في القرآن^٣ في خطابهم ' يا ' البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهاال و سن الشيب ، و تمام سنهم " المؤمنون حقا " و كذلك إلى سن " المحسنين " إلى غيب سن " الموقنين " إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أربع ، (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في الأصل وظ : فارعها ، وإعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، و في الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسايح ، يعرفها من تطور فيها ، ويجهلها من نبت سن
قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم ، يهرم ابن آدم و يشيب
منه إثنان : الحرص و الأمل ، فالحرص فقره و لوملك الدنيا ، و الأمل
همه و تعب ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطابها لم يفتح له
الباب إلى فهم القرآن ، و من لم يتضح له نزلات الخطاب لم بين له
خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة ، بين ما على من
كذبه فأذاه من النعمة فقال : (و الذين يؤذون) أى من هؤلاء و من
غيرهم (رسول الله) أى الذى أظهر - وهو الملك الأعلى - شرفه و عظمته
بالجمع بين الوصفين و أعلاه باضافته إليه ، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه ١٠
الاعظم الجامع ، وهو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم
فانما يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلاء .

و لما كان أذاهم مؤلما جعل جزاءهم من جنسه فقال : (لهم عذاب اليم)
ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله ، و أخبر أنهم يخشون على دمائهم
فيصلحون ظواهرهم حفظا لها بالإيمان الكاذبة فقال : (يحلفون بالله) ١٥
أى الذى له تمام العظمة (لكم) أى أنهم ما آذوا النبى صلى الله عليه
و سلم خصوما و لا أولادكم بالخالفة عموما ، و بين غاية مرادهم بقوله :
(ليرضوكم ج) .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فى ظ : لم بين (٢) فى ظ : خواطرهم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم في قلبه
ولكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال : ﴿ والله ﴾
أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد معه ﴿ ورسول ﴾ أى الذى هو
أعلى خلقه ، وبلغ النهاية في تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة
ه الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال : ﴿ احق ان ﴾
أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ ولما كان مناط الإرضاء الطاعة و مدار الطاعة
الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه مجزأه : ﴿ ان كانوا مؤمنين ه ﴾ أى
فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، وذلك إشارة إلى أنهم
إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، وإن خالفوه كان
١٠ قاطعا على كفرانهم .

ولما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكرهه الخزي عند المؤمنين
وبين أن هو الاحق بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك في استفهام
إنكار وتوبيخ مبينا أنهم فروا من خزي منقضى فسقطوا في خزي دائم ،
والخزي : استحياء في هوان ، فقال : ﴿ الم يعلموا ﴾ أى لدلالاتهم على
١٥ الاحق بالإرضاء . ولما كان ذكر الشيء مبهما ثم مفسرا أضخم ، أضمر
للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿ من يحادد الله ﴾ [وهو الملك
الاعظم ، ويظهر المحادة - بما أشار إليه الفك - ٦] ﴿ ورسوله ﴾
أى [الذى عظمت من عظمت ، بأن - ٦] يفعل معهما فعل من يخاصم في
(١) في ظ : الأرضياء (٢) من ظ ، وفي الأصل : محزء - كذا (٣) في ظ : ذكر .
(٤-٤) في ظ : ولما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل :
اصهار (٦) ريد من ظ .

حد أرض فيريد أن يغلب على حد خصمه ، و يلزمه أن يكون في حد غير حده (فان له نار جهنم) أى فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه ('خلدا فيها') أى دائماً من غير انقضاء كما كانت نيتة المحادة ' أبداً ؛ ثم نبه / على عظمة هذا الجزاء بقوله : (ذلك) أى الامر البعيد الوصف العظيم الشأن (الحزى العظيم) .

- ولما علل فعل المستهينين ، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر - ٢]
- أخف منهم نفاقاً بما عندهم مما يقارب التصديق فقال : (يحذر المثفقون) و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيراً لهم من أدنى النفاق فانه يجر إلى أعلاه (ان تنزل) و لما كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر و شدائده ، عدى الفعل بعلى فقال : (عليهم سورة) ١٠
- أى قطعة من القرآن شديدة الانتظام (تنبئهم) أى تحبرهم إخباراً عظيماً مستقصى (بما فى قلوبهم) لم يظهروا عليه أحداً من غيرهم أو أحداً مطلقاً ، و لعل هذا الصنف كانوا يسلفون الأيمان لعلها تشكك بعض الناس أو تخفف عنهم إذا نزل ما يهتكهم ، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدى و يدل على النفاق و يقولون : عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا ، و قال ١٥ بعضهم بعد كلام قالوه : و الله إني لأرانا شر خلق الله و لوددت أنى قدمت فجذلت مائة جلدة و أنه لا ينزل فىنا شيء يفضحنا .

(١) من ظ ، و فى الأصل : المحاكاة - كذا (٢) فى ظ : عظم (٣) زيد من ظ .
(٤) زيد بعده فى الأصل : عليهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحدوثها (٥) من ظ ،
و فى الأصل : يشكك (٦) من ظ ، و فى الأصل : يخفف (٧) فى ظ : نودى .
(٨) فى ظ : ما .

ولما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ ،
قال مهددا: ﴿ قل استهزموا ج ﴾ أى افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿ ان الله ﴾
أى المحيط بكمال العلم و تمام القدرة ﴿ مخرج ﴾ أى كانت له وصف إخراجه
﴿ ما تحذرون ه ﴾ أى إخراجه من قبائحكم ؛ وعن الحسن : كان المسلمون
ه يسمون هذه السورة الحفارة ، حفرت ما فى قلوب المنافقين و أظهرته .

ولما وصفهم بالنفاق ، حققه بعدم مبادرتهم^١ إلى التوبة التى هى
فعل المؤمنين ، و باجترائهم على الإنكار مع كون السائل لهم من بلغ
الغاية فى الجلال و الوقار و الكمال فقال : ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أى و أنت
من يجب أن يصدقه مسؤله عما^٢ أخرجت السورة بما أظهروا بينهم من
١٠ الكفر ، و ذلك حين قال بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه^٣ يفتح
قصور الشام و حصونها^٤ هيهات هيهات ! فأعلمه الله فقال : احبسوا على^٥
الركب ، [فسألهم - °] ﴿ ليقولن إنما ﴾ أى ما قلنا شيئا من ذلك ،
إنما ﴿ كنا نخوض ﴾ أى نتحدث^٦ على غير نظام ﴿ و نلعب^٧ ﴾ أى بما
لا حرج علينا فيه و يحمل عنا ثقل الطريق ، فكأنه قيل : فما ذا يقال لهم
١٥ إذا حلفوا على ذلك على العادة ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم تقريرا على
استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا بإعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع
جاعلا^٨ لهم كأنهم^٩ معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به^٩ يلى^٩ حرف
التقرير ، و ذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته تكذيبا لهم

(١) فى ظ : مبادرته (٢) فى ظ : كما (٣) فى ظ : ان (٤) من تفسير الطبرى ، و فى
الأصل و ظ : حصونه ، و زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ،
و فى الأصل نتحور - كذا (٧) فى ظ : عاجلا (٨) فى ظ : بانهم (٩) فى ظ : على .

في قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، و يانا لما في إظهارك لتصديقهم
من الرفق بهم ﴿ ا بالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ و ائنه ﴾
أى التى لا يمكن تبديلها ولا تخفى^١ على ذى بصيرة ﴿ و رسوله ﴾
أى الذى عظمت من عظمتة وهو مجتهد فى إصلاحكم و تشریفكم و إعلائكم
﴿ كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تستهزون ﴾ .

و لما حقق استهزاءهم ، أتج قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا
فى إثبات العذر ، وهو ما ينفي^٢ الملام ، فان ذلك لا يفنيكم و إن اجتهدتم
لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، و دل - على
أن كفرتم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الجافض تشديدا على من
نكث^٣ منهم تخويفا [له و تحقيقا - ^٤] بحال من أصر [فقال - ^٥] : ١٠
﴿ بعد ايمانكم^٦ ﴾ أى الذى ادعيتموه بألستكم صدقا من بعضكم و نقاقا
من غيره .

و لما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم
أو إصرارهم ، بين أنهم / قسان : أحدهما * مطبوع على قلبه و مقضى^٧
توبته وجه ، و هذا الأشرف^٨ هو المراد بقوله بانيا للفعول إعلاما بأن ١٥
المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾
لأن كلام الملك و إن جرى فى مضار الشرط فهو مرشد إلى تحققه

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٣) فى ظ :
تاب (٤) زيه من ظ (٥) منقطع من ظ (٦) فى ظ : مقتضى (٧) من ظ ، و فى
الأصل : الاشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى والأدنى ﴿ عن طائفة منكم ﴾ أى
 لصلاحيها للتوبة ﴿ تعذب طائفة ﴾ أى قوم ذرو عدد فيهم أهلية
 الاستدارة^٢، وقرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة ﴿ بانهم ﴾ أى
 بسبب أنهم ﴿ كانوا مجرمين ﴾ أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير
 ٥ صفة لهم ثابتة^٣ لا تنفك، فهم غير متأهلين للعفو، وشرح هذه القصة
 أنه كان يسير بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثلاثة^٤
 نفر من المنافقين : اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والآخر يضحك،
 قيل : كانوا يقولون : إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم،
 ما أبعد من ذلك ! وقيل : كانوا يقولون : إن محمدا يزعم أنه نزل في
 ١٠ أحسابنا المقيمين في المدينة قرآن ، وإنما هو قوله وكلامه ، فأطلع الله
 نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال : احبسوا الركب على ، فدعاهم
 وقال لهم : قلتم كذا وكذا ؟ فقالوا : " إنما كنا [نخوض ونلعب "
 أى كنا - °] نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع^٥
 الطريق بالحديث واللعب ؛ قال ابن إسحاق : والذي عني عنه رجل واحد
 ١٥ وهو مخشى^٦ بن حمير الأشجعي ، يقال : هو الذي كان يضحك ولا يخوض
 وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع ، فلما نزلت [هذه - °]
 الآية [تاب - ^٨] ، قال : اللهم ! لا أزال أسمع آية تقرأ ، تقشعر منها

(١) في ظ : منهم (٢) في ظ : الاستداد (٣) في ظ : ثابتة (٤) من ظ و معام
 التنزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٩٦/٣ ، وفي الأصل : ثلاثون .
 (٥) زيد من المعالم (٦) من المعالم ، وفي الأصل : يقطع ، وفي ظ : تقطع (٧) من
 المعالم ، وفي الأصل و ظ : مخشن (٨) زيد من ظ و المعالم .

الجلود، و نحب منها القلوب، اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك ! لا يقول أحد : أنا غسلت أنا^١ كفنت أنا دفنت ، فأصيب يوم^٢ اليامة ، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه . و اهل إطلاق الطائفة عليه تعظيما له و سترأ عليه و تبشيرا بتوبة غيره، و اهل مخشيا كان مؤمنا و لكن كان إيمانه مزولا فلذا عبر هنا بقوله ” اكفرتم بعدد إيمانكم “^٥ و التعبير بذلك أشنع^٣ في الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتماحون بالثبات على أى أمر اختاروه و يتدامون بالطيش، و اهل الجلاس المعنى بالقصة الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره^٤ ممن غنى بها، و ما آمن إلا حين تاب ، فلذا عبر هناك بقوله ” وكفروا بعد اسلامهم “؛ قال أبو حيان : قال ابن^٥ عمر : رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة^{١٠} رسول الله صلى الله عليه و سلم يماشيا و الحجارة تنكته و هو يقول ” اما كنا نخوض و نلعب “ و النبي صلى الله عليه و سلم يقول ” ابالله و آيته “ - الآية .

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه صلى الله عليه و سلم في العسكر - هي في غاية الفساد ، كان^{١٥} ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم ؟ فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم : (المنفقون و المنفقت) أى الذين أظهروا الإيمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : بدر ، و لم تكن الزيادة في ظ و لا في العالم لمخذفها (٣) في ظ : ابشع (٤) في ظ : لغيره (٥) من ظ و البحر المحيط ٦٧ / ٥ ، و في الأصل : ابو (٦) من ظ ، و في الأصل : حالتهم .

و أبطنوا الكفران (بعضهم) و لما كان مرجعهم الجود على الهوى
و الطبع و العادة و التقليد من التابع^١ منهم للتبوع ، قال : (من بعض)
أبى فى صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد ، أمورهم متشابهة فى أحوالهم
و أفعالهم و جميع أحوالهم ، و القصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان
و لذلك بينه بقوله : (يامرون بالمنكر) أى بما تقدم من الخبال^٢ و الإيضاع
فى الخلال و غير ذلك من سبب الخصال (و ينهون / عن المعروف)
أى من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله . ينفون بذلك الفتنة
(و يقبضون أيديهم^٣) أى يشحون فلا ينفقون إلا وهم كارهون .

٥١٨ /

و لما كان كأنه قيل : أما خافوا بذلك من معاملة العقاب ؟ أجاب
١٠ بقوله : (نسوا الله) أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله و لا أمر
لأحد معه ، و يصلح أن يكون غلة لا تقدم عليه ؛ و لما أقدموا على
ذلك ، سبب عنه قوله : (فأنسيهم) أى فعل بهم فعل الناسى^٤ لا
استهان به بأن تركهم من رحمة ، فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته ؛
و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها ، اختصوا بكال الفسق فشرح ذلك فى
١٥ أسلوب التعجب^٥ من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضمحار تعميا و تعليقا
للحكم بالوصف - °] : (ان المنفقين هم) أى خاصة (الفسقون^٦)
أى الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراشحون فى ذلك ، فقد علم
بهذا^٦ أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة .

(١) فى ظ : التابع (٢) فى ظ : الجبال (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى
ظ : التعجب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : بذلك .

ولما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم وكان مقصودهم باظهار الإيمان والاعتذار عن النقائص بتأكيد الإيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين والتجيب طمعا في العيش في أكنافهم وفرقا من المعالجة بما يستحقون 'من إلتافهم' ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم والطرده اللازم ، وجمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما ه بأنهم إن^٢ لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء . فقال : ﴿ وعد الله ﴾ وساقه بصيغة البشارة تهكما بهم وإبلاغا في مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المستأثرين^٣ باعتقادهم ﴿ والكفار ﴾ أى المجاهرين فى عنادهم .

ولما كانوا مجبولين على تبهم المؤمنين والانتقاض عنهم ، وإن أظهروا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار^٤ التى ١٠ من شأنها تبهم أهلها ولقاؤهم^٥ بالعبوسة الزائدة ﴿ لخلدين فيها ﴾ أى لا أبراح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجاوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ ولعنهم الله ﴾ أى طردهم وأبعدهم من رحمته وهو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لأحد معه فأفهم أنه لا^٦ فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال ١٥ بقوله : ﴿ ولهم ﴾ أى بالأميرين ﴿ عذاب مقيم ه ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام و جنوده الكرام الأعلام ، وفى الآخرة بما لا يعلمه حق علمه إلا [الله - ٦]

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : المستأثرين (٤) فى ظ : الدار (هـ) من ظ ، وفى الأصل : القاوهم (٦) زيد من ظ .

الملك العلام .

ولما كان حالهم في الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة والإعراض
عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية
والقرون الماضية، بين لهم ذلك وختم ببيان سوء أحوالهم وقبح مآلهم
ه بتلاشي أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع في باب
العتاب وأقعد في استجلاب المصالح للتاب : ﴿ كالذين ﴾ أى حاصل
ما مضى من أمركم أيها المنافقون أنكم مثل الذين : ولما كان فاعل ما يذكر
إنما هو بعض من مضى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من الأمم
الخالية ، ثم شرع في شرح حالهم وذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوا
١٠ اشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب
﴿ واكثر أموالا واولادا^١ ﴾ وهذا^٢ ناظر إلى قوله " فلا تعجبك أموالهم
ولا اولادهم " ﴿ فاستمعوا ﴾ أى طلبوا المتاع والانتفاع في الدنيا بغاية
الرغبة معرضين عن العقبي ﴿ بخلافهم ﴾ أى نصيبهم الذى قدره الله
و خلقه لهم ، وكان الأليق بهم^٣ أن يبلغوا به في السفر الذى لا بد منه
١٥ إلى الآخرة ﴿ فاستمتعتم بخلافكم ﴾ أى كالمقطفين لآثارهم والقاصدين لآثارهم
﴿ كما استمتع ﴾ وفي الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / ولما كانوا لم يستغرقوا
الزمن الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلافهم ﴾ - ظاهرا غير
مضمرا تنبيه على ذمهم بقلّة النظر لأنفسهم المستلزم لقلّة غفولهم حيث
كانوا دونهم في القوة أبدانا وأموالا و اولادا ولم يكفوا عن الاستمتاع

١٥١٩ /

(١) في ظ : من (٢) في ظ : هو (٣) حقط من ظ .

والخوض

و الخوض خوفا مما يحق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من غير أن ينفعهم سبب^١ من الأسباب (و خضتم) أى ذهبت فى أقوالكم و أفعالكم خطا^٢ على غير سنن قويم (كالذى) أى كخوضهم الذى (خاضوا^٣) و هو ناظر إلى قولهم^٤ ” إنما كنا نخوض و نلعب “، قال أبو حيان : و هو مستعار من الخوض فى الماء و لا يستعمل إلا فى الباطل ه لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب و نظام ، و أمور الباطل إنما هى خوض ، و منه قوله ه رب متخوض فى مال^٥ الله له النار يوم القيامة . و لما آذن هذا النظم لهم بالخسارة^٦ ، حصل التشوف إلى عاقبة أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله : (أولئك) أى البعداء من الخير ، و الظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة و كثرة الأموال و الأولاد ١٠ (حبطت) أى فسدت فبطلت (أعمالهم فى الدنيا) أى بزوالها عنهم و نسيان لذاتها (و الآخرة) أى وفى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها سعيها ؛ و زاد فى التنبيه على بعدهم مما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال : (و أولئك هم) أى خاصة (النخسرون ه) أى لا خاسر فى الحقيقة غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين نخسروا أنفسهم فلا أخسر من ١٥ تشبه [بهم - ^٧] ، و لعل فى الالتفات^٨ إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى تحذير كل سامع من^٩ مثل هذه الحال^{١٠} لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : بسبب (٢) فى ظ : خطبا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : ربما - كذا ، و راجع البحر المحيط ه / ٦٩ (٥) فى ظ : لال (٦) فى ظ : الكسرة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : التفات (٩) فى ظ : فى . (١٠) فى ظ : الحالة .

فان من أسرار القرآن في إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شيء وإشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه^١ بعلّة ذلك الحال أو غير ذلك من الخلال؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالي في آخر عروة المفتاح في بيان تناول كلية القرآن لكلية الآية ولكل قارئ يقرأه من أهل الفهم والإيقان:

ه اعلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن نبأ عن^٢ جميع الأكوان، وأن جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر النبوات والرسالات والخلاقات وأصناف الملوك والفراعنة والطغاة وأصناف الجنّة وجميع ما أصابهم من المثوبات والمثلات في يوم آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ستة آلاف سنة ١٠ ونحوها كل ذلك يتكرر^٣ بمجملته في يوم محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ألف سنة أو نحوها أعداداً بأعداد وأحوالاً بأحوال في خير أو شرف، لكل من الماضين مثل يتكرر^٣ في هذه الأمة الخاتمة [كما قال صلى الله عليه وسلم -]^٤ ولكل نبي قبلي في أمّتي نظير، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم نظراء مثل إبراهيم كآبي بكر، ومثل موسى كعمر، ومثل هارون كعثمان، ومثل نوح كعلي، ومثل عيسى كآبي ذر، وقال صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف النظراء من أمّتي بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم كافرهم ومؤمنهم بمن كان ومن هو كائن ومن سيكون بعد، ولو شئت أن أسميهم لفعلت، فما صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم أن الذي فيه من قصص الأولين وأخبار الثوابين والمعاقبين من أهل

(١) في ظ: ايضاً (٢) في ظ: على (٣) في ظ: متكرر (٤) زيد من ظ (ه) من ظ، وفي الأصل: فما.

الادباني أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [الأخبار و القصص فقط ، كلا
و ليس كذلك] إنما مقصوده - ' [الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة
في هذه الأمة^٢ من نظائر^٣ جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال و الآثار
حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمه منطبقا على هذه
الأمة^٢ و أتمتها هدايتها و ضلالها ، فحينئذ يفتح له باب الفهم و يضيء له ه
نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى في أصناف هذه الأمة ما سمع من
/ أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل في المثل السائر :

٥٢٠ /

إياك أغنى و اسمعى يا جارة^٤

ثم إذا شهد انطباق القرآن على كلية الأمة^٢ فكان بذلك عالما
ينفتح له باب ترقى ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠
على كلية الأمة^٢ منطبقا على ذاته في أحوال نفسه^٥ و تقلباته^٦ و تصرفات
أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فينتفع
بسماع جميعه و يعتبر بأى آية سمعها منه فيطلب^٧ موقعها في نفسه فيجدها
بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريبا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات
أو إلى أنزل الدركات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصوده^٨ التنبيه ١٥
في هذا الفصل جملة ، و لنتخذ لذلك مثالا يرشد^٩ لفهم ذلك
الانطباق على كلية الأمة^٢ علما و على خصوص ذات القارئ السامع
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الآية - كذا (٣) في ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع جمع الأمثال
للبداني (٥) من ظ ، و موضعه في الأصل بياض (٦) في ظ : تطبقاته (٧) في
ظ : فيتطلب (٨) من ظ ، و في الأصل : مقصوده (٩) في ظ : لا ترشد .

عرفانا، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التي لم تترق إلى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين التي جعلتها تحت حياطة الملك و الجزاء و المداينة، الذين تروعههم رائحة الموت أولا ثم رائحة القيامة ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الخمسين التي كل موقف منها ألف من السنين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فعدد هذه الأديان سبعة، ما من دين منها إلا و يوجد^١ في صنف من أصناف هذه الأمة، و تجده المعتبر في نفسه في وقت ما بقله أو كثرة بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن لمخ عين زائل، و هذه الأديان السبعة هي دين 'الذين آمنوا' من هذه الأمة ١٠ و لم يتحققوا^٢ لحقيقة الإيمان فيكونوا^٣ من 'المؤمنين' الذين صار الإيمان وصفا ثابتا في قلوبهم، الموحدين المتبرئين من الحول و القوة، المتحققين لمعناه، إقدار الله عليهم بما شاء لا بما يشاؤون "الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون - اولئك هم المؤمنون حقا"^٤، و أما الذين آمنوا فهم الذين لا يثبتون على حال إيمانهم و لكن تارة و تارة، و لذلك هم المنادون و المنهيون و المأمورون في جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء في السورة الواحدة مرات^٥ عديدة من نحو ما بين قوله تعالى "يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الضديقين"^٦ - إلى قوله تعالى^٧: "يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم

(١) من ظ، و في الأصل: خمس (٢) في ظ: يؤخذ (٣) في ظ: لم تتحققوا.

(٤) في ظ: تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ، و في الأصل:

مراد (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ.

عن دينه^١“ إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا ثم كفروا
ثم امنوا“^٢ فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات
من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل فى الصحة من الأديان الثلاثة^٣
فى نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصرى و الصبئين
من امن بالله و اليوم الآخر“^٤ المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم^٥
والمفترين لدين لم يزل الله به من سلطان فى نحو قوله تعالى ” ان الذين
امنوا و الذين هادوا و الصبئين و النصرى و المجوس و الذين اشركوا“^٦
فهذا هو الدين الأول ؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا و^٧ الذين
منهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون
عرض هذا الأدنى و يقولون : سيفر لنا ، وإن يأتهم عرض مثله^٨
يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ،
و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، و الذين يأكلون
الربا و قد نهوا عنه ، و الذين اتخذوا أجبأرهم و رهبانهم أربابا من دون الله
و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا : إنا نصارى ،
الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا فى دينهم و قالوا على^٩
الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله^{١٠} و المسيح ابن مريم ؛
و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متألهو النجوم عباد الشمس
و القمر و الكواكب و مغيروهم ، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا^{١١}
(١) - سورة ٥ آية ٤٤ (٢) - سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) - سقط من ظ (٤) - سورة ٢
آية ٦٢ (٥) - سورة ٢٢ آية ١٧ .

اسماويا ؛ وأما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا إلهين اثنين :
 نورا وظلمة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ وأما الدين السادس فدين الذين
 أشركوا وهم الذين عبدوا محسوسا^١ أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا
 وهم الصنمية - فهذه الأديان الستة الموفية^٢ لعد الست لما جاء فيه ؛ وأما
 ٥ الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لسته خيرا
 كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهروا مع الذين
 آمنوا وباطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين شركها^٣
 الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا :
 إنا معكم - فهذه الأديان السبعة متكررة بكليتها في هذه الأمة بنحو مما وقع
 ١٠ قبل في الأمم الماضية ، وهو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك في
 قوله صلى الله عليه وسلم : لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا
 بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل في
 حجر ضب^٤ لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس والروم ؟
 قال : فهل الناس إلا هم ، وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
 ١٥ هو من مضمون قوله تعالى ” كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
 وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
 الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا “ ، وأهل هذه الأديان
 السبعة هم - أو منهم - عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، والناجون

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) في ظ : التوفية (٣) في ظ : شركها .

(٤) في ظ : ما (هـ) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٢٢٧ ، وفي الأصل : الضب .

بالكلية الفائزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين والموقنين ، ومزيد
تفصيل في ذلك و تثنية قول بما ينه^١ عليه بحول الله تعالى من جهات
تتبع^٢ طوائف من هذه الامة^٣ سنن من تقدمهم في ذلك ، أما وجه
تكرار دين الذين أشركوا في هذه الامة^٤ فباتخاذهم أصناما وآلهة يعبدونها
من دون الله محسوسة مجادية كما اتخذ المشركون الأصنام والأوثان من
الحجارة والخشب ، واتخذت هذه الامة^٥ بوجه أطف^٦ وأخف أصناما
وأوثانا . فانها اتخذت^٧ الدينار والدرهم أصناما والسبائك والنقر أوثانا
من حيث أن الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة ؛ قال صلى الله
عليه وسلم : صنم أمي الدينار والدرهم ، وقال صلى الله عليه وسلم :
لكل أمة عجل وعجل أمي الدينار والدرهم . فلا فرق بين ظن المشرك^٨
أن الصنم الذي صنعه يده ينفعه وظن المفتونين من هذه الامة^٩ أن
ما اكتسبوا من الدينار والدرهم^{١٠} ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك^{١١}
إلا درهمك ” يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم^{١٢} ” فإ من آية نزات في المشركين في ذكر أحوالهم وتبين
ضلالهم وتفاصيل سرهم^{١٣} وإعلانهم إلا وهي منطبقه على كل مفتون^{١٤}
بديناره ودرهمه ، فوقع قول المشركين في أصنامهم ” ما نعبدكم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى ”^{١٥} مثله موقع نظيره من قول المفتون : ما أحب ألامال إلا لأعمل

(١) في ظ : بينه (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتبع (٣-٢) سقط ما بين الرمين من

ظ (٤) في ظ : اللطف (٥) في ظ : اتخذ (٦) في ظ : الدراهم (٧) في ظ : ما ينفعك .

(٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٣ .

/ ٥٢٢

الخير وأستعين به على وجوه البر، ولو أراد البر لكان ترك التكسب
 والتمول له^١ أبر؛ قال صلى الله عليه وسلم: إنما أهلك من كان / قبلكم
 الدينار والدرهم وهما مهلكاكم. فكل من أحبهما وأعجب بجمعهما فهو
 مشرك هذه الأمة وهما لاته وعزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله
 لأنه تأله ماله^٢؛ قال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله نجاة لعباد الله
 من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم^٣ على دينهم، فمن وجد من هذا
 مسة^٤ فليسمع جميع ما أنزل في المشركين من القرآن منطبقا عليه^٥
 ومنزلا إليه وحافا به حتى يخلصه^٦ الله من خاص شركه كما خلاص من
 أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين، فتخلص^٧ هذا المشرك بما
 ١٠ له من ظلمته التي غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان في مضمون
 قوله تعالى "ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور"
 فهذا وجه تفصيل يبين^٨ نحوا من تكرار دين الشرك في هذه الأمة، وأما
 وجه وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الأمة^٩ فاطباق الناس على رؤية
 الأفعال من أنفسهم خيرها وشرها وإسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث
 ١٥ استحكمت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى
 و فلانا يمنع و فلانا خير منى و فلانا أعطاني، حتى ملأوا الدواوين من
 الأشعار والخطب والرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا وذما لهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: باله (٣) في ظ: دينارهم (٤) من
 ظ، وفي الأصل: شبهة (٥) من ظ، وفي الأصل: عليهم (٦) في ظ: ينحصر.
 (٧) في ظ: فيخلص (٨) - سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ، وفي الأصل: بياض.
 (١٠) من ظ، وفي الأصل: الآية.

على ما لم يمنحوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله
و يلحدون في أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض ه سیدی وسندی و أسنی
عُدی عبدك و مملوكك ، يیطلون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية
خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا
و عاقبنا - كلمة تمرودية ، [آناهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ه
كالذي حاج إبراهيم في ربه - ٢] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا
أحيي و أميت ، و هذه هي المجوسية الصرف و القدرية المحضة التي لا يصح
دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه " أسلمت وجهي لله
و من اتبعن ٢ " ، " الا له الخلق و الامر ٤ " و ما سوى ذلك قدرية
[و - ١] هي مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب ١٠
و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا
أن التقدير منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛
قال صلى الله عليه و سلم : القدرية مجوس هذه الأمة ، فكل ما أنزل الله
عز و جل في القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان بما عزاها لمن
وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذي فرعة أو تمرودية أو ذي ١٥
سلطان فللمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم
في الذين زعموا أنهم فيهم شركاء نخافهم و رجوهم ، فكل ٦ خائف من
الخلق أو راجع منهم ٧ من عداد الذين آمنوا و الذين أسلموا في هذه الأمة
(١) في ظ : استدى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢. (٤) سورة ٧ آية ٥٤ .
(٥) من ظ ، و في الأصل : المقدور (٦) في ظ : ذلك (٧) في ظ : فهم .

فهم من مجوس هذه الأمة ؛ فليسمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة عليه ليسأل الله تعالى التخلّص منها ؛ ليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه وإن كان لم يشعر به قبل ؛ فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الأمة ، [وأما وجه وقوع الضائقة ونظيرها في هذه الأمة - ٢] فما غلب على أكثرهم وتخصّوها بملوكها وسلاطينها ودور الرئاسة^١ منها من النظر في النجوم أو العمل [بحسب - ٣] ما تظهره هيئتها عندهم من سعد ونحوه والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الأنواء وإقبال القلب على الآثار الفلكية قضاء بها بحكما بحسب ما جرى عليه الخليون الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمّتي هم كفروا ليسوا بتاركين -

فذكر منها الاستمطار بالنجوم ، / فالمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية / هم ضائقة هذه الأمة ، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم بأنفسهم وغيرهم من الخلق هم مجوس هذه الأمة ؛ وكما أن المتعلق بشوقهم ورجاؤهم بذرهمهم ودينارهم هم مشركو هذه الأمة ؛ وما انطوى [عليه - ٢] سر كل طائفة منهم مما يتعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي إليه تصرّف جميع أعمالهم ، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه ؛ فنكل ما أنزل في القرآن من تزييف آراء الضائقة فهو حجة عليه

(١) من ظ ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الرأي (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ .

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن وهو
 نذير لهم بين يدي عذاب شديد وهم لا يشعرون ويحسبون أنهم يرحمون^١
 به وهم الآخرون^٢ "ولا يزيد الظالمين الا خسارا"^٣ فما يختص بهذه
 الطائفة المتصبة ما هو نحو قوله تعالى "وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
 السموات والارض وليكون من الموقنين"^٤ - الآيات في ذكر الكوكب ٥
 والقمر والشمس إلى آيات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى "وهو
 الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر والشمس والقمر
 والنجوم مسخرات بامره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين"^٥، "وهو
 الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
 السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق"^٦ "وانه هو رب اشعري"^٧ ١٠
 كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق ورجاءهم عن الافلاك والنجوم
 المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذى استوى على جميعها، فهذا
 وجه من وقوع الصابئة فى الذين آمنوا والذين أسلموا فى هذه الأمة،
 وأما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها وفشا فى أعمالها
 وأحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود والنصارى ١٥
 فى اختلافهم وغلبة أحوالهم - ملوكهم وسلاطينهم - على أحوال أنبيائهم
 وعلماهم وأوليائهم فهو الذى حذرته هذه الأمة وأشعر أولو الفهم

(١) من ظ، وفى الأصل: ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥
 (٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ايعلموا، وراجع سورة ١٠
 آية ٥ (٧) سورة ٣٠ آية ٤٩ .

بوقوعه فيهم بنحو ما في مضمون قوله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا
 واختلفوا من بعد ما جاءهم اليُسُت" وما أنبأ به صلى الله عليه وسلم
 "لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
 جحر ضب لاتبعتموهم" وفي بعض طرقه "حتى لو كان فيهم من أتى
 أمه جهارا لكان فيكم ذلك، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟
 قال: فن! وإنما قوى وكثر في هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاها
 الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالأغراض والآهواء
 وإيثار عرض الدنيا، وسامحوا الملوك والولاة وحلوا لهم ما حرم الله
 وحرّموا^١ لهم ما حلل الله، وتوصلوا بهم إلى أغراضهم في الاعتداء على
 ١٠ من حسدوه من أهل الصدق والتقوى، وكثر البغى بينهم فاستقر حالهم
 على مثل حالهم، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، وتماذى ذلك
 فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها وتصير
 الملل كلها ملة واحدة ويرجع الاقتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من
 اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا
 ١٥ مختصا من ظاهر أو باطن ولم يجمع بينهما في علمه وحاله وعرفانه فهو
 بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقيمين
 لظواهر الأحوال الظاهرة التى بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك
 الوقت وسلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر^٢، المنكرين لأحوال
 / ٥٢٤
 أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجائهم بأهل الدنيا، المؤثرين
 ٢٠ لعرض هذا الأدنى، فهذا ظهرت أحوال اليهود في هذه الأمة، مر

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) فى ظ: حللوا (٣) من ظ، وفى الأصل: البرابر.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه وسلم بسدره خضراء^١ نضرة، وكان
 لأهل الجاهلية سدره يعظمونها ويجمعون عندها وينيطون بها^٢ أسلحتهم
 ويسمون ذات أنواط فقالوا^٣ : يا رسول الله ! اجعل لنا هذه السدره
 ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! فقال صلى الله عليه وسلم : قلتموها
 ورب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ! إنها ه
 السنن^٤ . فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي والحسد وتعظيم ما ظهر
 تعظيمه من حيث الدنيا واستحقار ضعفاء المؤمنين فهناك أعلام اليهودية
 ظاهرة، وكذلك^٥ أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن
 من إصلاح حال أو قلب مع^٦ تضييع ظاهر الأمر وجامع الخير وتعاضد
 الإسلام واكتفى بما استبطن وتهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه ١٠
 الأمة ، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن ، وذلك
 أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام^٧ ظاهرة وشعار^٨ إيمان في القلوب
 وأحوال نفس باطنه وحقائق إحسان شهودية ، لا يشهد المحسن مع الله
 سواء ولا يؤمن المؤمن مع الله بغيره ، ولا يخضع المسلم إلى شيء من
 دونه ، فبذلك يتم ، وقد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة ، ١٥
 والتزم بشعار الإيمان طوائف يسمون الأصوليين والمتكلمين ، وتراعى
 إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة ، فتي كان المتفقهة^٩ منكرا لصدق
 (١) في ظ : خضرة (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : قالوا (٤) وراجع أيضا مسند
 الإمام أحمد/ ٢١٨ حيث سيقّت هذه الرواية عن أبي واقد الليثي (٥) في ظ : لذلك .
 (٦) في ظ : من (٧-٧) في ظ : ظاهر وسائر (٨) في الأصل : المنفعة ، وفي ظ :
 المنفعة - كذا .

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل في أحوال المتصوفة فقد تسن^١
 بسنن اليهودية ، ومتى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل
 في أحوال المتفقهة فقد تسن بسنن النصارى ، وكذلك^٢ حال المتكلمين
 الفرقتين لآيهما^٣ مال ، وإنما آئمة الدين الذين^٤ جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام
 ٥ وإيمان أهل الإيمان وشهود أهل الإحسان^٥ ، تلين جلودهم وقلوبهم الى
 ذكر الله فتآتم بهم الصوفية ، وتظهر أنوار قلوبهم على ظلم المشابهات
 فيآتم بهم أهل الإيمان ، وتبدو في أعمالهم معالم الإسلام تامة فيآتم
 بهم أهل الإسلام ، ”عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وإذا
 خاطبهم الجاهلون قالوا سلما“ ،^٦ وأفضل الناس مؤمن في خلق حسن
 ١٠ وشر الناس كافر في خلق سيئ^٧ ، فأولو الفرقان جامعون ومستبصرون
 فمن اقتصر على ظاهر وأنكر باطنا لزمته مذام اليهود فيما أنزل من
 القرآن فيهم بحسب توغله واقتصاره ، ومن اقتصر على باطن دون
 ظاهر لزمته مذام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم ؛ يذكر أن رجلا
 من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها : دلتى على موضع
 ١٥ طاهر أصلى فيه ، فقال الراهب : طهر قلبك^٨ بما سواه وقم حيث شئت ،
 قال ذلك الصالح المسلم : فنجلت منه ، فاعلم أن كل واحد من هذين
 الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن^٩ ، لأن صاحب
 القرآن لا ينجل لهذا القول لأنه جاله ، وقلبه مطهر بما سوى الله ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لذلك (٣) من ظ ، وفي الأصل : لأنها :

(٤-٥) سقط ما بين الرقمن من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) في ظ : قلب .

ومنع ذلك لا بد أن يتظف ظاهره ، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن
 فيجب صفاء الباطن فاه الظاهر يحب صلاح الظواهر ، فصاحب
 القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجاب ولم يتلصص^١ وإذا دعى إلى
 صلاح ظاهر أجاب / ولم يتلكأ^٢ لقيامه بالفرقان وحق القرآن ، يذكر
 ٥٢٥ / أن مالكاً رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع
 بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي : يا شيخ ! قم فاركع ، فقام وركع
 ولم يحتاجه بما يراه مذهبا . فقيل له في ذلك فقال : خشيت أن أكون من الذين
 إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون^٣ ، ووقف النبي صلى الله عليه وسلم
 على نقابة زمزم وقد صنع العباس رضي الله عنه أحواضا من شراب
 فضيغ التمر والمسلمون يردون^٤ عليه وقد خاضوا فيه بأيديهم ، فأهوى^٥
 النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من شرابهم ، فقال له العباس رضي الله
 عنه : يا رسول الله ! ألا نسقيك من شراب لنا في أسقية ؟ فقال صلى الله
 عليه وسلم : أشرب من هذه ألتمس بركة أيدي المسلمين ، فشرب منه
 صلى الله عليه وسلم . فصاحب القرآن^٦ يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه
 لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر ، ولا على أول^٧
 دون آخر ولا على آخر دون أول ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أمتي كالمطر
 لا يدري أوله خير أم آخره ، فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه
 ويلحظ مواضع مذامة^٨ للفرق ويزن به أحوال نفسه من هذه الأدبان

(١) في ظ : لم يعلم (٢) في ظ : لم يتكلا (٣) سورة ٥٧ آية ٨ ؛ (٤) من ظ ،
 وفي الأصل : يرون (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : يلحق (٧) من ظ ، وفي
 الأصل : مذامة .

السته في هذه الامة، واما وجه وقوع النفاق و احوال المنافقين فهي
 داهية القراء و آفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه وسلم «أكثر منافقي أمتي
 قراؤها» و قال بعض كبار التابعين : أدركت سبعين ممن رأى النبي صلى الله
 عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه . و أصل مداخله على الخلق من
 ٥ إثارة حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز و جل و اغترارا بالناس،
 فيلزم^١ لذلك محاسنة^٢ أولى البر و الصدق ظاهرا و تكريمهم بقلبه باطنا،
 و يتبع^٣ ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم
 و ما بينه^٤ النبي صلى الله عليه وسلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه
 وسلم «بيننا و بين المنافقين شهود العتمة و الصبح لا يستطيعونها» و كما
 ١٠ قال تبارك و تعالى ”لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى و لا ينفقون الا وهم
 كرهون“ ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل و يتعاضى
 عن محاسنهم، كما روى أن الله يبغض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسيئته،
 و المؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل
 المحاسن ! و من أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
 ١٥ مؤمن فيما مضى و لا مؤمن فيما بقى إلا و إلى جنبه منافق يكره عمله، و عن
 ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستقل في مجامع الخير أجنبي
 منها، مستخف في مواطن الشر متقدم فيها^٦، طلق اللسان بالغيبة و البهتان،
 ثقیل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك و تعالى، عيم عن [ذكر -^٧]

(١) في ظ : يلتزم (٢) في ظ : محاسنة (٣) في ظ : نتبع (٤) من ظ ، و في

الأصل : نبه (٥) سورة ٩ آية ٤٤ (٦) في ظ : فيما (٧) زيد من ظ .

الله عز وجل في كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، وهو مع ذلك يضاعفهم ولا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع في الدنيا [ولا يأخذ ما ينفع في العقبى، ويحسب في الدين ما يضر في الدنيا - ١] ولا يمتنع ما يضر في العقبى بما لا يضر في الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياخ النفاق في هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آي القرآن من ٥ نفسه في ذات قلبه وفي أحوال نفسه وأعمال بدنه وفي سره مع ربه وفي علانيته مع خلقه، فانه بذلك يمد القرآن كله منطبقا عليه خاصة به حتى كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب في أمر رغب هو فيه من وجه ولا يقول: هذا إنما أنزل في كذا، وإذا رهب القرآن من أمر رهبه من وجه ما، وإذا أعلى فكذلك وإذا أسفل فكذلك، ولا يقول: هذا ١٠ إنما أنزل في كذا حتى يمد / لكل القرآن موقعا في عمله أي عمل كان ومحلا في نفسه أي حال كان ومشعرا لقلبه أي ملاحظ كان، فيستمع القرآن بلاغا من الله سبحانه وتعالى إليه بلا واسطة بينه وبينه، فعند ذلك يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده أو قلبه انتهاء، وربما يمد من الله سبحانه وتعالى نفع رحمة يفتح له بابا إلى ١٥ التخلق بالقرآن أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم، سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن، وبذلك هو ذو الخلق العظيم - والله واسع عليم - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: يمتنع (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في ظ: فيسمع .

ولما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم في التمتع بالعاجل ، وختمتها
 بهذا الختام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتحويلهم من مشابهمهم فيما حل
 بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغية لأنه أوقع في الهية ، فقال مقررنا
 لخسارتهم : ﴿الم ياتهم﴾ أي هؤلاء الأخابث من أهل النفاق ﴿بنا الذين
 ٥ من قبلهم﴾ أي خبرهم العظيم الذي هو "خدير بالبحث عنه ليعمل" بما
 يقتضيه حين عضوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿قوم نوح﴾ أي
 في طول أعمارهم و امتداد آثارهم و طيب قوارم بحسن التمتع في أرضهم
 وديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عضائهم إنسان ؛ [و عطف على
 قوم القبيلة فقال -٤-] : ﴿و غاد﴾ أي في قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مضائهم
 ١٠ و بنيانهم و تجبرهم في عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ، لم يبق
 ممن كفر منهم بشر ﴿و ثمود﴾ أي في تمكثهم من بلاد الحجر عرضها
 و ظولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة* لم يبق من الكفار منهم ديار
 ﴿و قوم إبراهيم﴾ أي في ملك جميع الأرض بظولها و العرض ، سلب الله
 منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿و الخنصبتين﴾ أي في جمع الأموال
 ١٥ و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص الميزان و المكيال
 فعمهم الله بالنكال* ﴿و الموفكت﴾ أي في إعراضهم عن صيانة أعراضهم
 في اتباع لذاتهم أعراضهم ، فأممر لهم فعلهم بعد الخسف عموم إعراضهم .

(١) في ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) في ظ :
 بالرجف (٦) من ظ ، و في الأصل : جميع (٧-٨) من ظ ، و في الأصل : المكيال
 و الميزان (٨) زيد في ظ : و لا حصل لدان قوم .

ولما كان كأنه قيل : ما نبأهم ؟ قال : ﴿ اتهم رسلكم ﴾ أى أتى كل أمة منهم رسولها ﴿ بالبينات ﴾ أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿ فإ ﴾ أى قسب عن ذلك أنه ما ﴿ كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ ليظلمهم ﴾ أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار وإثارة البينات ه فعل 'من تعدونه' فيما بينكم ظلما، ولكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم و بزوالهم^١ يقول : ما ظلمهم الله ﴿ ولكن كانوا ﴾ أى دائما فى طول أعمارهم ﴿ انفسهم ﴾ أى لا غيرها ﴿ يظلمون ه ﴾ أى بفعل ما يسبب هلاكها، فان لم ترجعوا أنتم فتحن نحذرکم مثل عذابهم، ولعله خص هؤلاء بالذكر ١٠ من بين بقية الأمم لما عند العرب من أخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا، وأنبياءهم أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان . ولعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط وهم بعدهم فى الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥ كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف، فقوم نوح عليه السلام لم يمنهم لما أتاهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع أنه يقال : إنهم هم الذين بنوا الأهرامات، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذى

(١-١) من ظ، وفى الأصل : ما يعدونه (٢) فى ظ : زوالهم (٣) من ظ، وفى الأصل : بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٦٩/٥، وفى الأصل : انبيائهم، وفى ظ : ابتأؤهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء ، ومنها ما هو بالطوب التي لتحميمهم منه إن كان نارا ، وعاد^١ لما أتتهم الرياح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعتهم في أجواف بيوتهم ، ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة^٢ والقصور المشيدة / والحصون المنعة ،^٣ و حال ثمود معروف في توسعهم في البيوت جبالا وسهولا فما منعهم^٤ من الصيحة التي أعقبت الرجفة ، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود - [كما -^٥] زعم - إلى السماء فأنى الله بنيانهم من القواعد ، ألقت الرياح رأسه في البحر وخر^٦ عليهم الباقي وهم تحته ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وأصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم ، وإن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هارين ، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم ولبست به عليهم ، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها وبقي عليهم عارها ، وأما قوم^٧ لوط فأتاهم الأمر بغته ، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن رفعت إلى عنان السماء ، واتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا ، ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب كانوا يملكون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها ، وعبر عنهم بالموثفات لأن القصص للناقضين الذين^٨ مبنى أمرهم على الكذب وصرف الأمور

(١) في ظ : عادا (٢) في ظ : المتقلبة - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) في ظ : خرج (٦) في ظ : يقوم (٧) في ظ : الذي .

عن ظواهرها 'و تقلبها عن وجوها' ، فالمنى أن أولئك لما قلبوا فعل
النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم ، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة
لقلب القول عن وجهه ، ومادة 'إفك' بكل ترتيب^١ تدور على القلب ،
فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليه و صرفه عنك ،
و أكاف الدابة شبه بالإناء المقلوب ، والكذب صرف الكلام عن وجهه ه
فهو إفك لذلك - والله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المناققين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما^٢
استبغه من تهديدهم باهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من
إصرارهم و عدم اعتبارهم ، عطف بيان حال المؤمنين ترغيا في التوبة طمعا
في مثل حالهم فقال : ﴿ والمؤمنون و المؤمنات ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ١٠
﴿ بعضهم أولياء ﴾ و لم يقل : من^٣ ، كما قال في المناققين : من ﴿ بعض ﴾
دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا في أصل الإيمان و لا وافقه بحكم
الهمى ، بل كلهم مصويون^٤ بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله
صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد منهم ، فذلك
دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم في تسليمهم و إذعانهم ؛ ثم بين ولايتهم ١٥
بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالحمى و السهر فقال : ﴿ يامرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد
و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازه ﴿ و ينهون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : تركيب (٣) من

ظ ، و في الأصل : لا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : مصونون (٦) في ظ : واحد.

[أى - ١] كذلك ﴿ عن المنكر ﴾ لا يحايون أحدا .

ولما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ و يقيمون الصلوة ﴾ أى يوجدونها^٢ على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها وشروطها وحدودها مراقبة لربهم واستعانة بذلك على جميع ما ينوبهم ﴿ و يؤتون الزكاة ﴾ أى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلاق بعد خدمة الخالق . وذلك مواز لقوله فى المنافقين ” و يقبضون ايديهم “ ولما خص أمهات الدين ، عم بياناً لأنهم لا ينسون الله طرفه عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ و يطيعون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ و رسوله^٣ ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم ١٠ و جميل عشرتهم .

ولما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى المظاء الشأن ﴿ سيرحهم الله^٤ ﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعد لا خلف فيه ، وهذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المنافقين ” نسوا الله فسيهم “ وهو إشارة إلى أن الطريق وعمر والأمر شديد^٥ عسر ، ١٥ فالسائر مضطر إلى الرحمة ، وهى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلاً من غير سبيلها . ولما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالاتة^٦ وكانت الموالاتة^٦ فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

(عزيز) أى غالب غير مغلوب بوجه، فهو قادر على نصر من يوالى حزبه وأن يفيله من ثمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على أن يحول بينه وبين شئ من ذلك (حكيم ه) أى فلا يقدر أحد على نقض ما يحكمه و حل ما يبرمه، وفى ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصورين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة ه وما معها من حميد الخصال .

ولما ختم الآية بوصف العزة والحكمة المناسب لافتتاحها بالموالاة وتعقيها بأية الجهاد، وذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالاً، أتبعها بما هو أشد التثاماً بها يائناً للرحمة وتفصيلاً لها ترغيباً للمؤمنين بالإنعام عليهم بكل ما رامه المنافقون بنفاقهم فى الحياة الدنيا، وزادهم بأنه دائم، ١٠ وأخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال: (وعد الله) أى الصادق الوعد الذى له الكمال كله (المؤمنين والمؤمنات) أى الراستخين فى التصديق بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم (جنت تجرى من تحتها الأنهر) أى فهى لا تزال خضرة ذات بهجة نظرة، ولما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام، قال: (تخلدين فيها) ولما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥

والدور الفسيحة والمعازل قال: (ومسكن طيبة) ولما كان بعض الجنان أعلى من بعض، وكان أعلاها [ما - ٢] شرف بوصف العندية المؤذن بالقرب مع بنائه مما يؤكد معنى الدوام، قال: (فى جنت عدن) أى إقامة دائمة وهناء وصحة جسم وطيب مقر وموطن ومنبت،

(١) من ظ، وفى الأصل: راته - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٣) زيد من ظ .

وذلك كما قال في حق أضدادهم "عذاب مقيم" وما أنسب ذكر هذه الجنة في سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد في الحديث أنها خاصة بالنيين والصدّيقين والشهداء . ولما كان ذلك لا يصفو^٢ عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم -^١] :
 هـ (ورضوان) أى رضى لا يبلغه وصف واصف [بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التوبين -^٢] (من الله) أى الذى لا أعظم منه [عندهم -^٢] (اكبر^٣) أى مطلقا ، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل^٢ فوز ، ولا يقع السرور الذى هو أعظم النعم إلا برضى السيد ، [وإذا كان القليل منه أكبر فاظنك ١٠ بالكثير -^٢] .

ولما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم ، قال يصفه زيادة فى الترغيب فيه : (ذلك) أى الأمر العالى الرتبة (هو) أى خاصة لا غيره (الفوز العظيم^٤) أى الذى يستصغر دونه كل شئ من أمور الدنيا والآخرة ، و فى كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف ١٥ به ترغيب فى الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والداعى الأعظم إلى الموالاة .

ولما ثبت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للنافقين والكافرين ، وكان ما مضى من الترغيب والترهيب كافيا فى الإنابة ، و كان من لم يرجع (١) من ظ . و فى الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فه ظ : عن .

بذلك عظيم الطغيان غريبا في الكفران، أتبع ذلك الأمر بمجاهدكم بما يليق
بعنادكم فقال آمرا لأعظم المتصفين بالأوصاف المذكورة مفخما لمقداره
بأجل أفراد الأمر / بالمعروف و النهى عن المنكر: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أى
العالى المقدار بما لا يزال يتجدد له من امن الانباء و فينا من المعارف؛ و لما
كان الجهاد أعرف في المصالحين ، و كانوا أولى به لشدة شكائهم و قوة هـ
نفوسهم و عزائمهم بدأ بهم فقال: ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ أى المجاهرين
﴿ و الثّغفّين ﴾ أى المسارين. كلا بما يليق به من السيف و اللسان .
و لما كان صلى الله عليه و سلم مطبوعا على الرفق موصى به ، قال
تعالى: ﴿ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أى [فى الجهادين - ١] و لا تعاملهم بمثل
ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم فى القعود، و هذا بخلاف ما مضى ١٠
فى وعيد المنافقين حيث [قدمهم - ١] فقال ” المتنفقين و المتنفقت
و الكفار ” فقدم فى كل سياق الأليق به؛ و لما كان المعنى: فانك
ظاهر عليهم و قاهر لهم و هم طعام السيف و طوع العصى ، عطف عليه
قوله: ﴿ و ماونهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جهنم ﴾ و بئس المصير ﴿ ٥ ﴾ .
و لما أتى بالدليل العام على إجرامهم ، أتبعه الدليل الخاص عليه و هو ١٥
أيضا دليل على الدليل فقال: ﴿ يحلفون بالله ﴾ أى [الملك الأعلى - ١] الذى
لا شئ أعظم منه قدرا ٢ ﴿ ما قالوا ﴾ أى ما وقع منهم قول ، فقصر الفعل
تعميما للفعول إعلاما بأنهم [مهما عنفوا على قول كائنا ما كان بادروا إلى
الحلف على نفيه كذبا لأنهم - ١] مردوا على النفاق قطبعوا ٣ بأعلى الكذب ٢

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: قدرا منه (٣-٣) فى ظ: بالكذب .

ومرنوا على سبيل الاخلاق ، فصار حاصل هذا أنهم اطمعوا في العفو
 وحذروا من عذاب الباقي بسبب إجرامهم لأنهم يأمرون بالمنكر و ما
 يلائمه مقتضين آثار من قبلهم في الانهباك في الشهوات غير مقلعين خوفا
 من الله أن يصيبهم بمثل ما أصابهم ولا رجاء له أن ينيلهم بما أعد للمؤمنين
 ٥ هـ مجترئين على الايمان الباطلة باعظم الحلف على أى شىء فرض سواء كان
 يستحق اليمين أو لا غير خائفين من الله أن يهتكهم كما هتك غيرهم من
 فعل مثل أفعالهم ؛ ثم دل على عظيم إجرامهم و ما تضمنه قوله "المتفقون"
 والمتفقت بعضهم من بعض" - الآية ، من كبار آثامهم ، ويجوز أن
 تكون هذه الآية واقعة موقع التعليل للآية التى قبلها بأنهم يقدمون على
 ١٠ ما يستحقون به الجهاد و الغلظة و النار من الحلف كذبا على نفي كل
 ما ينقل عنهم استخفافا بالله و بأسمائه "اتخذوا ايمانهم جنة" فكون
 جوابا لمن كأنه قال : أما جهاد الكفار فالأمر فيه واضح ، وأما المناقون
 فكيف يجاهدون و هم يتكلمون بلفظ الإيمان و يظهرون أفعال أهل الإسلام
 فقال : لأنهم يحلفون ﴿ ولقد ﴾ أى و الحال أنهم كاذبون لقد
 ١٥ ﴿ قالوا كلمة الكفر ﴾ أى الذى لا أكبر فى الكفر منه ، و هى تكذيب
 النبى صلى الله عليه و سلم .

و لما كان هذا السياق لصنف يحددون^١ الاستخفاف بالله تعالى -

(١-١) فى ظ : قول المناقنين (٢) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٣) سورة ٨ هـ
 و ٦٣ آية ١٦ و ٢ (٤) فى ظ : يحددون .

- بما دل عليه المضارع - كل وقت ، دل على [أن - '] إقرارهم بالإيمان كذب و أفعالهم صور لا حقائق لها ، فعبر بالإسلام فقال : ﴿ وكفروا ﴾ أى أظهروا الكفر ﴿ بعد اسلامهم ﴾ أى بما ظهر من أفعالهم و أقوالهم ، و ذلك غاية الفجور ؛ و لما كان أعلى شغف^٢ الإنسان بشيء أن تحدثه نفسه فيه بما لا يصل إليه ، فيكون ذلك ضربا من الهوس قال : ه ﴿ و هموا بمالم ينالوا ﴾ أى من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو إخراجهم من المدينة ، فجمعوا بين أنواع الكفر القول و الفعل و الاعتقاد ، و يجوز أن يكون حالا من الضمير فى " ما ونهم " و التقدير على هذا : يدخلون جهنم حالفين بالله : ما قالوا كلمة الكفر ، و لقد قالوها ، فيكون كقوله " ثم لم تكن " فتنهم الا ان قالوا و الله ربنا ما كنا مشركين " . ١٠

و لما بين من أحوالهم التى لا يحمل على فعلها إلا أمر عظيم ، قال : ﴿ و ما ﴾ أى قالوا و فعلوا و الحال أنهم ما ﴿ تقوموا ﴾ / أى كرهوا شيئا من الأشياء التى أتتهم من الله ﴿ الا ان اغنهم الله ﴾ أى الذى إليه [جميع - ٤] صفات الكمال و هو غنى عن العالمين ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى هو أحق الخلق بأن يحوز عظمة الإضافة إليه سبحانه ، [و كان أذاهم * هذا ١٥ للنبي صلى الله عليه وسلم و مهمم بقتله مع إعطائه لهم ما أغنام بخلاف الآية السابقة^٦ ، فكان الأقد فى ذمهم تأخير قوله - ٤] : ﴿ من فضله ج ﴾ فهو

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) من ظ ، وفى الأصل : شغفة (٣) فى ظ : لم يكن ، و راجع سورة ٩ آية ٢٣ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : عزاهم - كذا (٦) راجع آية ٥٩ من هذه السورة .

من باب : ولا عيب فيهم^١ .

ولما نبه على أن هذه المساوئ قابلوا بها المحسن إليهم ، رغبهم بأنه قابل المتاب عليهم ، ورهبهم بأنه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله : ﴿ فان يتوبوا ﴾ ولما كان المقام جديرا بأن يشتد تشوف السامع إلى معرفة حالهم فيه ، حذف نون الكون اختصاراً تنديها على ذلك فقال : ﴿ يك ﴾ أى ذلك ﴿ خيراً لهم ج ﴾ من إصرارهم .

ولما كان للنفوس من أصل الفطرة الأولى داعية شديدة إلى المتاب ، وكان القرآن في وعظه زاجراً مقبول العتاب عظيم الأخذ بالقلوب والعطف للآلئاب^٢ ، أشار إلى ذلك بصيغة التفعّل فقال : ﴿ وان يتولوا ﴾ [أى - ٢] ١٠ يكلفوا أنفسهم الإعراض عن المتاب ﴿ يعذبهم الله ﴾ [أى المحيط بكل شيء قدرة وعلماً - ٢] بحوله وقوته ﴿ عذاباً اليأس ﴾ أى لا صبر لهم عليه ﴿ فى الدنيا ﴾ أى بما هم فيه من الخوف والحزى والكلف وغيرها ﴿ والآخره ج ﴾ أى بالعذاب الأكبر الذى لا خلاص لهم منه ﴿ وما لهم فى الارض ﴾ أى التى لا يعرفون غيرها لسفولهم همهم ١٥ ﴿ من ولى ﴾ أى يتولى أمورهم فيصلح ما أفسد العذاب منهم أو يشمع لهم ﴿ ولا نصيره ﴾ [أى - ٢] ينقذهم ؛ وأما السماء فهم أقل من أن

(١) وهى إشارة إلى هذا البيت :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراخ الكتاب

(٢) فى ظ : بالآلئاب (٣) يريد من ظ (٤) فى ظ : بسفول (٥) فى ظ : لا والى

(٦) من ظ ، وفى الأصل : الاسماء .

يطعموا منها بشيء ناصر أو غيره وأغلظ أكباداً^١ من أن يرتقى^٢ فكرهم إلى ما لها من العجائب وما بها من الجنود ؛ وسبب نزول الآية على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في ظل شجرة^٣ فقال : سيأتىكم إنسان ينظر إليكم بعين^٤ شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه ، فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علام تستمنى أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فخلفوا بالله : ما قالوا ، فأنزل الله الآية ؛ وقال الكلبي^٥ : نزلت في الجلاس بن سويد ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس^٦ :
لئن كان محمد صادقا^٧ لنحن شر من الحمير ، [فسمعه عامر بن قيس فقال : ١٠
أجل ، إن محمدا لصادق وأتم شر من الحمير - ^٨] ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس ، فقال الجلاس : كذب^٩ على^{١٠} يا رسول الله ! فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس [عند المنبر - ^{١١}] بعد العصر فحلف بالله الذى لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب على^{١٢} عامر ، وقام عامر ١٥
فحلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه ، ثم رفع عامر

(١) من ظ ، وموضعه في الأصل بياض (٢) في ظ : ترتقى (٣) من تفسير الطبرى ، وفي الأصل : حجرة ، وفي ظ : حجره - كذا (٤) من ظ والطبرى ، وفي الأصل : بعين (٥) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ١٠٠/٣ (٦) من ظ ، وفي الأصل : جلاس (٧) في ظ : صادق (٨) زيد من العالم (٩) من ظ والعالم ، وفي الأصل : يكذب .

رضى الله عنه يديه إلى السماء فقال : اللهم ! أنزل على نيك [تصديق -^١]
الصادق منا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون^٢ : آمين ! فزل
جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ " فان يتوبوا بك -
أى التوب - خيرا لهم " فقام الجلاس فقال : يا رسول الله ! أسمع الله
٥ قد عرض^٣ على التوبة ، صدق عامر بن قيس فيما قاله ، لقد قلته ، وأنا
أستغفر الله وأتوب إليه ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه
ثم تاب ، وحسنت توبته . ولا مانع من أن يكون كل ذلك سببا لها
كما تقدم ويأتى ، والأوفق لها فى السببية الخبر^٤ الأول للتعبير فى الكفر
ب' ال ' المؤذنة بالكمال ، ومن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ارتكب
١٠ كل كفر . وفى الآية دليل على قبول توبة الزنديق المسر للكفر^٥ المظهر
للإيمان^٦ - كما قال أبو حيان^٧ وقال : وهو مذهب أى حنيفة والشافعى ،
وقال مالك : لا تقبل^٨ ، / فان جاء ثابئا من قبل نفسه من قبل أن يعثر
عليه قبلت توبته .

/ ٥٣١

ولما أقام سبحانه الدليل على ما ذكر بهذه الآية التى ختمها بأنه
١٥ أغناهم من فضله ، أتبعها بأقامة الدليل عليها وعلى أنهم يقبضون أيديهم
وعلى اجترائهم على أقبح الكذب فقال : (ومنهم من عهد الله) أى
الذى لا أعظم منه (لئن اثننا) أى من خير ما عنده ، واعترف بأنه

(١) زيد من العالم (٢) من ظ والعالم ، وفى الأصل : المؤمنين (٣) فظ : اعرض .
(٤) سقط من ظ (٥) فظ : الكفر (٦) فظ : الإيمان (٧) من ظ ، وفى الأصل :
ابن حبان ، وراجع البحر المحيط ٧٤/٥ (٨) من البحر ، وفى الأصل وظ : لا يقبل .

- لاحق لأحد عليه بقوله : ﴿ من فضله ﴾ أى بأى طريق كان من تجارة ،
أو غنمة أو زراعة أو غيرها ، وأكد لأنه كاذب يظن^١ أن الناس يكذبونه ،
وهكذا كل كاذب فقال : ﴿ لنصدق ﴾ أى بما^٢ آتانا من غير رياء -
بما يشير إليه الإدغام ﴿ ولنكون ﴾ أى كونا هو الدال على أننا مجبولون
على الخير ﴿ من الصالحين ٥ ﴾ أى لكل خير تندب^٣ إليه ﴿ فلما انتههم ٥ ﴾
وكرر قوله : ﴿ من فضله ﴾ تقريراً لما قاله المعاهد تأكيداً للاعلام
بأنه لاحق عليه لأحد ولا صنع فيما ينعم به ولا قدرة عليه بوجه
﴿ بخلوها به ﴾ أى كذبوا فيما عاهدوا عليه وأكدوه غاية التأكيد ،
فلم يتصدقوا بل منعوا الحق [الواجب إظهاره فضلاً عن صدقة السر - ٤]
﴿ وتولوا ﴾ أى كففوا أنفسهم الإعراض عن الطاعة لمن تفضل عليهم ١٠
مع معرفتهم بقبح نقض العهد : ولما كان التولى قد يحمل على ما بالجسد
فقط قال : ﴿ وهم معرضون ٥ ﴾ أى بقلوبهم ، والإعراض وصف لهم
لازم لم يتجدد لهم ، بل كان غريزة فيهم ونحن عالمون بها من حين أوقعوا
العهد ؛ قال أبو حيان^٦ : قال الضحاك : هم تبطل بن الحارث و جد بن قيس
ومعتب بن قشير^٧ و ثعلبة^٨ بن حاطب وفيهم نزلت الآية - انتهى . وحسن ١٥
تعقيها بها أيضاً أن فى الأولى كفران نعمة الغنى من غير عهد ، وفى
هذه كفرانها مع العهد فهو ترق من الأدنى إلى الأعلى ، ودل على
-
- (١) فى ظ : فظن (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : يندب (٤) زيد من
ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٦) سقط من ظ (٧) من ظ والبحر المحيط
٧٤/٥ ، وفى الأصل : يسير (٨) من البحر ، وفى الأصل و ظ : ثعلب .

عظيم شأن العهد بتعظيم الجزاء على خيائه بقوله : ﴿ فاعقبهم ﴾ أى الله
أو التامدى على البخل جزاء على ذلك ﴿ نقاقا ﴾ متمكنا ﴿ فى قلوبهم ﴾
أى بأن لا يزالوا يقولون ما لا يفعلون ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ أى بالموت
عند فوت الفوت ﴿ بما آخلفوا الله ﴾ أى وهو الملك الأعظم
ه ﴿ ما وعدوه ﴾ لأن الجزاء من جنس العمل ؛ ولما كان إخلاف
الوعد شديد القباحة ، وكان مرتكبه غير متحاش من مطلق الكذب ،
قال : ﴿ وبما كانوا يكذبون ه ﴾ أى يحددون الكذب دائما مع الوعد
ومنفكا عنه ، فقد استكملوا النفاق : عاهدوا فعدوا و وعدوا فأخلفوا
وحدثوا فكذبوا .

١٠ ولما كانت المعاهدة سببا للاغناء^١ فى الظاهر ، وكان ذلك ربما
كان مظنة لأن يتوهم من لا علم له أن ذلك لحقاه أمر البواطن عليه
سبحانه ، وكان الحكم هنا واردا على القلب بالنفاق الذى هو أقبح
الأخلاق مع عدم القدرة لصاحبه على التخلص منه ، كان ذلك أدل
دليل على أنه تعالى أعلم بما فى كل قلب من صاحب ذلك القلب ، فعقب
١٥ ذلك بالإنكار على من لا يعلم ذلك والتويخ له والتقريع فقال :
﴿ ألم يعلموا أن الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يعلم سرهم ﴾ وهو
ما أخفته صدورهم ﴿ ونجوتهم ﴾ أى ما فاوض فيه بعضهم بعضا ، لا يخفى
عليه شيء منه^٢ ﴿ وإن الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ علام الغيوب ج ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : أى (٣) فى ظ : او وعدوا (٤) من ظ ، وفى الأصل :

للاغناء (ه) من ظ ، وفى الأصل : من عليه .

أى كلها، أى ألم يعلموا أنه تعالى لا يخادع لعلهم بالعواقب فيخشوا^١
عاقبه فيوفوا بعهده، وفائدة الإعطاء مع علمه بالخيانة إقامة الحجة؛
قال أبو حيان: وقرأ على و^٢ أبو عبد الرحمن و الحسن " ألم تعلموا "
بالتاء، وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير^٣ - انتهى . وفائدة الالتفات
الإشارة إلى أن هذا العلم إنما ينفع من هيبى للإيمان .

٥

و لما أخبر تعالى أنه لم يكفهم^٤ كفران^٥ نعمة الغنى من غير / معاهدة
حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب مع المعاهدة، أخبر أنه لم يكفهم^٦
أيضا ذلك حتى تعدوه إلى عيب الكرماء الباذلين بصفة حبهم لربهم
ما لم يوجه عليهم، فقال تعالى معبرا بصيغة تصلح لجميع ما مضى من
أقسامهم إفيهما لأنهم كلهم كانوا متخلفين بذلك وإن لم يقله إلا بعضهم : ١٠
(الذين يلزون) أى يعيرون فى خفاء (المطوعين) أى الذين ليس
عليهم واجب فى أموالهم فهم يتصدقون ويحبون إخفاء صدقاتهم -
بما يشير إليه الإدغام (من المؤمنين) أى الراضين فى الإيمان
(فى الصدقات) ولما كان ما مضى شاملا للوسر والمعر، نص على
المعر لزيادة فضله وإشارة إلى أن الحث على^٧ قليل الخير كالحث على ١٥
كثيره فقال عاطفا على " المطوعين " : (و الذين لا يجدون) أى من
المال (الا جهدهم) أى طاقتهم التى أجهدوا أنفسهم فيها حتى بلغوها .

(١) من ظ ، وفى الأصل : فتخشوا (٢) سقطت الواو من ظ (٣) من ظ
و البحر المحيط ٧٥/هـ ، وفى الأصل : الفقرية - كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل :
لم تكفهم (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ : عن .

ولما كان اللمز^١ هو العيب ، وهو ينظر إلى الخفاء كالغمز ، ومادته بكل ترتيب تدور على اللزوم ، والمعنى : يلزمون المطوعين عيا ولا يظهرون ذلك لكل أحد وإنما يتخافتون به فيما بينهم ، وهو يرجع إلى الهزء والسخرية ، سبب عنه قوله : (فيسخرّون منهم^٢) ولما كان لاشئ^٣ أعظم للشخص من أن يتولى العظيم الانتقام له من ظالمه^٤ ، قال : (سخر الله^٥) أى وهو الذى له الأمر كله ولا أمر لغيره (منهم ذ^٦) أى جازاهم على فعلهم بأهل حزبه ، وزادهم قوله : (ولهم عذاب اليم^٧) أى بما كانوا يؤلمون القلوب من ذلك وإذا حوققوا عليه دفعوا عن أنفسهم ما يردعهم عنه بالآيمان الكاذبة ؛ روى البخارى فى التفسير عن أبى مسعود رضى الله عنه ١٠ قال : لما أمرنا بالصدقة كنا^٨ تتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغنى عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء ، فنزلت " الذين يلزمون " - الآية .

ولما كان صلى الله عليه وسلم معروفا بكثرة الاحتمال وشدة اللين المشير إليه " عفا الله عنك لم اذنت لهم " للبالغة فى استجلائهم والحرص على نجاتهم جميع الخلق فكان معروفا بالاستغفار^٩ لهم تارة على وجه الخصوص بسؤالهم عند اعتذارهم وحلفهم [و - ١٠] تارة على وجه العموم عند استغفاره لجميع المسلمين^{١١} ، أخبره تعالى من عاقبة أمره بما يزهده

(١) فى ظ : المز (٢-٢) فى ظ : لشيء (٣) من ظ ، وفى الأصل : ظالم (٤) فى ظ : ابن (٥) فى ظ : فكنا (٦) من ظ ، وفى الأصل : بالاستعداد (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : المؤمنين .

فيهم ليعرض عنهم أصلاً ورأساً ، لأنهم تجاوزوا حق الله في ترك الجهاد
 ومنع الصدقة وحقه صلى الله عليه وسلم في لمزه في الصدقات ووصفه
 بما يحل عنه إلى حقوق المجاهدين الذين هو سبحانه خليفتهم في أنفسهم
 وأهلهم وأموالهم مع ما سبق^١ في عمله للناقضين [من -^٢] أنه لا يغفر لهم
 فقال : ﴿ استغفر ﴾ أى اطلب^٣ الغفران ﴿ لهم او لا تستغفر لهم ؛^٤ ﴾ ٥
 أى استوى في أمرهم استغفارك لهم وتركه ﴿ ان تستغفر ﴾ أى تسأل
 الغفران ﴿ لهم سبعين مرة ﴾ أى على سبيل الحقيقة أو المبالغة ؛ ولما كان
 الإخبار باستواء الأمرين : الاستغفار وتركه ربما^٥ كان مسيياً عن الغفران
 وربما كان مسيياً عن الخسران ، عينه في هذا الثانى فقال : ﴿ فلن يغفر الله ﴾
 أى الذى قضى بشقائهم وهو الذى لا يرد^٦ أمره ﴿ لهم^٧ ﴾ وهو يحتمل ١٠
 أن يكون جواباً للأمر ، وجواب الشرط محذوف لدلالته عليه ، والمراد
 بالسبعين على ما ظهر فى المآل المبالغة فى أنه لا يغفر لهم لشيء من الأشياء
 ولو غفر لهم لشيء لكان لقبول شفاعته نبيه صلى الله عليه وسلم ، والعرب
 تبلغ بما فيه لفظ السبعة لأنها غاية^٧ مستقصاة جامعة لأكثر / أقسام العدد ،
 ٥٣٣ / وهى تنمى عدد الخلق كالسماوات والأرض والبحار والأقاليم والأعضاء . ١٥
 ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على رشدكم ونفعهم ،

- (١) زيد بعده فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من
 ظ (٣) فى ظ : طلب (٤) من ظ والقرآن العظيم ، وقد سقط من الأصل .
 (٥) من ظ ، وفى الأصل : بما (٦) فى الأصل : لا يرد ، وفى ظ : لا يرد .
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : تمانية .

وكان حقيقة نظم الآية التخيير في الاستغفار وتركه ونفى المغفرة بالاستغفار
 بالعدد المحصور في سبعين ، [١ - جعل صلى الله عليه وسلم الآية مقيدة
 لما في سورة المنفقين - ٢] فاستغفر^٢ لابن أبي [وصلى عليه وقام على
 قبره - ٣] وصرح بأنه لو يعلم أنه لو زاد على السبعين قبل ل زاد ،
 ٥ واستعظم عمر رضى الله عنه ذلك منه صلى الله عليه وسلم وشرع يمسكه
 بثوبه ويقول : أتصلى عليه وقد نهاك الله عن ذلك ! لأنه لم يفهم من
 الآية غير المجاز لما عنده من بغض المنافقين ، وأما النبي صلى الله عليه وسلم
 فرأى التمسك بالحقيقة لما في الرفق بالخلقة من جميل الطريقة بتحصيل
 الائتلاف الواقع للخلاف وغيره من الفوائد وجليل العوائد ، ولذلك
 ١٠ كان عمر رضى الله عنه يقول لما نزل النهى الصريح : فعجبت بعد من
 جراتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى تفتنت* بعد هذا الصريح
 أن ذلك الأول كان محتملا وإلا لأنكر الله الصلاة عليه ، وفى موافقة الله
 تعالى لعمر رضى الله عنه [منقبة شريفة له ، وقد وافقه الله تعالى مع هذا
 فى أشياء كثيرة ؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما
 ١٥ قال : لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه عبد الله بن عبد الله رضى الله عنه - ١]
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه
 فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه ؛ وفى رواية فى اللباس : فأعطاه قميصه
 وقال : إذا فرغت فأذننا ، فلما فرغ آذنه فجاء ؛ وفى رواية : فقام رسول الله صلى الله

(١) زيد من ظ (٢) راجع آية ٦ (٣) من ظ ، وفى الأصل : استغفر (٤) من ظ ،
 وفى الأصل : الطريق (٥) فى ظ : تيقظت .

عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ! فقال رسول الله عليه وسلم : إنما خيرني الله فقال : " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة " وسأزيده على السبعين ؛ وفي رواية : لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ، قال : إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأنزل الله عز وجل " ولا تصل على أحد منهم مات أبدا [و لا تقم على قبره -^٢] - إلى : وهم فسقون " فترك الصلاة عليهم ، قال : فعجبت بعد من جرائقي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم ؛ وله في أواخر الجهاد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : لما كان يوم بدر أتى بالأسارى ١٠ و أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم قيصا فوجدوا قيص عبد الله بن أبي يقدر عليه^٢ فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه ، فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قيصه الذي ألبسه ، قال ابن عينة : كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فأحب أن يكافئه ، وفي رواية عنه في اللباس أنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي بعد ١٥ ما أدخل قبره فأمر به فأخرج ووضع على ركبته ونفث عليه من ريقه وألبسه قيصه - انتهى . فكأن ابنه رضي الله عنه استحي من أن يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم به لما كان يعلم من ثقافته ، أو آذنه صلى الله عليه وسلم به فصادف منه شغلا فدفنه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في ظ : لهم (٢) زيد من ظ و صحيح البخارى (٣) سقط من ظ (٤) في

ظ : به (٥ - ٥) سقط ما بين الرقعتين من ظ .

بعد^١ إدخاله القبر و قبل تمام الدفن فأخرجه تطيباً لحاظر ابنه الرجل
 الصالح و دفعاً لما قد يتوهمه من إحنة عليه و تأليفاً لغيره ، فقد روى
 أنه قال صلى الله عليه و سلم : إني أومل من الله أن يدخل في الإسلام
 كثير بهذا السبب ، فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه^٢ طلب الاستشفاء
 ٥ بثوب النبي صلى الله عليه و سلم ، ففي بعض الروايات أنه هو الذي طلب
 من النبي صلى الله عليه و سلم أن يكفنه في قيصره ، و تعطفه^٣ عليه ،
 أدعى إلى تراحم المسلمين و تعاطف^٤ بعضهم على بعض ، و قوله : وألبسه
 / قيصره - بالواو لا ينافي الرواية الأولى ، و تحمل^٥ الرواية الأولى على
 ٥٣٤ / أنه وعده إعطاء القميص لما منع كان من التجيز وقت السؤال ، فحمل
 ١٠ الجزم بالإعطاء على الوعد الصادق ثم أنجزه بعد إخراجة من القبر -
 والله أعلم ؛ ووردت هذه الآية على طريق الجواب لمن كأنه قال :
 ما تقدم من أحوال المنافقين كان^٦ انتهاكاً لحرمة الله أو لحق الرسول
 صلى الله عليه و سلم ، ولم يرد فيه أنه يهينهم بالإماتة^٧ على النفاق ، فكان
 يكفي فيه استغفار النبي صلى الله عليه و سلم لهم^٨ ، و أما هذان القسمان فأحدهما
 ١٥ أخبر بأنه يمينهم منافقين ، و الثاني انتهك حرمة المخلصين من الصحابة
 رضى الله عنهم أجمعين فهل ينفعهم الاستغفار لهم ؟ فكأنه قيل : استوى
 الاستغفار و عدمه في أنه لا ينفعهم ، و ختمها بعلّة عدم المغفرة في قوله :

(١) في ظ : قبل (٢) في ظ : راو (٣) في ظ : تعطيه (٤) في ظ : عطف (٥) من
 ظ ، و في الأصل : يحمل (٦) زيد بعده في الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة في
 ظ لحذفها (٧) من ظ ، و في الأصل : بالاثابة (٨) سقط من ظ .

(ذلك) أى الأمر الذى يعد فعله من الحليم الكريم (بأنهم كفروا بالله) أى وهو الملك الأعظم (ورسوله^١) أى فهم لا يستأهلون الغفران لأنهم لم يهتدوا لإصرارهم على الفسق وهو معنى قائم بهم فى الزيادة على السبعين كما هو قائم بهم فى الاقتصار على السبعين (والله) أى المحيط علما وقدرة (لا يهدى القوم الفسقين^٢) أى أنه لا يهديهم [لأنه - ٣] ٥ جلهم على الفسق ، وكل من لا يهديه لأنه جلّه على الفسق لا يغفر له ، فهو لا يغفر لهم لما علم منهم بما لا يعلمه غيره ، فهو تمهيد لعذر النبي صلى الله عليه وسلم فى استغفاره قبل العلم بالطبع الذى لا يمكن معه رجوع .

ولما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم ، وأنّى بالظاهر موضع المضمّر إشارة إلى اتصافهم به وتعليقا للحكم بالوصف ، علل رسوخهم ١٠ فى الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم كالجسد الواحد بقوله : (فرح المخلفون) أى الذين وقع تخليفهم باذنك لهم وكرامة الله لانباتهم (بمقدمهم) أى قعودهم عن غزوة تبوك ، ولعله عبر بهذا المصدر لصلاحية لموضع القعود ليكون بدلالته* على الفرح أعظم دلالة على الفرح بالموضع ، وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ١٥ وأظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة فى تهجين ما رضوا به لأنفسهم ، وزاده تهجينا أيضا بقوله : (خلف) أى بعد [و - ٢] خلف أو لاجل خلاف (رسول الله) أى الملك الأعظم الذى من

(١) فى ظ : الحكيم (٢) فى ظ : انهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فهو (٥) من ظ ، وفى الأصل : دلالة (٦) فى ظ : أى .

تخلف عن حربه هلك ﴿ وكرهوا ان يجاهدوا ﴾ .
 ولما كان هذا في سياق الأموال تارة بالرضى بنيلها والسخط
 بحرمانها، و^١ تارة بقبض اليد عن بذلها، وتارة بالاستمتاع^٢ بالخلاف
 الذى هو النصيب أعم من أن يكون بالمال أو النفس، وتارة بعيب الباذلين
 ٥ وغير ذلك من شأنها قدم قوله^٣: ﴿ باموالهم وانفسهم ﴾ على قوله:
 ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الذى له صفات الكمال، لأنه ليس
 فيهم باعث الإيمان وداعى الإيقان؛ الذى بعث المؤمنين، ودل ذلك
 على عراقتهم فى الفسق بأن الإنسان قد يفعل المعصية ويحزن على فعلها
 وهؤلاء سروروا بها مع ما فيها من الدناءة، وقد يسر الإنسان بالمعصية
 ١٠ ولا يكره أن يكون بدلها أو معها طاعة وهؤلاء ضموا إلى سرورهم بها
 كراهية الطاعة، وقد يكره ولا ينهى غيره وهؤلاء جمعوا إلى ذلك
 كله نهى غيرهم، ففعلوا ذلك كله ﴿ وقالوا ﴾ أى لنغيرهم ﴿ لا تنفروا
 فى الحرب ﴾ بعدا من الإسلام وعمى عن سيد الأحكام، لأن غزوة
 تبوك [كانت - °] فى شدة الحر .

١٥ ولما كان هذا قول من لم تخطر الآخرة على باله، أمره تعالى
 أن يحذر من يصنى إليهم أو يقبل عليهم بقوله: ﴿ قل ﴾ [أى - °]
 يا أعلم بخلقنا^٤ استجهالاً لهم ﴿ نار جهنم ﴾ / أى التى أعدها الله لمن
 خالف أمره ﴿ اشد حرا^٥ ﴾ ولقت الكلام إلى الغيبة يدل على أن

/ ٥٣٥

(١) قط من ظ (٢) فى ظ : الاستماع (٣) من ظ ، وفى الأصل : له (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : الاتقان (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : خلقتنا .

أعظم المراد بهذا الوعظ ضعفاء المؤمنين لئلا يتشبهوا بهم طمعا في الحلم فقال تعالى: ﴿ لو كانوا ﴾ أى المنافقون ﴿ يفقهون ٥ ﴾ أى لو كان بهم فهم يعلمون به صدق الرسول و قدرة مرسله على ما^١ توعده به لعلوا ذلك فما كانوا يفرون من الحر إلى أشد حرامه ، لأن من فر من حر ساعة إلى حر^٢ الأبد كان أجهل الجاهل ؛ وقال أبو حيان^٣ : لما ذكر تعالى ٥ ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه ، يعنى^٤ فى قوله^٥ ”فرح المخلفون“ - انتهى . فتكون الآية حيتذ جوابا لمن كأنه قال : هذه أحوال من خرج فما حال من قعد ؟ وقد خرج بما^٦ فى هذه الآية من الاوصاف كعب بن مالك و رفيقه رضى الله عنهم ونحوهم بمن لم يفرح بالقعود ١٠ ولا اتصف بما ذكر معه من أوصافهم .

و لما كان غاية السرور الضحك ، وكان اللازم لهم فى الآخرة البكاء فى دار الشقاء الذى هو غاية الحزن لهم ، فيها زفير و شهيق وهم يصطرخون فيها ، قال تعالى مهددا لهم مسييا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرا فى صورة الأمر إذانا بأنه أمر لا بد من وقوعه : ﴿ فليضحكوا قليلا ﴾ أى فليستمتعوا^٦ ١٥ فى هذه الدار بفرحتهم بمقعدهم التمتع الذى غاية السرور به الضحك - سيرا ، فانها دار قلعة و زوال و اتزعاج و ارتحال ﴿ وليكوا كثيرا ﴾ أى فى نار جهنم التى أغفلوا ذكر حرورها و أهملوا الالتقاء من شديد سعيها^٧

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : احر (٣) راجع البحر المحيط ٥ / ٧٨ و ٧٩ .

(٤-٤) فى ظ : بقوله (٥) فى ظ : بما (٦) فى ظ : فليستمتعوا (٧) من ظ ، وفى

الأصل : سعيه .

بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقيق
 ﴿ جزآء بما كانوا يكسبون ٥ ﴾ أى من الفرح بالمعاصي و السرور
 بالشهوات و الانهماك في اللذات .

ولما كان السرور بشيء الكاره لضده الناهي عنه لا يفعل الضد
 ٥ إلا تكلفا ولا قلب له ، إليه و كان هذا الدين مبني^١ على العزة و الغنى ،
 أتبع ذلك بقوله مسيبا عن فرحهم بالتخلف : ﴿ فان رجلك الله ﴾
 أى الملك الذى له العظمة كلها فله الغنى المطلق عن سفره هذا
 ﴿ الى طائفة منهم ﴾ [أى - ٢] و هم الذين يمد الله في أعمارهم إلى أن
 ترجع إليهم ، و هذا يدل على أنه أهلك سبحانه في غيبته بعضهم ،
 ١٠ فأردت الخروج إلى سفر آخر ﴿ فاستأذنوك ﴾ أى طلبوا أن تأذن^٢
 لهم ﴿ للخروج ﴾ أى معك في سفرك ذلك ؛ ﴿ فقل ﴾ عقوبة لهم^٣ و غنى
 عنهم و عزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه علما من
 أعلام النبوة و برهانا من براهين الرسالة ﴿ لن تخرجوا معي ابدا ﴾ أى
 في سفر من الأسفار لأن الله قد أغنانى عنكم و أحوجكم إلى ﴿ ولن يقاتلوا^٤
 ١٥ معي عدوا^٥ ﴾ لأنكم جعلتم أنفسكم في عداد ربات الحجال و لا تصلحون
 لقتال ؛ و التقيد بالمعية كما يؤذن باستئقالمهم يخرج ما كان بعده صلى الله
 عليه و سلم مع أصحابه^٦ رضى الله عنهم من سفرهم و قتالهم^٧ .

(١) في ظ : متينا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : ياذن (٤) في ظ :
 هذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم ، وفي الأصل : لن يقاتلوا .
 (٧) زيد في ظ : في قتالهم (٨) من ظ ، وفي الأصل : قتا - كذا .

ولما أخزاهم سبحانه بما أخزوا به أنفسهم ، علله بقوله : ﴿ انكم رضيتم بالقيود ﴾ أى عن التشرف بمصا حيتي ؛ ولما كانت الأوليات أدل على تمكن الغرائز من الإيمان و الكفران وغيرهما قال : ﴿ اول مرة ﴾ أى فى غزوة تبوك ، ومن فاتنا يكفيه أنا نقوته ؛ قال أبو حيان :
فعلل بالمسبب وهو الرضى الناشئ عن السبب وهو النفاق - انتهى . ٥
ولما أنهى الحكم والعلة ، سبب عنه قوله : ﴿ فاقعدوا مع التخلفين ٥ ﴾

أى الذين رضوا لانقسامهم بهذا / الوصف الذى من جملة معانيه : الفاسد
٥٣٦ / فهم لا يصلحون للجهاد ولا يلقون^٢ أبدا فى مواطن الاجداد ، وقال بعضهم :
المراد بهم الذين تخلفوا بغير عذر فى غزوة تبوك ، أو النساء والصبيان
أو أدنياء الناس أو المخالفون أو المرضى أو الزمنى أو أهل الفساد ، و الأولى ١٠
الحمل على الجميع ، أى^٣ لأن المراد تبيكتهم وتوينخهم . ولما أتم سبحانه
الكلام فى الاستغفار وتعليله إلى أن ختم باهانة المتخلفين ، وكان القتل
المسبب عن الجهاد سببا لترك الصلاة على^٤ الشهيد تشريفا له ، جعل الموت
الواقع فى القعود المرضى به عن الجهاد سببا لترك الصلاة إهانة لذلك
القاعد ، فقال عاطفا على ما أفهمت جملة : " استغفر لهم^٥ او لا تستغفر لهم " - ١٥
الآية ، من نحو : فلا تستغفر لهم أصلا : ﴿ ولا تصل ﴾ أى الصلاة التى
شرعت لتشريف المصلى عليه والشفاعة فيه ﴿ على أحد منهم ﴾ ثم وصف
(١) راجع النهر من البحر المحيط ٨٠/٥ (٢) فظ : يلتفتون (٣) فظ : او (٤) فظ :
ظ : تم (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) فظ :
فلا يستغفر .

الاحد بقوله : ﴿ مات ﴾ وقوله : ﴿ ابدا ﴾ متعلق بالنهي لا بالموت
 ﴿ ولا تقم على قبره ^١ ﴾ أى لأن قيامك رحمة وهم غير أهل لها ،
 ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم كفروا بالله ﴾ أى الذى له العظمة كلها
 . [ولما كان الموت على الكفر مانعا من الصلاة على الميت بجميع معانيها
 ٥ لم يحتج إلى التأكيد باعادة الجار فقليل - ١] : ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى
 هو أعظم الناس نعمة عليهم بما له من نصائحهم بالرسالة ، والمعنى أنهم
 اعظم ما ارتكبوا من ذلك لم يهدم الله فاستمروا على الضلالة حتى
 ماتوا على صفة من وقع النهى على الاستغفار لهم المشار إليها بقوله
 ” والله لا يهدى القوم الفاسقين “ وذلك المراد من قوله معبرا بالماضى
 ١٠ والمعنى على المضارع تحقيقا للخبر وأنه واقع لا محالة : ﴿ وماتوا وهم ﴾
 أى والحال أنهم بضائرهم وظواهرهم ^٢ ﴿ فسقون ^٣ ﴾ أى غريقون
 فى الفسق .

ولما كان ابن أبى سبب النهى عن ^٤ الاستغفار لهم ، وكان ابنه
 عبد الله بن عبد الله من خيار المؤمنين وخلص المحسنين [و - ١] كان
 ١٥ لبعض المنافقين أبناء مثله ، وكان من طبع البشر أن يذكر فى كثير من
 مقاله غلظا ما يندم عليه ، وكان شديد الوقوف لما حف به من العلائق
 البدنية وشمله من العوائق بالآوهام النفسانية مع أوهامه وعوائقه قاصرا
 على قيوده وعلائقه ، فكان لإعادة الكلام وتكريره وترديده ومزيد
 تقريره تأكيد فى النفوس وتعزية وتثبيت فى القلوب ، كرر آية الإعجاب

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الضلال (٣) فى ظ : خواطرهم (٤) فى ظ : سببا فى .
 (٥) زيد فى ظ : ابن (٦) زيدت الواو من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : منها .

لهذه الأسباب لأن^١ يكون حكمها على بال من المحاطب لا ينساه
 "لاعتقاد أن" العمل به مهم جدا يفتر إلى فضل عناية ، وأن ذلك شبيه
 بما أهم صاحبه فهو يتكلم فيه ثم ينتقل إلى غيره لغرض^٢ صحيح ثم يرجع
 إليه في أثناء حديثه لشدة اهتمامه به تنبيهها على ذلك ، ولا يرجع إليه
 إلا على غاية ما يكون من حسن^٣ الربط و براعة التاسب ، وعطفها بالواو دون ه
 الفاء لأن ذلك ليس مسيئا عما قبله كما سبق في الآية الأولى ، أى لا تستغفر لهم
 ولا تصل عليهم ولا يعجبك قولهم^٤ مستغطفين لك في طلب محبتك وإن
 زخرفوه وأكدوه بالآيمان التي اتخذوها جنة (ولا تعجبك أموالهم)
 وأسند^٥ النهى إليها إبلاغا فيه .

ولما لم يكن هنا ما اقتضى تأكيد النفي مما مضى في الآية الأولى^٦ ، ١٠
 لم يعد التاني ولا أثبت اللام ولا الحياة فقال^٧ : (واولادهم^٨) أى
 وإن أظهروا أنهم يجاهدون بها معك ويتقربون بها إلى الله^٩ فان الله^{١٠}
 لا يريد بهم ذلك فلا ييسره لهم لما [علم - ١١] من مبادعتهم للخير
 وعدم قابليتهم [له - ١٢] فلا يحملك^{١٣} الإعجاب بشيء من ذلك على
 فعل شيء مما تقدم النهى عنه تأليفا لمثالهم^{١٤} "للساعدة بأولادهم وأموالهم" ١٥

(١) من ظ ، وفي الأصل : لا (٢-٢) في ظ : لاعتنا ذلك - كذا (٣) من ظ ،
 وفي الأصل : الغرض (٤) في ظ : احسن (٥) في ظ : قوله (٦) من ظ ، وفي
 الأصل : اشتد (٧) راجع آية هـ (٨) من ظ ، وفي الأصل : وقال (٩-٩) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ : فلا يحملك (١٢) من ظ ،
 وفي الأصل : لاسلامهم (١٣) في ظ : اولادهم .

و تطيبا لقلوب المؤمنين من أولادهم ، فانهم إن كانوا مؤمنين لم يضرهم ترك ذلك و إلا فبعدا لهم و سحقا ﴿ انما يريد الله ﴾ أى بعزه و عظمته و عليه و إحاطته ﴿ ان يعذبهم ﴾ / أى تعذيبهم ﴿ بها ﴾ فالفعل واقع بخلافه فى الآية السابقة ﴿ فى الدنيا ﴾ أى بجمعها و محبة الإخلاق إليها ٥ و إلى الأولاد إن كانوا مثلهم فى الاعتقاد و إلا كانوا زيادة عذاب لهم فى الدارين ﴿ و تزهق ﴾ أى تخرج بغاية العسر ﴿ انفسهم و هم ﴾ لاغترارهم بها ﴿ كفرون ٥ ﴾ و لا شك أن خطاب الرأس بشئ أرفع فى قلوب أصحابه فلذلك وقع الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم و المراد غيره من أتباعه و جماعته و أشياعه ممن قد ينجح إلى الأسباب و يقف ١٠ عندها كما هو طبع النفوس فى تأمل ما شهد و نسيان ما غاب و عهد تدريبا لهم على الحب فى الله و البغض فيه لأنه من أدق أبواب الدين فهما و أجلها قدرا ، و عليه تبتنى غالب أبوابه . و منه تجتنى أكثر ممراته و آدابه ، و ذلك أنه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا أنه من الناجين فيؤاذه^١ لحسن قوله غافلا عن سوء فعله ، أو يظن أن أهل الدين فقراء ١٥ إلى مساعدته لهم فى جهاد أو غيره^٢ بما له و ذويه^٣ روية فيداريه ، فأعلمهم تعالى أن ما هذا سبيله مقطوع البركة نهيا عن النظر إلى الصور و تنديها على قصر الأنظار على المعانى ” قل لا يستوى الخبيث و الطيب و لو اعجبك كثرة الخبيث^٤ “ - الآية ” و اذا رايتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيؤاذه (٣-٣) من ظ ،

و فى الأصل : بما ل و ر روية (٤) سورة . آية ١٠٠ .

تسمع لقولهم^١ .

ولما افتتحت قصتهم بأن المتقين لا يتوقفون في الانتداب إلى الجهاد على أمر جديد ولا استئذان، بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه والتدب^٢ إليه فيبادرون^٣ إليه الطرف ولا^٤ يحاذرون الحتف^٥ . وأن من المناقين من يستأذن في الجهاد جاء^٦ استئذانه فيه بابا للاستئذان^٧ في التخلف عنه ، ومنهم من يصرح بالاستئذان في القعود ابتداء من غير تستر ، وعقب ذلك بالنهاى عن الإعجاب بأموالهم وأولادهم ثم مر في ذكر أقسامهم وما لزمهم من فضائحهم وآثامهم . إلى أن ختم القصة بأن أموالهم إنما هي لفتنتهم لا لرحمتهم ، ولحتهم لا لمنحتهم ، أتبع ذلك بدليله من أنهم لا يتوصلون بها إلى جهاد ، ولا يتوصلون إلى دار المعاد ، فقال عاطفا على ما أفهمه السياق من نحو أن يقال لأنهم^٨ لا يفعلون بها خيرا ولا يكسبون أجرا ، أو باننا حالا من الكاف في " تعجبك " :
(وإذا أنزلت سورة) أى وقع^٩ أنزال قطعة من القرآن .

ولما كان الإنزال يدل على^٩ المنزل حتما ، فسر به بقوله : (إن آمنوا بالله)
أى الذى له الكمال كله (وجاهدوا) أى أوقعوا الجهاد (مع رسول الله استأذنتك)^{١٥}
أى فى التخلف من لا عذر له وهم (ائولوا الطول) أى أهل الفضل

(١) سورة ٦٢ آية ٤١ (٢) فى ظ : الندم (٣) من ظ ، وفى الأصل : فيبادرون .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحيف (٦) فى ظ : عاجلا (٧) فى ظ : لا أنهم (٨) فى ظ : قطع (٩) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

من الأموال و السعة و الثروة في غالب الأحوال ﴿منهم﴾ و خصهم بالذكر لأن الذم لهم ألزم و لا سيما بعد سماع القرآن ، و يجوز أن يكون معطوفا على خبر 'ان' في قوله " ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله " هذا مع ما تضمن استئذانهم من ردائل الأخلاق و دنايا الهمم المحكى بقوله : ﴿ و قالوا ذرنا ﴾ أى اتركنا و لو على حالة سيئة ﴿ نكن ﴾ أى بما يوافق جبلاتنا ﴿ مع القعدين ٥ ﴾ أى بالعدو المتضمن - لاسيما مع التعبير بذرنا الذى مادته تدور على ما يكره دون 'دعنا' - لما استأنف به أو بين من^٢ قوله : ﴿ رضوا بان يكونوا ﴾ أى كونا كأنه جلة لهم ﴿ مع الخواف ﴾ أى النساء ﴿ و طبع ﴾ أى و وقع الطبع المانع ١٠ ﴿ على قلوبهم ﴾ أى حتى^٣ رضوا لأنفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع الكون في عداد المخدرات بما هو عار في الدنيا و نار في العقب . و لما أبهم فاعل الطبع ، نفى دقيق العلم فقال : ﴿ فهم ﴾ أى بسبب هذا الطبع ﴿ لا يفقهون ٥ ﴾ أى لا فقه لهم يعرفون به ما في الجهاد من العز و السعادة في الدارين ، و ما في التخلف من الشقاء و العار فلذلك ١٥ / ٥٣٨ لا يجاهدون ، فلا شيء أضر / من هذه الأموال و الأولاد التى أبعدت عن الممادح و ألزمت المذام و القوادح ، فقد اكتفت آية الأموال في أول القصة و آخرها ما يدل على مضمونها .

و لما افتتح القصة بمدح المتقين لمساقتهم إلى الجهاد من دون استئذان ختمها بذلك و ذكر ما أعد لهم فقال [معلما - ^٤] بالغنى عنهم

(١) في الأصل وظ : بعدد (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : على (٤) زيد من ظ .

من هو الخير المحض تبكيثا لهم و تقريبا : ﴿ لكن الرسول ﴾ أى و الذى
بعثه لرد العباد عن الفساد إلى السداد ﴿ و الذين امنوا ﴾ أى إيماننا عظيما
كاثنا أو كاتنين ﴿ معه ﴾ أى مصاحبين له ذاتا و حالا فى جميع ما أرسلناه
إليهم^١ به ﴿ جاهدوا باموالهم و انفسهم^٢ ﴾ أى بذلوا كلا من ذلك فى حبه
صلى الله عليه وسلم فتحققوا بشرط الإيمان و ' لكن ' واقعة موقعها بين هـ
متافين لأن ما مضى من حالهم كله ناطق بأنهم لم يجاهدوا .

ولما كان السياق ليرسلهم بالنفس و المال ، و لسلب النفع من
أموالهم و أولادهم ، اقتصر فى مدح أوليائه على الجهاد بالنفس و المال^٣
و لم يذكر السيل و قال^٤ : ﴿ اولئك ﴾ [دالا - ٣] على أنه معطوف
على ما تقديره : فأولئك الذين نورت قلوبهم فهم يفقهون ، و قوله : ١٥
﴿ لهم ﴾ أى لا لغيرهم ﴿ الخيرات ذ ﴾ تعرض بذوى الأموال من المناقين
لأن الخير يطلق على المال و تحليته بـ ' ال ' تدل على استغراقه لجميع
منافع الدارين ، و التعبير بأداة البعد إشارة إلى علو مقام أوليائه و بعد مناله
إلا بفضل منه تعالى ، و كذا التعريض بهم بقوله : ﴿ و اولئك هم ﴾ أى
خاصة ﴿ المفلحون ه ﴾ أى الفائزون بجميع مرادهم ، لا غيرهم ؛ ثم بين ١٥
الإفلاح الأعظم بقوله : ﴿ اعد الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لهم ﴾
أى الآن لينعمهم بها بعد موتهم و انتقامهم من هذه الدار التى هى معدن
الاكدار ﴿ جنت تجري ﴾ أى دائما ﴿ من تحتها ﴾ أى مع قربها ﴿ الانهر ﴾
ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال فقال : ﴿ خلدين فيها^٥ ﴾ ثم رغب فيها
بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿ الفوز العظيم ة ﴾ أى لا غيره . ٢٠

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من ظ .

ولما حتم قصص أهل المدر دم إلى الطول منهم تخلفهم ، وكان
 ذمهم^١ إنما هو لكونهم قادرين على الخروج في ذلك الوجه ، وقدمهم لكثرة
 سماعهم للحكمة . . كان أهل الدير أقدر الناس على السفر لأن مبي أمرهم
 على الحل والارتحال . فهم أجدر بالذم لأنهم في غاية الاستعداد لذلك ،
 ٥ تلامهم^٢ بهم فقال : ﴿ وجاء المعذرون ﴾ أى المبالغون في إثبات الحفايا
 من الاعتذار المانعة لهم من الجهاد - بما أشار إليه الإدغام ، و حقيقة المعذر
 أن يتوهم ان له عذرا ولا عذر له ، و العذر^٣ : إيساع الحيلة في وجه يدفع
 ما ظهر من التقصير ﴿ من الاعراب ﴾ قيل : هم رهط عامر بن الطفيل من
 بنى عامر ، وقيل : أسد و غطفان ، وقيل : رهط من غفار ﴿ ليؤذن ﴾
 ١٠ أى ليقع^٤ الإذن من أى آذن كان في تخلفهم عن الغزو ﴿ لهم ﴾ أى
 فاعتذروا بما كذبوا فيه وقعدوا عن الغزو معك ، هكذا كان الأصل فوضع
 موضعه : ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ﴾ أى وهو المحيط علما و قدرة
 ﴿ ورسوله ﴾ تنبيها على وصفهم وليكون أظهر في شمول الأعراب وغيرهم .
 ولما كان منهم المحتوم بكفره وغيره قال : ﴿ سيصيب ﴾ أى بوعد
 ١٥ لا خلف فيه ﴿ الذين كفروا ﴾ أى حتم بكفرهم ﴿ منهم عذاب اليم^٥ ﴾
 أى في الدارين .

ولما كان من القاعدين من أهل المدر والدير من له عذر ، استثناهم
 سبحانه و ساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة فقال :

(١) في ظ : ذنبهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : بدهم - كذا (٣) من ظ ، وفي
 الأصل : العذاب . كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : ابن (٥) في ظ : يقع .

(ليس على الضعفاء) أى بنحو الهرم^١ (ولا على المرضى) أى بنحو الحمى
والرمد (ولا على الذين لا يجدون) ولو بدین يؤدونه فى المستقبل
(ما ينفقون) أى لحاجتهم و فقرهم (حرج) أى إثم يميل بهم عن
الصراط المستقيم ويخرج دينهم .

ولما كان ربما [كان - ٢] أحد من المنافقين بهذه الصفة احترز ه

عنه بقوله : (إذا نصحوا) أى فى تخلفهم وجميع أحوالهم (لله)
أى الذى له الجلال والإكرام (ورسوله^٢) أى سرا^٣ وعلانية ، فانهم
حيثئذ محزونون فى نصحتهم الذى منه تحسروهم على القعود على هذا الوجه
وعزمهم على الخروج متى / قدروا ، وقوله : (ما على المحسنين) فى ٥٣٩ /

موضع ' ما عليهم ' لبيان إحسانهم بنصحتهم مع عذرهم (من سبيل^٤) ١٠
أى طريق إلى ذمهم أو لومهم ، والجملة كلها بيان لـ " نصحو الله ورسوله " ،
وقوله : (والله) أى الذى له صفات الكمال (غفور) أى محام
للذنوب (رحيم^٥) أى محسن بجمل^٦ إشارة إلى أن الإنسان محل
التقصير والعجز وإن اجتهد ، فلا يسعه إلا العفو ، ثم عطف على ذلك

قوله : (ولا على الذين إذا) وأكد^٧ المعنى بقوله : (ما أتوك) أى ١٥
ولم يأتوا بغير قصدك راغبين فى الجهاد معك (لتحملهم) وهم لا يجدون
محملا (قلت) أى أتوك قائلا أو حال قولك ، ^٧ " وقد " مضمرة^٨ كما
قالوا فى " حشرت صدورهم^٩ " (لا اجد ما) أى شيئا (أحملكم عليه^{١٠})

(١) فى ظ : هرم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : سر (٤) من ظ ، وفى الأصل :

عن (هـ-ه) من ظ ، وفى الأصل : عطف على ذلك (٦) فى ظ : كذا (٧-٧) من

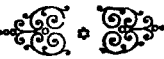
ظ ، وفى الأصل : قدم ضميره - كذا (٨) سورة ٤ آية ٩٠ .

و أجاب "إذا" بقوله [ويجوز أن يكون استثناءً و "قلت" هو الجواب -^١]
 ﴿ تولوا ﴾ أى عن سماع هذا القول منك ﴿ واعينهم تفيض ﴾ أى
 تمتلئ^٢ فتسيل، وإسناد الفيض إليها أبلغ من حيث أنها جمعت كلها دمعاً :
 ثم بين الفاتض بقوله : ﴿ من الدمع ﴾ أى دمعاً ، والأصل : يفيض
 ٥ دمعها ، ثم علل فيضها^٣ بقوله : ﴿ حزناً ﴾ ثم علل حزنهم بقوله :
 ﴿ الا يجدوا ﴾ أى لعدم وجدانهم ﴿ ما ينفقون^٤ ﴾ فحزنهم فى الحقيقة
 على فوات مرافقتك و الكون فى حزبك ، وهذه قصة البكائين صرح^٥
 بها و إن كانوا داخلين فى "الذين لا يجدون" إظهاراً لشرفهم و تقريراً
 لأن الناصح - و إن اجتهد - لا غنى له عن العفو حيث بين أنهم - مع
 ١٠ اجتهادهم فى تحصيل الأسباب و تحسّرهم عند فواتها بما أفاض^٦ أعينهم -
 من^٧ لا سبيل عليه أو من لا حرج عليه المقفور له .

ولما نفى السبيل عن وصفه^٨ كر على ذم من اتقى عنه هذا^٩ الوصف
 فقال تعالى : ﴿ إنما السبيل ﴾ أى^{١٠} باللوم وغيره ﴿ على الذين يستأفنونك ﴾
 أى يطلبون إذنك فى التخلف عنك راغبين فيه ﴿ وهم أغنياء^{١١} ﴾ أى
 ١٥ فلا عذر لهم فى التخلف عنك و عدم مواساتك ، وتضمن قوله تعالى مستأنفاً :
 ﴿ رضوا بأن يكونوا ﴾ أى كونا كأنه جيلة لهم^{١٢} ﴿ مع الخوالب^{١٣} ﴾ اتقاء^{١٤}

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) من ظ : وفى الأصل : تميل (٣) فى ظ :
 فيضه (٤) من ظ ، وفى الأصل : خرج (٥) زيد بعده فى ظ : من (٦) فى ظ :
 بما (٧) من ظ ، وفى الأصل : وصف (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى
 الأصل : انتفى .

الضعف و المرض عنهم من حيث أنه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فأفهم
ذلك أنه لا علة لهم سواه ، و أفهم أيضا أن كل من كان كذلك كان مثلهم
ولو أنه ضعيف أو مريض ، وكرر ذكر الخوالب تكريرا ليعيهم برضاهم
بالكون في عداد^١ النساء إذ^٢ كان ذلك من أعظم المعاييب عند العرب ،
و سمي الفاعل للطبع حيث حذفه من الأولى ؛ و لما ذكره ، عظم الأمر
فاقتضى ذلك عظم الطبع فنفى مطلق العلم فقال عاطفا على "رضوا" :
﴿ و طبع الله ﴾ أى الذى له القدرة الكاملة^٣ و العلم المحيط ﴿ على قلوبهم ﴾^٤
ثم سبب عن^٥ ذلك الرضى و الطبع قوله : ﴿ فهم لا يعلمون ﴾ أى لا علم
لهم فلذلك جهلوا^٦ ما فى الجهاد من منافع الدارين لهم^٧ فلذلك رضوا
بما^٨ لا يرضى^٩ به عاقل ، و هو أبلغ من نفى الفقه فى الأولى ، و زاد المناسبة ١٠
حسنا ضم الأعراب فى هذه الآيات إلى أهل الحاضرة و هم بعيدون
من الفقه جديرون بعدم^{١٠} العلم .



(١) فى ظ : عدد (٢) من ظ : و فى الأصل : إذا (٣) سقط من ظ (٤-٤) تأخر
فى الأصل عن « و الطبع قوله » و الترتيب من ظ (٥) فى ظ : حملوا (٦-٦) فى ظ :
لم يرض (٧) فى ظ : يعلم .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثامن من تفسير "نظم الدرر
في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن
إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الخميس العشرين من
شوال ١٣٩٤ هـ = ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٤ م ، تحت مراقبة مدير الدائرة
و عميدها "أفضل العلماء" روفسور السيد عبد الوهاب البخاري - أبقاه الله
لخدمة العلم و الدين !

وقد غنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران
الأعظمي العمري (الحامل شهادة "أفضل العلماء" من جامعة مدراس)
حفظه الله !

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله
له و لوالديه !

و يليه الجزء التاسع إن شاء الله تعالى و أوله : ثم شرع يخبر عن
أشياء . . و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ،
و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسلم على من علم فوائده الخيرة و خواتمه ،
سيدنا و مولانا محمد وآله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين -

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية